تَفْسِيرُ القُرآنِ الكَرِيمِ
(جُزْءُ عَمَّ)

-بجامع البابطين-

لفَضِيلَةِ الشَّيخ:

أ.د. يوسف بن عبد العزيز الشبل

-حَفِظَهُ اللَّهُ-

ابن الجزري
مكتب ابن الجزري للبحث العلمي والتفريغ الصوتي
٠٠٢٠١٠٣٠٢٦٩١٥٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



إِنَّ الْحَمْدَ لِلهِ نَحْمَدُهُ تَعَالَىٰ ونَسْتَعِينُهُ ونَسْتَغْفِرُهُ، ونَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا ومِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلاَ مُضِلَّ لَهُ ومَنْ يُضْلِلْ فَلاَ هَادِيَ لَهُ، وأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ ورَسُولُهُ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ ولَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ وخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا ونِسَاءً واتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ والْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ ويَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ومَنْ يُطِعِ اللَّهَ ورَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠- ٧١].

أيها الإخوة الكرام؛

السَّلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، حياكم الله في هذَا اللقاء المبارك، ومع تفسير الجزء الأخير من القرآن الكريم، وبين أيدينا أول هذَا الجزء، وهي سورة النبأ، سورة النبأ من السور المكية، وجاء في بعض الآثار أن النَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ظهر فيه الشيب، فقَالَ له أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يا رسول الله أراك شبت، قَالَ: «شَيَّبَتْنِي هُود وَأَخَوَاتُهَا»، فقالوا: ما أخواتها؟ قَالَ: أخواتها الواقعة والنبأ والمرسلات وكذا من السور، فذكر منها سورة النبأ.

سورة النبأ سورة عظيمة جدًا، يعني يكفيك من اسمها النبأ، والنبأ هو الخبر المهم، وفرق بين لما تقول خبر ونبأ، شوف القرآن لو نتتبع فيه كلمة النبأ، وكلمة الخبر، تجد أن كلمة النبأ تأتي في الأمور المهمة، بخلاف الخبر يحتمل الصدق ويحتمل الكذب، وجاك خبر من فلان وخبر من فلان، يمكن أنه صحيح.

لكن النبأ أدق، ولذلك سمي النبي نبيًّا؛ لأنه يأتي بالأخبار الموثوقة، لكن لو تتبعنا، ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الشعراء: ٦٩]، ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا﴾ [الأعراف: ١٧٥]، ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ﴾ [يونس: ٧١]، وهكذا تجد كلمة النبأ تعطي معنى يدل عَلَىٰ الأهمية والدلالة القوية، هٰذِه السورة الَّتِي بين أيدينا سورة النبأ، هي في الحقيقة هي وما بعدها من السور، تقرر قضايا مهمة جدًا.

ومن أهم هذه القضايا: قضية الإيمان باليوم الآخر، النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما جاء إِلَىٰ أهل مكة يدعوهم إِلَىٰ التوحيد، كانوا لا يؤمنون باليوم الآخر، ﴿يَقُولُونَ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ [الواقعة: ٤٧]، ويقولون في موضع آخر: ذلك رجع بعيد، فكانوا يستبعدون، ما يؤمنون باليوم الآخر، ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ [المؤمنون: ٣٧]، أرحام تدفع، وأرض تبلع، هٰذِه هي ليس هناك بعث ولا جزاء، وهٰذَا ما يمكن.

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ۝٢٧ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ [ص: ٢٧-٢٨]، ما يمكن أن يكون هٰذَا، لَا بُدَّ أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في ميزانه الحق والعدل، ألا يساوي بين المفسد في الأرض والمصلح، فالمفسد يجازيه عَلَىٰ إفساده، والمصلح يجازيه عَلَىٰ صلاحه، فَلَا بُدَّ أن يكون هناك موعد يجتمع فيه الخلق جميعًا ويحاسبون عَلَىٰ أعمالهم، وكلًّا يأخذ حقه بالعدل، هٰذَا حكم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من المستحيل أن يخلق خلقًا ويتركهم عبثًا، يعيشون كالبهائم، هٰذَا لا يمكن، هٰذَا يخالف حكمة لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، حكمة الله أن يخلق الخلق ويجازيهم ويبعثهم، فهٰذِه حكمة الله سُبْحَانَهُ.

طيب، وقرر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في سور كثيرة، أنزل سورة سماها سورة القيامة، وقرر قضية البعث في سور كثيرة، ورد عَلَىٰ الجاحدين المنكرين، ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [التغابن: ٧]، ﴿وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ﴾ [يونس: ٥٣]، فرد القرآن عليهم، وأعطاهم الأدلة؛

جاء رجل إِلَىٰ النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، رأس المشركين، قيل أنه: أُبيّ بن خلف، وقيل أمية بن خلف، جاء النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ معه عظم يفته بيده، يقول: يا محمد أتزعم أن الله يبعث هٰذَا؟ قَالَ: «نَعَم، يُمِيتَكَ اللهُ، ثُمَّ يَبْعَثَكَ ثُمَّ يُدْخِلُكَ النَّار»، وأنزل الله فيه: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ

قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [يس: ٧٨-٧٩]، الَّذِي أنشأها أول مرة هو الَّذِي يحييها، فرد الله عليهم.

هٰذِه السورة تتحدث في الحقيقة عن قضية البعث، السورة تدور كلها عَلَىٰ قضية إثبات البعث، واستدل الله عَزَّ وَجَلَّ عَلَىٰ إثبات البعث بأدلة مشاهدة، عَلَىٰ قدرته بأدلة مشاهدة، كما سيأتينا من الأدلة الواضحة عَلَىٰ إثبات البعث، وأن هؤلاء المشركين ليس عندهم أي دليل يدل عَلَىٰ أن الله لا يبعث من في القبور، بل سيبعث وسيجازي، فلذلك لهم أدلة كثيرة، منها الأدلة الآيات الكونية المشاهدة، اَللَّيْل، وَالنَّهَار، وَالشَّمْس، والقمر، وخلق الإنسان، وخلق النبات، هٰذِه كلها تدل عَلَىٰ قدرته، وعَلَىٰ نعمته عَلَىٰ خلقه، وعَلَىٰ قدرته عَلَىٰ البعث.

الَّذِي خلق هٰذِه الأشياء، سيخلقكم مرة أخرى، والَّذِي خلقكم أول مرة قادر عَلَىٰ أن يعيدكم، وهو الَّذِي يبدأ الخلق ثُمَّ يعيد وهو أهون عليه، فالأمر بالنسبة لله يسير وسهل، ﴿وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ [إبراهيم: ٢٠].

طيب، نبدأ بالسورة، يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بعد بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾ [النبأ: ١]، هٰذَا استفهام، أصلها: عن، حرف جر، وحين يأتيك الإعراب اللي تدرسه، يأتيك الآن، ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾ [النبأ: ١]؛ يعني عن أي شيء يتساءلون، أصلها: عن وما، وما؛ فيها ألف، لكن لما اتصلت العين وأُدغمت النون بالميم، عمَّ، حُذمت الألف، فأصبحت عمَّ، حَتَّىٰ سميت السورة بسورة: عمَّ، وعمَّ هٰذَا استفهام، أسلوب استفهامي، تقول: عمَّ تتحدث عمَّ تقول، عمَّ تخبر؟ هٰذِه استفهامية.

والله يقول: عم هؤلاء يتساءلون، هؤلاء المشركين يتساءلون عن أي شيء، يتساءلون يعني يسأل بعضهم بعضًا، يتساءلون عن أي شيء، كأنه نوع من التهكم بهم، والاستهزاء، إيش يتساءلون عنه، تسألون عن أي شيء، ﴿عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ﴾ [النبأ: ٢]، تسألون عن هٰذَا الخبر؟ عن النبأ العظيم الَّذِي هو البعث، والجزاء، وَالجَنَّة، وَالنَّار، يعني يشكون فيه حَتَّىٰ يتساءلون.

وقيل: النبأ العظيم هو القرآن، وقيل: البعثة، وقيل أقوال أخرى، لكن الَّذِي يسنده السياق، أن النبأ العظيم هنا هو البعث، هو يوم القيامة.

ولذلك لاحظ الآن يأتيك أدلة، يقول: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ۝١ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ ۝٢ الَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾ [النبأ: ١-٣]، ما بين مصدق ومنكر، ومتوقف، هم مختلفون، بعضهم منكر، وبعضهم مصدق، حَتَّىٰ الكفار من المشركين، منهم من يصدق البعث، ومنهم متردد.

ثُمَّ زجرهم الله زجرًا قويًا، كيف تتردد، كيف تشك في اليوم الآخر، قَالَ: ﴿كَلَّا﴾ [النبأ: ٤]، وكلا كلمة ردع وزجر للتخويف، قَالَ: ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ [النبأ: ٤]، وهٰذَا أسلوب تهديد، سيعلم هٰذَا الَّذِي يشك، والذي ينكر البعث، سيعلمون، ثُمَّ أكد عليهم ردعًا آخر أقوى، قَالَ: ﴿ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ [النبأ: ٥]، أي أنهم سيعلمون، ثُمَّ سيعلمون، ثُمَّ قَالَ لهم: أغاب عنكم هٰذَا الشيء، وغابت عنكم قدرة الله؟

يعني أنت خفي عليك قدرة الله عَلَىٰ البعث، يعني أنت الآن تعجز الله أن يبعثك؟ الله قادر عَلَىٰ أن يبعثك، وش المانع من هٰذَا الشيء؟ قادر عَلَىٰ أن يبعثك، ثُمَّ قَالَ: انظروا إِلَىٰ آيات الكون، الآيات الكونية في السماء والأرض، تدلكم عَلَىٰ قدرة الله، أنت شكيت في قدرة الله، انظر إِلَىٰ الكون هو الَّذِي يحكم لك.

ثُمَّ قَالَ: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا﴾ [النبأ: ٦]، انظر إِلَىٰ الأرض ما الَّذِي جعلها مهادًا وممتدة، ومهدة، تستطيع أن تزرع عليها، تستطيع أن تمشي، تستطيع أن تنام، تستطيع أن تبني عليها بنايات عالية، من الَّذِي جعلها مهدة هكذا، تمشي أحيانًا أنت في الصحراء في السيارة، تجد ارض ممتدة ليس فيها أي جبل، ممتدة عَلَىٰ مسافات طويلة، ما الَّذِي مد الأرض بهٰذَا الشكل، الَّذِي مدها الله، ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا﴾ [النبأ: ٦]، مهدة وممتدة.

﴿وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ [النبأ: ٧]؛ أي جعل الجبال أوتادًا، الَّذِي جعل الجبال أوتادا الله عَزَّ وَجَلَّ، لماذا؟ قَالَ: ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ﴾ [النحل: ١٥]، ما الحكمة من جعلها رواسي؟ قَالَ: ﴿أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾ [النحل: ١٥]، تثبت الأرض، مثل أوتاد الخيمة، سمى الجبل وتدًا كوتد الخيمة، إذا ضُرب الوتد عَلَىٰ الأرض للخيمة، ثبتت الخيمة، إذا شلت الأوتاد سقطت الخيمة، فكذلك الأرض، قد ترتج بالناس، فلا يستطيعون أن يعيشوا عليها، فثبتها الله بالرواسي، جعلنا الجبال رواسي، جعل سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الجبال رواسي.

قَالَ: ﴿وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا﴾ [النبأ: ٨]، أصنافًا ذكورًا وإناثًا، حَتَّىٰ تكون سبب لبقاء الجنس، لو أن الله لم يجعلهم ذكورًا إناثًا، ولم يخلقهم أزواجًا، لانتهى هٰذَا الجيل وخلاص انتهى، لكن من حكمته جعلهم أزواجه يتكاثرون، وتستمر هٰذِه الحياة، تستمر الحياة الأولى، فمن حكمته جعل ذكر وأنثى، وجعلهم أزواجًا، حَتَّىٰ ليس في الإنسان، الله يقول: وخلقناكم أنتم يا بني آدم أزواجًا، وخلق أَيْضًا الحيوانات، والطيور، والحشرات، كلها أزواج تتكاثر، وإلا كان تنقرض، فهٰذِه حكمة الله سُبْحَانَهُ، الَّذِي خلقك، وجعلنا الناس أصنافًا من هو؟ هو الله، إذًا الذي خلق قادر عَلَىٰ أن يبعث الناس، هٰذَا يكفيهم أدلة، اسمع عشان تركز معي؛

الدليل اَلْأَوَّلُ: جعل الأرض مهادًا، هٰذَا دليل.

ثانيًا: الجبال أوتادًا.

ثالثًا: خلق الناس أزواجًا.

هٰذِه كلها أدلة عَلَىٰ قدرته عَلَىٰ البعث، من المشاهدة، ما أحد ينكرها، أي شخص عاقل تأتي إليه تقول: تعال ما الَّذِي خلقك؟ يقول لك: الله، حَتَّىٰ المشركون، ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧].

قَالَ: ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾ [النبأ: ٩]؛ راحة، النوم آية من آيات الله، ينبغي للإنسان أن يتفكر فيها، متى تطرح نفسك عَلَىٰ هٰذَا السرير ولا تدري عن نفسك، لو يأتي شخص يأخذ ما في جيبك ما تدري عن شيء، أنت خلاص غبت عن الناس، من الَّذِي قبض روحك؟ هٰذِه الموتة الصغرى، ولذلك أنت إذا قمت من النوم تقول: الحمد لله الَّذِي أحيانا بعد ما أماتنا، إذًا أنت ميت.

فما الَّذِي أماتك ثُمَّ أحياك؟ ﴿ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ [الزمر: ٤٢]، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يجعلك.. ﴿وَهُوَ الَّذِى يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ﴾ [الأنعام: ٦٠]، يعني: كسبتم بِالنَّهَارِ، فالله عَزَّ وَجَلَّ يعلم هٰذَا، إذًا الَّذِي خلق هٰذَا النوم، وبعثه عَلَىٰ الناس، لولا هٰذَا النوم لجلس الإنسان في أرق وتعب، ما يستطيع أن يعيش، ولكن رحمة الله أن جعل هٰذَا النوم نوم راحة وسبات، يرتاح فيها الإنسان، وتستقر نفسه، ويهدأ قلبه، ثُمَّ يقوم بعد ذلك نشيطًا قويًا، هٰذِه من رحمة الله.

قَالَ: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا﴾ [النبأ: ١٠]؛ ساترًا، مغطيًا كل شيء، تذهب الشَّمْس، وتستقر النفوس، وكل يلجأ إِلَىٰ مكانه ويدخل، حَتَّىٰ الحيوانات والطيور، تهدأ النفوس، فالليل راحة، وسكن كما قَالَ الله: جعل الليل سكنًا، قَالَ: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا﴾ [النبأ: ١٠].

وجعلنا النهار مقابل اَللَّيْل، ﴿وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾ [النبأ: ١١]، حركة، يقوم الناس تأتي الشمس وتخرج عَلَىٰ الناس، ثُمَّ يقومون لأعمالهم، فيكون في حركة في أعمال الدنيا، وحركة في أعمال الآخرة، تجد منهم من يشتغل بالطاعة، والصلاة، وصلاة الضحى، وقراءة القرآن، والعلم، وَالتَّعَلُّم؛ مشغول، هؤلاء يشتغلون بالدنيا، جعل الله النهار معاشًا.

ثُمَّ قَالَ: ﴿وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾ [النبأ: ١١]؛ يعني السماوات السبع الشداد، التي جعل الله فوقنا، سبع طرائق، سبع سماوات بقدرته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، أطراف السماوات ما تستطيع أن تصل إِلَىٰ أطرافها، ممتدة، فما الَّذِي رفع السماوات بغير عمد، نرى ما في عمد، رفعها أنت ما تستطيع ترفع ولا قطعة صغيرة بدون شيء، والله رفعها سبع سماوات طباقًا، بغير عمد، آية عظيمة من آيات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وجعل في هٰذِه السماء الشَّمْس، قَالَ: ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا﴾ [النبأ: ١٣]؛ شوف لما يصف الشمس بالسراج، معناه فيه ضوء وفيه حرارة، السراج فيه ضوء وفيه حرارة، لما جاء القمر، قَالَ: القمر نور، يعني فيه إضاءة نور، وَأَمَّا الشمس لا، قَالَ: الإضاءة ضياء، قَالَ: ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا﴾ [النبأ: ١٣]؛ يتوهج شدة الحرارة فيها، ولذلك إذا دنت في فصل الصيف، تحرق من تحتها.

طيب الكلام يطول، بعدها تأتي آية الَّذِي هو المطر، والمطر إحياء للنبات، ففيه تشبيه بإحياء الموتى، يعني فيه قياس، الَّذِي أحيا الأرض بعد موتها يحيي، ﴿ذَلِكَ لَمُحْيِ الْمَوْتَىٰ﴾ [الروم: ٥٠]، طيب إِنْ شَاءَ اللهُ يأتي الحديث عن إنزال المطر من السماء، وما يترتب عليه، الحديث يأتي عنه إِنْ شَاءَ اللهُ في لقاء قادم، نقف عند هٰذَا القدر، والله أعلم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



إِنَّ الْحَمْدَ لِلهِ نَحْمَدُهُ تَعَالَىٰ ونَسْتَعِينُهُ ونَسْتَغْفِرُهُ، ونَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا ومِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلاَ مُضِلَّ لَهُ ومَنْ يُضْلِلْ فَلاَ هَادِيَ لَهُ، وأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ ورَسُولُهُ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ ولَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ وخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا ونِسَاءً واتَّقُوا اللَّهَ الَّذِى تَسَاءَلُونَ بِهِ والْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ ويَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ومَنْ يُطِعِ اللَّهَ ورَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠- ٧١].

أيها الإخوة الكرام؛

في هٰذَا اللقاء المبارك، في هٰذَا اليوم المبارك، معنا في لقاء هٰذَا تفسير سورة النبأ، التي تسمى أَيْضًا بسورة عمَّ، وهي أول سورة في الجزء الأخير، ومثل ما ذكرنا في لقائنا الماضي، أن هٰذِه السورة من السور المكية، وهي اشتملت عَلَىٰ أمور عظام، تتحدث في الحقيقة عن البعث، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ذكر فيها آيات عِظَام، آيات كونية تدل عَلَىٰ قدرة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَلَىٰ الخلق، وعَلَىٰ قدرته عَلَىٰ بعث الناس من قبورهم.

ذكر فيها آيات عجيبة دالة عَلَىٰ قدرته وعَلَىٰ نعمته، عَلَىٰ خلقه، نعمته في الدنيا، وقدرته عَلَىٰ البعث، ذكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الأرض بأنها جعلها مهادًا ممتدة ممهدة، وجعل حولها الجبال التي ترسيها

وتثبتها، جبال أوتادًا، كأوتاد الخيام، وقَالَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من آياته أَيْضًا وقدرته ونعمته، أن خلق هٰذَا الجنس من الإنسان، خلقه أزواجًا ذكورًا وإناثًا، لتستمر عملية الحياة، تستمر حَتَّىٰ لا تنقطع.

وخلق الله الخلق جميعًا مخلوقاته في ذكور وإناث، كبقية الحيوانات، والحشرات، والطيور، كلها عَلَىٰ هٰذَا، حَتَّىٰ تستمر عملية الحياة في هٰذِه الدنيا، وذكر الله من آياته أَيْضًا النوم جعله راحة، وجعله آية من آياته كما قَالَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في سورة الروم، قَالَ: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ [الروم: ٢٣]، جعل النوم آية من آيات الله، جعل منامكم بالليل وَالنَّهَار، فالنوم الأصل هو اَللَّيْل، وقد ينامها من إنسان في النَّهَار، لكن نوم الليل هو الأصل.

قَالَ: ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾ [النبأ: ٩]؛ يعني راحة استقرارًا، قد يأتيك سائل، يقول: كيف النوم تقول هو الأصل في الليل؟ نقول: لأنه قابله بأن النهار معاش، النهار معاش والليل نوم راحة، فدل عَلَىٰ أن اَللَّيْل سكن، والنهار معاش، قَالَ: ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ۝٩ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا﴾ [النبأ: ٩-١٠]؛ ظلمة تغطيكم، ﴿يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ﴾ [الأعراف: ٥٤]؛ الليل يغشي النهار ويظلمه يجعله مظلمًا، فهٰذِه آية من آيات الله، كيف أنت جالس في النور، والشمس بسطوعها ونورها، ثُمَّ بعد ساعات تجلس في ظلمة شديدة، هٰذَا تغير الكون، يدل عَلَىٰ أن وراء هٰذَا التغير خالقًا، مدبرًا، قادرًا، لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء.

قد لا تظهر لك هٰذِه الآية، بسبب ماذا؟ أنك تعودت عَلَىٰ هٰذَا الشيء، أَوْ أنك تعيش في نور، إذا جاء اَللَّيْل، اشتعلت هٰذِه الأنوار، قد ما تجد هٰذِه، لكن لو جلست في الصحراء يومين ثلاثة أربعة أيام، إِلَىٰ عشرة أيام، شاهدت أن هٰذِه آية عظيمة، كيف النهار تشوف كل شيء، ثُمَّ في اَللَّيْل الأرض سوداء، ما ترى فيها شيئًا أبدًا، فهٰذِه آية من آيات الله.

قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ﴿وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾ [النبأ: ١١]، قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أَيْضًا من آياته، لما لفت نظرك إِلَىٰ الأرض ممهدة، والجبال، والنوم، وَاَللَّيْل، هٰذِه كلها تشاهدها أمامك، لفت نظرك إِلَىٰ السماء، قَالَ: ارفع رأسك، ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا﴾ [النبأ: ١٢]؛ عظيمة سبعًا، الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ خلق هٰذِه السماوات العظيمة المترامية الأطراف، بقدرته وقوته، هٰذَا الشيء العظيم الممتد، سبعًا شدادًا من غير عمد، ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ [لقمان: ١٠].

ولما لفت نظرك إِلَىٰ السماء والنظر فيها، بجمالها قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾ [ق: ٦]؛ يلفت نظرك إِلَىٰ السماء، أَيْضًا لفت نظرك إِلَىٰ أن تنظر في هٰذِه السماء بما فيها من مخلوقات، فقَالَ: ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا﴾ [النبأ: ١٣]، هٰذِه الشمس فيها مصالح عظيمة للخلق، وجعلها سراج، والسراج دائمًا يكون فيه ماذا؟ يكون فيه نور وفيه حرارة، ولذلك شوف من اللفتات الجميلة، لما وصف الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ نبيه محمد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأنه سراج، ما قَالَ: سراج وهاجًا، قَالَ: ﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٥-٤٦]، ما قَالَ: سراجًا وهاجًا، كأنه قَالَ: يعطيك النور، بس ما يعطيك حرارة، النبي يعطيك نور، بس ما يعطيك حرارة.

لما جاء في الشمس حقيقتها، قَالَ: نور وحرارة، سراجًا وهاجًا، قَالَ: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا﴾ [النبأ: ١٤]، ما زلنا في العلو، في السماء، ارفع رأسك، تأمل في مخلوقات الله وقدرته، قَالَ: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا﴾ [النبأ: ١٤]؛ ما هي المعصرات؟

اختلف أهل التفسير في معناها، وأقرب ما يُقال فيها: أنها السحب، وقيل الرياح، وقيل كذا، لكن الصحيح من أقوال أهل التفسير: أنها السحاب يعصر بعضهم بعضًا، فينزل الماء، قَالَ: قيل الرياح، وقيل أقوال أخرى؛ لأن الرياح تعصر السحاب، ولكن الأقرب أن المعصرات هي السُّحُب الَّتِي تنزل بالماء.

قَالَ: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا﴾ [النبأ: ١٤]، أي الماء الثجاج هو المطر، ومعنى ثجاجًا: ينزل بقوة، يثج ثجًّا، يعني: بقوة، لكن بعضهم يقول: المعصرات يعني: السحاب؛ لأنها سبب في الماء، سبب في المطر، ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ﴾ [الحجر: ٢٢]، لكن هٰذَا أقرب ما يُقال فيه.

﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا﴾ [النبأ: ١٤]، يقول: أنزلنا هٰذَا الماء من السماء، وماء ثجاجاً، يثج الأرض يضربها ضربًا، بقوة.

قَالَ: ﴿لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا﴾ [النبأ: ١٥]، يقول: أنزلنا هٰذَا الماء، والحكمة منه: هو أن يخرج الله هٰذَا الحب والنبات لهذا الإنسان، حَتَّىٰ يعيش هٰذَا رزق، ﴿وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا﴾ [غافر: ١٣]،

هٰذَا الرزق نخرج به حبًا ونباتًا، ما هو الحَبْ، وما هو النبات؟ قَالَ: الحب؛ الحبوب، كالأرز، والقمح، والشعير، والعدس، كل هٰذِه الحبوب يخرجها الله من مصلحة العباد، متاعًا لكم ولأنعامكم.

والنبات: الأشجار التي تُؤكل طازجة، أَوْ يُؤخذ منها فواكه ثمار، كلها داخلة في النبات، والحشيش يدخل في ذلك، ونبات الأرض من البهائم، كله داخل فيها.

قَالَ: ﴿وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا﴾ [النبأ: ١٦]، هٰذَا المطر سبب إخراج الحَبْ، والنبات، وهٰذِه الجنات الملتفة، الحدائق الملتفة، لما يذكر الله لك هٰذِه الأشياء، يريد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ منك أن تصل إِلَىٰ أمر أكبر من هٰذَا، يعني يقول لك مثلًا: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً﴾ [فصلت: ٣٩]، يعني: ميتة، ﴿فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِ الْمَوْتَىٰ﴾ [فصلت: ٣٩]، إذًا في قياس، يذكرك الله بهٰذَا الشيء، يقول لك: مثل ما أن الله أحيا هٰذِه الأرض بعد موتها، فإنه يحييك، فلا يعجزه شيء، ولذلك شف لما ذكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هٰذِه الآيات، كم آية؟

١) الأرض مهادًا.

٢) الجبال أَوْتادًا.

٣) خلقناكم أزواجًا.

٤) النوم.

٥) اَللَّيْل.

٦) النَّهَار.

٧) السماوات السبع.

٨) السراج، الشَّمْس.

٩) المطر.

١٠) النباتات الَّتِي أخرجها الله.

عشرة آيات دالة عَلَىٰ قدرته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، مهدها لك وقدمها لك، حَتَّىٰ يصل إِلَىٰ شيء إِلَىٰ أن يثبت لك البعث، ثُمَّ قَالَ بعدها: ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا﴾ [النبأ: ١٧]، ما هو يوم الفصل؟ هو يوم البعث، يوم القيامة، ليش سماه الله بيوم الفصل؟ لأن الله يفصل بين العباد، يفصل بأي شيء؟ يفصلهم

عَلَىٰ نوعين: فريق في الجَنَّة، وفريق في السعير، ويفصلهم أَيْضًا بما بينهم من خصومات، يفصل الخصومات، كل يأخذ حقه يوم القيامة، خصومات.

يقول في الحديث عن النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أنه «لَيُؤتَى بِالشَّاة الجَلحَاء وَالشَّاة القَرْنَاء، فَيُؤخَذ لِلجَلحَاء مِنَ القَرْنَاء»، لأن القرناء ضربتها، أذكر أحد الإخوة والله قَالَ لي كلام عجيب، مع أنه من عامة الناس، قَالَ لي: إذا كان الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يحاسب، ويفصل بحكم العدل، بين حيوانات غير مكلفة، فكيف بالمكلفين من الناس، كيف المكلفين؟ يعني حيوان غير مكلف، يأتي به الله ويجمع بينهم، ويفصل بينهم، وهٰذَا يأخذ حقه وهٰذَا يأخذ هٰذَا، ويقتص هٰذَا من هٰذَا.

فكيف بالناس، كيف بمن يظلم الناس، كيف بمن يأخذ أموالهم، كيف بمن يغتابهم، وكيف من يفعل بهم الأفاعيل، كيف سيخرج أمام الله عَزَّ وَجَلَّ؟

﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا﴾ [النبأ: ١٧]، أن هٰذَا اليوم يوم عظيم، يفصل الله بين الخلائق جميعًا، يُحشر الله فيه الأولين والآخرين، هٰذِه تعزية لهم، تعزية تقويه، أنه يقول: خله يأخذ، ما يهمني الدنيا، الآخرة أنا انتظره الآن، سيدفع لي من الحسنات، وهي موعظة لكل ظالم، أنه إذا سمع هٰذَا يقصر عن ظلمه.

قَالَ: ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا﴾ [النبأ: ١٧]، يعني يجمع الله فيه الأولين والآخرين ويفصل بينهم، ﴿كَانَ مِيقَاتًا﴾، يعني له وقت محدد، لا يتأخر، ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤]، إذا نُفخ في الصور هٰذَا اليوم لا يتقدم ولا يتأخر، قَالَ: ما هو يوم فصل الَّذِي كان ميقاتًا؟ قَالَ: هو اليوم الَّذِي يُنفخ في الصور، يعطيك صورة عنه، يُنفخ في الصور، من الَّذِي يُنفخ في الصور؟

يأتي إسرافيل الملك المُوكَّل بنفخ في الصور، يأتي فينفخ في الصور، ما هو؟ قالوا: هو بوق عظيم، يأتي هٰذَا المَلَك وينفخ فيه، فإذا نفخ فيه الصور سمعه الخلائق، فقاموا من قبورهم، ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [المطففين: ٦]، يُنفخ في الصور.

جاء في حديث عن النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «كيف أَنْعَمُ وقدِ الْتَقَمَ صاحبُ القَرْنِ القَرْنَ وحَنَىٰ جَبهتَه وأَصْغَىٰ سمعَه ينتظرُ أنْ يُؤمَرَ أنْ يَنْفُخَ فينفخُ»، ينتظر أن يُؤمر، يقول المَلَك المُوكَّل: قد أصغى؛ يعني حنى جبهته، وأصغى أذنه، ينتظر أن يُؤمر بالنفخ في الصور، فينفخ.

عندنا نفختان: النفخة الأولى، الله قَالَ في سورة الزمر: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ﴾ [الزمر: ٦٨]، ثُمَّ قَالَ: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨]؛ لأن عندنا نفختين.

النفخة الأولى يسمونها: نفخة الموت، الصعق، إذا نُفخ في الصور، النفخة الأولى مات كل من عَلَىٰ الأرض، حَتَّىٰ الحيوانات، كل شيء يموت، ويخرب كل من عَلَىٰ الأرض، ينتهي، خلاص تخرب الدنيا كلها، ويموت، ويقول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾ [غافر: ١٦]، ولا أحد يرد، يقول: ﴿لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦].

ثُمَّ بعد ذلك يُنفخ النفخة الثَّانِية، فيُبعث الناس من قبورهم، يخرج الناس من قبورهم سراعًا، ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾ [يس: ٥١]، يخرجون من قبورهم، هٰذِه النفخة الثانية.

قيل لأبي هريرة راوي الحديث، كم بين نفختين؟ قَالَ: "أربعين"، أربعين يوم؟ قَالَ: لا أدري، أربعين سنة؟ قَالَ: لا أدري، ما يدري بينهما مدة، والله أعلم بذلك، قَالَ: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾ [النبأ: ١٨]، هٰذِه المراد بها نفخة الموت ولا البعث؟ نقول: البعث، وش الدليل؟ قَالَ: ﴿فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾ [النبأ: ١٨]، إذًا هي البعث، فتأتون أفواجًا، يعني تأتون جماعات، يخرجون من قبورهم جماعات.

كيف جماعات؟ الله عَزَّ وَجَلَّ يجعلهم جماعات مصنفين، أهل القرآن يُحشرون، وأهل الغناء والمغنيين يُحشرون، وأهل الخمور يُحشرون، وأهل الزنا يُحشرون، وأهل الطاعات والدعاة إِلَىٰ الله يُحشرون، وأهل العلم يُحشرون، يجعلهم الله أفواجًا، قَالَ: ﴿فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾ [النبأ: ١٨].

ومن آيات الكون التي تتغير عند البعث، قَالَ: ﴿وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا﴾ [النبأ: ١٩]، السماء تمر بمراحل، في آيات يقول: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾ [الانفطار: ١]، ومرة يقول: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ﴾ [الانشقاق: ١]، ومرة يقول: ﴿وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [الزمر: ٦٧]، ومرة يقول: ﴿السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ﴾

[المعارج: ٨]؛ يعني تذوب كالزيت، ومرة يقول: ﴿فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾ [الرحمن: ٣٧]؛ يعني وردة حمراء اشتدت حمرتها، فأصبحت كالدهن تنزل وتذوب، هٰذِه كلها أحوال تمر.

وهنا يقول: ﴿وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا﴾ [النبأ: ١٩]، فتنزل الملائكة، كل هٰذِه المراحل، هٰذِه الآيات لا تتعارض، يعني تمر بمراحل، قَالَ: ﴿وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا﴾ [النبأ: ١٩]، والجبال؟ قَالَ: الجبال تُسَيَّر، حَتَّىٰ الجبال ذكر الله في القرآن أنها تمر بمراحل، قَالَ مرة: ﴿وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ [النبأ: ٢٠]، وقَالَ مرة: ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾ [القارعة: ٥]، وفيه آيات كثيرة، ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا﴾ [طه: ١٠٥-١٠٧].

قَالَ هنا: ﴿وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ﴾ [النبأ: ٢٠]، سيرت عن أماكنها، ﴿وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ [النبأ: ٢٠]، إذا نظر الناظر ينظر أنها جبال، إذا جاء ما وجد جبال، سراب، كانت سرابًا، يقول: تذهب الجبال والسماء عَلَىٰ قوتها وصلابتها تتفتح، والجبال عَلَىٰ قوتها، شوف يذكر لك أشياء القوية.

السماء عَلَىٰ قوتها تتفتح وتذهب وتذوب من شدة الهول، والجبال تذهب، ما يستطيع أن يزيل جبل عن مكانه واحد، فكيف بجبال الدنيا كلها تذهب وتنتهي وتذوب، ولا تجد لها أثر، سُيِّرت الجبال سيرًا، ﴿وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ [النبأ: ٢٠]، تذهب الجبال لا يبقى لها أثر، هٰذَا يعني بيان لقوة الله عَزَّ وَجَلَّ وقدرته الفائقة.

طيب، بعد ذلك تنتقل الآيات إِلَىٰ وصف النَّار، ثُمَّ وصف الجَنَّة؛ يعني كأن الآيات تشير إِلَىٰ البعث، والجزاء، وَالجَنَّة، وَالنَّار؛ الآن عرفنا البعث، ينفخ في الصور، ويخرجون الناس من قبورهم، والجبال، والسماء، وكل شيء ينتهي، الآن أمام الناس: النَّار وَالجَنَّة، النَّار، ثُمَّ الجَنَّة، فيخرجون من قبورهم يتوجهون للحساب والجزاء، ثُمَّ بعد ذلك يكون مصير كل إنسان، إما إِلَىٰ نار جهنم، قرراه الأخير، أَوْ الفوز بجنات النعيم.

يأتي الحديث إِنْ شَاءَ اللهُ عن جهنم، قَالَ: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾ [النبأ: ٢١]، يأتي الكلام عنها إِنْ شَاءَ اللهُ في اللقاء القادم، واللهُ أَعْلَمُ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



إِنَّ الْحَمْدَ لِلهِ نَحْمَدُهُ تَعَالَىٰ ونَسْتَعِينُهُ ونَسْتَغْفِرُهُ، ونَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا ومِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلاَ مُضِلَّ لَهُ ومَنْ يُضْلِلْ فَلاَ هَادِيَ لَهُ، وأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ ورَسُولُهُ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ ولَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ وخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا ونِسَاءً واتَّقُوا اللَّهَ الَّذِى تَسَاءَلُونَ بِهِ والْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ ويَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ومَنْ يُطِعِ اللَّهَ ورَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠- ٧١].

أيها الإخوة الكرام؛

في هٰذَا اللقاء سورة النبأ تحدثنا عنها في لقاءات ماضية، وفي الحقيقة مثل ما ذكرنا، أن النبأ عَلَىٰ القول الصحيح؛ أنه خبر يوم القيامة، والحديث عن البعث والجزاء وَالجَنَّة، وَالنَّار، ومن تأمل هٰذِه السورة ونظر في آياتها، عرف أنها تتحدث عن اليوم الآخر، وإثبات البعث والجزاء، وَالجَنَّة، وَالنَّار.

والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ افتتحها بالإنكار عَلَىٰ هؤلاء المشركين، عمَّ يتساءلون، عن أي شيء يتساءلون؟ ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ۝١ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ﴾ [النبأ: ١-٢]، تتساءلون بما بينكم ما بين مثبت، وما بين نافي، وما بين شاك؟ ولذلك قَالَ: ﴿الَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾ [النبأ: ٣]، هم يختلفون فيما بينهم، فمنهم الَّذِي صدق به والَّذِي كفر به، والذي يشك فيه، فقَالَ الله: ﴿الَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾ [النبأ:

٣]، ثُمَّ حكم عليهم قَالَ: ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ [النبأ: ٤]، تهديد لهم لمن ينكر، ﴿ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ [النبأ: ٥].

ثُمَّ بعدها ساق الله عَزَّ وَجَلَّ الأدلة الدالة عَلَىٰ قدرته عَلَىٰ البعث، ما هي الأدلة هذه؟ قَالَ انظر فيما بين يديك، ما يحتاج أن تبحث يمين وشمال، أمامك مشاهد تثبت قدرة الله عَلَىٰ هٰذِه الأشياء، فإن كنت تعترف بقدرة الله بالذي أمامك، يجب عليك أن تعترف بقدرة الله عَلَىٰ البعث، البعث أسهل، الله عَزَّ وَجَلَّ ماذا يقول؟ يقول: ﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾ [غافر: ٥٧]، ﴿أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا﴾ [النازعات: ٢٧]، فذكر الله عدة أدلة مشاهدة تثبت قدرته عَلَىٰ البعث.

﴿نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ۝٦ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ۝٧ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ۝٨ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ۝٩ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ۝١٠ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ۝١١ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ۝١٢ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ۝١٣ وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا﴾ [النبأ: ٦-١٤]، هٰذِه كلها مشاهدة، ما ينكرها إلا مكابر، سفيه لا عقل له، أما العاقل الَّذِي يستخدم عقله، يقر بأن الَّذِي جعل الأرض مهادًا بقدرته، قادر عَلَىٰ أن يبعثك من قبرك، وهو الَّذِي خلقك أول مرة، الَّذِي جعل الجعال ثبتها رواسي وأوتاد، وجعل الناس أصنافًا حَتَّىٰ تستمر عملية النسل ولا ينقطع، جعلكم أزواجًا، وجعل النوم راحة لكم، والليل لباس، والنهار معاش، كل هٰذِه أدلة عظيمة.

﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا﴾ [النبأ: ١٢]، السماوات السبع، لما ذكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هٰذِه الأدلة العظيمة، نقلنا إِلَىٰ مشهد من مشاهد يوم القيامة، حَتَّىٰ يعطيك صورة واضحة لهذا اليوم الَّذِي أنت ستقف فيه وستحضر فيه، قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا﴾ [النبأ: ١٧]، وقته محدد، ويوم الفصل سماه فصلًا؛ لأنه يفصل بين الخلائق، حَتَّىٰ الحيوانات، حَتَّىٰ يؤتى بالشاة القرناء والشاة الجلحاء، القرناء لها قرون، والجلحاء ليس لها قرون، فيقتص للجلحاء من القرناء.

القرناء جاءت ونطحت الجلحاء، وأثرت فيها، فيؤتى بهم ويقص الله بينهم، يقتص الله لهذا من هٰذَا، وهي حيوانات ليست مكلفة، ومع ذلك يؤتى بهم، فكيف في بني آدم، الكافر المشرك المكابر، يؤتى به ويقتص من أهل المعاصي، ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا﴾ [النبأ: ١٧]، ثُمَّ قَالَ ما هو يوم الفصل؟

﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾ [النبأ: ١٨]، كأن الله سُبْحَانَهُ يصور أمامنا هٰذَا، ﴿فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾ [النبأ: ١٨]، جماعات، جماعات، ﴿وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا﴾ [النبأ: ١٩]، هٰذِه من أهوال يوم القيامة، ﴿وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ [النبأ: ٢٠]، يعني: السماء عَلَىٰ عظمها تذهب، تطوي، يعني: ما يبقى لها شيء في آيات قَالَ: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ﴾ [الانشقاق: ١]، ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾ [الانفطار: ١]، ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]، فتذهب.

والجبال تمر بمراحل، قَالَ: ﴿وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ [النبأ: ٢٠]، ما تراها، تظن أنها جبال، ﴿وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ [النبأ: ٢٠]، قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا﴾ [طه: ١٠٥-١٠٧]، تذهب الجبال، كالصوف المنفوش، كالعهن المنفوش، وتذهب وتصبح الأرض ملساء، ﴿فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا﴾ [طه: ١٠٦]، لما يصور الله لنا هٰذَا الشيء، يهدد هؤلاء المشركين المعاندين المكابرين، يبدأ بهم، ثُمَّ يعطف عليهم البشارات للمؤمنين، هٰذِه طريقة القرآن، تهديد وتخويف وإنذار، وبشارة للأتقياء، وتهديد للأشقياء.

فبدأ بالأشقياء فقَالَ: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾ [النبأ: ٢١]، ترصدهم ترقبهم، مثل ما تقول: منطقة تفتيش، يوقفون أمامها ما يمكن أن يتجاوزوها، خلاص أمامك طريق إيقاف بقوة، كانت مرصادًا ترصدهم، ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾ [النبأ: ٢١]، لمن؟ ﴿لِلطَّاغِينَ مَآبًا﴾ [النبأ: ٢٢]، يعني: مرجعًا، يعني هٰذِه جهنم الآن تنتظر الطغاة المشركين عَلَىٰ أنفسهم، ثُمَّ هي مآبًا، يعني: هي مرجعهم ومكانهم واستقرارهم فيها، ليس لهم ممر، ولا مهرب، ولا محيص عنها، لَا بُدَّ أن يصلونها، وليس المدة شهر شهرين ثُمَّ يخرج، أَوْ سنة سنتين، لا، ﴿لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾ [النبأ: ٢٣]، أزمنة متعددة لا تنتهي، تهديد كل ذلك.

ثُمَّ هم إذا دخلوا النَّار، وأدخلوا نار جهنم، ماذا سيقابلون؟ قَالَ: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا﴾ [النبأ: ٢٤]، البرد والراحة والطمأنينة، وسعة البال، ليست موجودة، قَالَ: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا﴾ [النبأ: ٢٤]، الراحة والطمأنينة، ما يجلس الإنسان فيه، يشق عليه أن يجلس في المكان الحار والمؤذي، لكن المكان البارد يستقر فيه، لذلك قَالَ: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا﴾ [النبأ:

٢٤]، حَتَّىٰ الشراب ما يجيهم، إِلَّا الشراب الحميم الَّذِي انتهى حره، الشراب الحميم الَّذِي يصهر به ما في بطونهم والجلود، الشراب الَّذِي يصب من فوق رؤوسهم، الشراب الَّذِي إذا شربوه كما قَالَ: ﴿فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ [محمد: ١٥]، ﴿وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ﴾ [الكهف: ٢٩].

إذا قرب من الوجه، أكل الوجه، هٰذَا الماء قَالَ: ﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ۝٢٤ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا﴾ [النبأ: ٢٤-٢٥]، الشراب حميم، والطعام غسَّاق، ما هو؟ قَالَ: هو صديد أهل النَّار، ودماؤهم تنزل وتمشي عَلَىٰ الأرض، فيسقون منه، إنسان في الدنيا لو أعطي ربع ملعقة من الصديد، أَوْ من الدم، ما استساغه، فكيف بشراب لأهل النار من هٰذَا الشيء، نسأل الله العافية؟

وقَالَ بعضهم: "الغساق يقابل الحميم"، بعض المفسرين يقول: "الغساق يقابل الحميم"، ما هو؟ قَالَ: المكان البارد شديد البرودة، الزمهرير، فهو ما بين حرارة وبرودة، حرارة يعني: يلقون في النار لشدة حرارتها، ثُمَّ يخرجون من النار ويلقون في الزمهرير البارد الثلج الشديد البرودة، وهم ما بين هٰذَا وهٰذَا، كله عذاب عظيم، ولكن جمهور المفسرين، عَلَىٰ أن الغساق هو طعامهم من الصديد، قَالَ الله عَزَّ وَجَلَّ، حَتَّىٰ يبين لك أن هٰذَا بسبب أعمالهم وفسقهم وضلالهم وطغيانهم، قَالَ: ﴿جَزَاءً وِفَاقًا﴾ [النبأ: ٢٦]، ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَٰكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [النحل: ١١٨].

قَالَ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا﴾ [النبأ: ٢٧]؛ هٰذَا السبب، الآن يعطيك الأسباب، لماذا يعذبون بهٰذَا العذاب العظيم؟ قَالَ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾ [النبأ: ٢٧]، لا يعترفون بيوم القيامة، ولا يحسبون له أي حساب، ولا يعدون له العدة، ولا يخافون من هٰذَا اليوم، ولا يعترفون به أبدًا، وينكرونه ويكفرون به، ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾ [النبأ: ٢٧]، وزيادة عَلَىٰ ذلك، ﴿وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا﴾ [النبأ: ٢٨]، تأتيهم الآيات والرسل ويكذبون بها، قَالَ الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا﴾ [النبأ: ٢٩]، أعمالهم محصية دقيقة لا يفوت.

﴿مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾ [الكهف: ٤٩]، قَالَ الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ [النبأ: ٣٠]، هٰذِه الآية سُئل بعض السلف، أشد آية في كتاب الله قَالَ هٰذِه الآية، أظن ابن مسعود، أَوْ غيره من الصحابة، لما سُئل: أشد آية في كتاب الله في قوله تَعَالَىٰ: ﴿فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ [النبأ: ٣٠]، ذوقوا من العذاب وذوقوا من الحميم والغساق

ونزيدكم عذاب، نزيدكم لا ينتهي، -نَسْأَلُ اللهَ السَّلَامَةَ وَالعَافِيَةَ- وأن ينجينا، وأن يصرف عنا عذابه، ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ [الفرقان: ٦٥]، -نَسْأَلُ اللهَ السَّلَامَةَ وَالعَافِيَةَ-، وأن يحمينا وَإِيَّاكُمْ، واللهُ أَعْلَمُ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الدرس (٤)

إِنَّ الْحَمْدَ لِلهِ نَحْمَدُهُ تَعَالَىٰ ونَسْتَعِينُهُ ونَسْتَغْفِرُهُ، ونَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا ومِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلاَ مُضِلَّ لَهُ ومَنْ يُضْلِلْ فَلاَ هَادِيَ لَهُ، وأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ ورَسُولُهُ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ ولَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ وخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا ونِسَاءً واتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ والْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ ويَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ومَنْ يُطِعِ اللَّهَ ورَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠- ٧١].

❐ أيها الإخوة الكرام؛

نعود إِلَىٰ الآيات التي توقفنا عندها، وهي آيات سورة النبأ، عند قوله تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾ [النبأ: ٢٧]، قبلها، حَتَّىٰ نربط الآيات بعضها ببعض، هٰذَا في عرض يوم القيامة، ومصير الأشقياء ومصير الأتقياء، فبدأ الله بمصير هؤلاء الأشقياء، لماذا؟ لأن السورة جاءت للرد عَلَىٰ المكذبين المنكرين لليوم الآخر، جاءت ترد عليهم بالأدلة العقلية، التي مرت معنا، المشاهدة في الكون، التي لا ينكرها أي عاقل.

فَالَّذِي خلق هٰذَا الخلق كله قادر عَلَىٰ أن يعيد هٰذِه الأجساد بلحظة، ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ۝١٣ فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾ [النازعات: ١٣-١٤]، ﴿مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ [لقمان: ٢٨]، فلا يعجز شيء في الأرض ولا في السماء، فكيف ينكره المنكرون، ينكرون هٰذَا اليوم، فرد الله عليهم

بالأدلة، ثُمَّ بين مآل الأشقياء المكذبين، فَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾ [النبأ: ٢١]، هٰذِه مرت معنا ولا نحاول أن نطيل فيها، لكن تلاحظ كلمة: جهنم، هٰذِه اسم من أسماء النَّار، النَّار لها أسماء في القرآن، قَالَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿كَلَّا إِنَّهَا لَظَىٰ﴾ [المعارج: ١٥]، اسم من أسماء النَّار.

قَالَ أَيْضًا سماها: بالحطمة، الحطمة؛ لأنها يحطم بعضها بعضًا، ولها أسماء كثيرة، سماها: الجحيم، وكل اسم له معنى مناسب، حَتَّىٰ أنك لو تتدبر القرآن، تجد أن اختيار الاسم في موضع له مكان، وله اختيار، وله علة، وله سبب، مثل هنا لماذا قَالَ: إن جهنم؟ لماذا لم يقل: إن النَّار، أَوْ يقول مثلًا: إن الجحيم؟ هنا جهنم لها سر، أصل كلمة جهنم.

كلمة جهنم في اللغة: هي المكان البعيد المدى، الَّذِي له قعر بعيد جدًا، يسمى جهنم، حَتَّىٰ في البئر، أَوْ القليب البعيدة المدى، يسميها العرب جهنمية بعيدة، واختيار اسم الجحيم، سميت النار بالجحيم؛ لكثرة تأججها بِالنَّارِ، ولذلك في قصة إبراهيم قَالَ: ﴿فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٩٧]، جحيم ما هي؟ هي النار المتأججة؛ لأنهم أشعلوا نيرانًا شديدة، قالوا: فألقوه في الجحيم، فتجد كل اسم له اختيار وله سر.

طيب، يقول: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾ [النبأ: ٢١]، أي: مرقبًا ترقبهم، ومرصدًا ترصدهم، لا يمكن أن يتجاوز، أي شخص وأي مخلوق لا يمكن أن يتجاوز، إِلَّا ولَا بُدَّ أن يمر عَلَىٰ النَّار، قَالَ: ﴿لِلطَّاغِينَ مَآبًا﴾ [النبأ: ٢٢]، خص هؤلاء ووصفهم بهٰذَا الوصف، قَالَ: للطاغين ﴿الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ﴾ [الفجر: ١١-١٢]، الَّذِين طغوا وأفسدوا، وجاوزوا الحد في الطغيان والإسراف، هٰذَا مآلهم، ﴿لِلطَّاغِينَ مَآبًا﴾ [النبأ: ٢٢]؛ مرجعًا.

﴿لَابِثِينَ﴾ [النبأ: ٢٣]؛ أي مقيمين، ﴿فِيهَا أَحْقَابًا﴾ [النبأ: ٢٣]، والأحقاب مثل ما مر معنا، جمع: حُقْب، أَوْ حُقُب، وهو المدة الطويلة من الزمن، أي أن الزمان لا ينتهي بهم، ولا ينقطع، وما هم منها بمخرجين، مددًا طويلة، ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا﴾ [النبأ: ٢٤]، قلنا البرد هو الماء، أَوْ هو الشيء البارد الَّذِي يشعر به الإنسان بعد وجود الحر؛ لأن أهل النار في لظى وفي حرارة، وفي لهب، فيتمنون أن يمر عليهم شيء من النسيم، شيء من البراد.

قَالَ: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا﴾ [النبأ: ٢٤]، حَتَّىٰ الشراب لا يذوقون شرابًا، استثنى وقَالَ: ﴿إِلَّا حَمِيمًا﴾ [النبأ: ٢٥]، وهو الماء الَّذِي اشتد في غليانه، يقطع الأمعاء، وقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ﴾ [الكهف: ٢٩]، إذا من الوجه اشتوى الوجه به، قَالَ: ﴿إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا﴾ [النبأ: ٢٥]، والغسَّاق ذكرناه أَيْضًا: أنه صديد أهل النَّار، وما يتجمع من الجروح من جلودهم من شدة النَّار، يسقون من هٰذَا، ﴿إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا﴾ [النبأ: ٢٥].

ولهم أنواع من الأطعمة، نسأل الله العفو والعافية، لهم الضليع، ولهم الغسلين، ولهم الزقوم، هٰذِه كلها من أطعمة النَّار.

قَالَ: ﴿جَزَاءً وِفَاقًا﴾ [النبأ: ٢٦]؛ جزاءً عَلَىٰ قدر أعمالهم، وهٰذَا يدل عَلَىٰ عدل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، إن عذب فبعدله، وإن عفا وأكرم فبفضله، فعفوه وإكرامه للمتقين فضل منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، لا بعمل المتقين ليس بعملهم، وإنما هو تفضل منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وإن عذب هؤلاء فبعدله، جزاءً وفاقًا، ولا يظلم ربك أحدًا.

قَالَ: ﴿جَزَاءً وِفَاقًا﴾ [النبأ: ٢٦]؛ ثُمَّ بين لك سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لماذا هم هٰذَا مصيرهم، ولماذا أعد الله لهم هٰذَا العذاب الأليم؟ قَالَ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾ [النبأ: ٢٧]، كانوا لا يؤمنون باليوم الآخر، ولا يخافون، لا يرجون ذلك اليوم ولا يخافونه، لا يرجون ما فيه من الخير والنعيم، ولا يخافون بما فيه من العذاب الأليم، كل ذلك ليس في حسبانهم، ولذلك قَالَ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا﴾ [النبأ: ٢٧]، أنهم كانوا لا يطمعون في الجزاء والحساب، حَتَّىٰ يستعدوا له، وَهٰذِه حال المنكر، حال المنكر لليوم الآخر، ليس له استعداد، حَتَّىٰ تجد ممن غفل عن هٰذَا اليوم، وإن كان من أبناء المسلمين، إن غفل عن هٰذَا اليوم، لا يستعد له، ولا يحسب له أي حساب.

ولذلك تجده يعيش لهذه الدنيا، ويأكل لهذه الدنيا، ولا يخطر بباله أنه سيحاسب وسيجازى، لو كان ذلك عنده لاستعد لهذا اليوم، استعد وأصبح عنده رجاء وخوف لهذا اليوم.

قَالَ: وزيادة عَلَىٰ ذلك، مع إنكارهم وكفرهم باليوم الآخر، قَالَ: ﴿وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا﴾ [النبأ: ٢٨]، كذبوا باليوم الآخر، وكذبوا بالآيات الَّتِي جاءتهم لتثبت لهم هٰذَا اليوم، القرآن مليء بالآيات،

والآيات الكونية المشاهدة، تدل عَلَىٰ قدرة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، والآيات القرآنية أَيْضًا تدل عَلَىٰ أن هناك بعثًا وجزاءً وجنةً ونارًا، كذبوا بذلك.

قَالَ سُبْحَانَهُ ردًا عليهم: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا﴾ [النبأ: ٢٩]، كل ما يفعله الإنسان مُحصى، سيحصى وسيجازى، وكلمة: أحصيناه تدل عَلَىٰ أي شيء؟ تدل عَلَىٰ دقة الحساب، الإحصاء بلغة العرب: هو دقة الحساب، لما تقول: أنا أحصي عَلَىٰ فلان ما يفعله، وأحصي ما عنده، معنى هٰذَا الكلام أنه يتابعه بدقة في الحساب، ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا﴾ [النبأ: ٢٩]، كل شيء مدخر عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ومحسوب عند الله عَزَّ وَجَلَّ، لا يمكن أن يغيب شيء من عمل الإنسان.

وفي هذه الآية فيها ترغيب وترهيب؛

فيها ترغيب لأهل الخير والصلاح، إذا كان كل شيء عند الله، وأن الله لا يضيع أجر من أحسن عملًا، فلم يبق عندك أمامك إِلَّا العمل، وهٰذِه الدار دار عمل، أشغلها بالعمل، اشغلها الله بالذكر، والطاعة، والصلاة، والتسبيح، والعمل الصالح بجميع أنواعه، وشرائع الإسلام كثيرة ليست محدودة، فاحرص عليها، هٰذَا فيه ترغيب لأهل الخير.

وفي نفس الوقت ترهيب لأهل الشر، إذا كان كل شيء قد أحصاه الله، فإنك ستجازى به، ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ [النساء: ١٢٣]، لا يمكن أن يفلت شيء من ذلك إذا كان قد أحصاه الله وجمعه، وادخره عنده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ولذلك قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَذُوقُوا﴾ [النبأ: ٣٠]، أي لأهل النَّار، لطاغين أهل النَّار، يُقال لهم إذا دخلوا النَّار: ﴿فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ [النبأ: ٣٠]، هم في نار جهنم، ويُقال لهم: ذوقوا، هٰذَا يُقال له العذاب النفسي.

عندنا عذاب جسدي، وعندنا عذاب نفسي، لما يُقال لهم: ذوقوا، هٰذَا أشد في العذاب النفسي، كما في قوله: ﴿قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون: ١٠٨]، هٰذَا يسمى عذاب نفسي، والعذاب الجسدي الَّذِي يصيبهم أشد، كل ذلك يجتمع عليهم، ﴿فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ [النبأ: ٣٠]، لا تنتظرون إلا زيادة، لا النقص، وهم يقولون ربنا خفف عنا من العذاب، ويُقال لهم: ﴿فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ [النبأ: ٣٠].

قَالَ كثير من أهل التفسير: أن أشد آية عَلَىٰ الكفار هٰذِه الآية، أشد آية عَلَىٰ أهل النار هٰذِه الآية: ﴿فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ [النبأ: ٣٠]، ﴿كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾ [الإسراء: ٩٧]، مثل هٰذِه الآية، هٰذِه الآية أيها الإخوة إذا وقف عندها الإنسان، لا يستطيع أن يتجاوزها، ﴿فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ [النبأ: ٣٠]، يحتاج الإنسان أن يتدبر ويتأمل هٰذِه الآية ويقف عندها كَثِيْرًا، كيف تسمع مثل هٰذَا الكلام، هل يهنأ لك عيش في هٰذِه الدنيا، وهل تستطيع أن تعيش وأنت تسمع مثل هٰذَا الكلام الشديد الَّذِي يقال لهؤلاء الكفار.

ولذلك ورد عن كثير من السلف، أنهم إذا مروا بمثل هٰذِه الآيات، تأثروا تأثرًا عظيمًا، بل بعضهم صُعق ومات من آيات كثيرة، عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما قرأ سورة المدثر، وبلغ قوله تَعَالَىٰ: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ﴾ [المدثر: ٨]، سقط مغشيًّا عليه وحُمل إِلَىٰ بيته، تأثر السلف، النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يُسمع له أزيز، كأزيز المرجل، القِدر في صدره بكاء شديد إذا مر بمثل هٰذِه الآيات،

النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان قرأ في سورة المائدة، فلما بلغ قوله تَعَالَىٰ: ﴿ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨]، أخذ يردده صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حَتَّىٰ أصبح الصبح، فالآيات تحتاج منا أن نقف عندها، يقول ابن مسعود: لا تهزوا القرآن، لا تنثروه نثر الدقل، التمر الرديء ينثر نثرًا، يقول: "لا تنثروا الآيات نثر الدقل، ولا تهذوها هذَّ الشعر"، قَالَ: قفوا عند حدوده وحركوا به القلوب، حركوا به القلوب، ولا يكن هم أحدكم آخر السورة، لا تكون قراءتك أنك تنظر متى تخلص السورة، لا، تقف عند الآية وتتأملها، هٰذَا أعظم عند الله.

والآيات حقيقة خاصة في هٰذَا الشهر، عندما تصفو النفس، تستوقف كثير من الناس، تمر عَلَىٰ آية توقفك بقوة، وتقف عندها وتتأملها، وتعيد النظر فيها، وتنتفع بها.

لما ذَكَرَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ حال الأشقياء، عطف عليه حال الأتقياء، وَهٰذَا طريقة القرآن، بين الترغيب والترهيب، يخافون ويرجون، الإنسان دائمًا بين الخوف والرجاء، يخاف من النَّار وما يقرب إليها من عمل، ويرغب في الجَنَّة وما يقرب إليها من قول وعمل، ولذلك عطف الله سُبْحَانَهُ، وَهٰذِه طريقة القرآن، كثير إذا ذكر حال الأشقياء، قابلهم بحال الأتقياء الصالحين.

فقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هنا: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾ [النبأ: ٣١]، المفاز يعني: الفوز بجنات النعيم، والفوز بالسلامة من أهل النَّار، والسلامة من النار وأهلها، إذًا معنى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾ [النبأ: ٣١]، من فازوا بالنجاة من النار وسلموا منها، وفازوا بما أعد الله لهم في جنات النعيم، ولاحظ أن الله اختار كلمة المتقين، لم يقل: إن المؤمنين، ولا إن المسلمين، قَالَ: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾ [النبأ: ٣١]، والمتقين جمع متقين، والتقوى أَوْ المتقي: معنى التقوى هي الخوف من الله، التقوى أن تخاف من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، التقوى أن تتقي مساخط الله، هٰذَا معنى التقوى، أن يتقي الإنسان الحرام، أن يتقي أن يقع في فيما حرم الله، أن يتقي أن يقع في مساخط الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، هٰذَا معنى التقوى، تقوى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

ومر معنا تعريف السلف للتقوى في كثير، يعني تمر معنا، السلف رحمهم الله عرَّفوا من هو التقي، وما هي التقوى، من هو المتقي في كثير.

طيب، قَالَ هنا: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾ [النبأ: ٣١]، ثُمَّ بين لك ما هو هٰذِه المفازات، أَوْ هٰذَا المفاز، قَالَ: ﴿حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا﴾ [النبأ: ٣٢]، والحدائق جمع حديقة، وهي البستان الواسع، سميت حديقة من حدقة العين؛ لأنها دائما تكون الحديقة ملتفة بالأشجار والنخيل، وتكون كحدقة العين، سميت حدائق.

﴿وَأَعْنَابًا﴾ [النبأ: ٣٢]، لماذا خص العنب؟

قَالَ بعض المفسرين: "لسهولته ولذَّته، وطعمه"، والقرآن حَتَّىٰ لو ذكر غير هٰذَا، فهو ينوع في النعيم، مرة يذكر هنا الأعناب، ومرة يذكر في آيات أخر رمان ونخيل، وإذا جمعتها، وجدت أن نعيم أهل الجَنَّة فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر عَلَىٰ قلب بشر، يذكر الله هٰذِه الأشياء الكثيرة.

قَالَ: إذا كانوا في هٰذِه الحدائق الواسعة، وهٰذِه الأشجار العجيبة، ومنها شجر الكرم أَوْ العنب، قَالَ أَيْضًا: ولهم في هٰذَا النعيم، ﴿وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا﴾ [النبأ: ٣٣]، لهم كواعب الأتراب، والكواعب جمع كاعب: وهي الفتاة الَّذِي تكعَّب ثديها في سن الشباب، في بداية الشباب، في بداية شبابها.

﴿وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا﴾ [النبأ: ٣٣]، والأتراب: جمع ترب، والترب الَّذِي يكون في سن واحدة، فنساء الجَنَّة كلهن عَلَىٰ سن واحدة، وعَلَىٰ جمال فائق واحد، هٰذَا معنى كواعب أترابًا، وهو وما أعد الله للمتقين من الحور، ومن الأزواج الحسان في جنات النعيم.

قَالَ: ﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا﴾ [النبأ: ٣٤]، هٰذَا يتعلق بالشراب، لما ذكر المكان: الحدائق، والأشجار، والأعناب، وذكر الزوجات الحسان في جنات النعيم، ذكر بعد ذلك ما أعده الله لأهل الجنة من الشراب والطعام، فذكر الشراب، فقَالَ: ﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا﴾ [النبأ: ٣٤]، كلمة كأس عند العرب، لا تطلق إلا عَلَىٰ الخمر، فإن كان هٰذَا ليس فيه شيء خاليًا يُقال له: إناء، ما يُقال كأس، يسمى إناء، فإذا صُب فيه خمر، سُمي: كأسًا، حَتَّىٰ في جميع أشعار العرب، لا يطلقون كلمة الكأس إلا عَلَىٰ الخمر، لو كان فيه لبن، أَوْ عصير، أَوْ ماء، ما يسمى كأسًا، ما يسمى في لغة العرب كأس.

ولذلك لو تتبع الآيات القرآنية: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ﴾ [الصافات: ٤٥]، كلها في الخمر، في خمر الجَنَّة، فالمراد هنا بقوله: ﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا﴾ [النبأ: ٣٤]، هو خمر الجَنَّة، ومعنى: ﴿دِهَاقًا﴾؛ قَالَ بعض أهل التفسير: الدهاق هي الكأس الممتلئة، وَهٰذَا أحب للإنسان، لما تأتي إليه بكأس ممتلئة، غير لما تأتي بنصف كأس أو نحوه، وَهٰذَا من تمام النعيم، وقال بعضهم: معنى دهاقًا: أي صافية، وقَالَ بعضهم: دهاقًا أي: متتابعة يتبع بعضها بعضًا، ونقول: هٰذَا الاختلاف بين كلام أهل التفسير لا يتعارض، فإنك تجد الكأس الواحدة مليئة، وصافية، ومتتابعة، كل المعاني صحيحة، وأهل الجنة لهم هٰذَا النعيم وأكثر وأكثر.

أَيْضًا لما ذكر طعامهم أَوْ شرابهم، ذَكَرَ حالهم، فَقَالَ: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا﴾ [النبأ: ٣٥]، أي: أسماعهم مطهرة من سماع اللغو وهو الكلام الساقط، الكلام السيء والرديء لا يسمعونه، وإن سمعوا في الدنيا، فإنهم في الآخرة قد نزههم الله، ﴿لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً﴾ [الغاشية: ١١]، كلام اللغو الساقط لا يوجد فيها، وإذا كان الكلام اللغو الساقط لا يسمعونه في الجَنَّة، زادك أَيْضًا قَالَ: ﴿وَلَا كِذَّابًا﴾ [النبأ: ٣٥]، والكذاب أشد، فإذا كانوا لا يسمعون اللغو، فمن باب أولى ألا يسمعون الكلام الَّذِي كله كذب في كذب، وهٰذَا من التَّدَرُّج.

قَالَ: لا تسمع فيها الكلام الساقط، وأَيْضًا من باب أولى: ألا تسمع فيها الكلام الَّذِي كله كذب ومخالف للواقع والحقيقة، كل هٰذَا من فضل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ومنته عَلَىٰ أهل الجنة المتقين.

قَالَ: ﴿جَزَاءً﴾ [النبأ: ٣٦]؛ أي هٰذَا النعيم، وما ذكره الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قَالَ: ﴿جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا﴾ [النبأ: ٣٦]، يقول: هٰذَا جزاء من الله وفضل من الله، لا تظن أنه بعمل وباجتهاد أبدًا، لن يدخل أحد الجنة بعمله، قَالَ: هٰذَا فضل من الله، ﴿جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا﴾ [النبأ: ٣٦]؛ يعني أعطاك الله إياه عطاءً بفضله، كما منَّ عليك بالهداية في الدنيا، ومنَّ عليك بسلوك طريق أهل الخير، فيمُنّ عليك في الآخرة، وكل هٰذَا منَّة من الله، لولا أن هداهم الله ما اهتدوا، لولا أن هدانا الله عَزَّ وَجَلَّ ما اهتدينا، ففضل من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن هدانا في الدنيا إِلَىٰ طريق النجاة، ويهدينا في الآخرة، يهديهم ربهم إِلَىٰ جنات النعيم، يهديهم إِلَىٰ هٰذَا.

﴿جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا﴾ [النبأ: ٣٦]، ما معنى حسابا؟ قَالَ: عطاءً كافيًا، حَتَّىٰ يكفيك، ولذلك تقول: حسبي هٰذَا الشيء، يعني كافيني، فمعنى حسابًا: أي ليس معناه الحساب المحاسبة، لا الحساب معناه الكافي، تقول: حسبي أني أفعل كذا، أو حسبنا الله، يعني كافينا الله، فعطائهم عطاءً يكفيهم، لا يحتاجون إِلَىٰ ما فوقه، يكفيهم، يعني النفوس قد امتلأت منه، لا تريد زيادة عَلَىٰ ذلك.

طيب، قَالَ: هٰذَا ممن؟ قَالَ من الرحمن سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، والذي هو رب السماوات والأرض، الَّذِي خلق السماوات والأرض وأنشأها، هو الَّذِي منَّ عليك بهٰذَا الشيء، وفي هٰذَا تعظيم لله، ﴿رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾ [النبأ: ٣٧]، هٰذَا كله من الرحمن سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وتلاحظ اختيار اسم الرحمن، مناسب للعطاء، والخير، والفضل، والمنة، ﴿عَطَاءً﴾ [النبأ: ٣٦].

قَالَ: ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾ [النبأ: ٣٧]؛ أي لا يملكون منه حديثًا، أَوْ مخاطبة، أَوْ كلامًا في مواجهة الرحمن، إلا بإذنه، طيب، الكلام يطول، ولا نريد الإطالة عليكم، فلعلنا نقف عند هٰذَا القدر، وما تبقى من هٰذِه السورة إِنْ شَاءَ اللهُ، يكون له مجلس آخر، نسأل الله أن ينفعنا بما قلنا، وبما سمعنا، واللهُ أَعْلَمُ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



إِنَّ الْحَمْدَ لِلهِ نَحْمَدُهُ تَعَالَىٰ ونَسْتَعِينُهُ ونَسْتَغْفِرُهُ، ونَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا ومِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلاَ مُضِلَّ لَهُ ومَنْ يُضْلِلْ فَلاَ هَادِيَ لَهُ، وأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ ورَسُولُهُ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠- ٧١].

❐ أيها الإخوة الكرام:

في هٰذَا اللقاء المبارك، في هٰذَا اليوم يوم الثلاثاء الموافق للحادي عشر من شهر رمضان المبارك، من عام ثلاثة وأربعين وأربع مئة وألف من الهجرة، درسنا المعتاد كل ثلاثاء بعد صلاة العصر في تفسير القرآن العظيم، ولا زلنا في هٰذِه السورة الجليلة القدر، العظيمة النفع، وهي سورة النبأ، أَوْ سورة عمَّ يتساءلون.

وقف بنا الكلام عند قوله تَعَالَىٰ في جزاء المتقين، الَّذِي أعد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لهم في جنات النعيم، في قوله تَعَالَىٰ: ﴿جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا﴾ [النبأ: ٣٦]؛ أي هٰذَا الجزاء الَّذِي أعطاه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ومنَّ به عَلَىٰ عباده المتقين، عطاءً حسابًا، وحسابًا؛ يعني كافيًا، كما تقول: حسبي هٰذَا

المال، يعني كافيني، ومعنى عطاءً حساباً؛ أي عطاء كافيًا لا يريدون عليه زيادة، أعطاهم الله ما كانوا يتمنونه وزيادة، فقالوا: عطاءً حسابًا.

وهٰذَا العطاء هو مِنَّة ونعمة من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، بدليل أن الله قَالَ بعدها: ﴿جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا ۝٣٦ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَٰنِ﴾ [النبأ: ٣٦-٣٧]؛ أي عطاءً من ربك الَّذِي هو رب السماوات والأرض وما بينهما، فَالَّذِي خلق السماوات وما فيها، أَوْ وما فيهن، وخلق الأراضين وما فيهن، هو ربها وهو الَّذِي أوجدها بهٰذِه الصورة البديعة، هو الَّذِي أعطى هٰذَا العطاء وهو الَّذِي قسم هٰذه القسمة العظيمة.

﴿مِنْ رَبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا ۝٣٦ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَٰنِ﴾ [النبأ: ٣٦-٣٧]، الرحمن الَّذِي رحمته وسعت كل شيء، واسم: الرحمن، واسم: الرحيم، من أسماء الله العظيمة، والرحمن أعمّ من الرحيم، الرحمن رحمته وسعت أهل الصلاح، وأهل الشقاء، كل من في الدنيا عمَّتهم رحمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فالرحمن أبلغ، والرحيم بالمؤمنين، ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣]؛ فاسم الرحيم خاص بالمؤمنين، والرحمن عام.

"والرحمن"؛ هٰذِه الصيغة تدل عَلَىٰ السعة، وسعة رحمته كل شيء، وعَلَىٰ الامتلاء، أن رحمته ملأت الدنيا كلها، كما تقول: فلان غضبان، يعني امتلأ غضبًا، فهٰذِه الصيغة تدل عَلَىٰ السعة، وتدل عَلَىٰ الامتلاء.

قَالَ: ﴿وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾ [النبأ: ٣٧]؛ أي الخلق كلهم، من الملائكة المقربين، ومن الرسل، ومن هم تحت هؤلاء كلهم لا يملكون لله خطابًا؛ أي لا يتكلمون أمام الله في هٰذَا اليوم العظيم، وهو يوم القيامة، إلا بإذنه، وليس لأحد أن يتحدث أَوْ يتكلم، كما قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في سورة أخرى: ﴿لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [هود: ١٠٥]، وقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ﴾ [طه: ١١١]، فلا يمكن لأحد أن يتكلم.

ولذلك قَالَ: ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾ [النبأ: ٣٧]؛ أي لا يتكلم، ولا يستطيع أن يخاطب أَوْ يتحدث، إلا بإذن الرحمن سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، قَالَ بعدها: متى يكون هٰذَا الشيء الَّذِي لا يملكون منه خطابًا؟ قَالَ: هٰذَا في يوم القيامة، بدليل ماذا؟ أن الله قَالَ بعدها: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ﴾ [النبأ: ٣٨]، وهٰذِه

ينبغي للإنسان دائمًا، إذا قرأ القرآن، أن يتدبر ما يقرأه، وأن يفهم ما يقرأه، القرآن دائمًا آياته بعضها متماسك لبعض، وبعضها يبين بعض، وأنت تقرأ تجد الآية التي بعدها تبين وتبين، كل شيء يبين بعضه بعضًا.

ولذلك لو سُئلت: ما معنى: ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ﴾ [الطارق: ١]، ما معنى الطارق؟ تجد الجواب موجود، بس تجد بعض الناس يقول لك: والله ما أدري، موجود الجواب، بس أنت اقرأ بتأمل وتدبر، تجد الجواب، ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ۝ النَّجْمُ الثَّاقِبُ﴾ [الطارق: ٢-٣]، وهكذا تجد في القرآن أشياء بعضها يوضح بعض ويبين بعضه، ولذلك هنا قَالَ: ل ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾ [النبأ: ٣٧]، متى؟ قَالَ: لا يملكون منه خطابًا يوم القيامة، بما وصف الله هٰذَا اليوم؟

قَالَ: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ﴾ [النبأ: ٣٨]، شوف الخلق يقومون جميعًا، لكن الله ابتدأ بأعظم خلقه وأقربهم إليه، وهم الملائكة، وأَيْضًا قرب من هو أعظم وأجلّ من الملائكة، وهو جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، أقرب الناس إِلَىٰ الله جبريل، أقرب الخلق، وأقرب الملائكة إِلَىٰ الله، ولذلك وإلا الخلق كلهم يقومون، ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [المطففين: ٦]، الخلق يقومون لله، وهنا قَالَ: يقوم الروح لعظم الموقف، ابتدأ بمن هو أعظم، وقَالَ الروح، والروح من هو هنا؟ هو جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، مع أن المفسرين اختلفوا في المراد بالروح.

- وقَالَ بعضهم: "الروح هي أرواح بني آدم".
- وبعضهم قَالَ: "الروح هو مخلوق عظيم"، أعظم المخلوقات، هو أكبر من الملائكة.
- وبعضهم قَالَ: "الروح هنا هو جبريل"، وهٰذَا هو الصحيح.

والقرآن يفسر بعضه بعضا بدليل ماذا؟ أن الله قَالَ في سورة أخرى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ۝ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾ [الشعراء: ١٩٣-١٩٤]، والذي نزل به هو جبريل، سماه الله الله الروح، وفي سورة أخرى أَيْضًا قَالَ: ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ﴾ [القدر: ٤]، فدل عَلَىٰ أن الروح هنا واللهُ أَعْلَمُ، أنه جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ.

قَالَ: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا﴾ [النبأ: ٣٨]، من عظم الموقف، الملائكة تقوم، وجبريل يقوم، ويقومون بهيبة وموقف كله خشوع وتذلل لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ولذلك قَالَ: صفًّا، والصف هنا

يدل عَلَىٰ عِظم الموقف، وهيبة الواقفين، وخشوعهم وتذللهم لله، ولذلك قَالَ: صفًّا، وزيادة عَلَىٰ ذلك: ﴿لَا يَتَكَلَّمُونَ﴾ [النبأ: ٣٨]، لا يملكون منه خطابًا، ﴿ يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ [النبأ: ٣٨]، إذا أذن الرحمن تكلم، وإلا لا يمكن لأحد أن يستطيع أن يتحدث ولا بكلمة، ﴿ يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ﴾ [النبأ: ٣٨]، وشرط آخر: ﴿وَقَالَ صَوَابًا﴾ [النبأ: ٣٨].

فالمتحدث ذكر الله فيه شرطين:

الأمر الْأَوَّلُ: أنه لا يتكلم، إِلَّا إذا أذن الرحمن سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

الأمر الثَّانِي: أنه لا يتكلم، إِلَّا بالصواب، ما يتكلم بأي كلام، وَإِنَّمَا يتكلم بالحق النافع، ولذلك قَالَ: ﴿إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ [النبأ: ٣٨]، وأنت تلاحظ تردد اسم الرحمن كم مرة؟ أكثر من مرة، والموقف موقف مهيب ومخيف، ويأتي اسم الرحمن، لو تقرأ سورة مريم تكرر فيها اسم الرحمن أكثر من أي سورة في القرآن، تردد فيها اسم الرحمن من أولها لآخرها، يدل عَلَىٰ الرحمة من الله؛ ولأن سورة مريم كلها رحمات من الله، رحم الله فيها زكريا، ورحم الله بها مريم، رحم بها الأنبياء، ذكر فيها تسعة أنبياء.

فالشاهد: اسم الرحمن، مع أن موقف رهيب وشديد، إلا أنه تأتي رحمة الله فيه، تأتي حَتَّىٰ لا ييأس أهل الخير والصلاح والطاعة من رحمة الله، مع أنه موقف عظيم ومهيب، إِلَّا أن رحمة الله تنال مثل هؤلاء، ولذلك قَالَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ل ﴿يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٣]، فالرحمن له وقعه في هٰذِه الآيات.

﴿إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ [النبأ: ٣٨]، قَالَ الله في هٰذَا اليوم العظيم، وهو يتردد معنا، السورة كلها أصلا تتحدث عن هٰذَا اليوم العظيم، يقول الله فيه: ﴿ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ﴾ [النبأ: ٣٩]، أي هٰذَا اليوم الَّذِي ينتظره الخلق والعباد جميعًا، هو اليوم الحق، يعني لَا بُدَّ أن يقع، وَلَا بُدَّ أن يأتي ذلك اليوم الحق، هٰذَا اليوم ما يشك فيه لا ريب فيه، كما قَالَ الله: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢]، لا يشك فيه مؤمن.

ولذلك الصالحون وفقوا للاستعداد لهذا اليوم، بالطاعات، والتقرب إِلَىٰ الله بالأعمال الصالحة، قَالَ: ﴿ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ مَآبًا﴾ [النبأ: ٣٩]، يقول: هٰذَا اليوم حق، وَلَا بُدَّ أن يقع،

ولكن العاقل يعرف كيف يتخذ هٰذَا اليوم، ما الطريق الَّذِي يسلكه لهذا اليوم، حَتَّىٰ يسعد في هٰذَا اليوم سعادةً ليس بعدها سعادة، هٰذَا اليوم أمامك، فمن شاء اتخذ إِلَىٰ ربه طريقًا ينجو به، ومن شاء لا يتخذه، القرار بيده، ولكن فمن شاء فليؤمن، ومن شاء فليكفر، اعملوا ما شئتم، فالإنسان العاقل يعرف أن يتخذ.

الله عَزَّ وَجَلَّ وضع لك الآيات أمامك، ونصب لك الأدلة، قَالَ: هٰذَا خير وهٰذَا شر، ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٣]، إنا هديناه النجدين، فالطريق أمامك، فمن أراد أن يسلك النجاة سلكها، ومن أراد غير ذلك، يجد طرق الشر، فأعطاه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الآلات من السمع والبصر والعقل، وأرسل إليه الرسل، وأنزل إليه الكتب، وأقام عليه الحجة، ﴿فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ مَآبًا﴾ [النبأ: ٣٩].

ولذلك ماذا قَالَ بعدها، حَتَّىٰ تتأمل وتتدبر القرآن؟ قَالَ: ﴿إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا﴾ [النبأ: ٤٠]، ولاحظ ما قَالَ: إنا وعدناكم بهٰذَا اليوم الَّذِي فيه من يفلح وفيه من يكفر، أَوْ فيه من يفلح وفيه من يخسر، لا، قَالَ: هٰذَا يوم خطير عليك، انتبه هٰذَا اليوم ينبغي أن تستعد له أشد الاستعداد؛ لأن الله قَالَ: أنذرناكم، ما قَالَ: وعدناكم، ومعنى أنذرناكم: أي خوفناكم من هٰذَا اليوم، هٰذَا اليوم مخيف، ينبغي أن تكون عَلَىٰ أشد الاستعداد لهذا اليوم، أشد الاستعداد بالعمل الصالح والاستعداد لهذا اليوم.

﴿إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا﴾ [النبأ: ٤٠]، كيف قريب؟ قَالَ: كل ما هو آت فهو قريب، لا تظن أنه بعيد، إنهم يرونه بعيدًا ونراه قريبًا، يعني: كل ما هو آت فهو قريب، الموت قريب، والآخرة قريبة، والقبر قريب، والمواعيد التي أنت تنتظرها بعد سنوات قريبة، كل شيء قريب.

ولذلك وصف الله هٰذَا اليوم بأنه قريب، ﴿إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا﴾ [النبأ: ٤٠]، قَالَ: هٰذَا اليوم الَّذِي أخبرناكم به ووصفناه لكم بهٰذِه الأوصاف العظيمة، هٰذَا اليوم، ﴿يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ [النبأ: ٤٠]، ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا﴾ [آل عمران: ٣٠]، والمراد بالمرء هنا: المؤمن والكافر، كل هؤلاء سيجدون أعمالهم أمامهم، ﴿يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ [النبأ: ٤٠]، ما قدمت من خير تجده، وما قدمت من شر، أَوْ ما قدمه الشقي من شر سيجده أمامه، كل سيجد عمله أمامه.

﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: ١٤]، فينظر المرء ما قدمت يداه، والكافر لمَّا ذَكَرَ، ما تحدث عن المؤمن؛ لأن المؤمن عَلَىٰ خير؛ لأن السياق في أي شيء تحذير، والإنذار قد أنذرناكم، ولذلك ما يناسب ويقول لك: إنا أنذرناكم، ثُمَّ يقول: وأهل الصلاح عَلَىٰ خير، لا، يقول: أنذرناكم عذابًا قريبًا، وهٰذَا الَّذِي أنذرناكم، سيجد الكافر هٰذَا اليوم العصيب عليه هٰذَا الموقف الشديد.

ولذلك قَالَ: ﴿يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَالَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾ [النبأ: ٤٠]، يتمنى الكافر أنه لم يُخلق أصلًا، ويتمنى أنه لم يبعث من قبره، ويتمنى أنه إذا جاء يوم القيامة أن يموت ويهلك، وأن يكون تراب، ﴿لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٤٢]، يتمنى أنه يكون ترابًا وينتهي أمره؛ لأنه يعرف ماذا سيواجه في نار جهنم، من العذاب الشديد المؤبد، ويتمنى أنه يهلك.

قَالَ بعض أهل التفسير: لماذا تمنى التراب، ما تمنى غير التراب؟ قَالَ: لأنه إذا رأى هٰذِه الدواب، والحيوانات تُبعث، والحشرات تُبعث، والطيور تُبعث وتُحاسب، ولكنها لا تُعذَّب، ويقتص بعضها من بعض، ثُمَّ يُقال لها: كوني ترابًا، فيتمنى الكافر أنه يكون مثلها؛ لأنها لن تُعذَّب.

والدليل عَلَىٰ ذلك: أن النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رأى شاتين إحداهما قرناء، والأخرى جلحاء، ليس لها قرون، فنطحت القرناء الجلحاء، فضحك النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقالوا: يا رسول الله مما تضحك؟ قَالَ: أضحك أن هاتين ستبعثان يوم القيامة، ويُقتص من القرناء للجلحاء، يُقتص منها، يا إخوان لما تقرأ مثل هٰذَا الشيء، وتسمع مثل هٰذَا الكلام، إذا كانت حيوانات يُقتص منها، فكيف ببني آدم؟

حيوانات ما كُلِّفت في الدنيا، لم تكلف لا بأوامر ولا بنواهي، ويُؤتى بالطيور والحيوانات والحشرات، حَتَّىٰ قَالَ في حديث عن النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: يقتص من الذرة للذرة، فإن كانت والنمل والحشرات والطيور، يعني هٰذَا إيش يدل عليه؟ يدل عَلَىٰ عدل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في حكمه، وأنه أقام في هٰذَا اليوم العدل بين الخلق كله، المكلف وغير المكلف، فإذا كان هؤلاء الحيوانات، ويقتص منها، فكيف ببني آدم، كيف يتجرأ هٰذَا الإنسان أن يأخذ حق غيره، وأن يعتدي، وأن يتعرض

لمال غيره، أَوْ لعرضه، يتحدث في أعراض الناس، ويأتي يوم القيامة مفلسًا من أعماله الصالحة، كل هٰذَا ينبغي للمسلم أن ينتبه لمثل هٰذَا الأمر، وأن يحذر كما قَالَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا﴾ [النبأ: ٤٠].

وبهذا أيها الإخوة تنتهي السورة العظيمة الجليلة، الَّتِي جاء في بعض الأحاديث، وإن كان فيها مقال، أن النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ظهر فيه الشيب، فقَالَ أبو بكر: يا رسول الله شبت، قَالَ: «شَيَّبَتْنِي هُودٌ وَأَخَوَاتُهَا»، ما هي أخواتها؟ قالوا: "الواقعة، والمرسلات، والنبأ" وغيرها من السور القريبة تتحدث عن هٰذَا اليوم؛ لأن هود عظيمة جدًا، سورة هود تحدثت عن اليوم الآخر، ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [هود: ١٠٥]، وفيها آية عظيمة ذكرها أهل التفسير قالوا: إن الله خاطب نبيه محمد بقوله: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾ [هود: ١١٢]، قَالَ هٰذِه أرعبت النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأشفقت.

الشاهد: أن هٰذِه السورة التي تعرضنا لها في لقاءات ماضية، سورة عظيمة، ينبغي للإنسان أن يقرأها بتأنٍّ وبتدبر، وغيرها من سور القرآن، وألا يمر عليها مرور الكرام، ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لا تهذوا القرآن هذّ الشعر، ولا تنثروه نثر الدقل، التمر الرديء، ولكن قفوا عند عجائبه، حركوا به القلوب، لا يكن هم أحدكم آخر السورة متى تنتهي، قف وتأمل، سورة أخذت منا أوقاتًا طويلة.

ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جلس ثمان سنوات في سورة البقرة يتدبرها ويتأملها، وليس بكثير عَلَىٰ كلام الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، أن تقضي هٰذَا الوقت كله مع القرآن، السورة هٰذِه بشكل عام حَتَّىٰ نلخص ما مر معنا، افتتح الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بالاستفهام الإنكاري، ينكر عَلَىٰ الخلق، وعن الكفار، عمَّ يتساءلون عن النبأ العظيم؟ وهو يوم القيامة، أنا أعطيكم الآن ما هو النبأ العظيم.

فبدأ يشرح لنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ويوضح لنا، حَتَّىٰ تقوم الحجة عَلَىٰ الخلق، فبدأ يذكر لنا آيات الكون الدالة عَلَىٰ قدرته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ۝٦ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ [النبأ: ٦-٧]، ما ترونها أمامكم، ﴿وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ۝٧ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ۝٨ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ۝٩ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ۝١٠ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾ [النبأ: ٧-١١]، مع كل هٰذِه ما تلاحظها؟ هٰذِه تدل عَلَىٰ قدرة الله، وتدل عَلَىٰ نعمته عليك، ينبغي لك أن تشكر، وأن تعرف قدر نعمة الله عليك، وتعرف قدرة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

ولذلك لما انتهى من هٰذِه الآيات المشاهدة، انتقل: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾ [النبأ: ١٨]، ثُمَّ ذكر أن الناس عَلَىٰ صنفين، أهل الشقاء تنتظرهم جهنم مرصادًا، وأهل السعادة: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾ [النبأ: ٣١]، ثُمَّ ختم السورة عودًا عَلَىٰ بدا بتقرير هٰذَا اليوم، وما الَّذِي سيجري فيه، حَتَّىٰ تقوم الحجة عللا الخلق.

تأتي بعدها إِنْ شَاءَ اللهُ لقاءات أخرى نستكمل فيها سورًا أخرى، تأتي سورة النازعات، وعبس، وغيرها يأتي الحديث عنها إِنْ شَاءَ اللهُ في لقاءات قادمة، أسأل الله أن ينفعنا بما قلنا وبما سمعنا، واللهُ أَعْلَمُ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ



إِنَّ الْحَمْدَ لِلهِ نَحْمَدُهُ تَعَالَىٰ ونَسْتَعِينُهُ ونَسْتَغْفِرُهُ، ونَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا ومِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلاَ مُضِلَّ لَهُ ومَنْ يُضْلِلْ فَلاَ هَادِيَ لَهُ، وأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ ورَسُولُهُ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ ولَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ وخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا ونِسَاءً واتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ والْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ ويَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ومَنْ يُطِعِ اللَّهَ ورَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠- ٧١].

❐ أيها الإخوة الكرام؛

في هٰذَا اللقاء وفي هٰذَا المجلس المبارك الَّذِي تحفّه الملائكة، وتغشاه الرحمة، وتنزل عليه السكينة، ويذكر الله أهله في الملأ الأعلى، نسأل الله أن لا يحرمنا هٰذَا الفضل العظيم، أيها الإخوة درسنا المعتاد في تفسير القرآن العظيم، في كل يوم ثلاثاء بعد صلاة العصر في لقاءاتنا الماضية كان الحديث عن سورة النبأ، تحدثنا عن هٰذِه السورة العظيمة وهي سورة في الحقيقة تعرض لنا حقائق اليوم الآخر، والأدلة التي ذكرها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الدالة عَلَىٰ قدرته، وعَلَىٰ نعمه عَلَىٰ عباده لا يشك عاقل بقدرة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَلَىٰ بعث الخلق جميعًا، بل أن الله أوضح ذلك في كتابه، قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ [لقمان: ٢٨].

وسورة النازعات وما من السور في هٰذَا الجزء الأخير العظيم، وهو جزء النبأ كله حديث في غالبه عن اليوم الآخر، وتقرير قضية البعث والجزاء والحساب والجنة والنار التي ينتظرها كل الخلق ينتظرون هٰذَا اليوم، ولابد أن يتعرفوا عَلَىٰ هٰذَا اليوم، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بين لنا في كتابه أوضح بيان هٰذَا اليوم العظيم، وأنه ركن من أركان الإيمان، لا يتم العبد إلا بالإيمان بهٰذَا اليوم بحذافير هٰذَا اليوم وبتفاصيل هٰذَا اليوم، ولا يشك في شيء منه وهٰذَا اليوم الآخر يبدأ من قبض روح الإنسان، لما يموت من مات قيامته وانتقل عن الدنيا إِلَىٰ الأخرة، فيؤمن بما بعد الموت إِلَىٰ مستقرة الأخير في الجَنَّة، أَوْ في السعير فهٰذِه حقائق لَا بُدَّ أن يتعلمها الإنسان والله أوضحها.

ولما كان المشركون والذين يحكمون عقولهم سواء من أهل الجاهلية قبل الإسلام، وفي أول الإسلام أَوْ لا يزالون يحكمون عقولهم، ينكرون قضايا غيبية مثل قضية الإيمان باليوم الآخر، وبعث الناس ومجازاتهم عَلَىٰ أعمالهم، قرر القرآن بل القرآن؛ يعني كاد أن يكون حديثًا عن اليوم الآخر، ولا تجد سورة من سور القرآن إلا وتجد فيها التصريح أَوْ الإشارة إِلَىٰ مسألة وقضية الإيمان باليوم الآخر، فالإيمان باليوم الآخر ركن من أركان الإيمان، لا يقوم إيمان العبد إلا بتحقيق هٰذَا الركن، ومعرفته معرفة اليوم الآخر، وهناك حقائق لَا بُدَّ أن يقف عليها الإنسان لَا بُدَّ أن يتعلمها، والقرآن الكريم كما ذكرنا وخاصة الجزء الأخير، سورة النازعات أَيْضًا من السور التي قررت قضية اليوم الآخر، وجاءت بصور لم تأتِ بها السورة التي قبلها ولا التي بعدها.

وأنت تقرأ القرآن وتلاحظ أن مثلًا سورة النبأ لها طريقتها في عرض اليوم الآخر، لما تنتقل إِلَىٰ سورة النازعات تجد أن لها أيضًا طريقًا في عرض اليوم الآخر، صور وطرق وأساليب يعرضها القرآن بعدة وجوه تقرر قضية الإيمان باليوم الآخر، وهكذا كل ما تأتي إِلَىٰ سورة تجده، لما يأتي في سورة النبأ يقول: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾ [النبأ: ١٨].

لما نأتي إِلَىٰ سورة النازعات نقول: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى﴾ [النازعات: ٣٤]، لما نأتي إِلَىٰ سورة عبس يقول لك: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ﴾ [عبس: ٣٣]، يعطيك صور طامة، صاخة، يوم ينفخ في السور، وهكذا يعطيك القرآن، بل القرآن ذكر لنا أسماء اليوم الآخر كثيرة جدًا، القرآن الكريم لو تتبعت أنت القرآن الكريم لوجدت أن اليوم الآخر له أسماء كثيرة، وتعدد الأسماء هٰذِه قاعدة، تعدد

الأسماء يدل عَلَىٰ عظم المسمى، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ له الأسماء الكثيرة، له الأسماء وتعدد أسمائه يدل عَلَىٰ عظم المسمى، وهكذا اليوم الآخر القرآن كثير تجد له أسماء كثيرة يدل عَلَىٰ عظم هٰذَا الشيء.

الحقيقة لما ينبغي للإنسان حقيقة لما يقرأ القرآن لا يقرأه كما يقرأ أي كلام، القرآن كلام رب العالمين وجاء معجزًا للعرب قاطبة، جاء معجزًا بجميع وجوه الإعجاز، بل أساطيل العربية، وأهل البلاغة العربية وقفوا من القرآن مواقف محيرة لهم تحيروا فيها، لعظم هٰذَا القرآن الكريم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، يقول في كتابه: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: ٢]، وقَالَ في آية أخرى: ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ﴾ [الزمر: ٢٨]، وقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في آية أخرى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ﴾ [إبراهيم: ١]؛ يعني آيات كثير كلها تدل عَلَىٰ عظم هٰذَا القرآن، وأن الله تحدى به الثقلين، ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ﴾ [الإسراء: ٨٨].

تحداهم الثقلين جميعًا، وتحدى كل من يستطيع من أساطيل العربية أن يأتي ولا بكلمة واحدة، ولا بحرف ولا بآية ولا بسورة، العجيب أيها الإخوة؛ يعني هناك قصص يذكرها أهل العلم مواقف من كثير، حَتَّىٰ ذكر السيوطي رحمه الله تَعَالَىٰ في كتاب ألفه صغير، عن الَّذِين ماتوا وصعقوا بسماعهم القرآن، ذكر عدد ممن قرأ عليه القرآن فصعق، ومنهم عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَىٰ شدته وقوته لما قرأ في صلاة الفجر، سورة المدثر ووصل قوله تَعَالَىٰ: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ﴾ [المدثر: ٨]، سقط مغشيًا عليه وحمل إِلَىٰ بيته، وجلس مدة في بيته.

فالقرآن مؤثر جاء رجل من أعداء الإسلام، ومن أشد الناس عداوة لمحمد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولدعوته، وهو الوليد بن المغيرة لما جاء إِلَىٰ النَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: يا محمد فرّقت عشيرتك وفعلت وفعلت يا مُحَمَّد، ماذا تريد؟ تريد نزوجك، زوجناك نعطيك مال نرأسك علينا أنت رئيسًا، وأنت سيدنا وأنت وأنت، فقَالَ النَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يا وليد اسمع مني، فقرأ عليه سورة فصلت حَتَّىٰ وصل قوله تَعَالَىٰ: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ [فصلت: ١٣]، فوضع الوليد يده عَلَىٰ النَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقَالَ: كفى يا محمد كفى، وقد تأثر بالقرآن فلما جاء إِلَىٰ قومه، قَالَ: ماذا قَالَ لك محمد؟ قَالَ: قرأ عليَّ شيئًا لم أسمعه أبدًا إن له لحلاوة وإن

عليه لطلاوة، وإن أعلاه مثمر، وأسفله مغدق وإنه ولا يعلى عليه، وإنه يحطم ما تحته، فشوف كيف تأثر بالقرآن.

ذكر عن الفرزدق الشاعر المعروف، أنه لما قرأ آية في سورة يوسف وهي، ﴿فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا﴾ [يوسف: ٨٠]، فسجد عندها قالوا: للفرزدق ليست موضع سجدة هٰذِه كيف تسجد عندها؟ قَالَ: لبلاغتها، ورجل أعرابي سمع قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الحجر: ٩٤]، فسجد عندها، قَالَ: سجدت لبلاغتها القرآن بليغ أيها الإخوة، أنا لا أريد أن أدخل في هٰذَا الموضوع موضوع الإعجاز القرآني، وتحدي الله عَزَّ وَجَلَّ للبشرية بهٰذَا القرآن قاطبة إِلَىٰ هٰذَا العصر، وإِلَىٰ ما بعد هٰذَا العصر حديث يطول لكن بين أيدينا آيات مهمة ولابد أن نقف عندها، ولا نريد الإطالة عليكم، سورة النازعات كثير منا يقرأ والكثير منا يحفظها، لكن حقيقة هي تحتاج منا إِلَىٰ تأمل وتدبر ودخول في عمق هٰذِه السورة، هٰذِه السورة تقر لنا حقائق مهمة.

أول حقيقة الإيمان بالملائكة وبأوصافهم، ذكر الله أوصافا في أول السورة، خمس أوصاف للملائكة، النازعات، الناشطات، السابحات، السابقات، المدبرات، لَا بُدَّ أن نعرف وعالم الملائكة عظيم يحتاج منا إِلَىٰ أن نجلس معه جلسات طويلة، الآن في صلاة العصر يتعاقبون فيكم ملائكة الليل وملائكة النَّهَار، ملائكة الليل تنزل الآن، وتصعد ملائكة النَّهَار.

عالم الملائكة عالم عظيم حقيقة عالم الملائكة الآن كم ينزل كما في قوله تَعَالَىٰ؟ ﴿وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا﴾ [النازعات: ٣]، تسبح في الجو صاعدة نازلة، عالم عظيم ماذا يصنع؟ أُسندت إليه أعمال عظيمة ماذا يصنعون؟ ما من ميت الآن في هٰذِه اللحظة، إلا الملائكة تقبضه وليس ملك الموت فقط معه ملائكة الرحمة أَوْ ملائكة العذاب، كم يموت الآن في لحظة واحدة عَلَىٰ هٰذِه البسيطة؟ كم ينفخ في جنين في بطن أمه الآن؟ ينزل الملك، وينفخ فيه شي يعني ما تتصوره أنت، في أعمال الملائكة الآن كيف يعملون ما هم.

والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ذكر في هٰذِه السورة خمس أوصاف فَقَطْ، لكن أوصاف الملائكة كثيرة بالقرآن الكريم جدًا، إذًا قضية الإيمان بالملائكة، قضية الإيمان بالموت والنازعات الناشطات، قبض الأرواح قضية الإيمان بالموت، الموت حتم ولابد كل إنسان أن يذوق، ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [آل عمران:

١٨٥]، لَا بُدَّ هٰذَا الباب لَا بُدَّ أن يلجئ معه كل الخلق، من بني آدم أَوْ من الجن أَوْ من الملائكة، أَوْ من الحيوانات، ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [الرحمن: ٢٦].

فإن قضية اليوم الآخر، ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ۝٦ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ﴾ [النازعات: ٦-٧]، وهكذا القرآن بعد ما يقرر أَوْ يذكر هٰذَا اليوم الآخر، ودعوة النَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعرض لنا من قصص السابقين عبرة وعظة لنا، ومن هٰذِه القصص قصة فرعون الطاغية، الَّذِي وصل في طغيانه وتكبره إِلَىٰ أن قَالَ: ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ۝٢٤ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى﴾ [النازعات: ٢٤-٢٥]، يذكر الله قصته هنا لماذا؟ ماذا قَالَ في آخرها؟ ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى﴾ [النازعات: ٢٦]، وكلمة الخشية هٰذِه السورة جوها جو الخشية، هي تتحدث عن الخوف والخشية، يقول: ﴿وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ﴾ [النازعات: ١٩].

وقَالَ بعدها: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى﴾ [النازعات: ٢٦]، وقَالَ في آخرها: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشَاهَا﴾ [النازعات: ٤٥]، إذًا كلمة الخشية والخوف لها دلائل في السورة؛ يعني الجو جو خشية، وجو خوف وذعر أمام هٰذِه الآيات وأمام هٰذَا الشيء العظيم، حَتَّىٰ تلاحظ أن سبب النجاة والسلامة ما هو؟ ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ﴾ [النازعات: ٤٠]، فدلائلها عظيمة ولا تشبع من أن تتأمل هٰذِه السورة، وتجد وراءها كنوز عظيمة لا تنتهي.

الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يتحدى في إظهار قدرته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في الخلق، فيقول: أأنتم أشد خلقا؟ خلقكم أشد أم السماء، والأرض؟ لخلق السماوات والأرض أعظم وأكبر من خلق بني ادم، فكيف تتحدونه؟ ثُمَّ يذكر لك دلائل قدرته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا ۝٢٨ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ۝٢٩ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا﴾ [النازعات: ٢٨-٣٠]، إِلَىٰ آخره ثُمَّ تعرض السورة لنا مصير الخلق، ما في أحد إِلَّا في يمين أَوْ شمال، ما في طريق آخر تعرض لنا مصير الخلق وتركز السورة هنا ليست كعرضها في سورة النبأ، تركز عَلَىٰ أي شيء تركز عَلَىٰ أسباب النجاة وأسباب الهلاك، ما سبب نجاة من نجا؟ ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى ۝٣٧ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۝٣٨ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ۝٣٩ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى ۝٤٠ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ [النازعات: ٣٧-٤١].

ويعرض القرآن شيء عظيم في عرض يوم القيامة للنَّارِ، قَالَ: ﴿وَبُرِّزَتِ﴾ [النازعات: ٣٦]، وكلمة برزت هٰذِه وقف عندها أهل البلاغة واللغة، إبراز الشيء إظهاره حَتَّىٰ لا يخفى عَلَىٰ أحد، النار إذا جاء يوم القيامة لا يمكن أن تخفى على أحد، برزت الجحيم ولاحظ أنه قَالَ هنا: الجحيم في سورة النبأ، قَالَ: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ﴾ [النبأ: ٢١]، كلمة جهنم والجحيم والحطمة هٰذِه أسماء للنَّارِ، أسماء كثيرة تدل الأسماء عَلَىٰ عظم هٰذَا المسمى، فلاحظ هٰذِه دلائل عظيمة حقيقة؛ يعني تحتاج منا إِلَىٰ أن نتأمل هٰذِه السورة وإِلَىٰ أن نقف معها الحقيقة أنا لا أريد أن أدخل في السورة في تفاصيل وبداية آياتها، لأن الوقت يضيق علي ولا أريد الإطالة عليكم، وأنا أعطيكم الفرصة وإلا الحقيقة لا المجلس حقيقة لا يمل، وتدبر القرآن والعيش مع القرآن والله لو مضت حياة الإنسان وساعاته وعمره في تدبر القرآن، لم يكن ذلك كثيرًا عَلَىٰ كتاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

السورة تحتاج منا إِلَىٰ تأمل وإِلَىٰ وقفات وليس بكثير في حديثنا السابق أن عرضنا إِلَىٰ عظمة هٰذَا القرآن الكريم، وإِلَىٰ هٰذِه السورة عما تتحدث ما الحقائق التي تقررها هٰذِه السورة، ثُمَّ الدخول في تفاصيلها وقسم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، والله لا يقسم إلا بشيء عظيم يقسم الله صفات الملائكة والنازعات، عَلَىٰ أي شيء يقسم عَلَىٰ تقرير الإيمان باليوم الآخر وأنه، ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ۝٦ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ ۝٧ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾ [النازعات: ٦-٨]، فلعلنا إِنْ شَاءَ اللهُ لنا لقاء إِنْ شَاءَ اللهُ في تفاصيل هٰذِه السورة وأخذ هٰذِه الآيات آية آية من أولها إِلَىٰ آخرها في لقاء قادم بِإِذْنِ اللهِ، أسأل الله أن ينفعنا بما قلنا وبما سمعنا ويجعلنا وَإِيَّاكُمْ ممن يستمع، فيتبع أحسنه وأن يجعلنا وإياكم هداة مهتدين موفقين لكل خير واللهُ أَعْلَمُ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



إِنَّ الْحَمْدَ لِلهِ نَحْمَدُهُ تَعَالَىٰ ونَسْتَعِينُهُ ونَسْتَغْفِرُهُ، ونَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا ومِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلاَ مُضِلَّ لَهُ ومَنْ يُضْلِلْ فَلاَ هَادِيَ لَهُ، وأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ ورَسُولُهُ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ ولَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ وخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا ونِسَاءً واتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ والْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ ويَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ومَنْ يُطِعِ اللَّهَ ورَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠- ٧١].

❐ أيها الإخوة الكرام؛

في هٰذَا اللقاء المبارك وفي هٰذَا اليوم، في لقاء الماضي كنا نتحدث عن سورة النازعات، تحدثنا عنها من حيث ما تتكلم عن هٰذِه السورة من موضوعات، ما اشتملت عليه، ومن مقاصد تهدف إليه وغايات ترمي إليها هٰذِه السورة العظيمة، و تبيَّن لنا أن هٰذِه السورة من سور القرآن الجليلة، التي تتحدث عن أمور عظيمة حقيقة يحتاج إليها المسلم أن يتأملها، وأن يتفكر فيها وأن يتعرف عليها.

من أعظم هٰذِه الأمور التي تحدث عنها السورة مبنية عليها هي ما يتعلق بيوم الميعاد أَوْ باليوم الآخر، وما يجري فيه وما أوضح الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في هٰذِه السورة من هٰذِه الأمور المتعلقة بما يجري يوم القيامة، وافتتح الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هٰذِه السورة بالقسم، ومن طريقة العرب ومنهج العرب في

لغتهم وبلاغتهم، أنه إذا أراد أن يخاطب المخاطب فإنه أن كان المخاطب مترددًا أَوْ منكرًا فإنه يؤكد ذلك بالحلف، والقسم هٰذِه طريقة العرب، والقرآن جاء عَلَىٰ سيرتها وطريقتها.

وتلاحظ أنت وأنت تقرأ هٰذِه السورة أن الله أقسم بأمور عظيمة وأقسم بصفات عظيمة، وهٰذِه ليست في هٰذِه السورة فقط تلاحظ أن كثيرًا من سور القرآن تفتتح بالقسم، وأنت تتأمل وتقرأ هٰذَا القسم لَا بُدَّ أن يكون من وراء هٰذَا القسم أمورًا أقسم بهٰذَا الشيء لأجلها؛ يعني وهو ما يسمى عند العرب، أَوْ ما يسمى عند المفسرين بجواب القسم؛ يعني أقسم الله عَلَىٰ شيء هٰذَا الشيء ما هو الَّذِي أقسم الله عليه ما الَّذِي جعل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن يقسم عليه فأنت تقف عند هٰذِه هٰذَا الأمر وتتأمل، لماذا أقسم الله عَلَىٰ هٰذَا الشيء؟ هٰذَا أمر، الأمر الثاني أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لا يقسم إلا بأمر عظيم، إذا أراد الله أن يقسم بشيء فإنه لا يقسم إلا بأمر عظيم من الأمور التي تستحق أن يقسم بها.

من الأمور العظيمة التي أقسم الله بها أولا أنه أقسم بنفسه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أقسم بنفسه في آيات كثيرة، قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ﴾ [الذاريات: ٢٣]، وأقسم بنبيه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقَالَ: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الحجر: ٧٢]، وأقسم بالملائكة العظام كما في هٰذِه السورة يقسم بالملائكة، ويقسم بصفات الملائكة أقسم الله الملائكة هنا، فقَالَ: ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا ۝١ وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا﴾ [النازعات: ١-٢]، وأقسم أَيْضًا في سور أخرى مثل، ﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا ۝١ فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا﴾ [الصافات: ١-٢]، وغيرها.

إذًا أنت تتأمل أن الله لا يقسم إلا بشيء عظيم، ويقسم بآياته المشاهدة الكونية، يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى ۝١ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى﴾ [الليل: ١-٢]، ويقول: ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ۝١ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا﴾ [الشمس: ١-٢]، أنت تتأمل أن الله لا يقسم إلا بشيء عظيم، فتقف عند هٰذَا الَّذِي ينبغي لك عندما تريد أن تتدبر القرآن الكريم، أن تقف عَلَىٰ مثل هذه الأشياء، طيب الملائكة عالم غيبي أقسم الله بهٰذَا بصفاتهم بأعمالهم بوظائفهم في هٰذِه السورة، أقسم والملائكة عالم غيبي يتميز المؤمن عن غيره بالإيمان بعالم الملائكة، عالم غيبي لا نراه ولا نسمعه ، ولا نرى وإنما نؤمن بما جاءنا من وحي بالإيمان بالملائكة.

من هم الملائكة؟ الملائكة من أي شيء خُلقوا؟ هل خُلقوا من طين، أو خُلقوا من نار، أو من أي شيء؟ نقول خلقوا من نور، هل هم يأكلون أو يشربون أو ينامون أو يتناكحون؟ لا يأكلون ولا يشربون ولا يتناكحون، هٰذِه أمور ينبغي للمسلم أن يتعلمها أو يفهمها دأبهم وعماهم في اَللَّيْل وَالنَّهَار، لا يقفون في عبادة الله والخضوع لله والاستجابة لأمر الله، ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦].

ولذلك ذَكَرَ الله لنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ذَكَرَ لنا أعمالهم في القرآن الكريم كثيرة وبجب عَلَىٰ المؤمن أن يؤمن بعالم الملائكة، لأنه ركن من أركان الإيمان يؤمن بهم وبما جاء عن أسمائهم، كجبريل، وميكائيل وإسرافيل وغيرهم من أسمائهم ويؤمن بوظائفهم، ويؤمن بأنهم رسل الله الكرام، ﴿كِرَامًا كَاتِبِينَ ۝١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الانفطار: ١١-١٢].

وغير ذلك من الإيمان الَّذِي ينبغي للمسلم أن يتعلمها وأن يؤمن بها ويعلم أن الملائكة عدد هائل لا يتصوره الإنسان، أعداد هائلة ملأت السماوات والأرض وتطاع وتنزل عَلَىٰ الأرض، ولذلك وصفهم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هنا وينبغي لنا أن نتأمل هذه الأوصاف يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا﴾ [النازعات: ١]، هٰذَا قسم الواو واو القسم، يقسم الله العظيم الكريم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، يقسم بعظيم يقسم بصفة من صفات الملائكة، ما هي هٰذِه الصفة؟ هؤلاء الملائكة هم الموكلون بقبض الأرواح، هؤلاء هي صفاتهم: ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا ۝١ وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا﴾ [النازعات: ١-٢]، إذًا هاتان صفتان.

أولًا: ما معنى النازعات غرقًا، وما معنى الناشطات نشطًا، وعَلَى ما تدل هذه، وعَلَى ما تدل هذه؟

النزع أولًا: هو أخذ الشيء بقوة، نزع وفي قوله تَعَالَىٰ: ﴿يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَا لَغْوٌ فِيهَا﴾ [الطور: ٢٣]، ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ﴾ [الحجر: ٤٧]، أخذ الشيء بقوة طيب، والناشطات قَالَ: ﴿وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا﴾ [النازعات: ٢]، هي نشط الشيء؛ بمعنى إطلاقه أَوْ أخذه بهدوء وسلاسة، إذًا عندنا أخذ وأخذ إذا هناك أرواح مختلفة أرواح الناس مختلفة، منهم من تأخذ الملائكة روحه بنزع وقوة، وهٰذَا في حق الكافر فقوله تَعَالَىٰ: ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا﴾ [النازعات: ١]، أي الملائكة التي تنزع أرواح الكفار نزعًا بقوة بشدة، كما يُنزع الشوك أَوْ السفود من الصوف المبلول، تشوف الشوك إذا كان في

صوف مبلول كيف ينزع بقوة، تنزع الملائكة بل يضربون وجوههم وأدبارهم كما في القرآن الكريم، وتنزعها بقوة.

ومعنى غرقًا، أي أنها تنزعها بشدة وقوة وتوغل في أخذها إِلَىٰ نهاية الشيء، ولا يعني تتردد في نزع هٰذِه بشدة، وهو يتحسر الكافر وأحيانًا تجده يعاني بشدة من هٰذِه الروح التي يأخذها ملك الموت بشدة وقوة وينزعها بشدة بقوة هٰذَا في حق الكافر.

أما في حق المؤمن في الجانب الآخر قَالَ الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا﴾ [النازعات: ٢]؛ بمعنى أن الملائكة تنزع أو تأخذ، روح المؤمن بهدوء وسلاسة حَتَّىٰ أنه لا يشعر ولا يحس بذلك، كما جاء في الحديث قَالَ: «مِثْلَ القَطْرَة عِنْدَمَا تَنْزِل مِنَ السَّقاء مَا تَشْعُر بِهَا»؛ فيعني حَتَّىٰ لا يتأذى المؤمن الصالح العابر التقي، لا يتأذى بخروجه لذلك نسمع قصصًا كثيرة تجده ساجد وخرجت روحه، تجده جالس بجنبه وخرجت روحه، لا تشعر به لأن الملائكة ترفق به رفقًا شديدا فقوله: ﴿وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا﴾ [النازعات: ٢]، وأخذها بهدوء وسلاسة وطمأنينة، هٰذِه من صفات المؤمنين وتلاحظ أنها تتعلق بأي شيء تتعلق بالموت، سيأتيك الآن أحوال عن الموت وما يلاقيه بعد الموت.

ولذلك قَالَ: ﴿وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا ۝٢ وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا﴾ [النازعات: ٢-٣]، والسابحات سبحا ما معناها؟ من السبح والسبح السير بسرعة والسابح في الماء وفي البحر يسبح بسرعة، وهٰذِه من صفات الملائكة بأنها تسبح في الأجواء، وفي الكون طالعة نازلة تدبر يأمرها الله بأعمال، فتنزل وتطلع تطلع بأعمال العباد، وتنزل وهكذا وتأخذ الأرواح، إذا قبضت روح الإنسان المؤمن بمجرد قبض الملك الموت لها هناك ملائكة مع ملك الموت، تأخذها ومعهم حنوط، وكفن من الجنة تأخذ هٰذِه الروح وتصعد بها إِلَىٰ السماء، فتفتح لها أبواب السماء فهٰذَا معنى والسابحات سبحا.

قَالَ بعدها: ﴿فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا﴾ [النازعات: ٤]، تلاحظ أن جاءت فاء هنا الأول واو، ثُمَّ جاءت فاء فرق بين فاء وعند أهل اللغة، والواو الفاء تدل عَلَىٰ ترتيب شيء عَلَىٰ شيء، لما أقول لك الآن ادخل المسجد فصلِّ ركعتين إذًا هٰذَا رتب شيء عَلَىٰ شيء، دخلت فصليت لما تقول ادخل المسجد وصلِّ ما في ترتيب في تساوي؛ فمعنى قوله تَعَالَىٰ: ﴿فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا﴾ [النازعات: ٤]، هٰذَا إشارة إِلَىٰ أنهم في هٰذِه الأمور يتسابقون لطاعة وتنفيذ أوامر الله التي يأمرهم بها، أنهم لا يترددون بل يسارعون في ويسابقون

إِلَىٰ تنفيذ أوامر الله، لا يترددون في هٰذَا الأمر بل يسارعون إليه، قَالَ: ﴿فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا﴾ [النازعات: ٤].

قَالَ: ﴿فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا﴾ [النازعات: ٥]، وهٰذَا واضح أنها تدبر أمورًا عظيمة في الكون من إنزال المطر ومن إرسال الأرزاق ومن النفخ في أرواح الأجنة، ومن الأعمال وما يتعلق بذلك، تدبر بأمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فهي تعمل ليلًا ونهارا لا يفترون، يسبحون الليل والنهار لا يفترون، ﴿فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا﴾ [النازعات: ٥]، لما أقسم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وذكر أن هٰذِه الصفات الخمس المتعلقة بالملائكة، وأنت تؤمن بالملائكة وبوظائفهم وبأعمالهم الَّتِي كلفهم الله بها يقسم الله على أي شيء.

قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بعد ذلك: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ﴾ [النازعات: ٦]، أقسم عَلَىٰ هٰذَا اليوم العظيم تحقيقًا هٰذَا اليوم، وردًا عَلَىٰ من يستبعد هٰذَا اليوم أَوْ من ينكر هٰذَا اليوم ولا يؤمن به، فرد الله عليهم بتحقيق والإيمان كأنهم يرونه رأي العين، ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ﴾ [النازعات: ٦]، وهٰذِه هي النفخة الأولى، كما قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨].

ومعنى قوله تَعَالَىٰ: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ﴾ [النازعات: ٦]، هٰذِه الآية تجدها مفسرة في كتاب الله، كما قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا﴾ [الواقعة: ٤]، وقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في موضع آخر: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ [الزلزلة: ١]، يهز الشيء ورجه بقوة، ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ﴾ [النازعات: ٦]، قَالَ بعدها: ﴿تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ﴾ [النازعات: ٧]، وهٰذِه هي النفخة الثانية.

النفخة الأولى ما هي، وما حقيقتها؟ النفخة الأولى هي نفخة الصعق والموت والهلاك بحيث أنه يصعق كل من في السماوات والأرض حَتَّىٰ الملائكة تموت، وحتى الخلق كلهم يموتون الخلق كلهم من بني آدم وغيرهم ويخرب الكون تخرب الأرض، تتساقط ما عليها من بنايات وجبال وأشجار حَتَّىٰ تصبح أرضًا مستوية، فإذا استوت الأرض ولم يكن عليها شيء مرتفع ولا منخفض قاعًا صفصفا، نفخ النفخة الثانية، وهي قوله تَعَالَىٰ: ﴿تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ﴾ [النازعات: ٧].

جاء عن النَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن ما بين النفختين أربعين، يحتمل أن يكون أربعين سنة أربعين شهرًا أربعين يوما، هي أربعون الله أعلم بذلك بينهما أربعون بين النفختين، فإذا نفخ في النفخة الثانية

فإذا هم قيام ينظرون، وإذا هم للأجداث إِلَىٰ ربهم ينسلون يخرجون، قَالَ: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ۝٦ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ ۝٧ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾ [النازعات: ٦-٨]، قلوب من؟ قلوب الكفار، أما المؤمنون قلوبهم مطمئنة لا يحزنهم الفزع الأكبر، وأما الكفار قَالَ الله في حقهم: حَتَّىٰ يتضح لك أن ذلك في حق الكفار اقرأ ما بعدها من الآيات.

﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾ [النازعات: ٨]؛ يعني خائفة وجلة؛ يعني أصابها الخوف والشدة، ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ۝٨ أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ﴾ [النازعات: ٨-٩]، أي أبصار أصحاب هٰذِه القلوب، وإنما قَالَ: أبصارها وكونها عائدة إِلَىٰ القلوب، لأن المقصود أصحاب القلوب التي ترجف قلوبهم أبصارهم خاشعة، أي ذليلة خائفة وجلة ذليلة مهانة، ﴿أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ ۝٩ يَقُولُونَ أَإِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ﴾ [النازعات: ٩-١٠]، هٰذَا حال من؟ حال الكفر الَّذِين ينكرون البعث.

﴿يَقُولُونَ أَإِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ﴾ [النازعات: ١٠]، ما هي الحافرة؟ الحافرة ما يرجع الإنسان إليه، ولا يلزم أن تكون أرضا محفورة لا ما يرجع الإنسان إليه، لأن الأنسى إنسان لما يمشي يحفر الأرض بقدميه فهو يريد هل نستطيع، ﴿يَقُولُونَ أَإِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ﴾ [النازعات: ١٠]؛ يعني إذا متنا في وانتهينا ودفنا في قبورنا وتمزقنا وأكلتنا الأرض هل من يمكن أن نعود مرة أخرى إِلَىٰ الدنيا؟ هٰذَا ما كانوا يستبعدونه ما كانوا ينكرونه، ويستبعدونه.

﴿يَقُولُونَ أَإِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ ۝١٠ أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً﴾ [النازعات: ١٠-١١]، هٰذَا دليل عَلَىٰ أنها في حق الكفار، ﴿أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً﴾ [النازعات: ١١]؛ يعني بالية متمزقة قد نخرها الزمان، تكسرت وتمزقت وتلاشت، ﴿أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً ۝١١ قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾ [النازعات: ١١-١٢]، قالوا أي الكفار: ﴿تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾ [النازعات: ١٢]، أي رجعة لا يمكن أن تكون وإن كانت خسرناها، فهم يستبعدون هٰذَا اليوم، يستبعدون بعث الناس؛ يعني وإعادة الناس وإخراجهم من قبورهم ومجازاتهم كل ذلك ينكرونه، ﴿أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً﴾ [النازعات: ١١]، قَالَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ردًا عليهم بالرد القوي المزعج.

قَالَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ [النازعات: ١٣]، والزجرة هي الصيحة يصيح، يقول: زجر البعير إذا صاح عليه أَوْ صاح به؛ بمعنى الصيحة أي فإذا هي فإنما هي زجرة واحدة

صيحة، يصيح بهم إسرافيل ينفخ في البوق أَوْ في الصور، فيخرجون من الأجداث، فإنما هي زجرة واحدة، والله بين سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في آيات أخرى قَالَ: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ۝١٣ فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾ [النازعات: ١٣-١٤]، أَوْ ﴿فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨]، وفي آيات أخرى كثيرة تبين حالهم، ﴿مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا﴾ [يس: ٥٢]، هٰذَا ما وعد الرحمن.

﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ۝١٣ فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾ [النازعات: ١٣-١٤]، ما هي الساهرة؟ هي الأرض التي لا نوم فيها هم كانوا ينامون عَلَىٰ الأرض، وظنوا أنهم في قبورهم نائمون، ﴿مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا﴾ [يس: ٥٢]، فقَالَ: لا نوم بعد ذلك ما في نوم انتهى النوم خلاص ما ليس هنا، ﴿فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾ [النازعات: ١٤]، أي عَلَىٰ وجه الأرض للجزاء والحساب، هٰذَا وصف دقيق عجيب يذكِّر بهٰذَا اليوم العظيم، الَّذِي سيقفه كل إنسان.

والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من عظم هٰذَا اليوم العظيم الَّذِي ينبغي للمسلم أن يستعد له، أن يتأمله أن يتعرف عليه وأن يستعد له أشد الاستعداد، الله عَزَّ وَجَلَّ عظمه وبينه غاية البيان، بل أقسم بملائكته العظام عَلَىٰ تحقيق هٰذَا اليوم ونفوذ هٰذَا اليوم، وأنه لَا بُدَّ أن يقع ولكل مسلم أن يكون مستعدًا لهذا اليوم.

بعد ما بين لنا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ حقيقة هٰذَا اليوم تنتقل الآيات بعد ذلك إِلَىٰ عرض قصة من قصص السابقين المهلكين، رسالة لكل من ينكر رسالة لكل من يتساهل في هٰذَا اليوم، رسالة لكل من يرد الحق ولا يقبله، فماذا جرى لفرعون لما أنكر وطغى في الأرض أخذه الله نكال الآخرة والأولى، ولذلك ختمها الله بقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَىٰ﴾ [النازعات: ٢٦]، يأتي الحديث إِنْ شَاءَ اللهُ، عن قصة فرعون التي ساقها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لعبرة في سورة النازعات، نقف معها إِنْ شَاءَ اللهُ في لقاء آخر واللهُ أَعْلَمُ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الدرس (٨)

إِنَّ الْحَمْدَ لِلهِ نَحْمَدُهُ تَعَالَىٰ ونَسْتَعِينُهُ ونَسْتَغْفِرُهُ، ونَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا ومِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلاَ مُضِلَّ لَهُ ومَنْ يُضْلِلْ فَلاَ هَادِيَ لَهُ، وأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ ورَسُولُهُ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠- ٧١].

أَيُّهَا الأخوة الكرام:

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته، حياكم الله في هٰذَا اللقاء المبارك، وفي هٰذَا اليوم يوم الثلاثاء الموافق للثالث والعشرين من شهر شوال، من عام ثلاثة وأربعين وأربعمائة وألف من الهجرة، درسُنا المعتاد في كل أسبوع مع تفسير القرآن العظيم، وكانت لنا وقفات مع سورة النازعات الَّتِي اشتملت عَلَىٰ عِدة قضايا مهمه تهُم المسلم.

ولازلِنا في هٰذِه السورة، بدأنا في أولها، واتضح لنا أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قد أقسم بالملائكة، وهي خلق عظيم، لا يعلم عددهُم إِلَّا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، أقسم بهِم لشرفهم ولمكانتهم، فقَالَ: ﴿وَالنَّازِعَاتِ

غَرْقًا﴾ [النازعات: ١]، وَهٰذَا القسم من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، يقسم بمن شاء، ولا يقسم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ إِلَّا بأمر عظيم عَلَىٰ شيء عظيم، فلا يقسم بأي شيء.

يقسم بالملائكة لِمكانتهم وعِظم خلقهم، وأيضًا وظائفهم، وأعمالهم، وصفاتهم، يقسم بمخلوقاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقسم بما شاء، وليس للمخلوق أن يقسم إِلَّا بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فليس للمخلوق أن يقسم بما شاء، وَإِنَّمَا من كان حالفًا فليحلف بالله، أَوْ ليصمت، فلا يجوز أن يحلف بمخلوق، ولا يجوز أن يقول: وَالنَّبِيّ، أَوْ أن يقول: وحيات فلان، أَوْ وحياتك أنت أَوْ نحو ذلك، وَإِنَّمَا من كان حالفًا فليحلف بالله أَوْ ليصمت، يحلف بالله، باسم من أسمائه أَوْ بصفه من صفاته، فبعزة الله يقسم، والذى نفس مُحَمَّد بيده، والذى نفسى بيده ونحو ذلك.

الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أقسم في هٰذِه السورة عَلَىٰ أمر عظيم، وهو قضية البعث، والجزاء، والحساب، بعث الناس من قبورهم، ومجازاتهم عَلَىٰ أعمالهم، ومصيرهم في جنة أَوْ نار، ثُمَّ بيان بعد ذلك يذكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، بعد ما بيَّن حقيقة اليوم الأخر، ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ۝٦ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ ﴾ [النازعات: ٦-٧]، إِلَىٰ آخر الآيات الَّتِي أوضح الله فيها سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ حقيقة اليوم الآخر.

بعد ذلك يسوق الله لنا قصة من قصص القرآن العظيم، والقصة قرآنيه تختلف عن أي قصة من قصص البشر، قصة قرآنيه يَعْنِي: هي حقائق واقعية، بِخلاف قصص البشر، قد تكون حقائق، وقد لا تكون حقائق، فهي حقائق واقعية، والله سُبْحَانَهُ وتَعَالَىٰ يقول: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ﴾ [آل عمران: ٦٢]، وكذلك الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، أوضح من خصائص القصة القرآنية، أنها تأتى للعِبْرَةِ، والعظة، وتسلية من يعاني في دعوته، وأيضًا عظة وعبرة لمن يصادم هٰذِه الدعوة.

والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ذكر لنا قصص كثيرة في القرآن الكريم، وبيَّن الحكمة منها، ﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ [هود: ١٢٠]، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف: ١١١]، هٰذَا قصص القرآن لها دوافع، لها أهداف، لها مزايا، ليست كأي قصص من القصص التي تُروى وتُذكر.

أنت لما تقرأ هٰذِه السورة، وتمر عَلَىٰ قصة موسى مع فرعون، قف عندها وتأمل مع وجازتها مع اختصارها، إلا أنك تجد فيها أشياء عجيبة، ووقفات، وتأملات عجيبة، ودروس، ومواعظ، وأهداف، اسمع ماذا يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قال: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ۝١٥ إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ [النازعات: ١٥-١٦]، شوف هٰذَا الأسلوب، أولًا إذا أردت أن تقول مثلًا: ما الحكمة من اختيار قصة موسى مع فرعون في هٰذِه السورة، وما الرابط بينها وبين ما جاء قبلها، لأن القرآن الكريم فيه ترابط في آياته، فيه تماسك، فيه نظم، لم تأتى هٰذِه الآية عبثاً، وُضعت هٰذِه الآية بعد هٰذِه الآية لحكم، ولأهداف، وفيه ترابط وتناسق، يُسميه أهل العلم وأهل التفسير: مناسبة الآيات بعضها إِلَىٰ بعض، ترابط الآيات بعضها إِلَىٰ بعض.

فرعون لما جائه موسى، وذكَّره بالله، وخوفه بالله، وبيَّن له الآيات العظيمة، ماذا كان موقفه هو وقومه، ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ﴾ [الزخرف: ٤٧]، وهنا يذكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ موقف المشركين، لما ذكرهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ باليوم الآخر، والجزاء، والحساب، وَالجَنَّة، وَالنَّار، مَاذَا كان موقفهم كما في هٰذِه الأية؟ قَالَ: ﴿أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً ۝١١ قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾ [النازعات: ١١-١٢]، يَعْنِي: لو رجعنا يستهزئون يسخرون.

نقول: لو فرضنا عَلَىٰ كلامك يا محمد أن الله سيبعثنا، ويبعث آبائنا، ويجمع الأولين والآخرين، ﴿إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾ [النازعات: ١٢]، يَعْنِي: سنخسر، لو رجعنا سنخسر، يَعْنِي: يستهزئون ويسخرون كما كان فرعون يسخر من موسى، ومن الآيات التي رآها من موسى، لم يذعِن، ولم يقِر، وَإِنَّمَا أخذ يستهزئ ويسخر.

قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ﴾ [النازعات: ١٥]، الخطاب للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولمن يخاطب، كل من يخاطب بهذا الخطاب يقرأها، ينبغي له أن يقف عندها، مخاطبة الله عَزَّ وَجَلَّ، الله يخاطب كل إنسان، فيقول: يا مُحَمَّد، ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ﴾ [النازعات: ١٥]، وأنت هل سمعت بقصة موسى، ما مر عليك ولم تسمع بقصة موسى؟

وَهٰذَا الأسلوب يُسميه أهل العلم: أسلوب استفهامي يفيد التشويق، تشتاق أن تسمعه، ما آتاني ولم أسمع به، أتمنى أن أسمع بهذه القصة، حتى آخذُ منها الدروس والعبر، ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى

﴿١٥﴾ إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ [النازعات: ١٥-١٦]، عند جبل الطور، لما جاء راجعاً إِلَىٰ بلده من مَدين، وفر إِلَىٰ مَدين، وأقام فيها عشر سنين، ثُمَّ رجع، فلما قضى موسى الأجل، ﴿وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا﴾ [القصص: ٢٩]، فلما وصل ﴿بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ [طه: ١٢]، ناداه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وكلمه، ﴿وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾ [مريم: ٥٢]، فناداه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾ [النازعات: ١٧]، هٰذِه صفة فرعون، اذهب إِلَىٰ فرعون يا موسى، اذهب داعياً إِلَىٰ الله وناصحاً له، ومنقذاً له من النَّار.

﴿اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾ [طه: ٢٤]؛ طغى يَعْنِي: تجاوز الحد في العتو والفساد، ﴿وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾ [يونس: ٨٣]، فتعالى، وتعاظم، وتجاوز الحدود في الطغيان والفساد في الأرض، إنه طغى، قال: ﴿فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَىٰ أَنْ تَزَكَّىٰ﴾ [النازعات: ١٨]، إذاً لمن هٰذِه الرسالة، هٰذِه القصة تساق لمن؟ تساق لكل طاغية يسرف عَلَىٰ نفسه بالذنوب والمعاصي، والعلو، والعتو في الأرض، هٰذِه الرسالة توجه إليه، وتوجه لكل داعية أن يدعو إِلَىٰ الله، وأن يصبر.

وَهٰذِه القصة لما ساقها الله، ساقها في وقت يحتاج إليه نَبِيِّنَا مُحَمَّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأشد الحاجة، لما يواجه من عتو المشركين، وطغيانهم، واستهزائهم، وسخريتهم بمحمد وبدينه، تأتي هٰذِه القصة تُسلي مُحَمَّد تسليه، وتعطيه النتيجة، ﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ﴾ [النازعات: ٢٥]، وتعطيه نتيجة كل طاغية عَلَىٰ مر السنين، هٰذِه نتيجة الطغاة، وتُسلي مُحَمَّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتُسلي كل داعية أن يصبر في طريقه وفي دعوته إِلَىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، الصبر، والاحتساب، والتحمل، حَتَّىٰ تأتي النتائج.

﴿اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَىٰ أَنْ تَزَكَّىٰ﴾ [النازعات: ١٧-١٩]، شوف أسلوب استفهامي، ما قَالَ: قُم وتزكى وأسلم، وَإِلَّا سيأتيك العذاب، ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه: ٤٤-٤٥]، هل لك إِلَىٰ أن تزكى يا فرعون، ما تريد أن تُزكي نفسك، ما تُريد أن تُطهر نفسك، تبعد عن كل ما يسوء نفسك من الذنوب، والمعاصي، والإسراف، والطغيان، ألا تُريد أن تبتعد عن هٰذَا الطريق، تُزكي نفسك، وتُطهرها، وتبعد عن هٰذِه الأشياء، تبعد عن الشِّرْك، والكُفر، والطغيان، والاستبداد في الأرض، ألا تُريد هٰذَا؟

﴿هَلْ لَكَ إِلَىٰ أَنْ تَزَكَّىٰ ۝١٨ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ﴾ [النازعات: ١٨-٢٠]، أدُلك عَلَىٰ الله، فإذا عَرفت الطريق إِلَىٰ الله جاءت الخشية، ومادام أنك عَلَىٰ طغيانك وإسرافك، لن تحصُل لك التزكية، ولا الهداية، ولا الخشية، إذا أنت بقيت عَلَىٰ ما أنت عليه، وهذه يُسميها أهل العلم: التخلية قبل التحلية، تتخلى قبل أن تتحلى، أولًا: تتخلى عن الذنوب، والمعاصي، والطُغيان، والإفساد، ثُمَّ بعد ذلك تتحلى بهذا العلم.

لكن لا يمكن أنك تتحلى وأنت مازلت مُشرك بالله وتعبُد مع الله إله آخر، تُريد أن تدخُل الجَنَّة، تُشرك بالله وتُريد أن تكون من المُسلمين، ومن المؤمنين، ومن الأتقياء، أولًا: ابتعد عن هٰذَا الطريق، وزكي نفسك، وطهر نفسك، واغسلها من الذنوب والمعاصي، ثُمَّ تعال وأقبل، هٰذَا يكون لكل مُشرك، لكل طاغية، لكل مسرف، لكل عاص يريد أن يتوب، قبل أن تتوب أَقلع عن هٰذِه الذنوب والمعاصي، واندم عَلَىٰ ما حصل من هٰذَا، ثُمَّ اعزم عَلَىٰ طاعة الله، وادخُل في سلك الطاعة، تدخُل في سلك الطاعة وأنت مازلت فيما أنت عليه؟

ولذلك قَالَ: ﴿هَلْ لَكَ إِلَىٰ أَنْ تَزَكَّىٰ﴾ [النازعات: ١٨]، تُزكي نفسك بالبعد عن الذنوب، والمعاصي، والطغيان، ومُحادة الله، والمُجاهرة بالمعاصي، ابعد عن هٰذَا، ثُمَّ أقبل عَلَىٰ الله، فإذا أقبلت وعَرفت الله، وعَرفت الطريق إِلَىٰ الله، بعد ذلك، ﴿وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ [النازعات: ١٩]، جاءت الخشية وجاءَ الخوف، وأخشى الناس أعلمهم بالله ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨]، الَّذِينَ يخشون الله من الناس هُم العلماء، أشدُ الناس خشيةً، أقربهم أَوْ أعظمهم علماً، كُل ما يزداد الإنسان علماً، يزداد خشية من الله.

ولذلك قَالَ: ﴿وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ﴾ [النازعات: ١٩]، فإذا اهتديت، ودخلت في الهداية، وتعلمت وعرفت حق الله عليك، جاءت الخشية قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَىٰ﴾ [النازعات: ٢٠]، الفاء هٰذِه تدُل عَلَىٰ السرعة، يَعْنِي: لما جائه، وبيَّن له رسالته، أعطاه الآيات، حَتَّىٰ تقوم الحجة عليه؛ لأن أول من ينكر لما تقابله، يُريد منك الحجة، والدليل كيف تقول لي هٰذَا الكلام.

ولذلك فرعون ماذا قال؟ ﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَامُوسَىٰ﴾ [طه: ٤٩]، وهو يعلم، ولكن يُريد أن يُحاجه ويحتج عليهم، ولذلك جائه بالحجة مباشرة، قَالَ: ﴿فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَىٰ﴾[النازعات: ٢٠]،

﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ۝١٠٧ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٠٧-١٠٨]، هٰذِه آية عظيمة، جاءته وقامت عليه الحُجة ﴿فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى﴾[النازعات: ٢٠].

والنتيجة ماذا؟ لم يقبل، ولم يريد أن يُطهر نفسه، ولم يُرِيد أن يُزكي نفسه، قَالَ: ﴿فَكَذَّبَ وَعَصَى﴾ [النازعات: ٢١-٢٢]، في فرق بينهم كذَّب من؟ كذب موسى، وعصى من؟ عصى الله، كذب موسى بدعوته، ورد دعوته، واستمر عَلَىٰ عصيان ربه، وعصى ربه، ولم يقف عند هٰذَا الحد، وَهٰذِه طريقة الطغاة والمُسرفين، لا يُريدون أن يتنازلوا، ولا يُرِيد أن يتسامح، ولا يُرِيد أن يقتنع، ولو كان عَلَىٰ خطأ، يُرِيد أن يستمر، ﴿مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى﴾ [غافر: ٢٩].

ولذلك قَالَ: ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى﴾ [النازعات: ٢٢]، أعرض وتولى، مُسرعًا عَلَىٰ أي شيء؟ مُسرعًا لا لإقباله عَلَىٰ الدعوة، والتزكية، والهداية، والخشية، لا، مسرعًا لمعارضة موسى، يسعى ليأتي بمن يعارض موسى، فنادى في قومه، وحشر السحرة ضد موسى، وَهٰذِه طريقة عدم قبول الحق، وعدم الإذعان، وعدم التنازل.

قَالَ: ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى ۝٢٢ فَحَشَرَ فَنَادَى﴾ [النازعات: ٢٢-٢٣]، حشر قومه ومن هم تحته، وأقاربه، ومن كان معه من آله، ومن حاشيته، ناداهم وجمعهم، قَالَ: ﴿فَحَشَرَ فَنَادَى ۝٢٣ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ [النازعات: ٢٣-٢٤]، موسى يقول: لي رب، لا، أنا ربكم الأعلى، أنا رب موسى وربكم الأعلى، ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ﴾ [الزخرف: ٥٤]، استخف قومه وهو يعلم وهم يعلمون، ولكن لما كان لهم مصالح يمشون ورائه، ويطيعونه، ويسمعون له؛ لأن لهم مصالح.

﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ [النازعات: ٢٤]، فادعى الربوبية، وادعى الألوهية في آية أخرى، ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ [القصص: ٣٨].

قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى﴾ [النازعات: ٢٥] هٰذِه نتيجة العناد، نتيجة الإعراض، وعدم القبول، أخذه الله عقوبة شديدة، عقوبة الآخرة والأولى، عقوبة الآخرة يوم القيامة، أنه سينال العذاب الشديد، أدخلوا آل فرعون أشد العذاب، وفي الدنيا ينال عذابه بالإغراق في البحر، ثُمَّ الإحراق بِالنَّارِ، ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ [غافر: ٤٦]، كُل يوم في الغدو

والعشي، كُل يوم تطلع شمسه يُعذبون في قبورهم، النار تُعرض عليهم في قبورهم، يُعرضون عَلَىٰ النار في الغدو والعشي كُل يوم.

قَالَ: ﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى﴾ [النازعات: ٢٥]، من المُفسرين من يقول أن معنى نكال الآخرة والأولى: الكلمتين الَّتِي قالهما، ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ [النازعات: ٢٤]، ثُمَّ قال﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ [القصص: ٣٨]، فعاقبه الله عَلَىٰ تلك الكلمتين، والصحيح أن المُراد بالآخرة كما هو متبادل: هي الآخرة، والأولى هي الدنيا.

فأخذه الله عقوبة الدنيا، وعقوبة الآخرة، وَهٰذِه رسالة لأهل مكة لقريش، والمعاندين منهم، إن استمريتم عَلَىٰ ما أنتم عليه في مُحادة مُحَمَّد، ومصادمته، ورد دعوته، والكفر به، وإيذائه، سيصيبكم ما أصابه، فرعون أقوى منكم، وأشد منكم قوة، ومع ذلك أخذه الله نكال الآخرة والأولى، فسيأخذكم ما أخذه.

وأنت يا محمد وكل داعية، وكل من يستقيم عَلَىٰ طاعة الله، ويسير عَلَىٰ طريقتك، كل من يواجه في دعوته، فعليه الصبر، ﴿إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [هود: ٤٩].

قال الله عَزَّ وَجَلَّ في ختام القصة: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً﴾ [النازعات: ٢٦]، يَعْنِي: سُقنا لك يا مُحَمَّد، وسُقنا لكُل من يقرأ هٰذِه الآيات عَلَىٰ مر السنين، عبرة وعظة لمن يخشى الله عَزَّ وَجَلَّ، ويخاف الله، ويعلم حقيقة الخشية والخوف، ويقبل عَلَىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، يعتبر ويستفيد، ويعرف سياق هٰذِه القصة والدروس المستفادة من هٰذِه القصة.

أسأل الله أن ينفعنا بما قُلنا وبما سمعنا، وأن يوفقنا وإياكم لطاعته، وأن يجعلنا وإياكم من أهل القرآن، الَّذِينَ هُم أهل الله وخاصته، واللهُ أَعْلَمُ، وصلى الله عَلَىٰ مُحَمَّد وعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



إِنَّ الْحَمْدَ لِلهِ نَحْمَدُهُ تَعَالَىٰ ونَسْتَعِينُهُ ونَسْتَغْفِرُهُ، ونَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا ومِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلاَ مُضِلَّ لَهُ ومَنْ يُضْلِلْ فَلاَ هَادِيَ لَهُ، وأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ ورَسُولُهُ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ ولَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ وخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا ونِسَاءً واتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ والْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ ويَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ومَنْ يُطِعِ اللَّهَ ورَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠- ٧١].

لا زلنا في هذه السورة العظيمة الجليلة، وهي سورة النازعات، تحدّثنا عنها في لقاءاتٍ ماضية، والحقيقة أنها سورة تحتاج، وجميع سور القرآن تحتاج منا إلى وقت، وتحتاج منا إلى تأمّل وتدبّر، وكما قال بعض السلف: "الآية من القرآن الكريم، الآية كلما تأملت وتدبّرت فيها وأعدت النظر فيها، ازددت إيمانًا وعلمًا"، يقول: "هي مثل التمرة لما تضعها في فمك وتمضغ، وتمضغ تجد حلاوة التمرة أشد مما أن تأكل على عجالة"، فتأخذ الآية تعيد النظر فيها، تتأمّلها، تجد فيها تدبّر وتعلّم وعلم، ولذلك أنت تلاحظ هذا الشيء؛ لما تقرأ القرآن، تقرأ السورة، ثم بعد قليل تسمع قارئًا يقرأ السورة نفسها، تجد أن السورة كأنها جديدة عليك، فالقرآن عظيم، ومعجز، ووجوه إعجازه لا تُحد بحدّ معين، السورة سورة النازعات، مثل ما ذكرنا، أعظم موقف فيها وأعظم حديث فيها: الحديث عن المشركين المنكرين للبعث، الذين لا يؤمنون باليوم الآخر، ولا يعترفون بالبعث والجزاء والحساب

والجنة والنار، بل يستهزئون ويسخرون من ذلك، حتى قال قائلهم، كما صرّح القرآن بذلك، قالوا: ﴿أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ (١٦) أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ﴾ [الصافات: ١٦-١٧]، وهنا في هذه السورة: ﴿قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾ [النازعات: ١٢]، يقول: لو رجعنا، على فرض أننا عدنا ورجعنا، فهذه كرةٌ خاسرة، لن نفلح فيها، يستهزئون ويسخرون، فذكر الله سبحانه وتعالى ردًّا عليهم موقف من مواقف الأمم الماضية، وهو موقف موسى عليه السلام مع فرعون، كيف وقف فرعون في وجه هذا الداعية، وهو موسى عليه السلام؟ كيف وقف فيه؟ كيف ردّ دعوته؟ وما النتيجة لما ردّها؟

قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى﴾ [النازعات: ٢٥]، هذه نتيجة من يعاند ومن يستكبر ويردّ الحق ولا يقبل، لما ذكر الله سبحانه وتعالى هذا الموقف، ردّ عليهم بموقفٍ من مواقف الأمم الماضية، وهو موقف فرعون في ردّه، بعد ذلك، حتى تشعر أنت وأنت تقرأ هذه السورة، تجد فيها تدبّر وتأمّل، وتجد فيها ترابط الآيات وتماسك الآيات، لا تجد هناك فاصلًا، يعني يشعر الإنسان أنه غير مرتب، بل الآيات مرتّبة ترتيبًا دقيقًا، انظر موقفهم، ثم ذكر الله سبحانه وتعالى مثال من الأمم الماضية: كيف كان موقفه وما هي النتيجة؟ وهي رسالة لكل من ينكر هذا البعث ويردّ الحق أن هذه عاقبته وهذه نتيجته.

يذكر الله بعدها ردًّا عليهم بدلائل وشواهد، أدلة وشواهد من الواقع تردّ عليهم، فيقول الله سبحانه وتعالى: ﴿أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ﴾ [النازعات: ٢٧]، يعني إنسان يفكر في نفسه: أيهم أعظم خلقًا، هذا المخلوق الإنسان الضعيف أم السماء على سعتها؟ إذا كانت السماء، وهم يعترفون بأن السماء أعظم من خلقهم، كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [غافر: ٥٧]،

إذا كان خلق السماوات أعظم، يعني أنت تأمّل في السماء: سعة السماء مترامية الأطراف، مرفوعة بغير عمد، من الذي أمسك السماء؟ سعة السماء وبعدها عن الأرض! ولذلك قَالَ: ﴿أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا﴾ [النازعات: ٢٧]، يعني بناها في هذه الصورة الجميلة الحسنة، ولذلك يرى بعض

القُراء أن الأولى أنك تقف على "السماء"، فتقول عند قراءتك: ﴿أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا﴾ [النازعات: ٢٧]، أي هو بناها، وإن وصلت فلا حرج.

﴿أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا (٢٧) رَفَعَ سَمْكَهَا﴾ [النازعات: ٢٧-٢٨]، السمك: هو العلو والارتفاع، سمك الشيء علوه وارتفاعه، فيقول: ﴿رَفَعَ سَمْكَهَا﴾ [النازعات: ٢٨]، يعني أبعدها عن الأرض مسافات بعيدة، فتأمّل في هذه السماء التي بناها الله ورفع سمكها، قَالَ: ﴿فَسَوَّاهَا﴾ [النازعات: ٢٨]: أي جعلها في أحسن صورة، لا ترى في خلق الرحمن من تفاوت، ﴿مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ (٣) ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ [الملك: ٣-٤]، متحيّر البصر ورديء، ما يستطيع أن تجد في السماء أي عيب، خلقها بأحسن صورة، جعل فيها المصابيح والنجوم، زيّن السماء الدنيا بمصابيح وجمّلها، وخلقها بغير عمد ورفعها، وفوقها سماوات أخرى، من الذي خلقها؟ يعني: أأنتم أشد في خلقكم هذا الذي خلقكم الله هذا الخلق؟ ﴿أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا (٢٧) رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا (٢٨) وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا﴾ [النازعات: ٢٧-٢٩]، أغطش ليلها: أي أظلم ليلها، يعني جعل الليل مظلمًا فيها.

﴿وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا﴾ [النازعات: ٢٩]: أي جعل النهار منيرًا مسفرًا، طيب، السؤال هنا: أخرج ليلها، الضمير يعود إلى السماء؛ لأن السياق في السماء، يعود إِلَىٰ السماء، ما علاقة الليل بالسماء؟ الليل في الأرض أم في السماء؟ نقول: لأن تغير الليل والنهار متعلق بالسماء، الشمس تأتي فيأتي النهار، تذهب الشمس فيأتي الليل مكان النهار، وأنت ترفع رأسك إلى السماء فترى ظلمة الليل وترى وضوح النهار بشمسه، فهذا معنى: ﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا﴾ [النازعات: ٢٩].

قال سبحانه وتعالى يعني حتى في خلق الأرض وسعتها يعطف عليها خلق السماء، وسعتها يعطف عليها خلق الأرض، قال ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ [النازعات: ٣٠]، يعني: أأنتم أشد خلقًا أم خلق السماوات السبع وخلق الأرض العظيمة واسعة الأطراف، المترامية الأطراف؟ أيهما أعظم خلق؟

قَالَ: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ [النازعات: ٣٠]، " دحاها": أي أن الله سبحانه وتعالى أودع فيها ما يحتاج إليه الخلق، هذا معنى "دحاها"، والذي يفسر لك معنى "دحاها" ما بعدها، قَالَ: ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا﴾ [النازعات: ٣١]، هذا معنى "دحاها"، وهذا كثير في القرآن، هذا من تفسير القرآن بالقرآن، وهو أفضل طرق التفسير، أن تفهم الآية والله يذكر لك تفسيرها بعدها مباشرة حتى تفهمها، هنا سؤال: أيهما بدأ الله به الخلق، السماوات أم الأرض؟ يعني، هل الله سبحانه وتعالى خلق السماوات أولًا ثم خلق الأرض؟ أم العكس، خلق الأرض ثم خلق السماوات؟

هذه الآية ظاهرها أن السماوات مخلوقة قبل؛ لأنه قَالَ: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ﴾ [النازعات: ٣٠]، يعني بعد ذلك، يعني بعد خلق السماوات، لكن إذا تأملت في آيات أخرى، مثلًا في سورة فصلت، ذكر الله سبحانه وتعالى، قال: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾ [البقرة: ٢٩]، وقال قبلها: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٩) وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا﴾ [فصلت: ٩-١٠]، ثم قال بعد ذلك: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾ [فصلت: ١١]، فقال لها وللأرض: ﴿ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ [فصلت: ١١].

أهل العلم، لما نظروا في مجموع الآيات، حتى في آية البقرة: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾ [البقرة: ٢٩]، ﴿خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ﴾ [البقرة: ٢٩]، إذًا السماء بعد الأرض في سورة البقرة، في سورة فصلت، وهنا قَالَ: لا، قَالَ: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ [النازعات: ٣٠]، تأمل أهل العلم في هذا، فاتضح الأمر أن الله خلق الأرض، وخلق السماوات والأرض كان في كم؟ في ستة أيام، خلق الأرض في يومين، ولما خلق الأرض في يومين استوى إلى السماء فخلقها في يومين، ثم عاد إلى الأرض فبث فيها أقواتها وما يحتاج إليه الخلق في يومين، فأصبحت ستة أيام.

وبهذا تنتظم الآيات ولا يصبح فيها إشكال، فالله خلق الأرض، ثم خلق السماء، ثم دحا الأرض وبث فيها، وبهذا يزول الإشكال، وآية النازعات التي هي معنى: ﴿أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ﴾ [النازعات: ٢٧]، قال بعدها: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ [النازعات: ٣٠]، ما قال خلقها، قَالَ: دحاها، خلقها قبل، والدحُ مثل ما ذكرنا: بث فيها ما يحتاج الخلق إليه من الماء، ومن الأطعمة، ومن المعادن، وكل ما يحتاج الناس إليه، فأصبح خلق الأرض أربعة أيام، وخلق السماء في يومين.

قال سبحانه وتعالى: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ [النازعات: ٣٠]، قال بعدها: ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا﴾ [النازعات: ٣١]، هذا الدحُ، وهذا معنى: وبث فيها أقواتها، ما يحتاج الخلق إليه، قَالَ: ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا﴾ [النازعات: ٣١]، الماء لما أنزله من السماء، أودعه في الأرض، فأخرج الماء للناس، ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا﴾ [النازعات: ٣١]: مثل العيون والآبار والأودية والأنهار وغيرها: ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا﴾ [النازعات: ٣١]، المرعى: الزروع التي ترعى منها البهائم، ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا﴾ [النازعات: ٣١].

(الآية)

﴿وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا﴾ [النازعات: ٣٢].

(التفسير)

أي زيادةً على ذلك أن الله ثبت الأرض؛ لأن الناس سيعيشون عليها، ولو لم تُثبت بالجبال لضطربت، كما قال سبحانه وتعالى، قَالَ: ﴿أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾ [لقمان: ١٠]، لضطربت الأرض ولم تثبت، فثبتها الله بهذه الجبال الرواسي، وما فيها من مصالح عظيمة،

﴿وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا﴾ [النازعات: ٣٢]، قَالَ: ﴿مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾ [النازعات: ٣٣]، وفي هذا دلالة، كلمة "متاع"، لما تقف عندها وتتأملها تدل على سرعة زوال الدنيا، وعلى سرعة ذهاب الإنسان منها؛ لأنه متاع يتمتع به قليلًا ثم يذهب، ما قال: بقاء في هذه الدنيا، وإنما قَالَ: ﴿مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾ [النازعات: ٣٣]، تتمتعون أيامًا ثُمَّ تذهبون؛ لأن الدنيا لا تبقى لأحد ﴿مَتَاعًا لَكُمْ

﴿وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾ [النازعات: ٣٣]، طيب، إذا تأملت أن الله يقول: ﴿مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾ [النازعات: ٣٣]، وهو قد قال ماذا؟ قال: ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا﴾ [النازعات: ٣١]، ما ذكر شيء للإنسان حتى يتمتع به، كيف يقول: ﴿مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾ [النازعات: ٣٣]، لو قَالَ: متاعًا لأنعامكم؛ لأنه أخرج منها ماءها ومرعاها، فالمرعى للبهائم، لو قَالَ: متاعًا لأنعامكم، لكن كيف يقول: ﴿مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾ [النازعات: ٣٣]، نقول: أن الله سبحانه وتعالى أخرج المرعى، وهذا المرعى فيه ما فيه من مصالح الإنسان، سواءً في أكله أو في احتطابه أو في غير ذلك، وفيه ما فيه مصلحة للإنسان بحيث يستفيد منه، وتستفيد منه هذه البهائم، هذا وجه.

الوجه الثاني: أن الله سبحانه وتعالى ذكر في سور أخرى، وحتى ليس في سور أخرى، في السورة التي تليها، لما تقرأها؛ لأن الله سبحانه وتعالى أحيانًا يطوي الكلام لحاجة، وأحيانًا يبسط الكلام لحاجة، لما تتأمل في سورة "عبس"، ماذا قال الله سبحانه وتعالى؟ ذكر أنواعًا شتى من أطعمة الإنسان الخاصة: ﴿أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا (٢٥) ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا (٢٦) فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا (٢٧) وَعِنَبًا وَقَضْبًا (٢٨) وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا (٢٩) وَحَدَائِقَ غُلْبًا (٣٠) وَفَاكِهَةً وَأَبًّا (٣١) مَتَاعًا لَكُمْ[1] وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾ [عبس: ٢٥-٣٢]، والأب هو الذي للحيوان، وهو الحشيش والنبات الذي يأكله الحيوان، أما ما قبله كله جاء في ذَكَرَ مَاذَا؟ في ذكر نعم الله سبحانه وتعالى على هذا الإنسان: ﴿مَتَاعًا لَكُمْ﴾ [النازعات: ٣٣].

إذًا، خلاصة الكلام في هذا الموقف وهذه الآيات، أن الله سبحانه وتعالى يقيم الحجة على من ينكر البعث بما يشاهده، كيف تنكر البعث وأنت مخلوق ضعيف، والسماوات أعظم خلق منك، والأرض أعظم خلق منك؟

وتأمل ما في هذه المخلوقات من قدرة الله سبحانه وتعالى، سُبْحَانَهُ الذي رفع السماوات وزينها، والأرض التي بث فيها هذه المخلوقات، بقدرة الله سبحانه وتعالى، وزيادةً على ذلك، وأنت تتأمل

[1] أنتم كل هٰذِه الأشياء.

نعم الله سبحانه وتعالى، نعمة الله ينبغي لك أن تقرأ هذه الآيات وتشكر، تشكر ما أنعم الله به عليك: من خلق السماوات، من خلق الأرض، ما بث فيها من مصالح لهذا الإنسان، كل ذلك يجب على الإنسان أن يشكر.

وفي خلاصة الكلام، أن هذه الآيات التي ذكرناها، وذكرها الله سبحانه وتعالى في هذه السورة، كلها إقامة الحجة على من ينكر، كيف تنكر أن الله سبحانه يعيدك مرةً أخرى وأنت تشاهد هذه الآيات؟

ولذلك نختم هذا المجلس المبارك بموقف من مواقف أحد المشركين المنكرين للبعث،

﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ [يس: ٧٨]، هذا رجل مشرك، قيل إنه أُبي بن خلف، وقيل أُمية، أو غيره، جاء إلى النَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومعه عظم رفات يفته بيده أمام النَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فيقول: يا مُحَمَّد، أتزعم أن الله يبعث هذا؟ قال النَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يبيتك الله، ثم يبعثك، ثم يدخلك النَّار»، ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ (٧٨) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس: ٧٨-٧٩]، رد الله عليه في هذه الآيات في آخر سورة "يس" بخمسة أوجه عقلية كلها ما يستطيع أن ينكرها.

﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [يس: ٧٩]، ثم قَالَ: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس: ٧٩]، الذي عليم بالخلق ما يعجزه،

ثم قَالَ: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا .....﴾ [يس: ٨٠]، إلى آخر الردود،

وحتى قَالَ: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]، ما يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ﴾ [الصافات: ١٩]،

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ [لقمان: ٢٨]، ما يعجزه شيء في الأرض، الله سبحانه وتعالى يسمع أصوات الخلق كلهم في لحظة، ويرزقهم في لحظة، أيعجزه أن يبعثهم في لحظة، ويحاسبهم في لحظة؟ لا يعجزه شيء سبحانه وتعالى،

نقف عند هذا القدر، ونسأل الله أن ينفعنا بما قلنا وبما سمعنا، والله أعلم، وصلى الله وسلم على نَبِيِّنَا مُحَمَّد، وعلى آله وصحبه أَجْمَعِيْنَ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الدرس (١٠)

إِنَّ الْحَمْدَ لِلهِ نَحْمَدُهُ تَعَالَىٰ ونَسْتَعِينُهُ ونَسْتَغْفِرُهُ، ونَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا ومِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلاَ مُضِلَّ لَهُ ومَنْ يُضْلِلْ فَلاَ هَادِيَ لَهُ، وأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ ورَسُولُهُ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ ولَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ وخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا ونِسَاءً واتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ والْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ ويَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ومَنْ يُطِعِ اللَّهَ ورَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠- ٧١].

أيها الأخوة الكرام سلام الله عليكم ورحمته وبركاته

وحياكم الله في هذا اللقاء لقاء الثلاثاء من كل أسبوع مع تفسير القرآن العظيم، لا زلنا نتحدث عن هذه السورة العظيمة الجليلة، وهي سورة النازعات.

الحقيقة لمن يقرأ هذه السورة ويتأملها يجد فيها من المعاني والدلالات العظيمة، الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أقسم في هذه السورة بمخلوقات عظيمة، أو بخلق من مخلوقات الله العظيمة وهم الملائكة، أقسم على أي شيء؟ أقسم على ثبوت هذا اليوم يوم المعاد، يوم الجزاء، يوم الحساب، يوم بعث الأولين والآخرين، ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ۝٦ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ﴾ [النازعات: ٦، ٧].

المشركون عند نزول القرآن الكريم كانوا لا يقرون بهذا اليوم ولا يعترفون به، يقولون: ﴿ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾ [ق: ٣]، ﴿أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ۝١٦ أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ﴾

[الصافات: ١٦، ١٧].

فرد القرآن عليهم؛ وفي هذه السورة يأتي الرد على عدة أوجه وأنت تقرأ هذه السورة وتتأملها:

أول الردود: الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يقول: ﴿كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ [يونس: ٣٩].

ولذلك ساق الله عَزَّ وَجَلَّ لنا قصة موسى مع فرعون، وبيّن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أنه طغى، وأنه جاءه موسى وذكره، ﴿هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى ۝١٨ وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى ۝١٩ فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى﴾ [النازعات: ١٨ - ٢٠]، لكنه كذب وعصى، واستكبر، وتعالى، وطغى في البلاد وأفسد، وقال: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ [النازعات: ٢٤]، النتيجة، ﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى﴾ [النازعات: ٢٥].

هذه القصة يسوقها الله ليعتبر من يعتبر من الطغاة أن العناد والكفر والاعتراض وعدم قبول الحق هذه نتيجته، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لما يسوق لنا هذه القصة يرد على هؤلاء من كفار قريش، أنكم أنكرتم الجزاء والحساب والبعث، والرسالة، والقرآن، وهذا أنكره، فماذا جرى له؟ وما جرى له سيجري عليكم إن لم تؤمنوا.

ثم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بعد ذلك ذكرهم بخلقه العظيم:

كيف تكفرون باليوم الآخر ولا تؤمنون باليوم الآخر والآيات المشاهدة أمامكم؟

آيات الله واضحة تدل على قدرته لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، ﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ [يس: ٥٣].

ما الذي يعجزه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى حتى تقولون: ﴿ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾ [ق: ٣]، وتستبعدون هذا الأمر، والله يستشهد ويدلل لكم بدلالاته العظيمة وآياته في الكون؟ قال تعالى: ﴿أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا ۝٢٧ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا﴾ [النازعات: ٢٧، ٢٨]، ثم قال: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ [النازعات: ٣٠]، كيف تستبعد؟ وكيف تتعجب؟ وكيف تنكر بعثك أنت، وبعثك وبعث

الخلق كلهم عند الله كبعث نفس واحدة؟ قال تعالى: ﴿مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ [لقمان: ٢٨].

فلما بيّن سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وأقام الحجة على من ينكر هذا البعث بإقسامه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وهو لا يقسم إلا على شيء عظيم، بالملائكة على هذا اليوم، ثم يذكر لنا قصة من ينكر ويكفر حتى يعتبر من يعتبر، ثم يذكر لنا قدرته وآياته في الكون، كيف تنكر خلقك وأنت ضعيف؟ قال تعالى: ﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾ [غافر: ٥٧]، ثم بعد ذلك تأتي هذه الحقائق أمامك، الآن يأتي يوم الجزاء والحساب، يوم العرض على الله أنكرت ما لم تنكر، آمنت أو كفرت، أمامك الآن تصوير عظيم لما يجري يوم القيامة، ولذلك لما بيّن الله؛ قال بعدها: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى﴾ [النازعات: ٣٤].

هذه حقيقة واضحة أنكر من أنكر، وآمن من آمن، هذه حقيقة واقعة، ﴿إِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى ۝٣٤ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى﴾ [النازعات: ٣٤، ٣٥].

ما هي الطامة الكبرى؟

هي: يوم القيامة، لماذا سميت بالطامة، ما معنى الطامة؟ الله وصف يوم القيامة بأوصاف عظيمة في القرآن الكريم، الصاخة، والحاقة، والقارعة، والطامة، وأوصاف عظيمة تدل على عظم هذا اليوم، والطامة مأخوذة من طم الشيء إذا غطاه، ويقال: هذا طريق مطموم إذا كان قد غُطي بشيء، ويقال: طُم القبر، إذا دُفن في القبر؛ يقال: طُم عليه قبره.

فالطامة هي: ما يصيب الناس يوم القيامة من الأهوال والشدائد التي تطم عليهم، تطم كل طامة، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لما قال: ﴿الطَّامَّةُ﴾ [النازعات: ٣٤]، وصفها فقال: ﴿الطَّامَّةُ الْكُبْرَى﴾ [النازعات: ٣٤].

لماذا وصفها؟ لماذا قال: الكبرى؟

قال أهل التفسير: لأن هذه الطامة تطم كل طامة تحتها، يعني الإنسان لما يبعث من قبره سيواجه طوام ومصائب عظيمة، ثم إذا جاءت هذه الطامة طمت ما تحتها، ولذلك قال: ﴿الطَّامَّةُ الْكُبْرَى﴾

[النازعات: ٣٤]، ثم قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ﴾ [النازعات: ٣٥].

لاحظ الآن:

إذا جاءت الطامة الكبرى ما النتيجة؟

حتى الآن ما جاء الجواب، هذا يسمى عند أهل العلم وأهل اللغة: جملة شرطية، أداة شرط، وفعل شرط، وجوابه، أين جوابه؟ حتى الآن لم يأت، قال: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ﴾ [النازعات: ٣٤]، هذا اليوم يوم القيامة حال الإنسان ما هي؟ قال: حاله يتذكر الإنسان، لما يرى هذه الأهوال أمامه يتذكر ما سعى في الدنيا، يتذكر سعيه وأعماله، أعمال الخير وأعمال الشر، الآن فتح وبدأ يتأمل ويتفكر في الدنيا التي مرت عليه، ماذا قدم في هذه الدنيا، ما الذي قدمته لك في آخرتك؟ ولذلك يقول الله عَزَّ وَجَلَّ في سورة أخرى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى﴾ [الفجر: ٢٣]، ما تنفعه الذكرى، لو تذكر ما تنفعه الذكرى.

وفي آية أخرى لما قال هنا: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى﴾ [النازعات: ٣٤]، في السورة التي بعدها قال: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ﴾ [عبس: ٣٣]، هذه أحوال، يعني ما في تعارض، أحوال الناس يوم القيامة يتذكر ويفر ويحصل كذا ويحصل كذا، أشياء عظيمة تحصل ما يتصورها الإنسان في الدنيا.

قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ﴾ [عبس: ٣٤].

السؤال هنا يا أخوان:

لماذا يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته زوجته وبنيه؟

قال: لأن كل واحد منهم يريد أن يأخذ حقه منه، يأخذ ماذا؟ يأخذ حسنات، ولذلك يفر الإنسان حتى من أمه وحتى من أبيه، وحتى من زوجه، وحتى من أبنائه، كل ذلك يفر، وهذه الآية ستأتينا ونقف معه ونتأملها،

قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى ۝٣٥ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى﴾ [النازعات: ٣٥، ٣٦].

لاحظ كلمة: (وَبُرِّزَتِ)، قوله: (وَبُرِّزَتِ)، أي أظهرت أمام الأعين لا تخفى على أحد، ولما يقول: (وَبُرِّزَتِ)، ما قال: بَرزت، في فرق، فهذه لغة العرب، لما يقول: (وَبُرِّزَتِ)، في وراءها من برزها، في وراءها من أظهرها، لما يقول: بَرزت أي هي برزت، ولذلك جاء في الحديث: **«تُقاد النار لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يقودونها»**، ولذلك في سورة أخرى؛ قال تعالى: ﴿وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾ [الفجر: ٢٣].

إذًا بُرِّزَتِ غير بَرزت، ﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى﴾ [النازعات: ٣٦]، أُظهرت أمامهم لا تخفى على أحد، عندنا كلمة الجحيم، وفي سورة قبلها قال: جنهم، أسماء النار كثيرة، لكن أنت لما تقرأ وتمر عليك أسماء النار قف عندها.

طيب لماذا سميت الجحيم؟

ولماذا سميت جهنم؟

هذه الأسماء ما جاءت عبثًا؛ بل لها اختيار ولها معاني في لغة العرب، يقال لكل شيء بعيد القعر: جهنم، يقال: بئر جهنمية إذا كانت بعيدة القعر، هذه كلمة جهنم، الجحيم هو المكان الواسع المترامي الأطراف، فجهنم واسعة كما أنها بعيدة القعر فهي واسعة المدى، ولذلك في قصة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ قال تعالى: ﴿قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٩٧]، النار التي أوقدها أعداء الله من قوم إبراهيم أوقدوها لإبراهيم وهو واحد، شخص واحد، أوقدوا واديًا يتلظى، وكما قيل في بعض التفاسير: مضوا سنة وهم يجمعون الحطب حتى ملئوا هذا الوادي فأشعلوه، فسموه جحيم لسعته، ﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى﴾ [النازعات: ٣٦].

الحديث يأتيك في حقائق الجزاء، السورة في أولها كلها تقرر هذا اليوم، هنا يأتي الجزاء، ولذلك قال: ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى ۝٣٧ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۝٣٨ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ [النازعات: ٣٧ - ٣٩]، أتاك مرة ثانية بالجحيم، وكلمة طغى لماذا ذكرها؟ لطغيان هؤلاء واستكبارهم؛ لأن السياق في إنكار اليوم الآخر، ولا ينكره إلا من طغى واستكبر، ولأن الله ذكر طغيان فرعون، ﴿اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾ [النازعات: ١٧]، فناسب أن يذكر هنا فأما من طغى وتعالى وأسرف على نفسه واستكبر ولم

يقبل الحق، ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى ۝٣٧ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ [النازعات: ٣٧، ٣٨]، قدم الدنيا واشتغل للدنيا، وعمل للدنيا، ونسي الآخر، ﴿فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ [النازعات: ٣٩]، هذه نتائج الآن، تطاير الصحف والميزان وكلٌ آخذ صحيفته بيمينه أو شماله ومن وراء ظهره، وبعد ذلك يأتي الميزان، كلٌ يوزن، تُوزن الأعمال، وتُوزن الأشخاص، ثم بعد ذلك مصير الفريقين، ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى ۝٣٧ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۝٣٨ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ۝٣٩ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ﴾ [النازعات: ٣٧ - ٤٠].

ولاحظ الخوف، الخوف عبادة، الخوف من الله، الخوف من الوقوف أمام الله، ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ﴾ [النازعات: ٤٠]، خاف الوقوف أمام الله والجزاء والحساب ومصيره في الآخرة واستعد لهذا اليوم، ولذلك قال الله عَزَّ وَجَلَّ في آية أخرى: ﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ﴾ [إبراهيم: ١٤]، وفي آية أخرى؛ قال: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن: ٤٦].

فالخوف هو الذي يبعث الإنسان على العمل، أنت تستعد لهذا اليوم، وتحسب ألف حساب لهذا اليوم، وتخاف وقوفك أمام الله عندما تدنو الشمس على رؤوس العباد، عندما يجمع الله الأولين والآخرين، هذا اليوم الذي يجعلك تخاف منه يجعلك تعمل وتستعد له، ولا تفرط في عمل ولا تفرط في عبادة تضعيها، ولا تقترف سيئة من السيئات أو تتساهل في بعض المعاصي، هذا اليوم هو الذي يجعل الإنسان يستقيم في حياته، يتأدب بأخلاق القرآن ويستقيم في حياته.

قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى﴾ [النازعات: ٤٠]، صد النفس ومنعها، النفس ضعيفة، النفس أمارة بالسوء، تدفع الإنسان للشر، ولكن الإنسان إذا لم يُطاوع هذه النفس؛ لأن النفس تصدك أحيانًا، ﴿وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى﴾ [النازعات: ٤٠]، النفس تدعُ إلى الهوى والشهوات والميل، **«حفت النار بالشهوات، وحفت الجنة بالمكاره»**، دفع نفسه.

قال تعالى: ﴿وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى ۝٤٠ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ [النازعات: ٤٠، ٤١]، إذا أدبت نفسك بهذا الأدب وتمسكت بهذا المبدأ، خُفت من الله عَزَّ وَجَلَّ ونهيت نفسك وأقبلت على الله وصبرت، ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ﴾ [الشورى: ٤٣]، الصبر على الطاعات تجد الإنسان يحمد الله عَزَّ

وَجَلَّ على ما يجد يوم القيامة من نتائج طيبة لما تتطاير الصحف ويؤتى بالميزان، ويؤتى بالحوض، ويؤتى بجهنم تقاد، في هذه الساعة يتذكر الإنسان ما قدم، والدنيا سريعة، ولذلك ختم الله السورة بأي شيء؟ قال: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً﴾ [النازعات: ٤٦]، أي وقت العصر، ما قال ولا يوم، حتى أقل من اليوم، ﴿أَوْ ضُحَاهَا﴾ [النازعات: ٤٦]، وقت الضحوة وهو وقت يسير، الدنيا تنتهي وتمضي، كم يعيش الإنسان فيها ثم يتركها ويمضي، لكن العبرة بما قدم من عمل، بما حافظ عليه من أوامر ونواهي، سابق في جانب المسابقات وابتعد عما نهى الله، ابتعد عما يغضب الله ويسخطه، نسأل الله أن ينفعنا بما قلنا، وللحديث بقية إن شاء الله في إتمام هذه السورة العظيمة، فيما أوقفناه فيه خير ونفع، أسأل الله أن ينفعنا وأن يبارك في قولنا.

والله أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ



بسم الله والحمد لله وأصل وأسلم على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه واتبع سنته إلى يوم الدين، اللّٰهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم.

أيها الأخوة الكرام سلام الله عليكم ورحمته وبركاته

وحياكم الله في هذا اللقاء المبارك في هذا اليوم يوم الخامس عشر من شهر ذي القعدة من عام ١٤٤٣ من الهجرة، وهو الموافق للرابع عشر حسب رؤية الهلال، واجتماعنا في هذا المقام المبارك حول هذه السورة العظيمة الجليلة التي ذكرناها في مواضع كثيرة وفي لقاءات سابقة، وهي سورة النازعات.

وختام هذه السورة يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فيها: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ﴾ [النازعات: ٤٢].

قد يسأل سائل ويقول:

ما سبب قولهم أو حديثهم أو سؤالهم عن الساعة؟

نقول: لما ذكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في هذه السورة من أولها بيان ما سيقع يوم القيامة، ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ۝٦ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ﴾ [النازعات: ٦، ٧]، ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى﴾ [النازعات: ٣٤]، مصير الأشقياء، ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى ۝٣٧ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ [النازعات: ٣٧، ٣٨]، ومصير الأتقياء، ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى﴾ [النازعات: ٤٠]، بدؤوا يسألون أو يسأل المشركون: متى هذه الساعة؟ وهم يسألون لا يريدون حقيقة السؤال؛ وإنما استهزاءً واستبعاد، كقوله في الحديث عنهم: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [يونس: ٤٨]، إن كنتم صادقين يدل على أنهم لا يريدون الحق في السؤال، ولذلك الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يقول في موضع

آخر: ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا﴾ [الشورى: ١٨].

ولذلك لما جاء رجل إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقال له: يا رسول الله أو يا نبي الله متى الساعة؟ قال: **«ماذا أعددت لها»**، ليست العبرة أن تعرف متى الساعة، العبرة ماذا أنت أعددت للساعة؟ وما موقفك يوم القيامة؟ هذه هي العبرة، ولذلك تتأمل أنت هذه الآيات التي في خاتمة السورة، لما ذكر الله ما يجري يوم القيامة، ومصير هؤلاء ومصير هؤلاء بدؤوا يسألون، ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾ [النازعات: ٤٢]، متى وقوعها؟

مرسى الشيء وقوعه، ومنه مرسى السفينة؛ لأنها تمضي وتقطع البحار ثم ترسو في مكان، رسوها هذا هو نهايتها، والله عَزَّ وَجَلَّ قال في الساعة: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾ [النازعات: ٤٢]، متى وقوعها؟ متى تقطع؟ يسألون: متى تقع؟ لا تسأل عن وقوعها؛ بل اسأل ماذا أعددت لها، ما الذي أنت الآن؟ وما موقوفك منها؟

ما هي الساعة؟

الساعة هي: يوم القيامة، لماذا سميت ساعة؟ لأنها هي وقت حلول اليوم الآخر، ولذلك تسمى الساعة، يعني عُرف الآن في القرآن وعند الناس أنه إذا قيل: الساعة، مجيء الساعة، علامات الساعة، أشراط الساعة أن المراد بالساعة هو يوم القيامة، وإن كان الساعة تُطلق ويراد بها الزمن، يُراد بها الوقت، ولذلك يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ﴾ [الروم: ٥٥]، يعني القيامة، ﴿يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ﴾ [الروم: ٥٥]، يعني زمن، غير ساعة يعني لحظة قليلة.

يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هنا: ﴿أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾ [النازعات: ٤٢]، قال الله مخاطبًا؛ لأن السؤال موجه إلى الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والسورة كلها تخاطب المشركين من أولها، ولم يوجه خطاب إلى الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلا في هذا الأخير، قال: ﴿فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا﴾ [النازعات: ٤٣]، يعني كيف ستذكرها لهم؟ وكيف يسألونك وأنت ما عندك علم عنها، ليس عندك علم يا محمد، كأنك حفي كأنك حريص جدًا على معرفتها، وما عندك علم فيها فكيف يأتون إليك؟ ﴿فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا﴾ [النازعات: ٤٣]، أنت ما عندك علم، وهذا استفهام موجه إلى الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ أنه ليس لديه علم فيها حتى يسألونه، ولهذا لما جاءه جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ وسأله عن الإسلام وعن الإيمان وعن الإحسان، سأله عن الساعة؛ قال: **«ما المسئول عنها أعلم من السائل»**، لا أنا أدري ولا أنت تدري، ولذلك قال: ﴿فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا ۝٤٣ إِلَى رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا﴾ [النازعات: ٤٣، ٤٤].

علمها ونهايتها عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ولذلك الله أخفاها عن الخلق جميعًا، عن الرسول والأنبياء والملائكة وجميع الخلق، حتى قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في سورة طه: ﴿أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾ [طه: ١٥].

قال أهل التفسير: معناه أكاد أخفيها عن نفسي، من شدة خفائها حتى كاد سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن يخفيها عن نفسه، هذا لشدة إخفاء موعد وقوع الساعة، ﴿فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا ۝٤٣ إِلَى رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا﴾ [النازعات: ٤٣، ٤٤].

ثم بيّن سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وظيفة محمد حتى يفهم هؤلاء لما يسألون سؤال تعنت وسؤال استهزاء وسخرية واستبعاد، يُبين لهم جَلَّ وَعَلَا أن وظيفة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هي: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشَاهَا﴾ [النازعات: ٤٥]، أنت نذير، أن تحذر، أنت تذكر الناس بهذا اليوم الذي سيجمع الله فيه الأولين والآخرين.

قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشَاهَا﴾ [النازعات: ٤٥]، طيب وغير الذي يخشاها لا ينذره؟ نقول: ينذر من يخشاها ومن لا يخشاها، لكن خص الذي يخشاها لأنه هو المنتفع، مثل قوله تعالى عن القرآن: ﴿هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢]، وفي موضع ثاني قال: ﴿هُدًى لِلنَّاسِ﴾ [البقرة: ١٨٥].

كيف هدًى للناس وللمتقين؟

نقول: هو هدًى عام، لكن المنتفعون حقيقة بالقرآن الذين يهتدون به هم المتقون، ولذلك هنا يقول: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشَاهَا﴾ [النازعات: ٤٥]، الذي يخشى هذه هو الذي يستفيد من النذارة، وكأن هذه رسالة لهؤلاء الذين يسألون، كيف تسألون عن وقوعها وأنتم ما تخشونها؟ أولًا

اخشوا هذا اليوم، واستعدوا لهذا اليوم، واعملوا لهذا اليوم ثم بعد ذلك اسألوا، أما أن تسأل عن شيء وأنت غير مستعد له، فهذا من السفاهة.

قال: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشَاهَا ۝٤٥ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا﴾ [النازعات: ٤٥، ٤٦]، انتقل الكلام إليهم إلى هؤلاء المنكرين، يقول: هؤلاء ما يخشونها ولا يخافون منها، كأنهم إذا جاء يوم القيامة وعرضوا على ربك وحشروا في هذا اليوم ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا﴾ [النازعات: ٤٦]، يوم يرون الساعة ويوم القيامة، ﴿لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾ [النازعات: ٤٦].

قال بعض أهل التفسير: كأنهم لم يلبثوا في قبورهم، ﴿مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا﴾ [يس: ٥٢]، كأنهم لم يلبثوا في قبورهم إلا ساعة أو إلا عشية أو ضحاها، وقيل: بل كأنهم لم يلبثوا في الدنيا، والأمران صحيحان كأنه لم يلبث في الدنيا إلا لحظة، وأنت لو تأتي إلى شخص الآن من المعمرين وتسأله كم من الوقت مر عليك في هذه الدنيا؟ لقال: مرت علي بلحظة، ولذلك نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ الذي جاوز الألف سنة ، في دعوته ألف إلا خمسين، غير عمره، لما سئل في آخر حياته: ما هي الدنيا أمامك؟ قال: كأني دخلت من باب وخرجت من آخر، هذه هي الدنيا، دنيا سريعة تمضي، لكن العبرة بالعمل في هذه الدنيا لأن الدنيا تمضي والأيام تمشي وسريعة، وأنت في آخر الزمان والأيام أسرع، فعليك أن تستعد، ولذلك كأنهم لم يلبثوا إلا في هذه الدنيا إلا عشية أو ضحاها، ولم يلبثوا في قبورهم أيضًا إلا عشية أو ضحاها، فإذا كان الأمر كذلك فالعاقل الحصيف عليه أن يستعد.

هنا سؤال:

أيهما أطول العشية أو الضحى؟

الله عَزَّ وَجَلَّ قدم العشية، العشية أطول، لماذا؟ لأن العشية تبدأ من بعد زوال الشمس، زوال الشمس دخول وقت الظهر، فمن هنا إلى غروب الشمس هذا وقت العشي، يسمى وقت العشية، ويسمى الأصيل، وقت الأصيل، ﴿بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ [الأعراف: ٢٠٥]، وقت الأصيل نهاية النهار، النصف الثاني من النهار، أطول من النصف الأول، وهذا على حسب، يعني أحيانًا في ارتفاع الوقت وارتفاع الشمس وطول النهار وقصره يختلف.

قال: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً﴾ [النازعات: ٤٦]، يعني نصف نهار، ﴿أَوْ ضُحَاهَا﴾ [النازعات: ٤٦]، أي ضحى هذا اليوم، وإن كان الضمير يرجع إلى العشي فهذا جائز في لغة العرب، ولكنه يفهمه العاقل أن المراد بالضحى ضحى هذا اليوم وعشية هذا اليوم، إذا كانت هذه سرعة الدنيا وممرها السريع، والإنسان لا يدري متى ينزل به الموت وينتقل من هذه الحياة، عليه أن يستعد وعليه أن يعمل، يعمل في دار العمل حتى إذا انتقل انتقل على خير، ومن عاش على شيء مات عليه، ومن مات على شيء بُعث عليه، ومن بُعث على شيء لقي جزاءه، فالإنسان يعمل في الدنيا على الخير، ويموت على الخير، ويُبعث على الخير، ويلقى جزاء الخير، ويسأل الله الثبات، ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

هذه وصية الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى للأولين والآخرين، أسأل الله أن ينفعنا بما قلنا، هذه السورة الحقيقة سورة عظيمة جليلة، عشنا معها لقاءات ماضية وتأملناها وتدبرناها، نقرأها، لكن قراءة التأمل والتدبر والتفكر والتفسير يختلف عن ذلك، ولذلك الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يأمرنا دائمًا بالتدبر، ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ﴾ [ص: ٢٩]، تتفكر في آية وتتأمل فيها ينفع الله بك وينفع الله أيضًا غيرك، أسأل الله أن ينفعنا وإن يبارك لنا، إلى لقاء قادم إن شاء الله نستمر فيما بقي من هذه السور الكريمة العظيمة، أسأل الله أن ينفعنا بما قلنا وما سمعنا.

والله أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الدرس (١٢)

بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه إلى يوم الدين، اللّهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم.

أيها الأخوة الكرام السلام عليكم ورحمة وبركاته

وحياكم الله في هذا اللقاء المبارك، في هذا اليوم وهو اليوم السابع والعشرين من شهر ذي الحجة من عام ١٤٤٣ من الهجرة، أسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن يبارك لنا في أوقاتنا وفي أعمارنا، وأن يجعل أعمارنا كلها عامرة بطاعة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ويجعل أوقاتنا كلها في رضا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، القرآن الكريم هو كتاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، أنزله علينا باقيًا غضًا طريًا لنتأمله، ولنتدبره، أمرنا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بقراءة القرآن وتلاوته وتدبره والعمل به، لابد أن يكون المسلم له عناية بكتاب الله قراءةً وتلاوة وتدبرًا وتأملاً وتفكرًا وتفسيرًا وفهمًا وتطبيقًا في حياته وعملاً بهذا القرآن الكريم.

في هذه المجال المباركة في هذا المجلس نتناول سورًا من كتاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وفيما مضى تناولنا بعض السور، واليوم أمامنا وبين أيدينا سورة عظيمة من سور القرآن الكريم، والقرآن كله عظيم، وسوره كلها عظيمة، هذه السورة سورة (عبس) على الصحيح إذا وقفت عليها تقف بالسكون، ما تقول: (عبسَ) العرب إذا وقفوا سكنوا، وإذا ابتدؤوا حركوا، حتى الساكن إذا بدأت به تحركه، والمتحرك إذا وقفت عليه تسكن، تقول: جلسْ، ونامْ، وعبسْ، وهكذا.

هذه السورة هي من السور المكية، بمعنى أنها نزلت بمكة قبل الهجرة، ونحن نعرف جميعًا أن السور المكية ما تواجه من الناس أو من الذين تواجههم من الناس؟ وما نوعهم؟ وأيضًا نعرف السور المدنية طبيعتها وكيف تواجه الناس؟

السور المكية تواجه مشركين معاندين، لا يقبلون الدعوة، لا يقبلون النقاش، لا يقبلون الجدال،

همهم أنفسهم، ولا يريدون أن يغيروا من حقائقهم أو مما هم عليه، هذا أمر.

الأمر الثاني: أن هذه السورة سورة (عبس) تعد من أوائل ما نزل، يعني أنها نزلت قديمًا في أول الدعوة، الذي ينظر إلى هذه السورة أو كلنا جميعًا حتى يعني يحصل له تدبر وتأمل، أنت تقرأ هذا واضح كلٌ يقرأ، لكن هل تتأمل، هل تتفكر في هذه الآيات؟ هل هذه الآيات تستوقفك حتى تقف عنده وتتأملها؟ هذا هو المطلوب، الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يقول: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾ [النساء: ٨٢]، حث، ﴿لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ﴾ [ص: ٢٩]، ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ﴾ [المؤمنون: ٦٨]، كل هذا حث على تدبر القرآن وتأمله، أنت لما تنظر هذه السورة، هذه السورة وجه واحد في المصحف، انظر إليها تأملها، اقرأها من أولها إلى آخرها، وأعد القراءة مرة ومرتين وتأمل ستخرج بإذن الله بنتيجة، هذه هي القراءة الحقيقية، القراءة الحقيقية أن تخرج بنتيجة.

طيب أنت تنظر إلى هذه السورة، الحقيقة هذه السورة تعرضت لعدة قضايا مهمة، وهي تدور في الحقيقة عندما تريد أن تتأملها، هي تدور في الحقيقة على أن هذا القرآن جاء تذكرة، تذكير، موعظة، إحياء الناس، في بيان لماذا خلقوا؟ لماذا خلق الله الناس؟ ما الغرض من خلقهم؟ ما نهايتهم؟

هذا القرآن هو موعظة، السورة كلها تدور على حقيقة القرآن والغاية والهدف من هذا القرآن، ثم تتعرض لعدة قضايا.

من أشهرها ثلاث قضايا:

القضية الأولى: خلق الإنسان، ﴿مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ۝١٨ مِنْ نُطْفَةٍ﴾ [عبس: ١٨، ١٩]، أصلك ما هو؟ ومن أين جئت؟ ثم إن الله لما خلقه تكفل برزقه، ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾ [عبس: ٢٤]، ثم أنك أيضًا تتأمل في مصيرك، أنت لن تبقى في هذه الدنيا، ولو بقيت لن تبقى طويلاً، سيكون مصيرك إلى أين؟ ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ﴾ [عبس: ٣٣]، في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ﴾ [عبس: ٣٤].

إذًا عندنا ثلاث قضايا مهمة عقدية:

١. خلق الإنسان من أين أتى؟

٢. كيف خلقه الله؟

٣. كيف أوجده الله؟

لما أوجده تكفل برزقه، أوجد له الرزق، ثم يعيش في هذه الدنيا، ثم ينتقل، ﴿كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ﴾ [عبس: ٢٣]، ثم ينقتل، ﴿ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ﴾ [عبس: ٢٢]، متى ينشره؟ إذا جاءت الصاخة، إذًا هذه قضايا مهمة يتقدمها عظمة القرآن، يتقدمها أهمية القرآن أنه تذكره، ﴿كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ۝١١ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ﴾ [عبس: ١١، ١٢]، هذه حقيقة هذه السورة.

قبلها التذكير بالقرآن وبيان دور القرآن في هذه الحياة، قبلها موقف، موقف حصل للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو أوائل السورة، هذا الموقف هو موقف عارض، موقف عارض لكن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أوقفنا عنده، أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان حريصًا على دعوة قومه، وجاءه رجل أعمى يقال له: عبد الله بن أم مكتوم، كان من خيار الصحابة من المهاجرين، ممن أسلم قديمًا، كان رجلاً أعمى لا يُبصر، ولذلك القرآن صرح بهذه الصفة، ﴿أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى﴾ [عبس: ٢]، لماذا صرح بهذا الاسم مع أن بعض الناس لا يقبل مثل هذا الشيء أن تصفه بهذا الوصف؟ الله صرح به حتى يُعذر، يعني جاءك رجل هو أعمى لا يدري، فاعذره، اقبل عذره لأنه لا يبصر، ولا يدري أنك قد انشغلت بأمر آخر.

السورة في أولها تتحدث عن هذا الحدث الذي وقع للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كان مشغولًا بالدعوة ولم يكن مشغولًا بأمور أخرى من أمور الدنيا، وإنما مشغول بدعوة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ويأتيه رجل يعني يريد منه أن يقف معه وأن يأخذ ويعطي معه وهو قد انشغل بما كلف به من الدعوة، والقصة يعرفها الجميع، وهي أن عبد الله بن أم مكتوم جاء إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكان مشغولًا ببعض المشركين يدعوهم لأن إسلام أحد المشركين أو بعض كبار المشركين سيسلم من وراءه، سيسلم عدد كبير، فالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ انتهز الفرصة بدعوة كبار المشركين، وهذا الرجل يأتي ويسأله عن دينه، يسأل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان مشهورًا بهؤلاء، فعبس بوجه هذا الرجل وقطب، واكفهر وجهه لهذا الرجل، وتولى أعرض عنه، والقرآن لم يترك هذا الموقف حتى

مع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هذا الموقف لم يتركه، ولهذا جاء القرآن وجاء خطاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، بعتاب رقيق لطيف، بأسلوب يفهمه من يفهمه، ولذلك افتتح الله السورة بقوله: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾ [عبس: ١]، بصيغة الماضي، بصيغة شخص بعيد عنه، ما قال مخاطبًا نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يا محمد قد عبست وتوليت؛ لأن صيغة العبوس والتولي صفة لا تليق بداعية يدعو إلى الله، كيف تدعو الله؟ وكيف تنصح ويكون فيك هذا التصرف أو هذه الصفة؟ ولذلك الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بعتاب لطيف قال: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾ [عبس: ١]، من هو؟ رجل بعيد، مع أن الخطاب للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والسورة تنزل على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومع ذلك يُخاطبه كأنه رجل بعيد، ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى ۝١ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى﴾ [عبس: ١، ٢].

ثم غير الخطاب وقال: وما يدريك يا محمد لعله يزكى، فغير الخطاب، وهذا يسميه علماء البلاغة الالتفات في الضمائر وفيه أسرار، وفيه لطافة وفيه حسن خطاب حتى لا يكون فيه نوع من التعنيف، ولذلك جاء بهذا، ويتدرج باللطافة في الخطاب يأتينا التدرج فيه.

قال: ﴿عَبَسَ﴾ [عبس: ١]، عرفنا العبوس هو تغير الوجه، الإنسان إذا حصل له نوع من الغضب أو نحو ذلك تغير وجهه، فعبس في وجوه الآخرين، وقطب وجهه، ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾ [عبس: ١].

لو سألك سائل وقال:

ما الفرق بين عبس وتولى؟

فنقول: عبس بوجهه، وتولى ببدنه، تولى يعني أعرض ببدنه، فالنبي حصل له هذا الأمر مع هذا الرجل الأعمى، ﴿أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى﴾ [عبس: ٢]، بسبب مجيء هذا الأعمى يفعل كذا وكذا؟ كيف يفعل هذا الشخص؟ وكأنه شخص غائب لم يخاطبه مواجهة، شخص غائب، ﴿أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى﴾ [عبس: ٢].

ثم واجهه بالخطاب؛ قال: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى ۝٣ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى﴾ [عبس: ٣، ٤]، فهذا جاء يزكي نفسه، جاء يطهر نفسه من الشرك والكفر والمعاصي، ﴿أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ

الذِّكْرَى ﴾ [عبس: ٤]، جاء يتذكر ما عندك فينتفع بما عندك، قوله: ﴿ وَمَا يُدْرِيكَ ﴾ [عبس: ٣]، القرآن أحيانًا يقول: ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ ﴾ [الحاقة: ٣]، وأحيانًا يقول: ﴿ وَمَا يُدْرِيكَ ﴾ [عبس: ٣]، هل نعرف الفرق بينهما؟

هنا قاعدة عند المفسرين: إذا جاءت كلمة ﴿ وَمَا يُدْرِيكَ ﴾ [عبس: ٣]، ما أحد يعلم حتى الرسول، ما أحد يدري، وإذا جاءت كلمة ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ ﴾ [الحاقة: ٣]، الجواب موجود في الآية، ولذلك في الساعة قال: ﴿ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴾ [الأحزاب: ٦٣].

فكلمة: ﴿ وَمَا يُدْرِيكَ ﴾ [عبس: ٣]، دائمًا خذها قاعدة: الجواب غير موجود ولا أحد يستطيع أن يصل إلى جواب، وإذا جاءت كلمة ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ ﴾ [الحاقة: ٣]، الجواب موجود على طول، ولذلك ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ۝٢ النَّجْمُ الثَّاقِبُ ﴾ [الطارق: ٢، ٣]، ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ۝٣ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ ﴾ [القارعة: ٣، ٤]، الجواب كله موجود دائمًا، ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ ﴾ [القارعة: ٣]، الجواب موجود، أما ﴿ وَمَا يُدْرِيكَ ﴾ [عبس: ٣]، غير موجود.

قال: ﴿ أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى ﴾ [عبس: ٥]، من هؤلاء المشركين، ﴿ فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى ﴾ [عبس: ٦]، تستقبل بهذا الأمر، والدعوة عامة للصغير والكبير والضعيف والغني، وهكذا، ﴿ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى ﴾ [عبس: ٧]، أنت عليك الدعوة والبلاغ، أما أن يتطهر ويسلم هذا ليس إليك؛ بل إلى الله، الهداية عند الله، ما تملكها أنت، لا أنت ولا غيرك، عليك أن تدعو إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ولذلك أنا قلت لكم: السورة مبنية على أن هذا القرآن كتاب دعوة، كتاب حياة الناس، وهذه كأنها مقدمة، ﴿ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى ﴾ [عبس: ٧].

قال: ﴿ وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى ﴾ [عبس: ٨]، هذا الرجل كيف يصفه القرآن ويرفع مكانته؟ جاء منطلقًا مسرعًا، مسرعًا يريد الخير، ﴿ وَهُوَ يَخْشَى ﴾ [عبس: ٩]، يصفه بالخشوع والخوف من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والخشية، ﴿ فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى ﴾ [عبس: ١٠]، كيف يحصل منك هذا الشيء؟ كل هذا أسلوب لطافة، عتاب بأحسن طرق العتاب، ﴿ كَلَّا ﴾ [عبس: ١١]، هذه كلمة قوية، ليس الأمر

كما فعلت ما محمد أو يفعله غيرك، ﴿كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ﴾ [عبس: ١١]، أي هذه السورة، وهذه الدعوة وهذه الرسالة إنها تذكرة للخلق جميعًا، ﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ﴾ [عبس: ١٢]، مجرم، طاغية، مسلم، ضعيف، قوي، من شاء ذكره المجال مفتوح، وهذا الأسلوب أسلوب تهديد وتخويف، ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩]، ليس الأمر أنت ودك تتذكر وتسلم أو ما ودك لا، المسألة ليست كذلك وإنما يقول لك: الطريق أمامك، فمن شاء سلكه فسينجو، ويسلم ويسعد، ومن تركه فسيشقى ويضل الطريق أمامه، ﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ﴾ [عبس: ١٢].

ثم بدأ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يثني ويمدح هذا القرآن العظيم الذي قلنا: هو أصل هذه السورة، ﴿فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ﴾ [عبس: ١٣]، أي هذا القرآن محفوظ بالصحف المكرمة، سواء عند الملائكة في الملأ الأعلى أو عند الخلق، ﴿مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ﴾ [عبس: ١٤]، ما معنى مرفوعة؟ أي رفيعة الشأن، رفيعة المقام، رفيعة المكانة، ﴿مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ﴾ [عبس: ١٤]، بعيدة عن الدنس ونحوه، ومن هذا أخذ أهل العلم أنه ينبغي أن يكون المصحف في مكان عالي، لا يوضع على الأرض، وأن يكون بعيدًا عن الأدناس أو عما لا يليق به، لا يوضع في الأماكن التي لا تليق، لا يُدخل به إلى دورات المياه، لا يوضع في أماكن لا تليق، بل يُحفظ؛ حتى نص أهل العلم أنه لا يُساف به إلى ديار الكفر حتى لا يُهان.

قال: ﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ﴾ [عبس: ١٥]، هم الملائكة، لو سألنا ما معنى سفرة؟ الكثير من الناس يقرأ هذه الكلمة ويمكن يفهما خطأ أو لا يفهمها، السفرة جمع سافر، والسافر معناه الكاتب، وليس من السفر ما له علاقة بالسفر، السفرة جمع سافر والسافر معناه الكاتب، ومنه الأسفار، ﴿يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ [الجمعة: ٥]، الأسفار جمع سفر، والسفر هو الكتاب، الكتاب الضخم، فمعنى وصف الملائكة بالسفرة أي الكتاب.

قال: ﴿كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾ [عبس: ١٦]، الكرام هم المكرمون الذين كرمهم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وهم الملائكة، ﴿بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٦]، كرمهم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ورفع من شأنهم، ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ﴾ [التحريم: ٦]، لا يقعون في معصية، ﴿كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾ [عبس: ١٦].

ما معنى برزة؟ جمع، ما مفردها؟ مفردها بر، غير الأبرار، الأبرار مفردها بار، تقول: هذا رجل بار، بارٌ بوالديه، بارٌ بأهله، وهؤلاء أبرار، ﴿وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾ [آل عمران: ١٩٣]، هؤلاء أبرار، البررة أعظم وصف، البررة مفردها بر يعني كثير الخير لا يقع منه شر، وهم الملائكة، ﴿كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾ [عبس: ١٦].

إذًا خلاصة الكلام حتى نختم هذا المجلس:

السورة عندما تقرأها تتأملها، وتعيش معها، هذا الكنز العظيم الذي ينبغي لك أن تقف عنده وتعيش معه، هذه السورة العظيمة هي سورة مبنية على تعظيم هذا الكتاب العظيم القرآن الكريم، تعظيمه وبيان مكانته وقدره كما عظمه الله وعظمته الملائكة، فتعظمه هذه الأمة، هذا الكتاب للأمة لأمة محمد ينبغي تعظيمه.

حدث ما حدث قبل هذا الأمر وهو ما حدث للنبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ جاء عرضًا، ووجه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذا التوجيه العظيم، فتتوجه الأمة بهذا التوجيه، ثم بعد ذلك تنتقل السورة لخلق الإنسان ورزقه ومصير هذا الإنسان، يأتي الحديث عنه إن شاء الله في لقاء قادم، أسأل الله أن ينفعنا بما قلنا وبما سمعنا، وأن يرزقنا وغياكم العلم النافع والعمل الصالح، وأن يجعلنا وإياكم هداة مهدتين موفقين لكل خير، مفاتيح للخير، مغاليق للشر.

والله أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ



بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه إلى يوم الدين، اللّٰهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا وارزقنا العلم النافع والعمل الصالح.

أيها الأخوة الكرام السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وحياكم الله في لقاءنا المعتاد لقاء الثلاثاء، وهذا اليوم هو اليوم الرابع من شهر الله المحرم من عام ١٤٤٤ من الهجرة، أسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن يجعل اجتماعنا هذا اجتماعًا مرحومًا، وتفرقنا من بعده تفرقًا معصومًا.

خير ما يقضي المسلم وقته مع القرآن العظيم، كتاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى المعجز، هذا الكتاب المعجز الذي أعجز الخلق جميعًا ولو اجتمعوا في ساحة واحدة أن يأتوا بآية واحدة من مثل هذا الكتاب لن يستطيعوا أبدًا، هذا القرآن أيها الأخوة أنزله الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لنتأمله، لنتدبره، لنعمل به، اجتماعنا هذا تحفه الملائكة، وتغشاه الرحمة، وتنزل عليه السكينة، النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخبر عن عظمة هذا القرآن وفضله وفضل تعلمه، فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مرة لأصحابه: **«أيعجز أحدكم أن يذهب إلى بطحان أو إلى العقيق»**، مكان قريب من المدينة **«ويحصل على ناقتين كوماوين أي سمينة طيبتين، قالوا: يا رسول الله كلنا لا يعجز، قال: يذهب أحكم إلى بيت من بيوت الله يتعلم آية أو آيتين خير له من ناقة وناقتين وثلاث خير له من ثلاث، وأربع خير له من أربع»**.

لو جلست في مثل هذه المجالس الطيبة وتعلمت آيتين ثلاث لحصل لك هذا الفضل العظيم، السورة التي تناولناها في لقاءنا الماضي مثل ما مر معنا هي سورة (عبس) وتأملناها وأخذنا شيئًا منها، السورة إذا نظرت إليها نظرة عامة وهذا يحثك على التدبر والتأمل أن تقرأ السورة وتنظر إليها نظرة عامة تتأملها، تعرف أن كل سورة له مقصد ولها هدف، كل سورة من القرآن سواء كانت سورة طويلة

كالبقرة أو قصيرة حتى ولو كانت ثلاث آيات مثل سورة الكوثر لها هدف ولها غاية، ينبغي للمسلم أن يقف عند هذا المقصد.

سورة (عبس) هذه السورة العظيمة هدفها وغايتها بين عظمة هذا القرآن الكريم، ﴿كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ۝١١ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ﴾ [عبس: ١١، ١٢]، وعظم الله هذا الكتاب لما قال: ﴿فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ ۝١٣ مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ ۝١٤ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ﴾ [عبس: ١٣ - ١٥]، أي الملائكة، وعظمه غاية التعظيم، وعرفنا أن السورة تدور حول هذا الأمر وبيان موقف من أقبل على هذا القرآن وأراد الاستفادة منه، وبيان من أعرض عن هذا القرآن واستغنى، ثم بعد ذلك لما بين الله عظمة هذا القرآن وموقف هذا المقبل وموقف هذا المعرض بين سبب إعراض هذا الإنسان، ما هو؟ ما الذي دعاه أن يعرض وألا يُقبل على هذا القرآن؟ هو كُفره وطُغيانه واستكباره، ولذلك الله ذم مثل هؤلاء الذين يستكبرون ولا يريدون الحق، ولا يقبلون على القرآن الكريم، ذمهم الله بقوله تعالى: ﴿قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ﴾ [عبس: ١٧].

هذه الآية وقف عندها أهل البلاغة وقفة عجيبة، جمعت من معاني البلاغة الشيء العجيب الذي حير أهل البلاغة، ﴿قُتِلَ الْإِنْسَانُ﴾ [عبس: ١٧]، هذه الصيغة ماذا تسمى؟ هذه الصيغة يسميها أهل البلاغة صيغة الذم، وصيغة السب، والشتم، واللعن، ﴿قُتِلَ الْإِنْسَانُ﴾ [عبس: ١٧]، يعني لُعن الإنسان ما أكفره، فكلمة، (قُتل) معناه لُعن، ﴿قَاتَلَهُمُ اللَّهُ﴾ [التوبة: ٣٠]، أي لعنهم وطردهم وأبعدهم عن رحمته، فقوله: ﴿قُتِلَ الْإِنْسَانُ﴾ [عبس: ١٧]، هذا الإنسان المقصود به الكافر، ليس كل إنسان؛ بل المقصود به الكافر، كيف عرفت أنه الكافر؟ بعدها قال: ﴿مَا أَكْفَرَهُ﴾ [عبس: ١٧]، فالإنسان هنا الكافر.

قوله: ﴿قُتِلَ الْإِنْسَانُ﴾ [عبس: ١٧]، أي لعن وطُرد وأُبعد وأُقصي عن رحمة الله، هذه الصيغة صيغة سب وشتم ولعن، ثم بعدها قال: ﴿مَا أَكْفَرَهُ﴾ [عبس: ١٧]، هذه صيغة بلاغية، يسميها العلماء صيغة التعجب، تتعجب من شدة كفره وطغيانه واستكباره، ﴿قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ﴾

[عبس: ١٧]، ما أشد كفره وأشد إعراضه وأشد عدم قبوله للحق ما أكفره، ﴿قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ﴾ [عبس: ١٧].

ثم قال بعدها: ﴿مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ [عبس: ١٨]، هذه الصيغة صيغة استفهام، وليس استفهام على حقيقته استعلام، فالله يعلم، لكنه استفهام إنكار وتوبيخ، ﴿مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ [عبس: ١٨]، استفهام إنكار، استفهام تقرير، يُنكر عليه ويُقرر عليه في نفس الوقت، ﴿مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ [عبس: ١٨]، من أي شيء خُلق هذا الإنسان حتى يتكبر؟ لماذا تتكبر؟ من أين أنت حتى تتكبر؟ ما أصلك؟ ثم أجاب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قال: ﴿مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ﴾ [عبس: ١٩]، والنطفة هي الماء الرقيق القليل، والكل يعرف النطفة هي أصل الإنسان الماء، ﴿مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ۝١٨ مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ﴾ [عبس: ١٨، ١٩].

يقول: خُلقت أنت أيها المتكبر المتغطرس المُعرض الذي لا تقبل الحق أنت أصلك ماء مهين، خُلقت من هذا الماء فلماذا تتكبر؟ ﴿مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ﴾ [عبس: ١٩]، لما خلقه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، خلقه بتقدير، فقدره في بطن أمه تقديرًا عظيمًا، ﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ﴾ [المرسلات: ٢٣]، فقدر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مدة بقائه في بطن أمه أيامًا وأشهرًا.

قال: ﴿مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ﴾ [عبس: ١٩]، الإيجاز والإطناب من بلاغة القرآن الكريم، أوجز لك حياة الإنسان في بطن أمه المرحلة الأولى، كلها بكلمتين ﴿مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ﴾ [عبس: ١٩]، قدره أن يبقى هذه المراحل التي يمر بها ثم يخرج.

قال: ﴿ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ﴾ [عبس: ٢٠]، السبيل ما المراد به؟ اختلف المفسرون في معنى السبيل، بعضهم قال: السبيل هو سبيل الخير والشر، ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٣]، ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ [البلد: ١٠]، طريق الخير والشر، ﴿ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ﴾ [عبس: ٢٠]، يعني لما خلقه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وأوجده في هذه الدنيا بين له معالم الخير ومعالم الشر، فاسلك طريق الخير أو اسلك طريق الشر، هذا رأي وقول لبعض المفسرين.

والقول الثاني: ﴿ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ﴾ [عبس: ٢٠]، أي يسر له طريقه في خروجه من بطن أمه، هو في بطن أمه فقدر الله له هذه المدة، وهذه المراحل، لما انتهت السبيل يسره، لو لم ييسر الله له السبيل لما خرج، ولكن الله يسر له وسهل له السبيل والسبيل يسره.

قولان للمفسرين: الذي يؤيد سياق الآية والحديث عن هذا الإنسان هو أن يقال: إن السبيل هو خرجه من بطن أمه، بدليل ما قبل الآية وما بعد الآية حتى نتأمل أكثر.

قال: ﴿مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ ۝١٩ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ۝٢٠ ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ﴾ [عبس: ١٩ - ٢١]، إذًا هي تمر بمراحل حياة الإنسان كلها، ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ﴾ [عبس: ٢١].

العجيب أيها الأخوة الحياة لم تذكر، طويت لحقارتها وعدم الالتفات إليها، ﴿فَقَدَّرَهُ ۝١٩ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ﴾ [عبس: ١٩، ٢٠]، إلى الدنيا خرج، ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُ﴾ [عبس: ٢١]، أين الحديث عن الدنيا وعن حياته؟ ما ذُكر، وهذه الآية مثلها في سورة المؤمنون، ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ﴾ [المؤمنون: ١٢]، وقال: ﴿فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ۝١٤ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ﴾ [المؤمنون: ١٤، ١٥].

أين الحياة؟ ما في ذكر، وهذا لحقارتها، لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح، ليس بعوضة؛ بل جناح بعوضة، يعني ما تسوى الدنيا شيء حتى الإنسان يؤمل فيها ويعيش من أجلها، ويظلم ويكذب ويأخذ حقوق الناس، ثم في آخر المطاف يُوقف ويُحاسب، ويترك الدنيا وراءه، لن تخرج بشيء من هذه الدنيا، جئت وليس معك شيء، وتخرج وليس معك شيء إلا عملك الصالح.

قال: ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ﴾ [عبس: ٢١]، فأقبره غير فقبره، أقبره يعني أمر بقبره، قبره يعني باشر دفنه، الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يأمر ولا يباشر، ولذلك حتى هذه وقف عندها الإمام الفراء وهو من علماء اللغة وقفة عجيبة، قال: فرق بين قبره وأقبره، أقبره أي أمر بقبره، قبره أي باشر دفنه، وهذا الفرق بينهما، أماته الله هو الذي أماته لا يميته أي مخلوق إلا الله، هذا من خصائص الله، أقبره هو الذي أمر بقبره، ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ﴾ [عبس: ٢١]، هذا من إكرام الله لهذا الإنسان أن الله جعل له هذا القبر، يُكرم فيه ويُدفن فيه لا كسائر الحيوانات تلقى في الطرقات وتأكلها السباع أو تلقى في النفايات

والزبالات، هذا الإنسان كرمه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فجعل له هذا القبر الذي يُحفظ فيه.

قال: ﴿ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ﴾ [عبس: ٢٢]، أنشره يعني بعثه أخرجه من قبره، نشرت الشيء على المنشر أي أخرجته ووضعه، فهو إخراج من القبور، ﴿ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ﴾ [عبس: ٢٢].

لاحظ أنه قال: ﴿إِذَا شَاءَ﴾ [عبس: ٢٢]، ما قال: ثم انشره، ثم أقبره؛ بل قال: ﴿ثُمَّ إِذَا شَاءَ﴾ [عبس: ٢٢]، لأن يوم القيامة ما أحد يعرفه، مخفي لا يعلمه إلا الله، فالذي إذا أراد مجيئه هو الله الذي يريد مجيئه وحلول ذلك اليوم، قال: ﴿ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ﴾ [عبس: ٢٢].

ثم قال بعدها: ﴿كَلَّا﴾ [عبس: ٢٣]، كلمة زجر وردع لهذا الإنسان الطاغية المسرف المعرض عن ذكر الله، يقول: ﴿كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ﴾ [عبس: ٢٣]، يعني لم يقض هذا الإنسان حقوق ربه؛ بل أهملها وضيعها، وكلمة لما في لغة العرب تختلف عن لم، لم للنفي المطلق، ولما لنفي سيأتي، يقول: هل حضر زيد؟ تقول: لمّا يحضر، يعني سيحضر، ولما يقول: هل حضر زيد؟ وتقول: لم يحضر، هذا خلاص مطلقًا لم يحضر، أما لمّا يعني سيحضر.

قال: ﴿كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ﴾ [عبس: ٢٣]، أي لن تقوم الساعة حتى كل إنسان يقضي ما أمره، وهذا الإنسان لم يقض ما أمره، لأنها جاءت بالنفي، لم يقض ما أمره الله وفرضه عليه وشرعه له، وأوجبه عليه، لم يقض هذا الإنسان ما أمره.

الحديث أيها الأخوة عن خلق الإنسان وإيجاده وبيان الفرق بين المؤمن والكافر؛ لأن الله ذم في هذه الآيات الكافر، الطاغية، المسرف، ومن دلالة المفهوم إذا ذم الله هذا فإن ما سواه.. الذي عرف ربه وعرف من أين جاء؟ وإلى أين يذهب؟ سيعرف حقوق الله، وسيأتي بحقوق الله ما استطاع، ففرق بين هذا وهذا.

السورة لما بينت عظمة هذا القرآن وموقف الناس المعرض والمستغني والمقبل على هذا القرآن الذي جاء يسعى، بيان عظمة القرآن وبيان أصل هذا الإنسان، من أين جاء هذا المتكبر؟ بعدما بين الله خلق هذا الإنسان تأتي الآيات بعدها تبين رزق هذا الإنسان، ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾ [عبس: ٢٤]، رزق هذا الإنسان، خلقه ورزقه ثم نهايته، ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ﴾ [عبس: ٣٣]،

انتهى أمره وهذا مصيره، إن شاء الله يأتي الحديث عن بيان رزق هذا الإنسان، ثم الحديث عن نهاية هذا الكون كله ومصير الخلق جميعًا.

أسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن ينفعنا بما قلنا، وبما سمعنا وأن يجعلنا وإياكم هداة مهتدين موفقين لكل خير، والله أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الدرس (١٤)

بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه إلى يوم الدين.

أيها الأخوة الكرام السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن يرزقنا وإياكم العلم النافع والعمل الصالح، وأن يجعلنا وإياكم هداة مهتدين موفقين لكل خير، في هذا المجلس الطيب من مجالس القرآن الكريم في مثل هذا اليوم من كل ثلاثاء نعيش الحقيقة مع القرآن الكريم، نتلو هذه الآيات ونتدبرها ونتأملها، وخير مجلس يُقضى في الحقيقة أن يكون مع كتاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قراءة وتدبرًا وتأملاً، والقراءة غير التدبر، التدبر والتأمل هذا يجعلك تعيش شيء آخر تتأمل هذه الآيات العظيمة، السورة التي ما زلنا نتأملها ونتدبر آياتها هي سورة (عبس) التي مر شيء من آياتها، والحقيقة هذه السورة هي تدور حول عظمة هذا القرآن الذي عظمه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في قوله: ﴿كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴿١١﴾ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ ﴿١٢﴾ فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ ﴿١٤﴾ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ﴾ [عبس: ١١ - ١٥].

عظم الله هذا الكتاب وعظم شأنه وبين موقف الناس قبل ذلك؛ لما قال: ﴿أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى﴾ [عبس: ٥]، استغنى عن القرآن، واستغنى عن ربه، واستغنى عن شرعه، ﴿وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى﴾ [عبس: ٨]، مقبلاً على هذا القرآن يريد تدبر القرآن، يريد أن يفهم، يريد أن يعرف لماذا خلقه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؟

ثم ذكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مصير هذا الطاغية الذي أسرف واستغنى لما قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿قُتِلَ الْإِنْسَانُ﴾ [عبس: ١٧]، ولُعن، ﴿مَا أَكْفَرَهُ﴾ [عبس: ١٧]، ما أعظم كفره وإعراضه، ﴿مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴿١٨﴾ مِنْ نُطْفَةٍ﴾ [عبس: ١٨، ١٩]، ماء مستقذر، ثم نهاته؛ قال: ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُ

فَأَقْبَرَهُ ﴾ [عبس: ٢١]، وانتهى أمره، فما وجه الاستغناء والتكبر والإعراض عن ربه وعن خالقه وعن شرعه الذي أنزله رحمةً وهدًى ورشادًا؟!

ثم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يلفت أنظارنا جميعًا بأن ننظر نظر تأمل وتفكر، هذا الإنسان الذي خلقه الله لم يخلقه عبثًا، خلقه وتكفل برزقه، وأنزل عليه شرعه حتى لا يضيع، ولا يكون كالبهائم، جميع المخلوقات خلقها الله وتكفل بأرزاقها، ولكن هذا الإنسان كرمه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بالطاعة، ومعرفة لماذا خُلق؟

يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ﴾ [عبس: ٢٤]، خلقك ورزقك، انظر إلى الطعام، وفي آيات أخرى قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴾ [الطارق: ٥]، يعني انظر في نفسك، ويقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أيضًا: ﴿ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ [الذاريات: ٢١]، ما تبصر في نفسك تنظر وتتأمل في خلقك؟! وتأمل في رزقك.

قال: ﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ۝٢٤ أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ﴾ [عبس: ٢٤، ٢٥]، الذي صب الماء الذي هو أصل هذا الطعام وأساسه هو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لم يتدخل أي شخص بمجيء هذا السحاب وإنزاله، يسوقه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ﴿ أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ﴾ [عبس: ٢٥]، والماء الذي ينزل من السماء ينزل بقوة، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ مَاءً ثَجَّاجًا ﴾ [النبأ: ١٤]، يعني شديد قوي، ﴿ أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ﴾ [عبس: ٢٥]، يعني بقوة، قال بعدها: ﴿ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ﴾ [عبس: ٢٦].

لما يأتيك الفعل هذا أو يأتيك الحرف في القرآن أو الاسم له دلالته، ما يأتي هكذا عبثًا، الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قال: ﴿ ثُمَّ ﴾ [عبس: ٢٦]، ما قال: فشققنا، لماذا؟ لأن ثم عند أهل اللغة تفيد التراخي يعني في مدة صبا الله الماء صبًا، طيب أين ذهب الماء؟ ﴿ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ ﴾ [عبس: ٢٦]، شقها لأي شيء؟ للماء أم للنبات؟ ﴿ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ﴾ [عبس: ٢٦]، شقها للنبات وليس للماء، الله أنزل الماء، الماء يختلف بعضه يسلكه في الأرض، ما قال: يشق الأرض، وأن تلاحظ الأرض لم تنشق للماء،

قال: ﴿فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ﴾ [الزمر: ٢١]، سلوك الشيء من غير ما تشعر فيه تشقق الأرض، والماء الذي ينزل لا يلزم أن يدخل في الأرض، قد يكون على الأرض يبقى.

فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قال: ﴿أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا﴾ [عبس: ٢٥]، ثم فترة زمنية، وشققنا الأرض شقًا للنبات، تنشق الأرض ليخرج النبات من تحت الأرض، هذا الشق راجع إلى النبات لا إلى الماء، ولذلك قال: ﴿ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا﴾ [عبس: ٢٦]، ثم قال: ﴿فَأَنْبَتْنَا﴾ [عبس: ٢٧]، والفاء تفيد السرعة والفور، ﴿فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ۝٢٧ وَعِنَبًا وَقَضْبًا﴾ [عبس: ٢٧، ٢٨]، الحب هو كل ما يُدخر ويكال، الحبوب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قال: ﴿حَبًّا﴾ [عبس: ٢٧]، وتركك، انظر وتأمل في سائر الحباب التي لا تستطيع أن تحدها بحد، حبوب الأرز، حبوب الذرة، حبوب القمح، حبوب العدس، في أشكال وألوان وأنواع، أشكال لا حد لها، ﴿فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ۝٢٧ وَعِنَبًا﴾ [عبس: ٢٧، ٢٨]، الفواكه، وذكر لك بعض الفواكه، وسيذكر لك الفواكه كلها، فقال: ﴿وَعِنَبًا وَقَضْبًا﴾ [عبس: ٢٨].

القضب هذا قال أهل التفسير: هو طعام البهائم، ما يسمى بالقت، أو العلف أو نحوه، وبعض المفسرين يقول: القضب هو كل ما يجز ثم ينبت مرة أخرى، مثل الورقيات، يدخل فيها طعام البهائم وطعام الإنسان، كالخص والجريري والنباتات التي يأكلها الإنسان ونحوها.

قال: ﴿وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا﴾ [عبس: ٢٩]، ذكر العنب وذكر الزيتون، هذه يذكرها أولًا لشهرتها عند نزول القرآن ومعرفة العرب لها، ولكثرة منافعها، قال: ﴿وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا﴾ [عبس: ٢٩]، ولم يقل لك: تمرًا أو رطبًا؛ بل قال: نخل، لماذا مع أنه في الأول قال: عنب، وزيتون؟

أول شيء: لشهرة النحل باسمها.

الأمر الثاني: لكثرة منافع النخل، ولكثرة أنواع النخيل وأنواع ثمار النخيل، ثمار النخيل أنواع لا يمكن أن تحد بحد، ومنها البُسر والرطب والتمر وأنواع كثيرة، وأشكال ومراحل يمر بها.

بعد ذلك عمم، لما ذكر بعض الأشياء وهو يلفت نظرك، أنت تقرأ هذه الآية يجب عليك أن تتأمل وتتفكر وتنظر أيضًا من ناحيتين:

الناحية الأولى: تتأمل عظمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وقدرته في إنشاء هذه الأشياء وهي تسقى بماء

واحد.

الأمر الثاني: تتأمل في نعمة الله عليك، يعني قدرة الله ونعمته، قدرته في خلق هذه الأشياء، ونعمته أن سخرها لك وأوجدها لك أنت حتى تشكر الله، فأنت خرجت إلى السوق أو إلى البساتين والحدائق ونحوها، انظر نظر تأمل وتدبر وتفكر، وعبادة في هذه المخلوقات، (وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد) والله يا أخوان لو أخذنا ثمرة واحدة وشجرة واحدة وجلسنا نفكر فيها ونتأمل فيها، ننظر فيها بطعومها وألوانها وأشكالها، وفوائدها، ما انتهى الحديث عنها، فكيف بهذه الأشياء كلها؟!!

قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَحَدَائِقَ غُلْبًا﴾ [عبس: ٣٠]، حدائق جمع حديقة، لما ذكر لك هذه الأشياء من باب التمثيل، قال: حدائق لا حد لها، حدائق جمع حديقة، والحديقة هي البستان المعروف الملتف بالأشجار، ﴿وَحَدَائِقَ غُلْبًا﴾ [عبس: ٣٠]، والغلبا جمع، مفردها غلباء، يعني حديقة غلباء، يعني حديقة كثيرة الأشجار عظيمة الشجر، ولذلك العرب يقولون: رقبةٌ غلباء إذا كانت عظيمة، ﴿وَحَدَائِقَ غُلْبًا﴾ [عبس: ٣٠]، يعني حدائق عظيمة الأشجار كثيرة.

ثم أعطاك الجميع حتى يزيدك في التفكر والتأمل، قال: ﴿وَفَاكِهَةً﴾ [عبس: ٣١]، ما لها حد، ما أحد يستطيع أن يحدها، كل أنواع الفاكهة داخلة.

قال: ﴿وَفَاكِهَةً وَأَبًّا﴾ [عبس: ٣١]، ختمها بالجميع، يرجع للإنسان ويرجع للحيوان والبهيمة، فاكهة للإنسان، وأبًا للحيوان، ما هو الأب؟ ما هو الأب؟ قالوا: الأب كل ما يكون طعامًا لبهيمة الأنعام، ولذلك عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان على المنبر مرة وقال: ﴿وَفَاكِهَةً وَأَبًّا﴾ [عبس: ٣١]، قد عرفنا، فمَ الأب؟ ثم قال: إن هذا لهو التكلف، أو قال: ما لك يا عمر لو لم تعرف الأب؟!!

مقصود عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن تحديد نوعها صعب، فكلمة ﴿وَأَبًّا﴾ [عبس: ٣١]، هذه يدخل فيها جميع ما يأكله أو ما تأكله بهيمة الأنعام من غير حد معين، قال: ﴿وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ۝٣١ مَتَاعًا لَكُمْ﴾ [عبس: ٣١، ٣٢]، الفاكهة والطعام متاعًا لكم، والأب ﴿وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾ [عبس: ٣٢]، يعني الله عَزَّ وَجَلَّ بقدرته أخرج هذه الأشياء بأشكالها وألوانها وطعومها، وجعل ما فيها يكون للإنسان، وما فيها يكون لبهيمة الأنعام، فاشكروا الله على هذه النعمة، واعرفوا عظمة الله وقدرته، واعبدوا الله،

اعرفوا أن الله خلق هذا الخلق، وخلقكم أولًا، وخلق هذا الشيء لكم، لتعبدوه، ما خلقكم عبثًا، وإنما خلقكم لتعرفوا حق الله عليكم، قال: ﴿مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾ [عبس: ٣٢]، هذا الإنسان وهذه الدنيا، خلق الإنسان بينه الله لك، وبين لك أيضًا ما تحتاج إليه في هذه الدنيا، وما تحتاج إليه من طعام وشراب، ثم بعد ذلك نهايتك، لابد أن تنتهي، وتنتقل من هذه الدار إلى دار هي مصيرك الأخير الذي فيه إما خير لك، خير دائم، أو شر دائم.

ولذلك قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في آخر الآيات خاتمًا هذه السنورة: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ﴾ [عبس: ٣٣]، الفاء هنا يسميها أهل التفسير الفاء الفصيحة أو فاء التفريع، يعني إذا أنت عرفت هذا كله فإنه سيأتيك هذا اليوم، وهذا اليوم سريع، اليوم سريع إلى تدري متى يأتيك، **«من مات قامت قيامته»**، وانتهى من هذه الدنيا، فلا تدري، ولذلك ما قال: ثم جاءت؛ بل قال: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ﴾ [عبس: ٣٣]، يعني هذه سريعة جدًا، وكل من انتهت حياته قامت قيامته.

قال: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ﴾ [عبس: ٣٣]، هي ما جاءت؛ بل ستأتي، ولكن القرآن يقول: جاء، وهو فعل ماضي، كيف؟ قال أهل التفسير: لتحقق وقوعها كأنها جاءت، ولذلك تقرأ أنت في القرآن: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ [الكهف: ٩٩]، ما نفخ، كيف نفسخ في الصور؟ بل ينفح، قالوا: لا، لما كان كأنه وقع قال: نفخ وانتهى، يعني لا تشك ولا تتردد.

قال: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ﴾ [عبس: ٣٣]، الصاخة الصوت القوي الشديد المزعج، والمراد به هو النفخة الثانية، النفخة الأولى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ [الزمر: ٦٨]، مات كلهم، ﴿إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨]، هذه النفخة هي الصاخة، هي التي تصخ الأذان فيقوم الناس من قبورهم مسرعين، ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا﴾ [المعارج: ٤٣]، قال: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ﴾ [عبس: ٣٣]، صاخة لأنها تصخ الأذان.

ثم قال: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ﴾ [عبس: ٣٤]، في هذا اليوم؛ اليوم الشديد يذكر الله لك

شيء، صورة من صور هذا اليوم، ما تستطيع أن تصور هذا اليوم، ولا يستطيع أحد أن يصور هذا اليوم كله بما يجري فيه ما يستطيع، ولذلك القرآن يعطيك شيئًا من صور هذا اليوم، في سورة كذا يذكر شيء، وهذه يذكر شيء، وهذه يذكر شيء، فإذا اجتمعت عرفتها أنت، فيذكر هنا شيئًا من مواقف الناس يوم القيامة.

قال: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ﴾ [عبس: ٣٤].

السؤال الآن:

لماذا يفر الإنسان من أخيه؟

قالوا: لأن هذا الذي فر منه متعلق فيه، يريد أن يأخذ منه، يريد أن يأخذ منه حسنات ويفك نفسه من النار، الأخ يلحق بأخيه ويطالبه، قد يكون له حقوق عنده، فيقول: عندك لي حقوق أعطني إياها، والأبناء يلحقون آبائهم يطالبونه لعلهم يحصلون على شيء من الحسنات وهكذا كلهم، كلٌ يطالبه، ولذلك الإنسان يحاول أن يخلص نفسه في الدنيا من حقوق الناس، حتى لو كان أباك وأمك وأخاك وقريبك وزوجتك، لا يبقى لك شيء في ذمتك للناس، خلص نفسك قبل أن تأتي في هذا اليوم يلاحقونك وما يتركونك أبدًا ولا يتنازلون، وأنت لا تتنازل عن غيرك، يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه، وصاحبته يعني زوجته، وبنيه، شوف الترتيب ترتيب عجيب.

أول من يفر يفر من أخيه، لماذا؟ لأن الأخ بعيد عنه، هو يمشي تدريجي، أول ما يفر من الأخف، فالأخف ثم لا يزال يتدرج إلى الأثقل إلى الأشد، فأول ما يفر من أخيه، وأمه وأبيه هذه أقل، ثم الزوجة أشد، ثم الأبناء، لا يستطيع أن يتخلص منهم، لو تقرأ هذه الآية وتقرأ آية أخرى في سورة المعارج، يقول تعالى: ﴿يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ﴾ [المعارج: ١١].

هنا أخر الأبناء آخر شيء، وأما هناك بدأ بالأبناء، ﴿صَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ﴾ [عبس: ٣٦]، عكس لماذا؟ هذا ما جاء عبث، العكس ما جاء عبث، الآن المجرم هذا يريد أن يخلص نفسه، يفتدي يخلص نفسه من العذاب بأي شيء؟ بأغلى ما يملك، أغلى ما يملك يقدمه حتى يخلص نفسه، وهنا لا، هنا يفر من أخف ثم يتدرج، ما يفر من أبناءها أول شيء بل يفر من البعيد، لكن هناك لا، هناك عذاب أمامه،

يريد أن يفك نفسه من العذاب؛ فيقدم أغلى ما يملك، ﴿لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ﴾ [المعارج: ١١]، ولذلك قال: ﴿وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ ۝١٢ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ﴾ [المعارج: ١٢، ١٣]، تدرج إلى الأبعد.

ثم قال: ﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس: ٣٧]، الحال عظيمة، وكلٌ يفر، وكلٌ قد انشغل بنفسه، قد لهى بنفسه وما يدري، ولذلك ما أحد يعرف أحد، ولا أحد يتكلم مع أحد، ﴿فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠١].

ما أحد يتحدث عن أحد، لذلك قال: ﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس: ٣٧]، ولذلك عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا لما قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«يُحشر الناس حفاة عراة غرلًا»**، قالت: ينظر بعضهم إلى بعض؟ قال: **«يا عائشة الأمر أعظم»**، ﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس: ٣٧].

الآن يا أخوان الحقيقة لو يحصل موقف زلزال وأو عمارة تسقط أو شيء هل أحد ينظر في أحد؟ يستحيل كلٌ يريد أن يتخلص بنفسه، ﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس: ٣٧]، كافيه ما يستطيع أن ينظر إلى غيره.

ثم بين لك مصير الفريقين: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ ۝٣٨ ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ﴾ [عبس: ٣٨، ٣٩]، أهل الخير والطاعة قد ابيضت وجوههم وأسفرت وظهر عليها البشاشة والراحة والطمأنينة وانشراح الصدر، ووجوه على العكس، وقد ذكرنا في أول السورة: ﴿وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى﴾ [عبس: ٨]، يطلب الخير هذا الذي يبيض وجهه يوم القيامة، ولذلك قال: ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ﴾ [عبس: ٤٠]، قد اغبرت الوجوه، اغبرت اشتدت، ﴿تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ﴾ [عبس: ٤١]، القترة السواد، يعني اسودت وجوههم، ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ﴾ [الزمر: ٦٠].

هؤلاء من هم الذين اسودت وجوههم؟

من هم الذين وجوههم عليها غبرة؟

قال: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ﴾ [عبس: ٤٢]، ما الفرق بين الكفرة والفجرة؟ الكفرة الذين كفروا بقلوبهم، وبأقوالهم، والفجرة بأعمالهم، يعني أعمالهم أعمال الفجار، أعمال فاجرة، وكفر في قلوبهم، وكفر بألسنتهم، ولذلك القرآن ميز قال: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ﴾ [عبس: ٤٢]، الكافر الفاجر فرق بينهما.

هذا ما احتوت عليه هذه السورة، عشنا الحقيقة معها ولا نشبع من العيش مع القرآن الكريم والتدبر والتأمل التفكر في هذه الآيات العظيمة، أسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن يجعل ما ذكرناه حجة لنا جميعًا، وأن ينفعنا بما قلنا، وبما سمعنا، وأن يجعلنا وإياكم هداة مهتدين، موفقين لكل خير، إلى لقاء قادم بإذن الله أسأل الله أن يوفقنا وإياكم لطاعته.

والله أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الدرس (١٥)

بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه من اهتدى بهداه إلى يوم الدين.

أيها الأخوة الكرام السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

حياكم الله في هذا اليوم المبارك، وفي هذه اللقاءات المباركة لقاءات الثلاثاء بعد صلاة العصر من كل ثلاثاء، نجتمع في هذا المقام المبارك على كتاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، قراءةً وتفسيرًا، وتدبرًا، وتأملاً، مجلسًا من مجالس الذكر، تحفه الملائكة وتغشاه الرحمة، وتنزل عليه السكينة، ويذكر الله هؤلاء الحاضرين في الملأ الأعلى بأحسن أسمائهم، ففضل عظيم.

والحقيقة أفضل كلام على الإطلاق وخير كلام على الإطلاق هو كلام الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والمسلم يلتزم القرآن الكريم ويحافظ عليه تلاوةً وتدبرًا وفهمًا وعملاً.

السورة التي تناولناها ولازلنا نتناول هذه السورة الآتية في الجزء الأخير من القرآن الكريم، وذكرنا لكم أن هذا الجزء وهو الجزء الأخير يسمى بجزء (عم) أو (النبأ) حديثه كله في تقرير عقيدة الإيمان باليوم الآخر، والآيات تعرض لك هذا اليوم الغائب عنك، تعرضه كأنه يوم مشاهد، تشاهده أمام عينيك، وما من أحد إلا سيشاهد هذا اليوم، لكن المؤمن العاقل يكون على يقين وعلى دراية وعلى معرفة، وأن يحسب لهذا اليوم حسابه، أنه سيقف أمام الله وستعرض عليه أعماله، وسيجازي وسيفوز أو يخسر، هذه السور كلها تتحدث عن تقرير عقيدة الإيمان باليوم الآخر.

سورة النبأ يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴾ [النبأ: ١٨]، في النازعات: ﴿ فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى ﴾ [النازعات: ٣٤]، سورة (عبس وتولى) قال الله فيها: ﴿ فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ ﴾ [عبس: ٣٣].

السورة التي بين أيدينا وهي السورة الرابعة على الترتيب هذا سورة التكوير، وتسمى في بعض

المصاحف سورة (إذا الشمس كورت) هي حديثٌ الحقيقة عن اليوم الآخر بتفاصيله، ما قبل اليوم الآخر، وما في هذا اليوم العظيم، جاء عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**من سره أن ينظر إلى اليوم الآخر نظر عين فليقرأ سورة التكوير وسورة الانفطار وسورة الانشقاق**»، كلها حديث تعرض فيه اليوم الآخر أمامك.

هذه السورة الحقيقة نحن نريد أن نعيش معها، نحن نريد أن نتدبر ونتأمل كلام الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لا أن نقرأها هكذا، هذه السورة إذا تأملتها الآيات الاثنتي عشر الأولى من واحد إلى اثنى عشر تتحدث بالتفصيل الدقيق عن اليوم الآخر، هذا نصفها الأول، هي تسعة وعشرون آية، اثنا عشر آية منها كلها في الحديث عن اليوم الآخر، في تقريب وعرض مشاهد لما يحصل في هذا اليوم.

ثم بعد ذلك تنتقل السورة إلى التأكيد على أن هذا الكلام الذي أنت تسمعه ويُعرض لك كأنك تشاهده حقيقة، حقائق وليس كذب، حقائق أتى بها جبريل من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، نزل بها أمين السماء إلى أمين الأرض، وهذا محمد هو أمين الأرض وهذا الصادق كما قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ﴿وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ﴾ [التكوير: ٢٢].

وهذا الكلام الذي تسمعونه ليس كلام بقول شيطان رجيم، ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ۝٢٥ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾ [التكوير: ٢٥، ٢٦]، أين تروحوا؟ هذا كلام الله، ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ۝١٩٣ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾ [الشعراء: ١٩٣، ١٩٤]، فأين يذهب الإنسان؟!! هذه السورة بشكل عام ما تتحدث عنه، ما تتكلم عنه بإجمال.

أما التفاصيل فخذها:

الآيات الستة الأولى من واحد إلى ستة تتحدث عما يجري في نهاية هذه الدنيا، عما يجري عند نهاية هذه الدنيا، عندما يأتي اليوم الآخر، علامات مجيء اليوم الآخر ست آيات، وست بعدها تتحدث عما يقع يوم القيامة، إذًا أنت تقرأ هذه السورة، اقرأها بتأمل وتدبر وتفكر، آيات ست تحصل آيات كونية عجيبة، تجري عند نهاية هذه الدنيا، ثم بعدها يأتي الحديث عما يجري يوم القيامة.

اسمع وأرع سمعك؛ يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ [التكوير: ١]، يقول:

أهل اللغة: (إذا) أداة شرط، ولابد لهذه الأداة من جواب، كل شرط له وجواب، فعل شرط وجواب شرط، الفعل موجود ومقدر، ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ [التكوير: ١]، يعني إذا كورت الشمس، طيب ما الذي يحدث؟ أعطنا جاب، ما أعطاك الجواب، ثم قال: ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ﴾ [التكوير: ٢]، ثم قال: ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾ [التكوير: ٣]، ثم قال: ﴿وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾ [التكوير: ٤].

طيب أين الجواب؟

الجواب يأتيك، لكن هذا أسلوب قرآني عجيب بليغ، وهذا من إعجاز القرآن البلاغي، هو يريد أن يجعلك تشتاق، يجعلك تنتظر وتنتظر بشوق، أين الجواب؟

أنا لو قلت لك الآن في غير القرآن: إذا جاء فلان، ثم جاء فلان، ثم فعل فلان، ثم قال فلان، أنت بلهفة تنتظر الجواب، ماذا يصير؟ فهذا معنى هذه الآيات، إذا الشمس وإذا وإذا، النتيجة ما هي؟ ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ﴾ [التكوير: ١٤]، كل نفس ستعلم ماذا قدمت في الدنيا والآخرة، ما قدمت وما أخرت، ما أحضرته من أعمال فيها خير ينفعها، أو فيها شر يضرها، هذه هي السورة، وهذا هو معنى ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١ وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ﴾ [التكوير: ١، ٢]، هذه حوادث كونية تحصل بقدرة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وقد وقت لها توقيتًا عجيبًا، لابد أن تحصل.

قال: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ [التكوير: ١]، ما معنى كورت؟ ما هو التكوير؟ التكوير هو لف الشيء على شكل دائرة، العجيب أن الشمس كما ذكر أهل العلم هي أضعاف أضعاف الأرض بستة عشر ضعفًا، يأتي الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ويلفها، يلفها كما تلف العمامة التي تكون على الأرض، وكما يلف الثوب يطوى، فتلف على شكل دائرة ثم يُذهب بها وينتهي دورها ويصبح الناس في ظلمة، تصور أن الشمس ذهب الله بها الآن؟ ستذهب ويبقى الناس في ظلمة، فهذه هي علامة عند نهاية الدنيا.

قد يأتيك سائل يقول:

سمعنا أحاديث إذا جاء يوم القيامة تدنو الشمس من رؤوس العباد بقدر ميل، وأنت تقول: لُفت وذهبت؟

نقول: أنت لا تتصور اليوم الآخر تصويرك الآن، اليوم الآخر شيء، وما يدور في ذهنك شيء، اليوم الآخر يوم آخر، شيء عجيب، إذا كانت مدة اليوم الآخر خمسين ألف سنة، ما الذي سيجري فيها، سيجري فيها أشياء عجيبة، يؤتى بالشمس وتدنو، وتُذهب بالشمس، وأشياء تمر بالإنسان، ما هو يوم واحد أو يومين أو ثلاثة، أحيانًا يأتي بعض الناس يقرأ مثل هذه الأشياء أو يسمع فيقول: طيب لماذا هناك قال كذا؟ وهنا قال كذا؟ نقول: هذه أحداث عظيمة، الله أخبر أنه لا يكلم المشركين، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ [آل عمران: ٧٧]، وفي آيات أخرى نجده يكلمهم، ﴿ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ ﴾ [النحل: ٢٧].

كيف يكلمهم ويقول: لا يكلمهم؟

بعض الناس يقولون: هذا تناقض.

نقول: أنت تتصور أنه تناقض وليس بتناقض، الله عَزَّ وَجَلَّ يقول: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: ٨٢]، لكنه من عند الله فما فيه اختلاف، التناقض عندك أنت، وإلا يكلمهم في وقت ولا يكلمهم في وقت، يكلمهم كلام تكليم؟ لا، بل يكلمهم كلام سخط، هذا معناه، وتجد آيات كثيرة يظن الظان أنها متعارضة، أنها متناقشة، ولا تعارض، لابد أن يكون في ذهنك أنه لا تعارض ولا تناقض في كتاب الله، وإنما التناقض والتعارض والفهم الخاطئ من هذا الشخص.

قال: ﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١ وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ﴾ [التكوير: ١، ٢]، انكدرت يعني تساقطت بقوة وتناثرت في الأرض، وهذه الآية تفسرها الآية في السورة التي تليها، ﴿ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ ﴾ [الانفطار: ٢]، وفي آية أخرى وهذا عجيب أيها الأخوة، وهذا الذي ينبغي للإنسان عندما يتدبر أن ينظر إلى الآيات، هذه آية، وهذه آية وهذه آية، إذا جمعها اتضح له الأمر، في سورة المرسلات يقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ ﴾ [المرسلات: ٨]، تطمس ويذهب نورها، كما يذهب نور الشمس يذهب نور هذا الكواكب، وكم تتصور من كوكب في السماء؟ كم تتصور من نجم ثابت ونجم متحرك في السماء؟ كلها تتساقط على الأرض في هذا اليوم العظيم.

قال: ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ﴾ [التكوير: ٢]، الانكدار هو غير التساقط، وهذا الذي ينبغي للإنسان إذا قرأ القرآن يفهم لماذا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يقول هنا: انكدرت، ويقول هناك: طمست، وهنا يقول: انتشرت؟ هل في فرق؟

هذه أحوال، يأتينا بعد قليل آيات، تحتاج منك تأمل كثير وتدبر، تعيش وتدخل في كنوز هذا الكتاب العظيم، هذا الكتاب شيء عجيب، ما تنقضي عجائبه، تدخل في عمقه تزداد علمًا.

إذًا قوله: ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ﴾ [التكوير: ٢]، الانكدار في لغة العرب هو تساقط الشيء بقوة وذهابه وتغيره، لذلك يقولون: تكدر حال فلان، وخاطر فلان يعني تغير، الانكدار هو التغير، فهو ذهاب وسقوط وتغير، وانطماس وذهاب نور، إذًا تجمع بين الآيات وتجمع بين هذه الأشياء، هذا الحال الثانية، وقد قلنا هناك ست حالات.

الثالثة قال: ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾ [التكوير: ٣]، أزيلت عن أماكنها، وهذه الجبال عجيبة على قوتها وشموخها وثباتها ورسوخها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يزيلها من أماكنها، لو عندك قطعة جبل صغيرة تريد أن تزيلها بالآلات الحديدية الجديدة الحديثة لجلست أيام وما أخذت إلا شيئًا قليلاً، فالله يذهب بها في لحظة، والقرآن يصف لها الجبال بحالات وأحوال يمر بها.

هنا يقول: ﴿سُيِّرَتْ﴾ [التكوير: ٣]، في آيات أخرى؛ قال: ﴿وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا ۝٥ فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا﴾ [الواقعة: ٥، ٦]، بست أي فتت تفتيت، وفي آية أخرى قال: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ﴾ [المزمل: ١٤]، باختصار: الجبال تمر بأحوال، في مراحل تمر بها، ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ۝١٠٥ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا﴾ [طه: ١٠٥، ١٠٦].

وفي الآيات التي مرت معنا في سورة النبأ: ﴿وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ [النبأ: ٢٠]، سرابًا أي ما لها أثر، خلاص أصبحت مثل السراب ما فيه، وفي أخرى قال: ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ﴾ [المعارج: ٩]، أي الصوف، الصوف المنفوش خلاص يذهب، تذهب به الريح ما يبقى له أثر، فالجبال ستذهب ما يبقى منها، ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾ [التكوير: ٣]، هذه الحال الثالثة.

قال: ﴿وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾ [التكوير: ٤].

العشار كما قال أبو العباس وغيره: هي الإبل، وهي أنفث أموال العرب، وإذا جاء وحصل مثل هذا اليوم تركها أهلها لشدة هذا اليوم وهوله، يتركون أنفع أموالهم، ﴿وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾ [التكوير: ٤]، أي تركت ما عندها رعي ولا أحد، لماذا قال العشار وما قال الإبل؟ العشار جمع عشراء مثل نفساء، والعشراء هي الحامل في الشهر العاشر، الإبل مدة الحمل اثنى عشر شهرًا، فتلد بعدما يتم الحمل اثني عشر شهرًا فتضع، وفي العاشر تكون قريبًا من الوضع، فيحبها أهلها ويشتاقون إليها، ويحافظون عليها، فإذا جاء هذا اليوم تركوها لشدة الهول.

يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۝٤٨ مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾ [يس: ٤٨، ٤٩]، يعني يتخاصمون في البيع والشراء، ثم يتركون كل شيء ويذهبون من شدة الهول.

قال: ﴿وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾ [التكوير: ٤]، تُركت بلا راعي، أصحابها انشغلوا عنها.

الخامسة قال: ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ [التكوير: ٥]، الوحوش هي الحيوانات التي لا تألف العيش مع الإنسان، فيه هذا اليوم تجمع، العجيب أنها لا تألف الإنسان ولا يألف بعضها بعضًا، وفي هذا اليوم من شدة الهول ينظر بعضها إلى بعض ولا يعتدي أحد على أحد من شدة هذا اليوم، حتى الحيوانات تخاف من هذا اليوم، ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ [التكوير: ٥]، كالأسد، والذئب، والنمر، ونحوها، يأتيها شيء يجعلها تذهل، تشوف الفريسة أمامها لا تعتدي عليها، ولا يعتدي بعضها على بعض، كأنها حُشرت في مكان واحد، وهي ستشر يوم القيامة، ستحشر كما سيأتي وتُحاسب.

أحد الأخوة ذكر لي وقفة عجيبة:

يقول: يا أخي أنا سمعت حديث يقول: **«تؤتى بالشاة القرناء»**، التي لها قرون **«والشاة الجلحاء»**، التي ليس لها قرون فيقتص من الشاة القرناء من الشاة الجلحاء، يقتص بعضها من بعض، فيكف ببني آدم المكلف؟ إذا كانت حيوانات ما كُلفت يؤتى بها يوم القيامة وتُجازى، الطيور والحيوانات والحشرات كل شيء يُحشر يوم القيامة، فكيف بهذا الإنسان المكلف الذي كلف بهذه الأمانة العظيمة

وحملها، ولم يؤد الكثير من الناس هذه الأمانة؟!!

قال: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ [التكوير: ٦]، البحار تسجر أي توقد نارًا، وهذه من عجائب الله الماء يصبح نار، قال بعض الناس: الماء يطفر الناء كيف يصح نار؟ تقول له: يا أخي في الدنيا يحصل هذا، البراكين التي تقع في بعض البحار نيران وهي في الدنيا فكيف بالآخرة؟!!

بعد الله قادر على كل شيء، يقلب الأشياء، وما يخطر بذهنك مثل هذه الأشياء، ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ [التكوير: ٦].

ومثلما ذكرنا ننظر إلى القرآن بشكل عام، لا ننظر من جانب واحد، فهنا يقول: ﴿سُجِّرَتْ﴾ [التكوير: ٦]، البحار سجرت، وفي السورة التي بعدها يقول: ﴿فُجِّرَتْ﴾ [الانفطار: ٣].

يأتيك واحد ويقول: فجرت ولا سجرت؟

نقول: كلام الله لا يتناقض، تفجر بعضها إلى بعض فتصبح بحرًا واحدًا، ثم تشغل نيران، والله عَزَّ وَجَلَّ يقول: ﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾ [الطور: ٦]، البحر يصبح قطعة واحدة فلا تناقض، كل هذه الأشياء الستة التي ذُكرت في هذه السورة تحصل عند نهاية الدنيا، ثم تأتيك ما الذي يجري يوم القيامة الستة الآتية؟

قال: ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ [التكوير: ٧]، النفوس تزوج، تأتي الأرواح إلى الأجساد، ويصنف الناس بعضهم إلى بعض، يأتي الحديث عن الستة القادمة، يأتي الحديث في مجلس آخر بإذن الله في لقاء قادم إن شاء الله.

أسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن يبارك لنا ولكم وأن يجعل هذا المجلس مجلسًا مباركًا، أن يقال لنا: قوموا مغفورٌ لكم وقد بدلت سيئاتكم حسنات، أسأل الله أن يرفعنا بالعلم وأن ينفعنا وإياكم، وأن يجعلنا وإياكم هداة مهتدين، موفقين لكل خير، وأن يجعلنا وإياكم من أهل القرآن الذين هم أهل الله وخاصته، صاحب القرآن له فضل عند الله عظيم في الدنيا قبل الآخرة، فلزم وكن صاحبًا لكتاب الله في كل وقت، كل ما تجد فرصة أن تلازم هذا المصحف لازمه، أسأل الله أن ينفعنا به وأن يجعله حجة لنا لا علينا.

والله أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الدرس (١٦)

بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه إلى يوم الدين؛ أما بعد ...

أيها الأخوة الكرام السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

حياكم الله في هذا اللقاء المبارك، أسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن يبارك لنا وأن ينفعنا بما نقول، وبما نسمع، وأن يزيدنا علمًا وعملًا يا رب العالمين، أيها الأخوة الكرام نجلس هذا المجلس المتعلق بتدبر القرآن الكريم، ومجالس مضت في مثل هذا اليوم، وهذا اليوم هو اليوم الثالث من شهر صفر من عام ١٤٤٤ من الهجرة.

تحدثنا في لقاءنا الماضي عن سورة التكوير، وذكرنا أن هذه السورة العظيمة التي تتحدث عن اليوم الآخر، وقد ذكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فيها اثنتي عشرة آية، ست آيات تكون في نهاية الدنيا، عند نهاية الدنيا ومجيء الآخرة، قبل مجيء الآخرة، عند النفخة الأولى، النفخة الأولى التي قال الله فيها سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ [الزمر: ٦٨]، هذه النفخة الأولى، نفخة الصعق والموت، وخراب الكون، وانتهاء الدنيا، ذكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في سورة التكوير ست آيات تحدث عند نهاية الدنيا، ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١ وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ۝٢ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۝٣ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ۝٤ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝٥ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ [التكوير: ١ - ٦].

وهذه السورة الكثير منها يحفظها ولله الحمد، وهي تحتاج إلى تركيز في ترتيب آياتها، هذه الآيات الست تحدث عند نهاية الدنيا.

ثم ذكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بعدها ست آيات تحدث عن قيام اليوم الآخر، عند قيام النفخة

الثانية، ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨]، هذا يوم البعث والجزاء والحساب والجنة والنار.

يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عندما ذكر الآيات الست الأولى أردفها بالآيات الست التي بعدها؛ فقال: ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ [التكوير: ٧]، هذا يحصل متى؟ بعد البعث، بعد خروج الناس من قبورهم، ما المراد بالنفوس؟

للمفسرين في ذلك قولان:

بعضهم يقول: النفوس هي الأرواح، خرجت نفسه يعني روحه، الأرواح هذه إذا جاء اليوم الآخر تأتي إلى الأجساد، الأجساد بعد خروج الروح بعد موته تنفصل الروح عن الجسد متى تعود؟ عند البعث، تعود الأرواح إلى الأجساد، كل روح تعود إلى جسدها، على اختلاف الأرواح وتعدادها وكثرتها، ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ [التكوير: ٧]، أي قُرنت الأرواح بالأجساد، هذا رأي.

الرأي الثاني: أن المراد بالنفوس إذا زوجت؛ التزويج هنا تصنيف الناس، كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، قال: ﴿أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ۝٨ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ۝٩ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ [الواقعة: ٨ - ١٠]، فيصنف الناس، ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ [الصافات: ٢٢]، فيحشر الناس على اختلاف أصنافهم وأنواعهم وأشكالهم، كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾ [النبأ: ١٨]، أفواجًا يعني جماعات جماعات، أهل الخير، أهل القرآن، أهل الصلاح، أهل الفساد والشر، والزيغ والفجور على اختلاف أقسامهم وأنواعهم، ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ [التكوير: ٧].

وليس هناك تعارض أو منافاة بين القولين، إذا فهمنا وتدبرنا أن الأرواح تعود إلى الأجساد وتصنف الناس؛ حتى نفهم هذه الآية فهمًا دقيقًا، قال: ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ [التكوير: ٧]، فإذا زوجت النفوس وعادت الأرواح وانقسم الناس في هذا اليوم أقسامًا شتى بعد ذلك يبدأ السؤال والمحاسبة، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ﴾ [التكوير: ٨]، وأول ما يقضى في يوم

القيامة بين الناس في الدماء، وهذه الموءودة قتلت بغير حق، فوجه لها السؤال، قال: ﴿ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ﴾ [التكوير: ٨]، اي هذه التي وأدت وهي البنت الصغيرة، كان بعض قبائل العرب يفعلون ذلك، أنه إذا ولد له بنت أخذها ودفنها وهي حية، وهذا قد انتشر في القبائل أو في بعض قبائل العرب، أنهم يخشون العار ويشخون الفقر ونحو ذلك، فيقولون: إن البنت لا تحمل السلاح ولا تدافع عن نفسها، وهي عالة على أهلها، ولذلك إذا ولد لشخص حفروا له حفرة كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ۝٥٨ يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ [النحل: ٥٨، ٥٩].

فقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ﴾ [التكوير: ٨]، هذا الحساب الأول، وهو إشارة إلى أن الناس يحاسبون جميعًا، وإذا كان السؤال يوجه لهذه البريئة التي وأدت من غير ذنب، فكيف بوائدها وقاتلها، وكيف بمن يقتل ويتعدى على حدود الله أو كيف بمن يأخذ أموال الناس؟ وكيف بمن يتعرض لحقوق الناس؟ كل هؤلاء يحاسبون، يحاسبون حسابًا عظيمًا.

قال: ﴿ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ﴾ [التكوير: ٨]، فإذا كان السؤال يوجه لها فكيف بالقاتل؟ كيف يكون السؤال إليه؟ وهذا فيه تخويف وفيه إرعاب للقاتلين أو للمعتدين على بناتهم ووأدهم وهن أحياء، وفي قراءة أخرى قال: (وإذا الموءودة سألت) سألت من؟ سألت قالتها، (وإذا الموءودة سألت بأي ذنبٍ قُتلت) تسأل يوم القيامة وتتعلق بقاتلها أبوها أو نحو ذلك، تتعلق به وتقول: أي ذنب فعلته؟ ما فعلت شيء حتى أقتل!! فتطالب بحقها، وهذا إشارة إلى أن الناس سيُسألون.

قال بعدها سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴾ [التكوير: ١٠]، تتطاير الصحف، كلٌ آخذ صحيفته، إما بيمينه أو بشماله أو من وراء ظهره بشماله، جميع الخلق، جميع الناس تتطاير الصحف ويأخذون صحيفتهم، والمؤمن ماذا يقول إذا أخذ صحيفته بيمنيه؟ يقول: ﴿ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ ۝١٩ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ ۝٢٠ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ۝٢١ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝٢٢ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴾ [الحاقة: ١٩ - ٢٣].

وأما من أوتي كتابه بشماله فيقول: ﴿ يَالَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ ۝٢٥ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴾ [الحاقة:

٢٥، ٢٦]، فهذه الصحف تنشر، وكلٌ سينظر إلى صحيفته ويقال له: ﴿ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾ [الإسراء: ١٤]، والمجرم يقول: ﴿ مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ﴾ [الكهف: ٤٩].

ما في حركة تفعلها من خير أو شر إلا ويُسجل عليك وينشر لك هذه الصحيفة وتنظر فيها وتحاسب نفسك، ﴿ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾ [الإسراء: ١٤]، وهذه كلها في عرصات يوم القيامة بعد الخروج من القبور، قال: ﴿ وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ﴾ [التكوير: ١١].

كشت السماء هو محوها وإزالتها، قبل ذلك تتشقق السماء، وتنزل الملائكة، وتكون السماء أبوابًا ثم بعد ذلك تذهب السماء، كشت يعني ذهبت وانتهى، ﴿ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ ﴾ [الأنبياء: ١٠٤].

ومن أحوال يوم القيامة والناس في عرصات يوم القيام؛ قال: ﴿ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴾ [التكوير: ١٢]، يؤتى بنار جهنم تقاد بسبعين ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك، ويؤتى بها قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴾ [التكوير: ١٢]، أي أوقد عليها إيقادًا شديدًا، جاء في بعض الآثار أنه يوقد عليها ألف سنة حتى تبيض، ثم يوقد عليها ألف سنة حتى تحمر، ثم يوقد عليها ألف سنة حتى تسود فهي سوداء مظلمة.

قال: ﴿ وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴾ [التكوير: ١٣]، قُربت، تدنى وتقرب لأهلها، وهذا فيه تكريم لهم وتعجيل لهم بحصولهم، بفوزهم بهذه الجنة كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، قال: ﴿ وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [الشعراء: ٩٠]، في هذه الحال وهذه الأحوال العظيمة ماذا يقول الإنسان؟ يقول الله عنه: ﴿ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ ﴾ [التكوير: ١٤]، النفس هنا مطلق النفس، أو عموم النفس، كل نفس يتعلم ما أحضرت من عمل خيرًا كان أو شرًا، ﴿ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ ﴾ [التكوير: ١٤]، ما أحضرته من أعمال، من أعمال ستشاهدها أمامها، وتتمنى أن لو تعود إلى الدنيا لتعمل أعمالًا صالحة، ولكن هيهات، الآن في الدنيا المجال مفتوح للأعمال الصالحة، الأعمال الصالحة بشتى

أنواعها، والباقيات الصالحات، علمت نفسٌ ما أحضرته من أعمال وتجازى عليه، ولا يظلم ربك أحدًا، هذه الآيات الست التي تحصل يوم القيامة ذكرها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وصورها لنا في هذه السورة العظيمة كأنك تشاهد يوم القيامة أمامك، كأنك تشاهد ما سيجري قبل قيام الساعة، وتشاهد ما سيجري بعد قيام الساعة كأنك تراه رأي العين، ولذلك الله عَزَّ وَجَلَّ قال: ﴿ عَلِمَتْ ﴾ [التكوير: ١٤]، يعني تيقنت، ﴿ عَلِمَتْ نَفْسٌ ﴾ [التكوير: ١٤]، يعني علمت علمًا يقينًا لاشك فيه، هذه الأحوال وهذه الآيات وهذه الأمور التي يذكرها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ست آيات تتعلق بنهاية الدنيا، وست آيات تتعلق بما يحصل بعد البعث، فعلينا أن نتدبر القرآن، ونتأمل هذه الآيات، فالقرآن كنز، الحقيقة القرآن كنز لا يفرط فيه إلا جاهل، إلا مغبون، فعلى المسلم أن يقف ويتأمل ويتدبر، لينفع الله بك ويكتب الله لك الأجر عند تدبرك وتأملك لكتاب الله، يأتي بقية الآيات إن شاء الله، بقية السورة في لقاء قادم أسأل الله أن ينفعنا بما قلنا وبما سمعنا وأن يرزقنا وإياكم العلم النافع والعمل الصالح، وأن يجعلنا وإياكم هداة مهتدين، موفقين لكل خير.

والله أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الدرس (١٨)

بسم الله والحمد لله وأصل وأسلم على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه إلى يوم الدين، اللّهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم.

أيها الأخوة الكرام السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

حياكم الله في هذا اللقاء المبارك وفي هذا المجلس، مجلس القرآن الكريم، نقرأ آيات من كتاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ونتأمل ونتدبر ما فيها من توجيهات وتذكير ومواعظ، هذا اليوم هو اليوم العاشر من شهر صفر من عام ١٤٤٤ من الهجرة، السورة التي بين أيدينا هي السورة التكوير، وقد تناولنا شيئًا من آياتها، وذكرنا في لقاءات ماضية أن هذه السورة تصور لنا اليوم الآخر كأنك تشاهده، قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«من سره أن ينظر إلى اليوم الآخر أو إلى يوم القيامة نظر عين فليقرأ سورة التكوير، وسورة الانفطار، وسورة الانشقاق»**.

سورة التكوير ذكر الله فيها اثنتي عشرة آية، ست آيات عند نهاية الدنيا، وبداية الآخرة، آخر مراحل الدنيا تحصل أمور عظيمة ذكرها الله في أول هذه السورة، ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١ وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ۝٢ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۝٣ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ۝٤ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝٥ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ [التكوير: ١ - ٦]، إلى آخر الآيات الست.

ثم ذكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ست آيات أخرى تصور لك اليوم الآخر، كأنك تشاهده، ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝٧ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ۝٩ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ۝١٠ وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ۝١١ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ۝١٢ وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ﴾ [التكوير: ٧ - ١٣].

قال الله لما ذكر لنا هذه الأمور العظام التي ستحدث بلا شك، قال في آخرها تذكيرًا لهذا الإنسان الذي يعيش في هذه الدنيا: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ﴾ [التكوير: ١٤]، أي ما أحضرته

من أعمال، خير أو شر، ستعلم هذه النفس، ولذلك الله ما قال: ستعلم، مع أنه اليوم الآخر سيأتي؛ بل قال: علمت، يعني علمت علمًا يقينًا أنها ستنظر ما قدمت، وستأتيها أعمالها أمامها، فيعلم كل إنسان ما قدم لنفسه، هذا الأمر أيها الأخوة وهذه الأخبار التي يخبر بها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في هذه الآيات الست والآيات الأخر الست اثنتا عشرة آية، هذه الآيات هل يشك فيها عاقل؟ هل يتردد فيها؟ لا يشك ويلا تردد؛ بل يؤمن إيمانًا يقينيًا، لكن لما كان المشركون في زمن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكفار العرب ينكرون اليوم الآخر كله ولا يصدقون بأن هناك بعثًا يقولون: ﴿أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ [الصافات: ١٦]، وفي آيات أخرى يقول: ﴿ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾ [ق: ٣]، ويقول: ﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ﴾ [المؤمنون: ٣٦]، كل ذلك إنكار منهم، يستحيلون أن الله يعيد الخلق كله، فلما صور الله لهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في هذه الايات تصوير اليوم الآخر أمامهم أقسم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والأمر لا يحتاج إلى قسم، ولكن الله يقسم تأكيدًا على هذه القضايا وأنها حقائق يجب أن نؤمن بها، ولذلك قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ ۝١٥ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ﴾ [التكوير: ١٥، ١٦].

هذه اللام يظن بعض الناس أنها نافية يعني لا أقسم، بل هذه اللام ذكر أهل التفسير أنها متعلقة بأمر محذوف، حتى نفهم الآيات؛ لأنك لو أخذتها بظاهرها فلا أقسم، ﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ۝١ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ [القيامة: ١، ٢]، ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾ [الواقعة: ٧٥]، يظن بعض الناس أن هذا نفي يعني لا أقسم؛ بل هو يقسم، ولذلك في سورة الواقعة؛ قال: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾ [الواقعة: ٧٥]، ثم قال: ﴿وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ﴾ [الواقعة: ٧٦]، إذًا هو قسم، لكن أنت تظن أن اللام هذه تنفي؛ بل هذه اللام يقول أهل التفسير: إنها متعلقة بأمر محذوف يقدر، والقرآن كثير ما يحذف الاختصار، فالأمر هنا يقول: لا تظن أيها الكافر أنك لا تُبعث ولا أنك لا تشاهد هذه المشاهد؛ بل أقسم، ولذلك دخلت اللام، اللام متعلقة بأمر يخاطب الله المنكرين، يقول: لا تظن أيها المنكر أنه لا بعث ولا جزاء ولا حساب؛ بل الأمر على عكس ما تظن، ولكنني أقسم لك والله لا يقسم إلا على شيء عظيم، العظيم لا يقسم إلا على عظيم، وهذه الأمور عظام أقسم الله بها.

قال: ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ ﴾ [التكوير: ١٥]، يعني أقسم بالخنس، ما هي الخنس؟ الخنس هي النجوم في السماء، النجوم تخنس يعني تذهب تغيب، هذه حكمة الله، إذا جاء النهار غابت وذهبت، واستسرت، وليس لها سلطان، وليس لها دور ولا وظيفة في وقت النهار، وإنما عملها بالليل، وهناك نجوم سيارة تتحرك تسير، ولا تتصادم، لها طرق خاصة، وهناك نجوم ثابتة، الثابتة يذهب دورها، وكذلك السيارة.

قال: ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ ﴾ [التكوير: ١٥]، الخنس أنها تخنس وتذهب، ولذلك الشيطان قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في سورة الناس: ﴿ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴾ [الناس: ٤]، يوسوس وإذا تعوذت بالله هرب وفر، خناس يخنس، فمعنى الخنس أي التي تذهب.

قال: ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ ۝١٥ الْجَوَارِ ﴾ [التكوير: ١٥، ١٦]، الجوار هي النجوم تجري جمع جارية، تجري في السماء، قد سيرها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وجعل لها طرق، وجعل لها أعمال، وسخرها، ﴿ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ﴾ [الأعراف: ٥٤].

قال: ﴿ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ ﴾ [التكوير: ١٦]، ومعنى الكنس أي التي تذهب، الجوار إذا ذهبت قلنا: إنها خنست وذهبت، أين تذهب؟ تروح إلى أماكنها التي تغيب فيها، مواقعها التي تغيب فيها، فالذي يذهب إلى المكان الذي يغيب فيه يقال له: كنس، والمكان هذا يقال له: كِناسة بكسر الكاف، كِناسة، تنكس إلى مكانها أي تستقر، وسميت المكنسة بهذا الاسم لأنها تجمع الأشياء وتغيبها عنك، تذهب بها عنك، فكذلك النجوم تسير ثم تغيب وتستقر في مكانها.

قال: ﴿ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ ﴾ [التكوير: ١٦]، لما أقسم الله بالنجوم وقد أقسم بالنجوم في سورة أخرى سماها سورة النجم، قال: ﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى ﴾ [النجم: ١]، ومثل ما ذكرنا أن الله يقسم بأشياء عظيم، لما أقسم بالنجوم وهي في السماء، والسماء ترى فيه الليل وترى فيه النهار أتبع ذلك القسم بالليل، قال: ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴾ [التكوير: ١٧]، هذا قسم واضح، ﴿ وَاللَّيْلِ ﴾ [التكوير: ١٧]، أي أقسم بالليل إذا عسعس، ما معنى عسعس؟ عسعس هذه تعني الذهاب والإقبال والإدبار، عسعس معناها أقبل وأدبر، الليل يُقبل في أوله ويدبر في آخره، وعلى هذه الحركة

كل يوم يقبل ويدبر، يقال له: عسعس الليل، عسعس إذا أقبل ثم أدبر، ثم أقبل ثم أدبر على هذه الحركة، قيل له: عسعس، ويمكن ما تعرفون ما يسمى بالعسى، العسة هي التي تذهب وترجع للحراسة، تجلس في أول الطريق في الأسواق قديمًا، يسمونها العسة، وتجلس في آخر الطريق، ثم يأتي هذا مكان هذا، يراقبون السوق، الليل مثلهم يأتي من هنا ثم يذهب، يأتي من المشرق في أول الليل، إذا غابت الشمس في المغرب أتى الليل من المشرق، وحل محل النهار، وإذا انتهى دوره وانتهى الليل، ذهب وأدبر من المغرب وجاء النهار من المشرق، ولهذا قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ [التكوير: ١٧، ١٨]، أي إذا بان وظهر مكان الليل وجاء.

لكن قد يسأل سائل يقول:

لماذا قال: يتنفس؟

لماذا ما قال: والصبح إذا أسفر كما في آية أخرى أو جاء الصبح؟

لماذا تنفس؟

قالوا: لسببين والعلم عند الله:

أولًا: لأن الليل ثقيل، إذا جاء على الأرض ثقل بثقله وظلمته الشديدة، فذهابه ومجيء النهار والصبح مكانه يأتي وقد تنفس من شدة الثقل، كأنه يأخذ نفس بعد ذهاب هذا الليل الثقيل، هذا وجه.

وقيل: تنفس لأنه يأتي بالنسيم، نسيم الصباح هواء بارد وجميل وحسن، ولهذا قيل: ﴿تَنَفَّسَ﴾ [التكوير: ١٨]، والإنسان يتنفس الصباح ويرتاح، يرتاح في بداية النهار، قال: ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ [التكوير: ١٨]، هذا القسم على أي شيء؟ كم قسم؟ قسم بقوله تعالى: ﴿لَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ ﴿١٦﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ [التكوير: ١٥ - ١٨].

أربعة أمور يقسم الله بها على أي شيء؟ ولا يقسم إلا بأمور عظام تدل هذه الحركات وهذا التكوين العظيم على أن وراء هذا الكون خالقًا مدبرًا متصرفًا في هذا الكون، يأتي هذا ثم يذهب هذا،

وتلاحظ أنت دقة اختلاف الليل والنهار بزيادة الليل ونقصان النهار أو العكس، من يدبر هذا؟ ما أحد يملكه من البشر إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

فهذه الأمور التي أقسم الله بها أقسم بها على أي شيء؟ على ما ذكرنا، أن هذه الأشياء التي ذكرها الله من الحوادث التي ستحدث في آخر الزمان وتحدث يوم القيامة يقسم الله على أنها حقائق، وأنها قول من؟ قول رسول كريم، من هو الرسول الكريم هنا؟ يظن بعض الناس أن الرسول الكريم هو محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو خطأ، إذا قرأت الآيات اتضح لك الأمر، صح أنه جاء في آيات أخرى أن محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصف بأنه رسول كريم، لكن هنا لا، هنا المراد بالرسول الكريم جبريل عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، رسول السماء إلى رسول الأرض، أمين السماء إلى أمين الأرض، جبريل عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ هو رسول الملائكة، وهو المكلف بإنزال الرسالات والوحي.

قال: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ [التكوير: ١٩]، وصفه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بأنه رسول، وأنه كريم، ذو صورة جميلة، وبهية، وحسنة، ولذلك لما رأت النسوة يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ قالوا: ﴿مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ [يوسف: ٣١]، حسن الخلقة، فجبريل خلقه الله بأحسن صورة والملائكة جميعًا.

قال: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ [التكوير: ١٩]، هذا الرسول ذي قوة، ذو بطش وقوة، ﴿ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ [التكوير: ٢٠]، ذو قوة وبطش، بدليل أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لما أمره بأن يخسف أو يقلب ديار لوط أخذ بريشة من جناحه، له كم جناح؟ له ستمائة جناح، ريشة واحدة من هذه الأجنحة قلب بها سبع ديار، رفعها إلى السماء إلى عنان السماء ثم قُلبت عليهم، ديار ثمود، فهو ذو قوة عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

قال: ﴿ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ [التكوير: ٢٠]، أي ذو مكانة، عند ذي العرش عند من؟ ذي العرش هو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فالملك جبريل يصف الله بأوصاف عظيمة تعظيمًا لأي شيء؟ تعظيمًا لما جاء به من هذه الأخبار، يا أهل مكة ويا كفار قريش تظنون أن هذه الأخبار جاء بها محمد من عنده أو إفك من عنده أو كذب لا، هذا نزل به ملك من السماء هذه أوصافه، لتعرفوا عظم

القرآن وعظم الرسالة؛ قال: ﴿ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ [التكوير: ٢٠]، أي له مكانة ومنزلة عظيمة عند الله.

خمس أوصاف أو ست أوصاف لجبريل، قال: ﴿مُطَاعٍ﴾ [التكوير: ٢١]، أين هو مطاع؟ مطاع عند الملائكة، هو رئيس الملائكة، والملائكة تسمع له وتطيع إذا أمرها، مطاع في السماء، ولذلك قال: ﴿مُطَاعٍ ثَمَّ﴾ [التكوير: ٢١]، ثمَّ هنا معناه هناك، ظرف معناها هناك، ليس ثمَّ حرف عطف مثل ثُم، ثُم هذا شيء ثاني، تقول: دخل زيد ثم عمرو، هذه عاطفة، لكن ثمَّ، ثمَّ هذه معناها هناك، تقول: أجدك يا فلان ثمَّ المكان الفلاني، يعني هناك هذا معناه، ولذلك قال: ﴿مُطَاعٍ ثَمَّ﴾ [التكوير: ٢١]، أي في السماء هناك بعيد، ﴿ثَمَّ أَمِينٍ﴾ [التكوير: ٢١]، فهو أمين السماء، ويُسمع كلامه ويطاع، ﴿مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ [التكوير: ٢١]، هذه أوصاف جبريل عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

ثم بعد ذلك قال في محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَمَا صَاحِبُكُمْ﴾ [التكوير: ٢٢]، يا أهل مكة، يا من تخاطبون بهذا الكلام، صاحبكم محمد ليس بمجنون، ﴿وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ﴾ [التكوير: ٢٢].

لماذا قال صاحبكم؟

لأنهم صاحبوه وعاشوا معه أربعين سنة، كانوا يسمونه الصادق الأمين، فلما جاءكم بهذه الحقائق التي لا شك فيها إنسان كذبتموه ، ورددت رسالته، وحاربتموه، واتهموه بأنه كاهن، بأنه مجنون، بأنه ساحر، كذاب!! كيف تقولون هذا وهو صاحبكم وتعرفون معرفة تامة؟!!

فقال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ﴾ [التكوير: ٢٢]، ثم قال: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ﴾ [التكوير: ٢٣]، رأي من؟ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رأى جبريل، رآه على صورته الحقيقة مرتين، رآه بعدما نزل من غار حراء، ونزل إلى الأبطح متوجهًا إلى مكة رآه في هذه الآية، ورآه الرؤيا الأخرى في ليلة الإسراء والمعارج، في ليلة الإسراء والمعراج رآه.

قال هنا: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ﴾ [التكوير: ٢٣]، لماذا قال بالأفق؟ لأن جبريل عَلَيْهِ

السَّلَامُ لما ظهر بصورته الحقيقية سد الأفق، ونادى الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فقال: يا محمد، يا محمد، النبي التفت يمين وشمال وخلف، قال: يا محمد، فرفع رأسه فإذا هو قد سد الأفق، جالس على كرسي بين السماء والأرض، قال: يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل، فرآه على صورته.

قال: ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ﴾ [النجم: ١٣]، فرآه هناك، ورآه هنا، قال: ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ ﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴾ [التكوير: ٢٣، ٢٤]، أي محمد يا أهل مكة ما هو الغيب بضنين، كلما جاء خبر من السماء أخبركم به، ما يُخفي عليكم شيء، بضنين يعني ببخيل بما يوحى إليه، لا يُخفى شيئًا، ما جاءه من وحي بلغ الرسالة صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واجتهد في إبلاغ هذه الرسالة لأمته، فكلما جاءه خبر .. حتى قصة الإسراء والمعراج التي أنكرها أهل مكة جميعًا ولم يصدقوه أخبرهم بها، قال: **«أتاني آتي فأخذني من مكة وذهب بي إلى بيت المقدس، ثم عرج بي إلى السماء فرأيت كذا وكذا وكذا»**، فجاء أهل مكة وقالوا: يا أبا بكر إن صاحبك لمجنون، يقول: ذهبت في ليلة واحدة ورجعت، ونحن نقطع الأشهر ما قطعنا هذه المسافة، فكان يخبرهم بكل شيء.

قال: ﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ﴾ [التكوير: ٢٥]، هذا الكلام الذي تسمعونه والأخبار ما هو بقول شيطان رجيم، ﴿ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾ [الشعراء: ٢١٠، ٢١١]، أنتم تقولون: أنه يذهب إلى الكهن، ويذهب إلى السحرة ويأتي به الكلام، هذا غير صحيح؛ بل ينزل عليه الوحي من السماء، ولذلك قال بعدها: ﴿ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴾ [التكوير: ٢٦]، أين تروحون؟ هذه حقائق أمامكم، ما يمكن أن تتركوها، ﴿ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴾ [التكوير: ٢٦]، ما لكم طريق إلا هذا الطريق، طريق النجاة والسعادة والسلامة، إن أدرتم ذلك فاسلكوه وإلا ما أماكم إلا طريق الهلاك، ﴿ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴾ [التكوير: ٢٦].

ثم بيّن سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن هذه الأشياء لا يُخاطب بها أهل مكة فقط، تظن أن هذه الرسالة لأهل مكة ولقريش ولمن حولهم، لا، بل هذه الرسالة عالمية، عالمية للإنس والجن إلى قيام الساعة، ولذلك قال: ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴾ [التكوير: ٢٧]، أنت يا محمد رسول الثقلين، رسول الإنس جميعًا ورسول الجن، رسول الثقلين، قال: ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴾ [التكوير: ٢٧].

ثم قال: ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾ [التكوير: ٢٨]، هذا الذكر لمن شاء منكم أن يستقيم ويسلك هذا الطريق والذكر فليسلكه، لكن اعلموا أن مشيئتكم تحت مشيئة الله، لا تدبير لكم ولا مشيئة ولا إرادة إلا تحت إرادة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٩].

فكل حركاتك، وسكناتك، وذهابك وإيابك، هي كلها بمشيئة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فإن أردت السعادة، وإن أدرت الهداية فاطلبها من الله الذي بمشيئته كل شيء، فليس لك إرادة ولا قدرة، ولا تتكل على نفسك، ولا تستعين بنفسك، وإنما تستعين بالله، وتطلب التوفيق من الله، والتيسير من الله، فكل الأمور مرجعها إلى الله، ﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ [البقرة: ٢١٠].

هذه السورة العظيمة الحقيقة سورة جلسنا معها هذا المجلس المبارك الذي تحفه الملائكة وتغشاه الرحمة بإذن الله، وتنزل عليه السكينة، ويذكر الله أهله في الملأ الأعلى، هذا فضل عظيم، قوموا مغفورٌ لكم قد بدلت سيئاتكم حسنات، تعيش مع القرآن، وتتدبر هذا الكنز العظيم، كيف هذه السورة بهذه المثابة وبهذه المنزلة العظيمة؟ تحتاج منا عند قراءتها إلى أن نتأمل ونتدبر ونتفكر، أسأل الله أن ينفعنا بما قلنا، وبما سمعنا، والله أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وجزآكم الله خير على إنصاتكم وحضوركم، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الدرس (١٩)

بسم الله والحمد لله وأصل وأسلم على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه إلى يوم الدين، اللّهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم.

أيها الأخوة الكرام السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

حياكم الله في هذا اللقاء المبارك، أسأل الله أن ينفعنا بما نقول، وبما نسمع وأن يجعلنا وإياكم هداة مهتدين، موفقين لكل خير، هذا اليوم يوم الثلاثاء الموافق السابع عشر من شهر صفر من عام ١٤٤٤ هـ نجتمع في هذا المقام المبارك ونتدارس آيات من كتاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وخير ما يقضي المسلم وقته في قراءة القرآن الكريم قراءة وتفسيرًا، وتدبرًا وعملاً، لا زلنا في سياق هذه السور، الجزء الأخير جزء (النبأ) أو جزء (عم) هذا الجزء كما ذكرنا كثيرًا في لقاءات أن هذا الجزء هو من السور المكية التي الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قرر فيها قضية الإيمان باليوم الآخر، الإيمان باليوم الآخر، بالبعث، بالجزاء، بالجنة، بالنار.

وهذا اليوم الآخر كان موقف الكفار في نزول القرآن ووقت النزول الإنكار، والاستبعاد أن يكون هناك يومٌ يبعث الله فيه الأولين والآخرين ويجازي به الناس إما بفوز بجنات النعيم أو خسارة في الجحيم كل ذلك كان ينكره الكفار ولا يؤمنون به، ﴿أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ۝١٦ أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ۝١٧ قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ﴾ [الصافات: ١٦ - ١٨]، ذليلون حقيرون، السورة التي بين أيدينا سورة الانفطار، النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«من سره أن ينظر إلى يوم القيامة نظر العين فليقرأ سورة التكوير وسورة الانفطار وسورة الانشقاق»**.

سورة الانفطار تأتي بعد سورة التكوير، وحديثها قريب جدًا مما تتحدث عنه سورة التكوير، وأن تقرأ تلاحظ التشابه والتآخي بين هاتين السورتين، وإذا تأملت أكثر وأكثر وجدت أن سورة

الانفطار سابقة في تصوير اليوم الآخر لسورة التكوير، التكوير أكثر تفصيل، وأكثر بيان، وأكثر ذكر للآيات، للآيات التي ذكرها الله، كما مر عنا أن سورة التكوير ذكرت ست آيات أو ستة أحوال قبل النفخة الأولى، ثم ست أحوال أو ست آيات تظهر بعد النفخة الثانية نفخة البعث، هنا نفس الشيء، لكن جاءت بسور أخرى، والقرآن هكذا طريقته يسوق بصور مختلفة للترغيب وتصوير اليوم الآخر بصور مختلفة، ترغيبًا للعبادة.

يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾ [الانفطار: ١]، هناك قال: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١ وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ﴾ [التكوير: ١، ٢]، إلى أن قال: ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ﴾ [التكوير: ١١]، أي أزيلت، وهذا كما ذكرنا أنه يحدث بعد البعث أو بعد النفخة الثانية، هنا يختلف الوضع، قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾ [الانفطار: ١]، وقال في سورة تأتي بعدها: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ﴾ [الانشقاق: ١].

هذا الانشقاق والانفطار يحدث قبيل النفخة الأولى، في نهاية الدنيا، في نهاية الدنيا عند خراب الكون تحصل هذه الآيات، ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾ [الانفطار: ١]، وقال بعدها: ﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ﴾ [الانفطار: ٢]، انفطار السماء هل هو انشقاق السماء أو يختلف؟ نحتاج إلى تدبر، نحتاج إلى فهم إلى لغة العرب، العرب تقول: انفطر الشيء وتقول: انشق، بلا شك أن هناك فرق، لو كان المعنى واحد لعبر القرآن انشقت انشقت مثل ما ذكر في آيات أخرى، لكن لما كان هناك فرق جاء التعبير مرة هنا، وجاء التعبير مرة هنا، أنت يحتاج منك إلى فهم لغة العرب، يحتاج منك إلى فهم لغة القرآن؛ حتى تتدبر أكثر، وتغوص في عمق الآية، انفطار الشيء هو بداية الانشقاق، ولذلك أنا قلت لك: هذه السورة سابقة للسورة التي قبلها، انفطار الشيء هو بداية الانشقاق، تقول: تتفطر قدماه أي بداية الشقوق، لما تقول: انشق الشيء يختلف، انشق القمر، في زمن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ انشق القمر، كيف انشق القمر، فلقة في المشرق وفلقة في المغرب، يعني انشق شقين بعيدين، الانشقاق أكبر وأوسع من الانفطار، إذًا هذا بداية؛ لأن الله عَزَّ وَجَلَّ قال هنا: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾ [الانفطار: ١]،، وقال في السورة التي تليها أو بعد التي تليها؛ قال: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ ۝١ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا

وَحُقَّتْ﴾ [الانشقاق: ١، ٢]، إذًا انشقاق يأتي بعد الانفطار.

قال: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾ [الانفطار: ١]، متى؟ في نهاية الدنيا، ثم قال بعدها: ﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ﴾ [الانفطار: ٢]، أنت ستجد في هذه الآيات المتتالية الآن والله عَزَّ وَجَلَّ ذكر أربعة أمور، هناك ذكر اثنتين عشرة آية، وهنا ذكر أربع آيات، اثنتان تتعلق بالسماء، واثنتان تتعلق بالأرض، ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾ [الانفطار: ١]، قال بعدها: ﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ﴾ [الانفطار: ٢].

ولاحظ لما أقول لك: هذه السورة سابقة، وحتى أحوالها سباقة للأحول الأخرى أو أحوال السورة الأخرى، فهنا الأمور غير مرتبة، يعني أحداث مزعجة، أحداث متتالية بسرعة، ولذلك قال: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾ [الانفطار: ١]، ثم قال بعدها: ﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ﴾ [الانفطار: ٢].

في سورة التكوير قال: ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ﴾ [التكوير: ٢]، وعرفنا الإنكدار هو ذهاب الضوء والتغير ثم التساقط، هنا قال: ﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ﴾ [الانفطار: ٢]، يعني هناك يختلف، هنا في شيء مثلما تقول: بعثرة، واختلاف، وتشتت؛ لأن قوله: ﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ﴾ [الانفطار: ٢]، الكواكب هي النجوم، قال: ﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ﴾ [الانفطار: ٢]، يعني تساقطت في أماكن مختلفة، تقول: هذا الشيء انتثر علي، لما يسقط بطريقة غير مرتبة تقول: انتثر هذا الشيء وتبعثر علي، الكواكب تنتثر، الحقيقة نحن نحتاج إلى أن نتدبر أكثر وأكثر، وتصور أنت الكوكب الواحد يعني أكبر من حجم الأرض، إذا تساقط أين يذهب؟ وليس كوكب واحد أو اثنين أو ثلاثة أو أربعة، هذه كواكب في السماء مليئة، وكلها في هذا الوقت وعند نهاية الدنيا إذا أراد الله هذا الأمر تتساقط في أماكن مختلفة في هذا الكون الواسع المترامي الأطراف، الأرض حجم صغير بالنسبة لهذا الكون المترامي الأطراف.

قال: ﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ﴾ [الانفطار: ٢]، وتساقطت في أماكن مختلفة، بعدها يقول الله

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾ [الانفطار: ٣]، وأنا أقول لك: اجعل أمامك هاتين السورتين، هنا يقول: فجرت، وهناك يقول: سجرت، التفجير سابق، معنى التفجير أن البحار تفجر بعضها على بعض حتى تصبح بحرًا واحدًا قطعة واحدة، ثم بعد ذلك تسجر، والتسجير مثلما مر معنا هو أن تشتغل نارًا، فتصبح هذه المياه كلها نيران، متى يحدث؟ بعد تفجيرها، لما تفجر هذه مرحلة سابقة، ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾ [الانفطار: ٣]، هذه كلها تحدث في نهاية الدنيا، ذكر الله هنا ثلاث آيات، وهناك ذكر ست آيات، وهنا ذكر ثلاث آيات، انفطار السماء، وتناثر الكواكب، وتفجير البحار، هذه كلها تحدث قبيل نهاية الدنيا عند النفخة الأولى.

بعدها قال: ﴿وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾ [الانفطار: ٤]، لاحظ تبعثر القبور تحرك بقوة وبشدة، وتتشقق القبور ويخرج الناس من قبورهم، هذا متى يحدث؟ هذا يحدث بعد النفخة الثانية، هذه بعد النفخة الثانية، إذا نفخ في الصور النفخة الثانية ﴿فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨]، هذه هي الآية التي تحدث، تبعثر القبور فيخرج الناس من قبورهم، تعود الأرواح إلى الأجساد ويخرج الناس من قبورهم، ﴿وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾ [الانفطار: ٤].

قال بعدها: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ [الانفطار: ٥]، وهناك قال: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ﴾ [التكوير: ١٤]، ما قدمت من أعمال، وهنا فصل، ما هي الأعمال التي قدمتها؟ قال: ﴿مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ [الانفطار: ٥]، ما معنى ما قدم وما أخر، وهذه الأعمال تصدق على أعمال الخير للصالحين، وأعمال الشر لغير الصالحين، كل نفس ستعلم ما قدمت وما أخرت من خير أو شر.

ما معني قدمت؟ وما معني أخرت؟

للمفسرين أقوال:

بعضهم يقول: علمت نفسٌ ما قدمت من خير من أعمال صالحة، قدمته لها وعملته في الدنيا، وما أخرت من أعمال صالحة أيضًا تركتها النفس وراءها في الدنيا، مثل ماذا؟ مثل أعمال البر التي تبقى بعده، الصدقات الجارية، والولد الصالح الذي يدعو له، ونحو ذلك، كل ما تركه من آثار

حسنة يعلم هذا الإنسان يوم القيامة أنها تُجمع له أعماله وحسناته التي فعلها في الدنيا قبل أن يخرج من الدنيا، والتي بقيت له بعد أن ينتقل من هذه الدنيا إلى الآخرة، تبقى له أعمال صالحة من أوقاف ونحو ذلك، هذا وجه من وجوه التفسير.

الوجه الثاني: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ [الانفطار: ٥]، أي ما قدمت من أعمال صالحة، وما أخرته بمعنى تركته لم تعمله، فإذا جاء يوم القيامة سيندم الإنسان أشد الندم على أنه كيف ضيع عمره؟ ما الذي قدمت من أعمال صالحة ووجدتها؟ ما الذي ضيعته؟ مر عليك يوم ما عملت فيه عمل صالح، هذا أخرت عملك، وضاع عليك هذا اليوم وذهب عليك، صلاة الضحى يبدأ وقتها من هذه الساعة إلى هذه الساعة، عملت فيها وصليت فيها فقد قدمت لنفسك، ما عملت وما صليت قد أخرت وذهبت عليك، فهذا معنى.

إذًا معنى قوله تعالى: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ [الانفطار: ٥]، إما أن يكون ذلك من أعمال صالحة يقدمها لنفسه في حياته أو بعد مماته، أو ما يقدمه لنفسه يجده، وما يؤخره فيندم عليه، هذان قولان كلاهما صحيحان، والآية تصدق على كل نفس صالحة أو غير صالحة.

الكافر والفاجر إذا جاء يوم القيامة علم ما قدم من أعمال سيئة، وما ترك، وعلم ما ترك حتى ما سن من السنن السيئة تجد بعض أهل الضلال يسنون سننًا سيئة، ويذهبون من هذه الدنيا ويتركونها خلفهم وراءهم، يعمل فيها الناس وهم يأتيهم أوزارها وسيئاتها، ويحملون أثقالهم وأثقال من عمل بما سنوه للناس، كل هذا يصدق عليه ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ [الانفطار: ٥].

الحقيقة السورة على قصرها وقلة آياتها إلا أن فيها آيات عظيمة تحتاج منا إلى تأمل، قال بعدها سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَاأَيُّهَا الْإِنْسَانُ﴾ [الانفطار: ٦]، ،الخطاب لعموم الإنسان، ولكنه يصدق على الكافر أكثر، لماذا؟ لما يأتي بعده لما قال: ﴿كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ﴾ [الانفطار: ٩]، فدل على أن الإنسان هنا هو الكافر؛ لأن المؤمن لا يكذب بالدين ولا بالجزاء ولا بالحساب.

قال: ﴿يَاأَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ [الانفطار: ٦]، ما الذي جعلك تغتر بربك؟ ما الذي جعلك تغتر حتى تقع في معاصيه؟ قال بعض السلف: غرني ستور الله، غرني عفوه، لما

إنسان يعني الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يستر عليه ويعفو عنه، ولا يُعاقبه ولا يعجل له بالعقوبة يستمر، يستمر ويتمادى في معاصيه، وهو يعرف أن الله كريم، لاحظ أنه قال: ﴿ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴾ [الانفطار: ٦]، فالكريم حتى الكريم من بني آدم إذا وجدت الرجل كريمًا فإنك تجسر عليه أكثر وتطمئن نفسك له أكثر، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إذا شعر الإنسان هذا بأن ربه كريم، وأنه يتجاوز، وأنه يعفو وأنه يستر تمادى، والمفترض أنك تقابل الكرم بالكرم، لا يتقابل الكرم بالإساءة، الإنسان يُحسن إليك ويكرمك تقابل هذا الكرم بالكرم، قال: ﴿ يَاأَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴾ [الانفطار: ٦].

ثم بدأ يبين لك من أنت؛ قال: الذي خلقك وأوجدكم من عدم، فالذي خلقك وأوجدك من العدم هو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، هو الكريم، ﴿ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ﴾ [الانفطار: ٧]، سواك أي جعلك في سورة حسنة، سواك أي خلقك في أحسن تقويم، في أحسن صورة، ﴿ فَعَدَلَكَ ﴾ [الانفطار: ٧]، جعلك معتدل القامة وفي صورة جميلة، لا تجد إحدى العينين أكبر من الأخرى، ولا إحدى اليدين أكبر من الأخرى، ولا إحدى الأذنين أطول من الأخرى؛ بل خلقك في أحسن صورة، وصورك في أحسن صورة.

فمقابل هذا الخلق الطيب الحسن الجميل تُقابله بالمعاصي والكفر والطغيان هذا لا يليق، ﴿ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ۝٦ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴾ [الانفطار: ٦ - ٨]، سبحانه وتعالى يركبك في أي سورة، باللون الأسمر، باللون الأبيض، بالطول بالقصر، بصور كثيرة، يصورك الله في أحسن صورة، ﴿ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴾ [الانفطار: ٨].

قال بعدها: ﴿ كَلَّا ﴾ [الانفطار: ٩]، ليس الأمر كذلك، كلا كلمة ردع وزجر، يعني دائمًا إذا قرأت كلمة كلا اعرف أن الأمر فيه مخالفة، فيه عصيان، فيه خروج عن الطريق السوي، ولذلك الله عَزَّ وَجَلَّ يقول للإنسان: ما الذي غرك؟ تغتر بربك بفعل المعاصي والفجور والإعراض عنه وهو الذي خلقك، ومع ذلك تكذب بيوم الدين؟!!

قال: ﴿ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ ﴾ [الانفطار: ٩]، ما المراد بالدين؟ هل الدين هو الشرع؟ ولا الدين يوم الجزاء والحساب؟ الله تعالى قال: ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ [الفاتحة: ٤]، يعني يوم

القيامة، فالآية تحتمل أنك تكذب بالشرع وبالرسالة، تكذب بما جاءك عن الله، وتكذب بالبعث، كلها صحيحة، تكذب بذلك كله.

قال: ﴿كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ ۝٩ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ﴾ [الانفطار: ٩، ١٠]، يعني كيف تكذب بالشرع؟ وتكذب بالله؟ وتكذب بالجزاء والجنة والنار والبعث والله قد أرسل إليك ملائكة تحفظ أعمالك؟ ما تلفظ من قول إلا سجل عليك، وما تعمل من عمل إلا يسجل عليك، فاحفظ لسانك، واحفظ جوارحك إلا في طاعة الله، خلفك ملائكة تتابعك وتكتب، ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ﴾ [الانفطار: ١٠]، ملائكة تحفظ لا تضيع ولا مثقال ذرة من حسنة؛ بل تكتبها وتسجلها، وهؤلاء الملائكة كرام فأكرمهم، إذا كانوا بهذه الصفة الله أكرمهم فعليك أن تكرمهم، ألا يكونوا معك وأنت على معصية، تستحي من الملائكة، وتكرم الملائكة، ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَاتِبِينَ ۝١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الانفطار: ١٠ - ١٢]، يكتبون كل شيء ويعلمون كل ما تفعل، كل ما تفعله في نفسك أو أمام الناس كل ما تفعله يعلمه، الله عَزَّ وَجَلَّ وكلهم والله عَزَّ وَجَلَّ أعطاهم ومنحهم القدرة على متابعة كل إنسان معه ملك، كل إنسان معه ملك ومعه قرين من الشيطان، قرين من الشيطان وملك من الملائكة، فاستح من هؤلاء واعمل الصالحات، السورة لا تزال في ذكر مثل هذه الأمور التي نحتاج إليها ونتأملها ونتدبرها، لكن لا نريد الإطالة عليكم، لعلنا نقف عند هذا القدر، وإن شاء الله في لقاء قادم نستكمل ما تتحدث عنه هذه السورة العظيمة الجليلة، أسأل الله أن ينفعنا بما قلنا وبما سمعنا، وأن يجعلنا وإياكم من أهل القرآن الذين هم أهل الله وخاصته، وأن ينفعنا بما قلنا وما سمعنا.

والله أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



بسم الله والحمد لله وأصل وأسلم على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه إلى يوم الدين؛ أما بعد ...

أيها الأخوة الكرام السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن يرزقنا وغياكم العلم النافع والعمل الصالح، وأن يجعلنا وإياكم هداة مهتدين موفقين لكل خير، الحقيقة أيها الأخوة مثل هذه المجالس المباركة المجالس التي فيها التدبر والتأمل في كتاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أفضل كلام على الإطلاق كلام الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وخاصة إذا كان التدبر في الآيات التي تتعلق باليوم الآخر، وما يجري في هذا اليوم العظيم، وهذا اليوم الهويل الذي عظمه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وأكد عليه في آيات كثيرة؛ بل في سور عظيمة، وما أحوجنا أيها الأخوة في الحقيقة إلى مثل تدبر القرآن وتدبر ما قد يغيب عن كثير من الناس مما يتعلق باليوم الآخر، وما يتعلق بالمعاد، وما يجري في هذا اليوم من أحوال عظيمة، شدائد عصيبة، وما أنت تسمع وتشاهد وترى مما يذكره الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى كأنك تراه رأي العين، مما يحدث لكثير من هذه الجمادات التي تتأثر بهذا اليوم العظيم.

والحقيقة ما أقسى هذه القلوب؟ الكثير من القلوب قاسية تحتاج إلى من يلينها بمثل هذه المواعظ وبمثل هذا التذكير العظيم، سئل أحد السلف جاءه رجل وقال: إني أجد في قلبي قسوة، قال: عليك بالقرآن، قال: أجد في قلبي قسوة، قال: عليك بآيات اليوم الآخر فإنها ترقق القلوب، أنت تقرأ هذه الآيات وتجد فيها تأثير على القلوب الحقيقة، نحن في هذه السورة العظيمة سورة الانفطار أو ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾ [الانفطار: ١]، مع قصرها وقلة عدد الآيات إلا أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يعني أجمل فيها أمورًا عظيمة، وهذا يدل على إعجاز القرآن، تأتيك سورة طويلة،

تأتيك سورة قصيرة، تأتيك آيات طويلة أحيانًا، آيات قصيرة، ولكن فيها دلالات عظيمة تحتاج منا إلى تأمل وتفكر، إلى أن نقف معها وقفة عظيمة، هذه السورة تحدثنا عنها في لقاء ماضي، ونستكمل ما توقفنا عنده حتى نختم هذه السورة العظيمة.

النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«من سره أن ينظر إلى يوم القيامة نظر عين فليقرأ إذا الشمس كورت، وإذا السماء انفطرت، وإذا السماء انشقت»**، هذه سور عظيمة الحقيقة، لا تقرأها هكذا اقرأها وقف عند آياتها، ورددها وتأملها، النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقف مع آية ليلة كاملة حتى أصبح، آية واحدة، ﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨].

وقف معها ليلة كاملة وهو يرددها، عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا الصديقة وقفت مع آية ترددها، قال بعض التابعين: مررت على بيت عائشة وإذا هي تردد آية، يقول: فذهبت إلى السوق وقضيت حاجتي ورجعت وهي تزال تردد هذه الآية، فترديد الآيات سنة، أنك تردد وتعيد النظر فيها وتتأملها.

قال: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾ [الانفطار: ١]، حصل هذا الانفطار في السماء، وذكرنا أن الانفطار يسبق الانشقاق، تنفطر ثم تنشق ثم يحصل لها ما يحصل لها من أهوال حتى يطويها الجبار سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ﴿وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [الزمر: ٦٧]، آيات كثيرة، ﴿وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا﴾ [النبأ: ١٩]، هذه كلها أحوال تمر بها، السماء من الجمادات ومع ذلك تتأثر بهذه الأهوال العظيمة، ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾ [الانفطار: ١]، ولاحظ أن هذا في الكون في الأعلى.

ثم قال بعدها: ﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ﴾ [الانفطار: ٢]، تساقطت، لماذا قال انتثرت؟ غالبًا الانتثار هو انتثار الشيء من غير ترتيب، تجد هذا يسقط هنا وهذا يسقط هنا وهكذا، لماذا؟ قال: لشدة الهول، القضية قضية عظيمة، ولذلك الكواكب تتناثر في كل مكان، وتصور أن الكواكب كم عددها؟ كم كوكب في السماء؟ وما حجم الكوكب في السماء؟ وكيف يسقط؟ وأين يسقط؟ وأين يذهب، هذه أمور عظيمة، الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يذكرها لنا حتى نعتبر، وحتى نتفكر وحتى تلين هذه القلوب.

قال: ﴿ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴾ [الانفطار: ٣]، لو تقرأ في السورة التي قبلها في سورة التكوير قال: ﴿ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴾ [التكوير: ٦]، يعني أشعلت نارًا، وهنا قال: ﴿ فُجِّرَتْ ﴾ [الانفطار: ٣].

قد يأتيك شخص ويقول لك:

كيف مرة يقول فجرت؟

ومرة يقول: سجرت؟

نقول: فجرت ثم سجرت، تُفجر حتى تصبح بحرًا واحدًا، ثم تتأجج نارًا، وهذا جماد، الله عَزَّ وَجَلَّ أقسم بالبحر هذا لما يتفجر أقسم به قال: ﴿ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ﴾ [الطور: ٦]، يعني الذي يتوقد نارًا.

قد يأتيك شخص يقول لك:

كيف ماء يصبح نار والماء ضد النار؟

نقول: أنت في الدنيا الآن تشاهد بعض المحيطات تخرج منها نيران في الدنيا، فكيف بالآخرة؟! ثم دائمًا أعطيك قاعدة استفيد منها في حياتك: أمور الآخرة لا يمكن أن تتصورها في ذهنك، تتصورها بشيء تقريبي ممكن، لكن أن تتصورها على حقيقتها لا، لا يمكن أبدًا؛ لأن اليوم الآخر يختلف عن الدنيا، فكل ما يأتي في بالك كيف يحصل كذا؟ وكيف يحصل كذا؟ هذا الكيف ما يمكن أن يتصوره الإنسان أبدًا لا في الجنة ولا في النار ولا في عرصات يوم القيامة، كل هذه الأمور تختلف عن أحوال الدنيا.

قال: ﴿ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴾ [الانفطار: ٤]، وبعثرت القبور تحريكها بشدة وبقوة من غير ترتيب نفس الشيء، فيخرج من في القبور، يخرجون سراعًا، يخرجون إلى المحشر، إلى الحساب، إلى الجزاء، كل الخلق جميعًا كل من في القبور ومن تحت الأرض، حتى من حيوانات، ومن طيور، ومن إنسان، ومن جن، ومن حتى المواد التي في الأرض من كنوز، ومن ذهب، ومن فضة، كلها تُحشر يوم القيامة، ويُؤتى بها يوم القيامة.

الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لما ذكر لنا هذه الأحوال مجملة وأعطاك شيء منها وليست هذه كلها، وإنما أعطاك شيئًا منها، نقلك إلى أي شيء؟ نقلك إلى موقف هذا الإنسان، هذا الإنسان المعاند الكافر المصر على كفره وعناده يذكره الله لعله يرجع، أما المؤمن مصدق، المؤمن يصدق بكل شيء ولا يعترض على شيء، لكن من يعترض قال الله فيه: ﴿يَاأَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ [الانفطار: ٦]، لماذا تكفر؟ لماذا تغتر بربك وتكفر وتعاند وتصر؟ قال بعض السلف: غره رحمة الله، وستره، وعفوه، لو أن الله انتقم منه مباشرة ونزلت به العقوبة لما اغتر، لكن هو يفسد ويعاند ويكفر ويطغى والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يعطيه الصحة والعافية ويمهله، هذا الذي جعله يغتر.

قال: ﴿يَاأَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ [الانفطار: ٦]، ولاحظ أنه قال: ربك الكريم، أي ذو الكرم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، يكرم عباده ويعطيهم ويغدق عليهم ويحاربونه ويعاندونه.

ما غرك بربك الكريم الذي خلقك الخلق الأول، أنشأك وأنت من عدم لست موجود على هذه الأرض، فخلقك فسواك فعدلك في أحسن صورة، في أجمل صورة أخرجك، سواك صورة حسنة طيبة، كما قال بعض السلف: لم يجعلك في صورة قردة ولا خنزير وإنما جعلك في أحسن صورة، وجعلك أعضاءك متساوية، لو كانت إحدى اليدين أطول من الأخرى، أو إحدى الرجلين أطول من الأخرى، أو إحدى العينين أكبر لما استقام الشخص، لكن الله جعله في أحسن تقويم، وفي أحسن صورة، يذكره بهذه الأشياء، ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ [الانفطار: ٨]، في أي صورة الله اختار لك ما يشاء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [آل عمران: ٦].

ومما يدل على أن هذه الآية تخاطب الكفار؛ أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قال: ﴿كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ﴾ [الانفطار: ٩]، من يخاطبهم الله يكذبون، لو كانوا ما يكذبون ما خاطبهم بهذا الأسلوب، ولكنهم كانوا يكذبون بالدين، والمراد بالدين هنا؛ قيل: هذا الشرع دين الإسلام، وقيل: الدين هنا هو يوم القيامة، يوم القيامة يسمى يوم الدين، ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤]، كما سيأتيك في آخر السورة ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ﴾ [الانفطار: ١٧]، سمي يوم القيامة بيوم الدين لأن الناس

يدانون بأعمالهم يجازون، الدين يعني الجزاء والحساب.

يقول: كيف تكذب بيوم الدين، وتكذب بالله، وتكذب بيوم القيامة، وتكذب بشرعه والله قد وكل عليك ملائكة تحصي كل ما تقوله وما تفعله، حتى النظرة تنظرها تُسجل عليك، حتى الابتسامة والضحكة تُسجل عليك، ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨]، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ ۝٩ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ﴾ [الانفطار: ٩، ١٠]، يعني ملائكة وصفهم الله بأنهم حفظة يحفظون الأعمال، ما تقدم من خير تجده، كل ما تفعل من خير مسجل ومحصي ـ ومحفوظ لك، فابذل الخير وتجنب الشر ـ إذا علمت أن وراءك من يكتب، وراءك من يحفظ، وراءك من يسجل ويحصي ـ فالتزم الخير وابتعد عن الشر ـ كل هذه مواعظ وتوجيهات من رب غفور رحيم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قال: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا﴾ [الانفطار: ١٠، ١١]، هؤلاء الملائكة وصفهم الله بأنهم كرام، فإذا كانوا كرامًا ويتابعونك فأكرمهم، الله كريم أكرمه وقابل الكرم بالكرم مع الله، ومع الملائكة.

قال: ﴿كِرَامًا كَاتِبِينَ ۝١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الانفطار: ١١، ١٢]، الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أعطاهم القدرة على أنهم يعلمون كل ما تفعله، كل إنسان في المسجد وفي خارج المسجد في أي مكان الملائكة معه تسجل وتعلم ماذا يفعل؟ لما ذكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هذه الأهوال العظيمة وذكر موقف هذا الإنسان، وذكره بالرجوع إلى ربه، وتذكيره بنعمة الله عليه، وبما خصه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى من نعم عظيمة، وجعل عليه ملائكة تحفظ أعماله، ختم الله هذه السورة بمصير الناس اليوم القيامة، هذه هي خاتمة السورة، خلاصة ما تقدم كله النتيجة ما هي؟ ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ۝١٣ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ [الانفطار: ١٣، ١٤].

الأبرار جمع بر والبر هو من كثرت أعماله الصالحة، وفي هذا إشارة إلى أنه ينبغي للإنسان أن يدخل في زمرة الأبرار، كن في زمرة الأبرار وكن معهم، وسارع في ركبهم، ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ [الانفطار: ١٣]، وفيه تعليل، وفيه بيان الحكمة والعلة، لماذا الأبرار في نعيم؟ قال: لبرهم، لكثرة

أعمالهم، فكأنه إشـارة إلى أنه كن من الأبرار واعمل الأعمال البارة الصـالحة حتى تكون في النعيم، حتى تحصل وتفوز بجنات النعيم.

كما أنه في المقابل، ﴿وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ [الانفطار: ١٤]، الذي جعلهم في جحيم فجورهم وكسبهم السيئ، كسبوا السيئات وعملوا السيئات؛ بل زادوا على ذلك بأن كانوا فجرة، كانوا فجارًا، والفجور كثرة الذنوب والمعاصي، كما أن البر والأبرار كثرة الطاعات، يسمى هذا الرجل بارًا إذا كثرت أعماله الصالحة، ويسمى فاجرًا إذا كثرت أعماله السيئة، وفي هذا بيان لحكمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن جازى المحسن بإحسانه، وأن جاز السيئ على إساءته، وهذا عدل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وحكمته؛ بل يزيد عباده الأبرار من فضله، ويعطي هذا على قدره.

وتختم السورة بقوله تعالى: هؤلاء الفجار لهم الجحيم ﴿يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ﴾ [الانفطار: ١٥]، أي يوم القيامة، ومعنى يصلونها أي يدخلونها ويقاسون حرها، ليست يصلونها من الوصول، ليست من الوصول، وإنما هي من الصلي، يقال: شاة مصلية أي مشوية، وهم هؤلاء وعدهم الله بهذا الوعيد الشديد أنهم يدخلون نار جهنم ويقاسون شدة حرها، ويلاقون ما فيها من العذاب من ألوان العذاب المختلفة.

قال: ﴿يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ ۝١٥ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ﴾ [الانفطار: ١٥، ١٦]، ولا لحظة، لا يمكن، يطلبون التخفيف، خفف عنا من العذاب، أخرجنا من النار، لا يُخرجون ولا يُخفف عنهم من عذابها، وليسوا هم بغائبين ولا لحظة من اللحظات أن يغيبوا عن نار جهنم؛ بل لا يموت فيها ولا يحيى، نسأل الله العافية، وأسأل الله أن يجنبنا طريق أهل النار.

قال: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ﴾ [الانفطار: ١٧]، أتعلم ما هو يوم الدين؟ أتدري ما هو؟ ما أدراك؟ ما تدري يوم الدين؟ ونحن ذكرنا لكم أكثر من مرة: أنه إذا جاءتك ﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾ [الانفطار: ١٧]، الجواب، موجود، وإذا جاءك: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ﴾ [الأحزاب: ٦٣]، الجواب غير موجود أبدًا ولا أحد يعرف، حتى النبي ما يعرف، ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ [الأحزاب: ٦٣]، ما أحد يدري، إذا قال: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾ [الانفطار: ١٧]، الجواب موجود على

طول، ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌ﴾ [القارعة: ١٠، ١١].

قال: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ۝١٧ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ﴾ [الانفطار: ١٧، ١٨]، هذا تأكيد، دليل على أي شيء؟ على عظمة هذا اليوم، تهويل هذا اليوم، ﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾ [الانفطار: ١٧]، ما تدري ما هو، ثم ما تدري ما هو؟ حتى نعطيك الخلاصة: كل نفس ما تملك عن الأخرى شيء، ما يمكن ولا تحمل عنها شيئًا أبدًا.

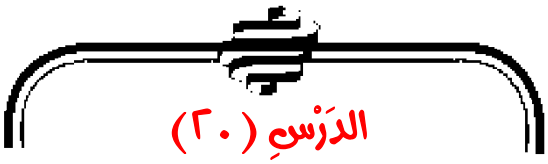
قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا﴾ [الانفطار: ١٩]، مستحيل أن تحمل ولا مثقال ذرة، لو يأتي الأب إلى ابنه يطلب منه مثال ذرة ما أعطاه، والزوج لزوجته والزوجة لزوجها، وأقرب الناس والأبناء لآبائهم كلٌ مشغول بنفسه، ﴿يَوْمَ يَفِرُّ﴾ [عبس: ٣٤]، ليس مقابل أنه يجلس معه أو يعطيه فرصة؛ بل يفر ولا يريد مقابلته، لأنه سيأخذ منه، يقول: أنا أبوك وأنا فعلت معك كذا وكذا في الدنيا، وأعطيتك، فأعطني حسنة واحدة؟ فيعتذر منه، وهكذا.

قال: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا﴾ [الانفطار: ١٩]، كل نفس على نفسها، لا تتدخل بالأخرى، ﴿وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾ [الانفطار: ١٩]، أمر هذا اليوم العظيم كله مرجعه إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، مرجع الأمور كلها، ﴿أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾ [الشورى: ٥٣].

السورة الحقيقة سورة عظيمة، قصيرة، آياتها ليست بالكثيرة، وليست بالطويلة، ولكنها رسالة لكل عاقل يقف ويقرأ ويتأمل ويردد، وأنا أقول لكم الحقيقة، إذا قرأتم مثل هذه السورة أو غيرها رددها، وارجع إلى تفاسيرها ومعانيها، وقف عندها وتأملها، هذه تزيدك إيمان، تزيدك إيمانًا على إيمانك، وتنفعك وتتدبرها وتتأملها وتعيش معها، وتستفيد دروس وعبر، أسأل الله أن ينفعنا بما قلنا، وأن يجعلنا وإياكم هداة مهتدين، موفقين لكل خير، وأن يجعلنا وإياكم من أهل القرآن الذين هم أهل الله وخاصته، وجزآكم الله خير على إنصاتكم وحضوركم.

والله أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



بسم الله والحمد لله وأصل وأسلم على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه إلى يوم الدين، اللّهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا وزدنا علمًا وعملاً يا رب العالمين.

أيها الأخوة الكرام السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

حياكم الله في هذا اللقاء المبارك، أسأل الله أن ينفعنا بما نقول وبما نسمع، أن يجعلنا وإياكم هداة مهتدين موفقين لكل خير.

لا زلنا في حديثنا عن هذه السور، سور الجزء الأخير من القرآن الكريم، جزء (النبأ) والسورة التي بين أيدينا هذا سورة المطففين، وتسمى بسورة التطفيف، وأحيانًا تسمى بسورة: ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ﴾ [المطففين: ١]، كلها أسماء بمعنى واحد، السورة نحن جميعًا نحتاج إلى أن نقرأها بتأمل وتدبر ونفهم معانيها، ونعرف دلالات هذه السورة، ما الغرض منها؟ وأنت تقرأ هذه السورة وتقرأ ما قبلها، وحديثنا في اللقاء الماضي كان في السورة التي قبلها وهي سورة الانفطار، سورة الانفطار قال الله فيها سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بإيجاز: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ۝١٣ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ [الانفطار: ١٣، ١٤]، قد تتشوف النفس لمعرفة من هم الأبرار؟ وما صفاتهم؟ وما حالهم يوم القيامة لما يقول الله: ﴿لَفِي نَعِيمٍ﴾ [الانفطار: ١٣]، وكذلك الفجار من هم الفجار؟ وما حالهم؟ ما الذي دعاهم إلى أن يكونوا بهذه الصفة صفة الفجور؟ وما مآلهم يوم القيامة؟ وكيف سيكون مصيرهم يوم القيامة؟

هذا التفصيل لا يعلمه أحد، لا أعرفه لا أنا ولا أنت ولا أي إنسان، لما جاءت سورة المطففين شرحت لنا هذا، أوضحت لنا الأبرار من هم؟ وكيف سيكون حالهم يوم القيامة، أوضحت لنا

الفجار من هم؟ وكيف سيكون حالهم يوم القيامة بتفصيل دقيق جميل حسن واضح يجذب الأسماع، ومن أعظم الأمور والأسباب التي تجر الإنسان إلى الفجور وإلى وصفه بكونه من الفجار وفي عداد الفجار أخذ أموال الناس بالباطل، أكل أموال الناس بالباطل من أشد الأمور، ولذلك لو تتأمل في القرآن الكريم سورتان في القرآن افتتحت بهذا الوعيد الشديد: ﴿وَيْلٌ﴾ [المطففين: ١].

سورتان:

السورة الأولى: وهي السورة التي معنا الوعيد لمن يأخذ أموال الناس بالباطل، الذي يأخذ أموال الناس قل أو كثر لا يجوز لك أن تأخذ مال غيرك بغير إذنه، التعدي على حقوق الناس وأموالهم.

السورة الثانية: سورة الهمزة، ﴿وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ﴾ [الهمزة: ١]، التعدي على أعراض الناس، **«إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم»**، حتى أنك تجد أحيانًا التعرض لأعراض الناس، والتكلم في أعراض الناس أشد من قتلهم، يعني تقتل الرجل ولا تتعرض لعرضه أو تتكلم في ظهره، ولذلك شدد الله؛ فقال: ﴿وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ﴾ [الهمزة: ١]، وفي هذه السورة أيضًا التي بين أيدينا: ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ﴾ [المطففين: ١].

وويل؛ قال أهل التفسير: هذا وعيد شديد لا يعلم قدره إلا الله، يعني الإنسان إذا سمع كلمة ويل خاف منها وارتجف قلبه، وفر مما وراء ويل، ﴿وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ﴾ [الهمزة: ١]، ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ﴾ [المطففين: ١]، العاقل المسلم يخاف من كلمة ويل.

حتى قال بعض المفسرين: إن كلمة ويل هذه وادٍ في جهنم لو ألقيت فيها جبال الدنيا لذابت فيه، فكيف إنسان يُعرض نفسه لهذا الوعيد الشديد.

والعجيب لما تقرأ هذه السورة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يقول: ﴿وَيْلٌ﴾، لمن؟ ﴿لِلْمُطَفِّفِينَ﴾ [المطففين: ١]، التطفيف ما هو؟ التطفيف أخذ الشيء اليسير، يعني لو أخذ أموالًا طائلة وكثيرة، واقتطع أموالًا واقتطع أراضي، واقتطع حسابات كيف يكون سبيله ومصيره؟ إذا كان التطفيف شيء يسير، تقول: هذا عنده أشياء طفيفة وعندي أشياء يسيرة، فكلمة التطفيف أصلها الشيء اليسير،

فالله توعد هذا الوعيد الشديد على من يأخذ ولو شيئًا يسيرًا، ووصفهم بهذا الوصف المطففين، المطفف الذي يأخذ حق غيره بغير إذنه ولو كان شيئًا يسيرًا، وكلمة التطفيف وبخس الناس في أموالهم ترجع إلى بخص الناس في أموالهم، كلمة التطفيف وبخس الناس في أموالهم في هذه السورة وإن كان الحديث فيها عن المكاييل والموازين والبيع والشراء إلا أن كثيرًا من المفسرين عمم الحكم، فالتطفيف يعم جميع المعاملات، سواء في البيع أو الشراء أو التعامل مع الآخرين، يعني الرجل يتعامل مع زوجته كيف يتعامل؟ يريد أن يأخذ حقه كاملاً ولا يعطيها حقه، والرجل أيضًا مع أبنائه يريد أن يكون حقه وبره كاملاً ولا يعطيهم حقوقهم، وهكذا في جميع التعاملات، حتى أنك تجد بعض الناس يأتي بالعمال المحتاجين المساكين فيتفق معهم على شيء معين، ثم يأخذ حقه كاملاً وإذا جاء يريد أن يعطيه حقه بخسه ولو شيئًا يسيرًا، إذا اتفقت مع عامل من العمال على شيء وعمل عندك يجب عليك أن تعطيه حقه الذي اتفقت عليه، اتفقت معه على شيء معين أعطه حقه لا تبخسه، لا تدخل في هذه الآية وأنت لا تشعر، تأتي بعامل يشتغل عندك واتفقت معه على شيء معين تجد بعض الناس إما أنه لا يعطه حقه كاملاً، أو يأخذ منه بعمل أشد مما اتفق معه، فيقول: تعالى اعمل كذا، واعمل كذا، واعمل كذا، يقول: أنا اتفقت معك على هذا الشيء ما تزيد علي، فيقول: لا، كله داخل في العمل، فيبخسه ولا يعطه حقه.

الحقيقة هذه الآية يجب علينا أن نعرف أنها عامة في جميع تعاملات الإنسان في حياته، لا تكون تريد حقك كاملاً ولا تتنازل وإذا جاء في حقوق الناس لا تعطيهم حقهم.

قال تعالى: ﴿ وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ ﴾ [المطففين: ١]، من هم؟ قال: ﴿ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴾ [المطففين: ٢]، إذا طلبوا من الناس الكيل يأخذون الكيل كاملاً ولا ينقص شيئًا من ذلك، قد تلاحظ أن الآية تقول: ﴿ اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ ﴾ [المطففين: ٢]، الحقيقة أن الإنسان ما يكتال على الناس؛ بل يكتال من الناس، أنت تذهب تأخذ الكيل من الناس وما تكتال عليهم، لماذا القرآن قال: ﴿ اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ ﴾ [المطففين: ٢] ..؟ حتى حرف الجر له دلالة، لأنه لما كان هذا يأخذ الشيء بطمع واستيلاء وتصرف غير مقبول قال: ﴿ اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ ﴾ [المطففين: ٢]، كأنهم

تسلطوا على الناس واستعلوا عليهم، وأخذوا حقهم وافيًا كاملاً.

قد يأتيك سائل يسألك:

طيب أنا أريد أن آخي حقي كاملاً ما فيها شيء أنا اريد أن آخذ مثلاً عشرة كاملة؟

نقول: جميل كلامك وصحيح، تكتال على الناس تأخذ حقك كامل، لكن كمل الآية، إذا اكتالوا على الناس يأخذون حقهم كاملاً هذا لا حرج فيه، لكن خذ الآية بكاملها، ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ [المطففين: ٣].

قال: ﴿الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾ [المطففين: ٢]، إذا اكتالوا على الناس يستوفون، يأخذون حقهم كاملاً، يستوفي يعني يأخذه وافيًا تامًا، قال: ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ [المطففين: ٣]، إذا كان الحق له أخذه كاملاً، وإذا كان الحق عند غيره نقص منه ولم يعطه، يخسره يعني ينقص ويبخس الناس، ولذا جاءت آيات كثيرة ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾ [الأعراف: ٨٥].

بل إن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أهلك أمة كاملة بسبب بخسهم أموال الناس كما في قصة شعيب عَلَيْهِ السَّلَامُ، قال: ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾ [الأعراف: ٨٥]، فحذرهم من بخس أموال الناس، ومن النقص ومن عدم إيفاء حقوق الناس، وحذرهم من ذلك ولم يقبلوا منه، حتى قال قائلهم: ﴿يَاشُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ﴾ [هود: ٨٧]، هذه أموالنا نفعل بها ما نشاء حتى أهلكهم الله بعذاب يوم الظلة وأخذتهم الصيحة ونزل بهم العذاب بسبب هذا التعامل.

فالحقيقة السورة تحتاج منا إلى تأمل طويل وتدبر، ﴿الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ [المطففين: ٢، ٣]، ما يعطوهم حقوقهم، حتى تجد بعضهم إن

كان صاحب تجارة صاحب محب يأخذ حقه ماله كاملاً قبل أن يعطيك حقك، ثم يعطيك حقك ناقصًا، أو العكس إذا كان المشتري جاء إلى هذا المحل فإنه يأخذ حقه كاملاً، وإذا جاء عند دفع المال بدأ يلح على صاحب المحل حتى يُنقص من حقك، يقول له: أنا اتفقت معك على سعر معين أعطني حقي، يقول: هذا كذا وهذا كذا؛ وبدأ يأتي بالأعذار حتى ينقص ويرغم صاحب المحل إلى أن ينقص حقه وهذا بخس لا يجوز إلا برضا صاحب المحل، إذا لم يرض فلا يجوز لك أن تأخذ شيئًا بغير حق.

فيحذر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، مع أن هذه أشياء طفيفة يمكن أن الوزن ينقص منه جرامات خفيفة ما تستحق كل هذا، ولكن الله يتوعد على هذا؛ لأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى خلق السموات والأرض بالعدل، وأقام العدل في كل شيء وتأتي أنت تجور في تعاملك مع الناس!! في التعامل مع الزوجات، والأبناء، والجيران، والتعامل في التجارات، وفي كل شيء تطفيف، هذا يتوعد الله الوعيد الشديد، في أول الآيات يتوعدهم يقول: ﴿ وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ ﴾ [المطففين: ١].

ثم يقول على وجه التعجب: ﴿ أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ﴾ [المطففين: ٤]، أنت الآن تعاملت ومشيت ورحت الحساب أمامك، ألا يظن أولئك الذين أخذوا حقوقهم ولم يعطوا حقوق الناس كاملة ألا يظن أولئك يعني ألا يعلمون؟ اللام هنا لام نفي، يقول: لا يظن، ولا يعتقد هؤلاء ولا يجزم هؤلاء بأنهم سيقفون أمام الله وسيحاسبون، ﴿ أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ﴾ [المطففين: ٤]، يُبعثون يوم القيامة، ﴿ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ [المطففين: ٥]، يُبعثون يوم القيامة لهذا اليوم، شوف كيف يصف الله هذا اليوم بهذا الوصف العظيم، يقول: ﴿ مَبْعُوثُونَ ﴾ [المطففين: ٤]، سيبعثون يوم القيامة، يبعثون يوم القيامة، هذا اليوم الذي الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عظمه وشدده وقال: ﴿ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ [المطففين: ٥]، ثم شدده تشديدًا أعظم، وكل هذا في حقوق الناس، ثم شدده تشديدًا أعظم؛ فقال: ﴿ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [المطففين: ٦].

سيقفون أمام الله وكلٌ سيقف على قدميه أمام الناس في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، فكيف سيكون حالك إذا وقفت أمام الله والناس يريدون أن يأخذوا حقوقهم، يعني حقوق الله مبنية على المسامحة، يعني قصرت في حق الله يعفو الله عنك، حقوق الناس مبنية على المشاحة، ما

يمكن أن يتنازلوا ولو عن مثقال ذرة، إذا جاء يوم القيامة الزوجة تريد حقها كاملاً، والزوج يريد حقه كاملاً، والأب يريد حقه كاملاً، والابن يريد حقه كاملاً، والإنسان والرجل وجميع الذين تتعامل معه، لا تظن أن يوم القيامة فيه تسامح، فيه تنازل، لا يمكن أبدًا، كلٌ يريد حقه كاملاً، كلٌ واحد يقول: نفسي نفسي، ولذلك تلاحظ في آخر السورة الماضية، ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا﴾ [الانفطار: ١٩]، ما تملك شيئًا ولا تستطيع أن تدفع عنك شيئًا، فيصف الله هذا اليوم بهذا الوصف العظيم، ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [المطففين: ٦]، ربهم الذي خلقهم، رب العالمين، وكلمة العالمين هنا يدخل فيها جميع المخلوقات، عالم السموات وعالم الأرض، عالم البحار، عالم النبات، عالم الجبال، عالم الجن، عالم الإنس، هو ربهم سبا الذي سيحاسبهم بهذا الحساب العظيم، السورة الحقيقة تحتاج منا إلى تأملات أطويل ووقت أطول، وليس أننا ننتهي من السورة بوقت يسير لا، أهم شيء أننا نفهم ونعرف ونأخذ الدروس والعبر من هذه السورة العظيمة، وهي تمس واقع الناس في تعاملاتهم.

والله يا أخوان بعض الناس يشتري شيئًا يسيرًا لا يستحق كل هذا، سعره خمسة ريال وعشرة ريال ويجلس يبخس الناس ويلح عليهم ولا يعطيهم حقوقهم، فالإنسان ينتبه إلى مثل هذه الأمور التي تكون بين الناس، لو كانت بينك وبين الله لكان الأمر أهون؛ لأن أمور الله مبنية على المسامحة والعفو، والله عفو كريم، لكن الإنسان قد لا يعفو عنك، قد لا يسامحك، سيقتص منك، ويأخذ حقه منك، فلنحذر كل الحذر من هذا التعامل، نسأل الله أن ينفعنا بما سمعنا في هذه الآيات العظيمة، وبما يوجهنا الله بهذا التوجيه العظيم ويحذرنا بهذا التحذير العظيم، أسأل الله أن ينفعنا، وإلى لقاء قادم بإذن الله.

والله أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أَجْمَعِيْنَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الدرس (٢١)

إِنَّ الْحَمْدَ لِلهِ نَحْمَدُهُ تَعَالَىٰ ونَسْتَعِينُهُ ونَسْتَغْفِرُهُ، ونَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا ومِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلاَ مُضِلَّ لَهُ ومَنْ يُضْلِلْ فَلاَ هَادِيَ لَهُ، وأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ ورَسُولُهُ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ ولَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ وخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا ونِسَاءً واتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ والْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ ويَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ومَنْ يُطِعِ اللَّهَ ورَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠- ٧١].

أَيُّهَا الأخوة الكرام السَّلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، حياكم الله في هٰذَا المجلس المُبارك: مجلس التَّدَبُّر وَالتَّعَلُّم لكتاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

الكثير حقيقة يهتم بالقرآن قراءة، وتلاوة، ويختم ختمات كثيرة، لكن القرآن في الحقيقة ينبغي للإنسان أن يتأمل وأن يتدبر وأن يفهم ما يقرأ، القراءة سهلة كلٌ يقرأ، لكن تمر عليك آيات كثيرة وألفاظ، معاني في القرآن تحتاج منا إِلَىٰ أن نتعلمها.

الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقول: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ﴾ [النساء: ٨٢]، ويأمرنا بالتدبر والتفسير، والفهم، كثير من الناس تمر عليه آيات كثيرة ما يفهم، ولا يعرف معانيها، ومعرفة الآيات، معرفة المعاني تزيدك إيمانًا، وتزيدك تقوى، وتزيدك عملًا إذا مرت في بعض الآيات التي ينبغي الإنسان أن يفهمها ويطبقها تزيده عملًا، هذا هو القرآن.

القرآن يزيدك إيمان، يزيدك قربة من الله، يزيدك العمل والتطبيق في حياتك، هذا هو القرآن، أما قراءة مُجردة كلٍ يقرأ، ولا نقول أو ننقص من القراءة لا، القراءة طيبة لك بكل حرف عشر حسنات، ومطلوب منك أن تعتني بالقرآن، وتهتم به، ويكون شغلك الشاغل في قراءته، في مراجعته، في تدبره، في ختماته، هذا كله أمرٌ مطلوب لا ننقص منه، لكن هناك ما هو أعظم، هناك ما هو أكبر وهو الهدف الأساسي من نزول القرآن، الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقول لنبيه: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ﴾ [النحل: ٤٤].

لماذا؟

قَالَ: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤]، هٰذَا هو المقصد، فمرورك بآيات كثيرة ينبغي لك أن تقف عندها، ينبغي لك أن تتأملها، النَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقف مع آية واحدة ليلة كاملة، ليلة كاملة وقف مع آية واحدة ﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ١١٨﴾ [المائدة: ١١٨]، بدأ يرددها حَتَّىٰ أصبح الصبح، ليس بكثير عَلَىٰ القرآن تجلس آية ليلة كاملة، ليس بكثير، المهم أنك تستشعر عظمة القرآن، وتستشعر أن أمامك كلام الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ليس كلام أي شخص، هٰذَا كلام رب العالمين، وأنت تتعبد، وتتأمل في هٰذِه الآيات القرآنية.

في هٰذَا المجلس المبارك ولله الحمد الَّذِي نعقده كل أسبوع فيه النفع ولله والحمد، لو ما تنتفع إِلَّا بآية واحدة لكان هٰذَا مكسبًا كبيرًا لك، كثير من الناس يسأل يقول أنا أقرأ القرآن لكن تمر عليا آيات ما أفهمها فما الحل؟

أقول أرجع إِلَىٰ كتب التفسير، وليس كل كتاب من كتب التفسير ترجع إلية قد يكون صعب عليك.

والحقيقة أنا أنصح بثلاثة تفاسير مهمة لَا بُدَّ لكل إنسان أن يكون عنده هٰذِه التفاسير الثلاثة، أَوْ يكون البعض عنده، لو واحد منها ترجع إليه، تفهم هٰذِه الآيات الَّتِي تمر عليك.

أشهرها وأوضحها أسلوبًا، وقراءة، وسهولة عبارته.

"تفسير السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ"، الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ له تفسير مُختصر، جميل سهل العبارة، فأنا أنصح حقيقة بالرجوع إليه وليكون معك في جوالك، أَوْ معك نسخة منه في بيتك دائمًا ترجع إليه.

التفسير الآخر: هو التفسير المُيسر، وهو ألفه جماعة من العلماء، وأشرف عليه الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ الَّذِي كان وزيرًا للأوقاف سابقًا في مجمع الملك فهد لطباعة المُصحف الشريف، طُبع هٰذَا التفسير وأشرف عليه وهو كتاب.

التفسير موجود حَتَّىٰ مطبوع مع المصحف، أسمه "التفسير الميسر".

وفيه تفسير ثالث آخر هو أسمه المختصر ـ في التفسير وهو موجود في الكثير من المساجد، المختصر في التفسير وأيضًا قام عليه نُخبة من العلماء الموثوق بعلمهم وأتوا بتفسيره بطريقة مُختصرة، سهلة العبارة، فمن وقف مع بعض الآيات، ومرت عليه بعض الآيات لا يعرفها، لا يتجاوزها، ويستمر عَلَىٰ أنه لا يعرفها، لا قف عندها وضع تحتها خط إِذَا كان المصحف خاص لك، أَوْ سجلها عندك وأرجع إليها وأفهمها، أَمَّا أن تمر عَلَىٰ آيات كثيرة ليس مجرد ترديد ألفاظ، لا؛ الهدف أكبر من هٰذَا: التَّدَبُّر، التَّعَلُّم، الفهم.

السورة الَّتِي بين أيدينا تطرقنا لها في لقائنا الماضي، تحدثنا عنها هي صورة المطففين، والحقيقة هٰذِه السورة كما ذكرت لكم سابقًا هي تمس كثير من الناس في الواقع،

المطففون من هم؟

الله توعدهم بوعيد شديد، حقيقة والله الإنسان لما يقرأ هٰذِه السورة، لما يقرأ أولها من الوعيد الشديد في هؤلاء لأنزعج قلبه، ولم يستقر باله.

الله توعدهم بأول آية: ﴿وَيْلٌ﴾ [المطففين: ١]، ثُمَّ ﴿وَيْلٌ﴾، ثُمَّ ﴿وَيْلٌ﴾، وعيد شديد وزجر لمن؟ ﴿لِلْمُطَفِّفِينَ (١)﴾ [المطففين: ١].

والتطفيف أصله: أخذ الشيء اليسير، الطفيف، ما يسوي أنك تأخذه.

يقول: «مَنِ اقْتَطَعَ مَالَ امْرِئٍ بِغَيْرِ حَقٍّ، لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ».

قَالَ بعض الصحابة: "يا رَسُولُ اللَّهِ ولو كان عود آراك"، يعني مسواك

قَالَ: «ولو كان عود آراك»، لقي الله عليه غضبان، حقوق الناس صعبة، لا تدخل فيهم، وأبتعد عنده، لما تسمع هٰذَا الوعيد الشديد يرجف قلبك، أبتعد عن حقوق الناس.

النَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لأصحابه مرة: «أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟ قالوا الَّذِي ما عنده لا درهم ولا دينار هٰذَا مُفلس قَالَ لا المفلس من يأتي بحسنات مثل الجبال»، يجلس في المجلس يقرأ، ويصلي، ويبكر الصلاة، ويصوم التَّطَوُّع، ويقوم اَللَّيْل، وَإِلَىٰ أخره من الأعمال الحسنة والصدقات، يأتي بحسنات مثل الجبال، «وقد قذف هٰذَا، وشتم هٰذَا، وأخذ مال هٰذَا، وضرب هٰذَا، فتؤخذ من حسناته يوم القيامة»، حَتَّىٰ إِذَا نفيت حسناته وانتهت الَّتِي مثل الجبال، «أخذ من سيئات خصومه ووضعت عليه فكب في النار»، وهو يعمل في الدنيا عمل شيء ما تتصوره، فحقوق الناس خطيرة جدًا.

﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ ١﴾ [المطففين: ١]، من هم؟

قَالَ: ﴿الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ٢﴾ [المطففين: ٢]، إِذَا أرادوا أن يأخذوا حقوقهم يأخذونها كاملة بلا نقص، يستوفونها، ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ﴾ [المطففين: ٣]، إِذَا كالوا للناس، أرادوا أن يعطون الناس حقهم ﴿يُخْسِرُونَ ٣﴾ [المطففين: ٣]، يُنقصون حقهم، يبخسون الناس، وَهٰذَا مثل ما ذكرناه في لقائنا الماضي هٰذَا وإن كان الآية صريحة في المكاييل، والموازين، وفي التجارة وفي البيع والشراء، إِلَّا أن أهل التفسير عمموه في كل ماله شخص له حق، وعليه حق تتعامل مع الأشخاص، عامل تأتي به، عاملة شغالة في البيت تأخذ حقك منها كامل بدون نقص، وإذا أرادت حقها يُهضم حقها، وكذلك في سائر المعاملات في التجارة وفي غيرها، الزوج مع زوجته، والأب مع أبنائه، والأبناء مع آبائهم، يعني والأخ مع أخية كلٌ يعني شُح وبخل، يشح بأن يعطي الناس حقهم، يشح بأن يضيع شيء من حقه، ويبخل بأن يعطي الناس حقهم، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هددهم بالويل ثُمَّ هددهم قَالَ: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ٤﴾ [المطففين: ٤]، هل غاب عنهم هٰذَا اليوم العظيم، ﴿مَبْعُوثُونَ ٤لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [المطففين: ٥]، ما يشعر هٰذَا الَّذِي يأخذ حقوق الناس أنه سيقف أمام الله عَزَّ وَجَلَّ.

يومٌ عظيم، ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ٦﴾ [المطففين: ٦]، يقفون عَلَىٰ أقداهم حَتَّىٰ ما في مكان تجلس فيه، عَلَىٰ الإقدام كم يوم؟

لو يُقال لك قف يومًا واحدًا عَلَىٰ قدميك ما استطعت، فكيف سيقف يوم مقداره خمسين ألف سنة، أمر عظيم ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ٦﴾ [المطففين: ٦]، ثُمَّ أيضًا هدد سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وخوف في باقي الآيات حَتَّىٰ قَالَ: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ ٧﴾ [المطففين: ٧]، يعني هؤلاء الَّذِينَ يستوفون حقوقهم، ولا يعطون الناس حقوقهم، بل يُخسرون حقوق الناس هؤلاء في حُكم الفجار الَّذِينَ قد فجروا في ذنوبهم، وتوسعوا في ذنوبهم وأسرفوا عَلَىٰ أنفسهم.

جاء في حديث عن النَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ التُّجَّارَ هُمُ الْفُجَّارُ إِلَّا من أتقى» أَوْ «إِلَّا من أتقى وأصلح»، فتجد فيه رابط الحديث يقول: التجار والفجار ،والآية تقول: في الكيل والوزن ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ ٧﴾ [المطففين: ٧]، ما معنى سجيل كثير من الناس يقرأها تمر عليه يمكن آلاف المرات، شف لما تقرأ هٰذِه الآية يقو الله عَزَّ وَجَلَّ ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ ٧﴾ [المطففين: ٧]، دائمًا القرآن أنت تأخذه بهدوء، وطمأنينة، وتنظر فيه وتتأمل، وتشوف الَّذِي قبله، وتشوف الَّذِي بعده يتضح لك الأمر.

الله عَزَّ وَجَلَّ يقول هنا: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ ٧﴾ [المطففين: ٧]، وفي الآية الَّتِي بعدها، في آيات بعدها تأتي: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ١٨﴾ [المطففين: ١٨]، إذن في شيء عالي، وفي شيء نازل، إذن سجيل أين؟

قَالَ في أسفل سافلين، أين أسفل سافلين قَالَ بن كثير في تفسيره: "تحت الأرض السابعة" في سجين مكان ضيق وقيل هل النَّار، سجين هي النَّار مثل ما أن عليين هي الجَنَّة ﴿الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ١٨﴾ [المطففين: ١٨]، فكذلك الفجار في سجين، في نار جهنم.

﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ ٧﴾ [المطففين: ٧]، ولاحظ أن الله ما قَالَ: "الْفُجَّارِ فِي سِجِّينٍ"، قال كتابهم ، قَالَ كتاب الفجار، فالكتاب هو الكتاب الَّذِي سجلت فيه أعمالهم كل شخص له كتاب ﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ﴾ [الإسراء: ١٤]، هٰذَا الكتاب يسبقك إِلَىٰ سجين يعني أنك قد وضِعت في سجين قد سُجلت في سجين، وأصبحت من أهل النَّار؛ لأن كتابك سبقك إِلَىٰ أهل النَّار، وقُيدت بأن

تكون من أهل النَّار ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ ٧﴾ [المطففين: ٧]، ثُمَّ قَالَ: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ ٨﴾ [المطففين: ٨].

أتدري ما سجين؟، ما تدري ما سجين؟، ما أدراك ما سجين؟، ثُمَّ قَالَ: ﴿كِتَابٌ مَرْقُومٌ ٩﴾ [المطففين: ٩]، معنى مرقوم: أي مكتوب، قد كُتب ولا يمكن أحد يغير فيه، سُجل فيه كل أعمال الإنسان، هٰذَا عملك، وهٰذَا كتابك، سُجل فيه كل أعمالك من خير أَوْ شر.

ملائكة ﴿كِرَامًا كَاتِبِينَ ١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الانفطار: ١١]، ويكتبون كل شيء، ﴿إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ﴾ [يونس: ٢١]، كل شيء سُجل وكُتب، ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ ٧ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ ٨ كِتَابٌ مَرْقُومٌ ٩﴾ [المطففين: ٧]، أي قد كُتِب، وسُجل وأُحصي عند رب العالمين لا يغيب عنه شيء، وكتاب الفجار يسبقهم إِلَىٰ نار جهنم، إِلَىٰ سجين.

ثُمَّ قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ استكمالًا للوعيد قَالَ: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ١٠﴾ [المطففين: ١٠]، هٰذَا الكلام الَّذِي تكذب به، كثير تجد بعض من لا يؤمن لا يُصدق بهٰذَا الشيء فهددهم الله قَالَ: ﴿وَيْلٌ﴾ [المطففين: ١٠]، لمن يكذب بهذا الكلام، وبهذا الوعيد.

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (١٠)﴾ [المطففين: ١٠-١١]،

من هم؟

قَالَ: ﴿الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ١١﴾ [المطففين: ١١]، الَّذِي قَالَ الله فيه: ﴿لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ٥ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ٦﴾ [المطففين: ٥]، هٰذَا هو يوم الدين، يقوم الناس لهذا اليوم هٰذَا هو يوم الدين، ﴿الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ١١﴾ [المطففين: ١١]، بالجزاء، والحساب، وَالجَنَّة وَالنَّار، ويظنون أنهم مفلتون لا يحاسبون ولا يجازون كَلَّا

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ١٠ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ١١﴾ [المطففين: ١٠-١١]، ثُمَّ بين لك من الَّذِي يكذب بيوم الدين؟، من هو؟، ما علاماته؟،كيف نعرفه؟

قَالَ: ﴿وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ١٢﴾ [المطففين: ١٢]، مُكذب.

ثلاث صفات فيه

معتدٍ: أي يتعدى عَلَىٰ حقوق الناس، المعتدي الَّذِي يتعدى عَلَىٰ حقوق الناس، ويتعدى أَيْضًا حدود الله هٰذَا يُسمى معتدي يتعدى، وكذلك أثيم.

الأثيم: كثير الذنوب صاحب آثام عظيمة وكثير الذنوب، الإنسان إِذَا كان موصوف بهذه الأوصاف

التعدي عَلَىٰ حقوق الله

التعدي عَلَىٰ حقوق الآخرين

وكثرة الذنوب والمعاصي يجمع من الذنوب والمعاصي، وزيادة عَلَىٰ ذلك أنه إِذَا قرأت عليه الآيات القرآنية مثل هٰذِه الآيات الَّتِي ترجف منها القلوب، إِذَا تليت عليه هٰذِه الآيات ما موقفه؟، مَاذَا يقول؟

﴿إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ١٣﴾ [المطففين: ١٣]، قَالَ هٰذِه خزعبلات، خرافات، هٰذِه من أين جاءت هٰذِه؟

هٰذه في كلام المتقدمين السابقين ليس لها حقائق وَإِنَّمَا هي أساطير تردد، أساطير جمع أسطورة: وهي قصص الَّتِي تُحكى علينا ليس لها حقائق، ينكر القرآن كلام رب العالمين تقول فيه ﴿أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ١٣﴾ [المطففين: ١٣]، لما تتأمل مثل هٰذَا الكلام، الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقول لك وإن كان يدعي، وإن كان موصوف بهذه الصفات أنه مُعتدٍ، وأنه أثيم، وأنه يُكذب يوم الدين، ويقول القرآن أساطير الأولين لا تظن هٰذَا هو السبب، في سبب أعظم قد يغفل عنه كثير من الناس ما هو السبب كسب الذنوب، وشؤم هٰذِه الذنوب عَلَىٰ الإنسان؛ ولذلك الله قَالَ: ﴿كَلَّا﴾ [المطففين: ١٤]، وكلا هنا تأتي أحيانًا بمعنى الردع والزجر، وأحيانًا تأتي بمعنى حق حسب السياق.

هنا يقول كلا ليس هو مجرد أنه يكذب، وأنه يعتدي، وأنه آثم لا فيما هو أعظم، طيب ما هو قَالَ: ﴿كَلَّا بَلْ﴾ [المطففين: ١٤]، وبل هٰذِه تفيد الانتقال من كلام إِلَىٰ كلام يقول أترك عنك الكلام هٰذَا في كلام هو أعظم قد يغيب عنك، ما هو؟

قَالَ: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (١٤)﴾ [المطففين: ١٤-١٥]، وَهٰذَا أشد العقوبة أن يصيب الرين القلوب، ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (١٤)﴾ [المطففين:

١٤-١٥]، ذنوبهم وكسبهم هو الَّذِي غطى هٰذَا القلب أصبح القلب لا يرى شيئًا، اسود القلب، كثرة الذنوب تذهب إِلَىٰ القلب ،وتجعل القلب يسود، لا يرى شيئًا خلاص ما عد يميز بين الحق والباطل هٰذَا هو، هٰذَا معنى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (١٤)﴾ [المطففين: ١٤-١٥]، أي أصاب القلوب الرين وهو الطمس، انطمست القلوب، أصبحت القلوب في غلاف قولنا في غلف مغلفة ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ [البقرة: ٨٨]، مغلفة أصبح ما يرى؛ ولذلك النَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ عُودًا عُودًا كَالْحَصِيرِ ، فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، وَأَيُّمَا قَلْبٍ أَنْكَرَهَا، نُكِتَ فِي قلبه نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ، فأصبحت القلوب عَلَى قَلْبَيْنِ، قلب أسود وقلب أبيض فَأَمَّا القلب الأسود قَالَ كَالْكُوزِ، مُجَخِّيًا»، يعني مثل الإناء المقلوب خلاص إِذَا قلبت الإناء تصب فيه شيء ما يقبل مقلوب.

القلب خلاص أصبح مثل الإناء المقلوب «كَالْكُوزِ، مُجَخِّيًا، لَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا، ولَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا»، أسود القلب خلاص، وإذا أذنب الإنسان ثُمَّ تاب، إِذَا أذنب: نُكِتَ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ في قلبه أي شخص يذنب النكتة السوداء تذهب إِلَىٰ القلب، فإن تاب: ثُقل قلبه فأصبح مثل الزجاجة وإن بقي عَلَىٰ ذنبه وذاد عَلَىٰ هٰذَا الذنب ذنبًا آخر أصبح قلبه مسودًا.

الآية هنا الآن لكيلا نطيل أن السبب الحقيقي في مثل هؤلاء الَّذِينَ لا يعرفون حقوق الآخرين، ولا يعطون الناس حقوقهم، ولا يؤمنون بما جاءهم عن الله، ولا يحسبون لليوم الآخر أي حساب سببه الرين الَّذِي أصاب القلوب، انطمست القلوب خلاص أصبح ما يعرف لا يفكر في اليوم الآخر، ولا يفكر في حقوق الآخرين، تستغرب كثير من الناس يأخذ حق الناس تقول له: حق الناس ما يجوز

قَالَ: لا لا ما عليك الله عفو كريم

كيف الكلام هٰذَا؟

ما يجوز تأخذه، ويأخذون أشياء كبيرة كبائر عظيمة ولا يبالون لماذا؟ القلب أسود أصبح أسود ما عاد يميز.

ثُمَّ يبين لك الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لما جاء بين لك القلب، أَيُّهَا الأخوة هٰذَا الآن انطماس للقلب، انطماس القلب واسوداده وحجبه عن الحق هٰذِه عقوبة هٰذِه أول عقوبة في الدنيا، انطماس القلب أَمَّا عقوبة الآخرة

أسمع: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ (١٥)﴾ [المطففين: ١٥-١٦]، لَمَحْجُوبُونَ عن رؤيته يوم القيامة في الدنيا حجبت قلوبهم السواد وفي الآخرة حجبت أبصارهم لا يرون رب العالمين أعظم نعيم لأهل النعيم رؤية الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

أسألك لذة النظر إِلَىٰ وجهك الكريم، والشوق إِلَىٰ لقائك أعظم نعيم ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، الزيادة النظر إِلَىٰ وجه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الكريم، فأعظم نعيم يقول: « إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، نودوا، أَوْ ناداهم منادي أَوْ ناداهم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قَالَ لهم مَاذَا تريدون قالوا يا ربنا أدخلتنا الجَنَّة وبيضت وجوهنا فماذا نريد فيكشف الحجاب فلا يجدون لذة ونعيم أشد من هٰذَا النعيم»،

أَمَّا هؤلاء ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ١٥﴾ [المطففين: ١٥] ، ثُمَّ النتيجة ﴿لَصَالُو الْجَحِيمِ﴾ [المطففين: ١٦]، دخول الجحيم والتعذيب بها، ثُمَّ يقال هٰذَا من باب التأنيب، ومن باب العذاب، العذاب الجسدي: دخول نار جهنم، والعذاب النفسي: الإنكار عليهم والتوبيخ هٰذَا عذاب نفسي ﴿ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ١٧﴾ [المطففين: ١٧]، الَّذِي قَالَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قَالَ: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ١٠ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ١١﴾ [المطففين: ١٠].

هٰذَا الَّذِي كنتم تكذبونه، هٰذَا اليوم الَّذِي كنتم به تكذبون ثُمَّ يقال: ﴿ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ١٧﴾ [المطففين: ١٧]، هٰذَا نار جهنم، وَهٰذَا اليوم الآخر وَهٰذَا العذاب الَّذِي كنتم تكذبون ولا تستعدون له تنتقل الآيات بعد ذلك بعد بيان حل هؤلاء المتمردين المعاندين الكفرة الفجار تنتقل الآيات بعد ذلك إِلَىٰ ذَكَرَ أهل النعيم وهم الأبرار يأتي الحديث إِنْ شَاءَ اللهُ باستكمال هٰذِه السورة في لقاء قادم

ونسأل الله أن ينفعنا بما قلنا وبما سمعنا ويجعلنا وَإِيَّاكُمْ هداة مهتدين موفقين لكل خير واللهُ أَعْلَمُ وَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّد وعَلَىٰ آله وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الدرس (٢٢)

إِنَّ الْحَمْدَ لِلهِ نَحْمَدُهُ تَعَالَىٰ ونَسْتَعِينُهُ ونَسْتَغْفِرُهُ، ونَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا ومِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلاَ مُضِلَّ لَهُ ومَنْ يُضْلِلْ فَلاَ هَادِيَ لَهُ، وأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ ورَسُولُهُ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ ولَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ وخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا ونِسَاءً واتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ والْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ ويَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ومَنْ يُطِعِ اللَّهَ ورَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠- ٧١].

أَيُّهَا الأخوة الكرام:

درسنا مع تدبر القرآن الكريم، وتفسيره، وَالتَّأَمُّل في كتاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، في لقاءتنا الماضية حول سورة "المطففين"، وما تحدث الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فيها عن المكاييل والموازين، وبخس الناس، وأخذ حقوقهم بغير حق، وعقوبة ذلك، وما يجر ذلك من جرائم ووقوع في كبائر الذنوب، وما بينته الآيات الماضية في قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ ٧ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ ٨﴾ [المطففين: ٧-٨]، إِلَىٰ آخر الآيات.

لما ذَكَرَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عقوبة هؤلاء وما آل أمرهم إليه قابل ذلك بعقوبة المتقين، وَهٰذِه طريقة القرآن لما يحذر الله من مسلك الهلاك، يحذر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من طريق الهلاك يُقابل ذلك بطريق النجاة والسلامة، فيجعل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ العبد أمام طريقين طريق السلامة والنجاة

وطريق الهلاك والضلال، فَهٰذِه طريقة القرآن بين ترغيبٍ وترهيب؛ حَتَّىٰ يكون العبد يختار ما يشاء من طريق السلامة والنجاة، أَوْ طريق الهلاك والضلال، لما ذَكَرَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عقوبة هؤلاء في قوله تَعَالَىٰ: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ١٤ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ١٥ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُو الْجَحِيمِ ١٦ ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ١٧﴾ [المطففين: ١٤-١٧]، يسوق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ جزاء المتقين، جزاء الأبرار، وَهٰذَا يذكرك بما جاء في سورة الإنفطار الَّتِي قبلها لما قَالَ: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ١٣ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ١٤﴾ [الانفطار: ١٣-١٤]، أجمل هناك ولم يُفصل.

فجاء هنا التفصيل الدقيق الواضح الَّذِي يجذب القلوب إِلَىٰ المسارعة في صفوف هؤلاء الأبرار وفي زمرة هؤلاء الأبرار يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿كَلَّا﴾ [المطففين: ١٨] ، ليس الأمر كما تقولون، وليس الأمر كما تدعون، أَوْ يُقال إن كلا هنا بمعنى: حق؛ لأن كلا هٰذِه للمفسرين في تفسيرها أحوال، أَوْ مجيئها في القرآن أحوال، ولهم فيها أقوال، فكلا: الأصل فيها تأتي للردع، والزجر، والتخويف وأحيانًا تأتي بمعنى حق كما في هٰذِه الآية: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ﴾ [المطففين: ١٨]، يعني حقًا إن كتاب الأبرار لفي عليين، كتاب الأبرار المراد به أعمال الأبرار -أعمالهم- الكتاب الَّذِي سُجل فيه أعمالهم.

ما من عمل يعمله الإنسان إِلَّا ويُسجل عليه في كتابٍ يُخرج له يوم القيامة، يلقاه منشورًا، هٰذَا الكتاب قَالَ الله فيه: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ﴾ [المطففين: ١٨]، والأبرار من هم؟

الأبرار: جمع بار وهو كثير الأعمال الصالحة، أَوْ يُقال جمعُ بر لأن البار يُجمع عَلَىٰ بره، والأبرار يجمع الأبرار ومفرده بر: يعني كثير الأعمال الصالحة.

لو قيل لك أيها أبلغ البررة ولا الأبرار لقلنا إن البررة أبلغ وأشد وأعظم في الخير؛ ولذلك وصف الله الملائكة بأنهم ﴿كِرَامٍ بَرَرَةٍ ١٦﴾ [عبس: ١٦]، ولم يقل أبرار، والأبرار من الصالحين من هم تحت المقربين.

المقربون أعلى درجة ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ١٠ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ١١﴾ [الواقعة: ١٠-١١]، هؤلاء أعلى والأبرار من تحت المقربين جمع بر وهو: من يكون خيره كثير وعطاءه كثير، وأعماله كثيرة

هٰذَا يُسمى رجلٌ بر، ورجال أبرار قَالَ: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ١٨﴾ [المطففين: ١٨]، أي هٰذَا الكتاب في عليين.

لما ننظر إِلَىٰ كتاب الفجار الله يقول فيه في سجين، في أسفل سافلين وكتاب الأبرار في أعلى عليين، والعليين جمع عِلي، والعلي هو المكان العالي المرتفع وهو أعلى مكان في الجَنَّة وهو تحت العرش، ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ١٨﴾ [المطففين: ١٨] ، قَالَ الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ ١٩﴾ [المطففين: ١٩]، ما أعلمك؟، وما أدراك؟، وما أعلمك؟، ما هو هٰذَا؟

قَالَ: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ ١٩﴾ [المطففين: ١٩]، قَالَ هٰذَا الكتاب الَّذِي يكون في عليين وأنت ما تدري ما عليون قَالَ: ﴿كِتَابٌ مَرْقُومٌ ٢٠﴾ [المطففين: ٢٠]، قد رُقم وسُجل فيه أسماء أصحابه وأعمالهم، سُجلت ورُقمت فيه حَتَّىٰ لا تذهب ولا تزول قَالَ: هٰذَا الكتاب الَّذِي في عليين وهو في أعلى مكان في الجَنَّة قَالَ: يشهده المقربون، وَهٰذَا تكريم للأبرار الَّذِينَ يموتون عَلَىٰ أعمال صالحة وعَلَىٰ بر وصلاح هؤلاء تُرفع أعمالهم إِلَىٰ عليين.

فتشهد هٰذِه الأعمال يشهدها المقربون من هم المقربون الملائكة المقربون والأنبياء، والرسل، وصالح البشر، كل هؤلاء من المقربين الَّذِين يقربهم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ منه، فيشهدون هٰذَا الكتاب الَّذِي وصل إِلَىٰ هٰذِه المزلة، ثُمَّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لما بين كتاب الأبرار ذَكَرَ هؤلاء الأبرار وما أنعم الله به عليهم فَقَالَ: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ٢٢﴾ [المطففين: ٢٢]، وكلمة نعيم هٰذِه يصح أن تُقال أنها اسم من أسماء الجَنَّة، ويُصح أن يُقال أن النعيم ما يتنعمون به فهم في الجَنَّة في جنة نعيم وهم في نعيم بمعنى أنهم يتنعمون بما أنعم الله عليهم بهذا النعيم العظيم.

قَالَ: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ٢٢﴾ [المطففين: ٢٢]، ولاحظ أنه أكد باللام المؤكدة قَالَ إن الأبرار مع أنه أكده بإن المؤكدة ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ٢٢﴾ [المطففين: ٢٢]، فيها ثلاثة مؤكدات إن المؤكدة، واللام الداخلة عَلَىٰ الخبر، والجملة الأسمية كل هٰذِه تؤكد تأكيدًا لازمًا عَلَىٰ أن هؤلاء الأبرار في هٰذَا النعيم بِلَا شَكَّ؛ حَتَّىٰ لا يطرأ أي شك لمن يشك في مآل هؤلاء.

﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ٢٢﴾ [المطففين: ٢٢] قَالَ: ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ٢٣﴾ [المطففين: ٢٣]، ما المراد بالأرائك؟

قَالَ أهل التفسير الأرائك جمع أريكة والأريكة هي السرير الَّذِي يكون عليه الحجال، تكون عليه فرش والوسائد هٰذِه هي تُسمى الأريكة، فإذا خلت من الحجال وخلت من الفرش تُسمى السُرر ﴿عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ٤٤﴾ [الصافات: ٤٤]. تارة وتارة عَلَىٰ الأرائك ينظرون.

وَهٰذَا يعني يدل عَلَىٰ الإرتياح، قَالَ: قَالَ: ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ﴾ [المطففين: ٢٣]، في آية أخرى قَالَ: ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ ٥٦﴾ [يس: ٥٦]، والاتكاء والجلوس عَلَىٰ الأريكة يدل عَلَىٰ الطمأنينة، والأمن، والسلامة أنهم في أمن، بل في طمأنينة.

وَهٰذَا ما يصبوا إليه الإنسان ولذلك الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قَالَ في سورة أخرى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ٥١﴾ [الدخان: ٥١]، وهنا قَالَ: ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ٢٣﴾ [المطففين: ٢٣]، طيب، ينظرون إِلَىٰ أي شيء؟

قَالَ: ينظرون إِلَىٰ ربهم، وينظرون إِلَىٰ النعيم الَّذِي يشاهدونه في جنات النعيم، وينظر بعضهم إِلَىٰ بعض نظرة سرور وبهجة، كل هٰذَا يعني يصدق عَلَىٰ كلمة ينظرون.

قَالَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في وصف هؤلاء وهو يزيدنا وصفًا بعد وصف وأنت تتأمل وتسابق حَتَّىٰ تكون في زمرة هؤلاء يقول: ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ٢٣ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ٢٤﴾ [المطففين: ٢٣-٢٤]، تعرف في وجوه هؤلاء الصالحين الأبرار نqرة النعيم، هٰذَا النعيم الَّذِي نضر- عَلَىٰ الوجه، نضرة: يعني بهجة وبهاء الوجه هٰذَا ظهر بانعكاس نعيمهم لما كان في النعيم يتقلب ويعيش هٰذَا النعيم كان ذلك أثره عَلَىٰ الوجه، وأنت ترى من أهل النعيم في الدنيا من يظهر نعيمه عَلَىٰ وجهه.

وأهل الصلاح يظهر أيضًا أثر صلاحهم عَلَىٰ وجوههم، أهل الخير والصلاح تجد أثر العبادة، والصلاح قد ظهرت سيماهم في وجوههم، قَالَ: ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ٢٤﴾ [المطففين: ٢٤]، هٰذَا من النعيم لاحظ يعني قَالَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أولًا

أين كتابهم؟

في عليين.

وهم؟ في نعيم

وماذا؟ قَالَ هم أيضًا عَلَىٰ الأرائك ينظرون،

وماذا؟ قَالَ: ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ٢٤﴾ [المطففين: ٢٤]،

وخذ من الزيادة قَالَ: ﴿يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ ٢٥﴾ [المطففين: ٢٥]، لاحظ أن الله يقول " يُسْقَوْنَ " ما قَالَ يشربون؛ يسقون غير يشربون لما تشرب أنت تذهب وتروح تشرب، لكن لما تُسقى يأتيك من يسقيك ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ﴾ [الإنسان: ١٩]، حَتَّىٰ من زيادة الكرم لهم، وهم عَلَىٰ الأرائك ينظرون يأتي من يطوف عليهم فيُسقون.

يُسقون من أي شيء؟ قَالَ: ﴿يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ ٢٥﴾ [المطففين: ٢٥]، الرحيق من كل شيء هو الصافي، والمراد هنا هو الخمر -خمر الجَنَّة- هو كما قَالَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قَالَ: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ ٤٥ بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ ٤٦ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ ٤٧﴾ [الصافات: ٤٥-٤٧]، لا يصيبهم ما يُصيب أهل الدنيا من خمر الدنيا الَّتِي تذهب بالعقل، وتصيب الإنسان بالصداع، ويضيع عقله

لا

خمر الجَنَّة: خمر فيه اللذة؛ ولذلك الله ذَكَرَ لنا عن أنهار الجَنَّة من ماء، ومن لبن، ومن خمر، ومن عسل وَهٰذَا من النعيم قَالَ: ﴿يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ﴾ [المطففين: ٢٥]، صافي، صافي الخمر البيضاء، وَهٰذَا الَّذِي يسقونه من الخمر، لم يسبق أن أسقي أحد غيرهم، في الدنيا يسقونك من الأشياء قد سبقك من شرب منها، لكن في الجَنَّة يقول لا.

يقول: ﴿رَحِيقٍ مَخْتُومٍ ٢٥﴾ [المطففين: ٢٥]، ما معني مختوم: أي مغلق، فيختم كما تُختم العلب الآن، لا أحد يستطيع أن يفتح هٰذِه إِلَّا بعد إزالة هٰذَا الخاتم، فتأتيك في الجَنَّة، تأتيك الخمر، بهذه الأشياء قد خُتمت لم يسبق لأحدٍ أن شرب منها هي لك وحدك، ما يفتحها إِلَّا أنت، فتُفتح لك، مختومة ما يستطيع، مثل ما يُختم الخط، أَوْ الرسالة، أَوْ الجواب تجده مختوم، كانوا يختمونه سابقًا، كانوا يرسلون الرسائل فيختمونها بالطينة حَتَّىٰ إِذَا يبست مسكت في هٰذَه الرسالة، فإذا أراد شخص أن يفتح الرسالة لَا بُدَّ أن يزيل هٰذِه؛ ولذلك يعرف صاحب الرسالة أن الرسالة ما فُتحت لا يفتحها إِلَّا هو، فكانوا يختمونها بالطين حَتَّىٰ إِذَا يبس مسك، وهنا في الجَنَّة تُختم قَالَ: ﴿يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ

٢٥ خِتَامُهُ مِسْكٌ﴾ [المطففين: ٢٥]، ليست طينة، بل هي من المسك الأزفر وهو أعلى أنواع الطيب، فيختم لهم بهذا المسك، فإذا فتحوه شربوا هٰذَا الشراب الطيب، قَالَ: ﴿خِتَامُهُ مِسْكٌ﴾ [المطففين: ٢٦]، هٰذِه أيضًا تتعلق بنهاية الشراب، يعني بداية الشراب مختوم، ونهايته -خاتمته- فيه المسك، فأنت إِذَا شربت الإناء نهايته تجد فيه المسك، هٰذِه ما يُسمى الآن بالحثالة، حثالة الإناء، وحثالة الفنجان، أَوْ نحوه تجد الحثالة في الدنيا الناس ما يشربونها، الناس يرمونها، في الجَنَّة الحثالة من مسك ازفر من خير أنواع الطيب يتلزز الشارب بحثالته أكثر مِمَّا يتلذذ بشرابه.

قَالَ: ﴿خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ٢٦﴾ [المطففين: ٢٦]، هي الآية مازلت تمشي معنا في بيان النعيم، لكن هٰذِه الآية جاءت دخلت علينا عرض؛ لأنه لو لم تقرأ: ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ٢٦﴾ [المطففين: ٢٦]، ستجد الآية تمشي.

يقول: ﴿يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ ٢٥ خِتَامُهُ مِسْكٌ﴾ [المطففين: ٢٥]، ثُمَّ قَالَ: ﴿وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ ٢٧﴾ [المطففين: ٢٧]، يعني هٰذَا الشراب الَّذِي يشربونه من الخمر ممزوج بعين أخرى، إذن كلمة ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ٢٦﴾ [المطففين: ٢٦]، جملة معترضة، جملة داخلة علينا، ما الغرض منها؟

لماذا ادخلها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بين هٰذَا النعيم وَهٰذَا الشراب -الخمر- في الجَنَّة لماذا؟ قَالَ: هٰذَا الَّذِي يتنافس في الدنيا، هم كانوا يتنافسون أهل الكفر بالدنيا قبل الإسلام يتنافسون عَلَىٰ شرب الخمر، وكانوا يدفعون الأموال الطائلة ؛ حَتَّىٰ يحصلوا عَلَىٰ هٰذَا الشيء، وكانوا إِذَا جاءت الخمور ليشتروها تزاحموا عليها، وتنافسوا عليها في الدنيا، فَقَالَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لهم: أنتم تتنافسون عَلَىٰ خمر الدنيا الَّتِي تذهب بالعقول، تنافسوا في خمر الآخرة، تنافسوا في هٰذَا الخمر، الَّذِي هم من نعيم الجَنَّة ﴿وَفِي ذَلِكَ﴾ [المطففين: ٢٦]، أي في هٰذَا الَّذِي نذكره لكم من خمر الجَنَّة، ومن الرحيق المختوم تنافسوا فيه، تنافسوا عَلَىٰ الحصول عليه؛ ولذلك ذَكَرَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في سورة أخرى أنهم في الجَنَّة يتنازعون: ﴿كَأْسًا﴾ [الطور: ٢٣]، أي الخمر ، الكأس هو الخمر ﴿يَتَنَازَعُونَ﴾ [الطور: ٢٣]، ينزع بعضهم بقوة، ﴿يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ٢٣﴾ [الطور: ٢٣]، والنزع: أخذ الشيء بقوة.

قَالَ هنا: ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ٢٦﴾ [المطففين: ٢٦]، يعني فليسارع المسارعون، وليسابق المسابقون في الطاعات حَتَّىٰ يحصل عَلَىٰ هٰذَا فمن سابق في الدنيا بالطاعات، وسابق في الصفوف الأُول، وسابق في قيام اَللَّيْل، وسابق في ختم القرآن، وسابق في الصيام، وَالزَّكَاة والصدقات، إِذَا سابق في الدنيا سابق في الآخرة، السابقون في الدنيا هم السابقون في الآخرة، ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ٢٦﴾ [المطففين: ٢٦]،

ما معنى يتنافس: مأخوذة من النفس، مأخوذة من نفس الإنسان؛ لأنه إِذَا أسرع وأراد الحصول عَلَىٰ الشيء يخرج نفسه وبقوة ويمشي، وهو يجد نفسه يخرج معه ويظهر معه، وقيل معنى التنافس: هو طلب الشيء النفيس، طلب الشيء العالي، الغالي، الَّذِي يعني لا يستطيع الحصول عليه، فبهذا يتنافس هؤلاء، يتنافسون في هٰذَا النعيم، قَالَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عودًا عَلَىٰ نعيم الخمر، قَالَ:﴿وَمِزَاجُهُ﴾ [المطففين: ٢٧] أي هٰذَا الَّذِي يشربه الأبرار هو من رحيق صافي مختوم، ممزوج.

ممزوج بأي شيء؟

قَالَ: ﴿وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ (٢٧)﴾ [المطففين: ٢٧].

ما معنى التسنيم: أصل التسنيم الشيء المرتفع، منه سنام الأبل، الشيء المرتفع، ويقالوا سنموا القبر: يعني أرفعوه، فالتسنيم هو الشيء المرتفع.

هنا قالوا: ﴿وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ ٢٧﴾ [المطففين: ٢٧]، ما أحد يعرف ما هو التسنيم حَتَّىٰ العرب ما يعرفونها؛ لكن فسرها الله لنا بعد ذلك فَقَالَ: ﴿وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ ٢٧﴾ [المطففين: ٢٧]، هٰذَا التسنيم هو العين، العين الَّتِي يشرب بها المقربون، ففي الجَنَّة عين تسمى عين التسنيم، هٰذِه العين في مكانة مرتفعة تتدفق منها المياه، أَوْ ما يظهر منها، في هٰذِه العين

تتدفق، فيمزج هٰذَا الخمر والرحيق بهذه العين فيشربه الأبرار، ممزوجًا بهذه العين.

وَأَمَّا المقربون فإنهم يشربون من هٰذِه العين شرابًا صرفًا خالصًا، قَالَ: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ٢٨﴾ [المطففين: ٢٨]، جاء بالذكر المقربين الَّذِينَ هم فوق الأبرار، : ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ٢٨﴾ [المطففين: ٢٨]، كل هٰذَا في نعيم أهل الجَنَّة في مقابل يعني عذاب الفجار الَّذِينَ قَالَ الله: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ (١٥)﴾ [المطففين: ١٥-١٦] ، وهؤلاء ينظرون إِلَىٰ الله

﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُو الْجَحِيمِ (١٦)﴾ [المطففين: ١٦-١٧] ، يلقون في نار جهنم، فيعذبون وهؤلاء كيف يصل الأمر فيهم إِلَىٰ أن يكونوا في جنات النعيم، وأنهم ما يعطيهم الله من هٰذَا النعيم العظيم الَّذِي ساقه لنا وأخبر الله لنا به وهؤلاء كما أخبر الله

الفجار: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ١٥ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُو الْجَحِيمِ ١٦ ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ١٧﴾ [المطففين: ١٥-١٧]، يعني يهانون بالكلام وَأَمَّا المتقون الأبرار والمقربون تحييهم الملائكة، تستقبلهم الملائكة وتحييهم الملائكة

﴿يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ٢٣ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ٢٤﴾ [الرعد: ٢٣-٢٤]، وبعد ذلك تُختم السورة بحال المجرمين مع المتقين الصالحين في الدنيا وحالهم في الآخرة لما استهزئوا وبدأوا يتغامزون فيهم

يأتي الحديث إِنْ شَاءَ اللهُ في خاتمة هٰذِه الصورة في لقاء قادم

أسأل الله أن ينفعنا بما قلنا، وأن يتقبل منا ويعيننا وأياكم عَلَىٰ طاعته، وأن يجعلنا وَإِيَّاكُمْ هداة مهتدين موفقين لكل خير، وأن يحشرنا وَإِيَّاكُمْ في زمرة هؤلاء الأبرار المتقين، واللهُ أَعْلَمُ وصلي الله وسلم عَلَىٰ مُحَمَّد وعَلَىٰ أله وصحبه أجمعين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الدرس (٢٣)

إِنَّ الْحَمْدَ لِلهِ نَحْمَدُهُ تَعَالَىٰ ونَسْتَعِينُهُ ونَسْتَغْفِرُهُ، ونَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا ومِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلاَ مُضِلَّ لَهُ ومَنْ يُضْلِلْ فَلاَ هَادِيَ لَهُ، وأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ ورَسُولُهُ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ ولَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ وخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا ونِسَاءً واتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ والْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ ويَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ومَنْ يُطِعِ اللَّهَ ورَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠- ٧١].

أَمَّا بعد أَيُّهَا الأخوة الكرام.

السَّلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، حياكم الله في هٰذَا اللقاء المبارك، وفي هٰذَا اليوم، وهو اليوم السَّابع من الشهر الرَّابع من عام أربعةٍ وأربعين أربع مائة من الألف من الهجرة.

مجلسنا المعتاد في مثل هٰذَا اليوم كل ثلاثاء مع آيات من كتاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ نتلوها، ونتأملها، ونتدبرها، ونقف معها، والسورة الَّتِي كنا نتحدث عنها في لقاءتنا الماضية هي سورة المطففين وعرفنا المراد بالمطففين، وما ذكره الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في

أوصافهم، وفي مآلهم ومصيرهم، وقابل ذلك بعباده الأبرار المتقين في أوصافهم، وفي مآلهم ومصيرهم.

في ختام هٰذِه السورة العظيمة الجليلة يذكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لنا موقفًا آخر من مواقف هؤلاء المجرمين الضالين الَّذِين يستهزءون ويسخرون من عباد الله المتقين، فكما أنهم يأخذون أموالهم بغير حق، ويعتدون عَلَىٰ حقوقهم فذلك أنهم يعتدون عَلَىٰ أعراضهم، ويسخرون منهم، ونحن نعرف جميعًا أن سورتين في كتاب الله كلاهما بدأها الله بقوله: ﴿وَيْلٌ﴾، ووَيْلٌ وعيد شديد عظيم لا يقدر قدره إِلَّا الله.

﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ ١﴾ [المطففين: ١]، في أخذهم حقوق الناس بغير حق، و ﴿وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ ١﴾ [الهمزة: ١]، من يسخر ويستهزأ بعباد الله المتقين ولذلك السورة في خاتمتها ذَكَرَ الله حال هؤلاء الذين يسخرون ويستهزئون فَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ ٢٩﴾ [المطففين: ٢٩]، ولاحظ كلمة أجرموا تدل عَلَىٰ كثرة ذنوبهم ومعاصيهم وأنهم وقعوا في جرائم الذنوب والمعاصي لم يقل فسقوا أَوْ كفروا، أَوْ أعتدوا، أَوْ نحو ذلك لا وصلوا إِلَىٰ ما هو أعلى وأعظم فَقَالَ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا﴾ [المطففين: ٢٩]؛ ولذلك يعني من صفات المجرمين السخرية والاستهزاء ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ٦٥ لَا تَعْتَذِرُوا﴾ [التوبة: ٦٥-٦٦]، فَهٰذَا من صفات المجرمين ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ ٢٩﴾ [المطففين: ٢٩]، هٰذَا الضحك: ضحك استهزاء، وسخرية بعباد الله المتقين.

﴿وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ﴾ [المطففين: ٣٠]،

أولًا: ﴿كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ ٢٩﴾ [المطففين: ٢٩]، مَتَىٰ؟، وأين؟،

كانوا إِذَا جلسوا في مجالسهم وفي أنديتهم بدأوا يسخرون ويستهزئون ويكون حديثهم في مجالسهم هو الاستهزاء والسخرية بعباد الله المتقين في مجالسهم، وإذا مروا بهؤلاء المتقين الصالحين، ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ٣٠﴾ [المطففين: ٣٠]، قيل إن الَّذِينَ يمرون هم المجرمون كانوا يمرون عَلَىٰ عباد الله المتقين فإذا نظروا إليهم بدأ يغمز بعضهم بعضًا ويستهزئ ويضحك، ويُحتمل واللهُ أَعْلَمُ أن الَّذِينَ يمرون هم عباد الله المتقين يعني إِذَا مر الصالحون بهؤلاء الَّذِينَ يجلسون يتصيدون لمثل هؤلاء إِذَا مر الصالحون بهم بدأ يغمز بعضهم بعضًا، فيقول انظر إِلَىٰ فلان وبدأوا يضحكون، ويتغامزون ويسخرون ويستهزئون.،﴿وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ٣٠﴾ [المطففين: ٣٠]، الآية تحمل واللهُ أَعْلَمُ أنها يعني أن الَّذِينَ أجرموا يمرون بالمتقين فيستهزئون أَوْ إن المتقين إِذَا مروا استهزأ بهم المجرمون النتيجة واحدة وهي أن هؤلاء المجرمين ما تركوا أهل الخير والطاعة ما تركوهم إن جلسوا في مجالسهم: اغتابوهم، واستهزئوا بهم، وسخروا منهم، وإن مروا بهم أَوْ هؤلاء مروا بهم استهزئوا بهم وسخروا يعني حالهم كلها سخرية واستهزاء واحتقار ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ٣٠﴾ [المطففين: ٣٠]،

والغمز ما هو؟

هو الغمز بالرأس، بالإشارة، بالعين، باليد كل هٰذِه داخلة، أحيانًا بالكلام كل ذلك داخل وهو عَلَىٰ سبيل السخرية وعَلَىٰ سبيل الانتقاص والاستهزاء بالآخرين.

﴿وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمُ﴾ [المطففين: ٣١]، هؤلاء المجرمون إِذَا انقلبوا يعني إِذَا رجعوا إِلَىٰ بيوتهم وَإِلَىٰ أهليهم ﴿انْقَلَبُوا فَكِهِينَ ٣١﴾ [المطففين: ٣١].

فكهين يعني متفكهين فرحين مبسوطين؛ لأن أصل التفكه هو الانبساط بالشيء وسُميت الفاكهة بهذا الاسم؛ لأن صاحبها ينبسط في أكله؛ لخفتها وسهولتها لا تحتاج إِلَىٰ

طهي وطبخ ونحو ذلك يأخذها ويأكلها، فسميت الفاكهة بهذا الاسم؛ لسهولتها فهؤلاء لانبساطهم، واستهزائهم، وسخريتهم، يرجعون إِلَىٰ بيوتهم وهم فكهين فرحين بما فعلوه باستهزائهم بهؤلاء المتقين ولاحظ أيضًا حَتَّىٰ يصل الأمر أنهم من شدة استهزائهم وسخريتهم وفرحهم واغتباطهم أنهم يغتبطون بأنهم يستهزئون بالصالحين لم يصل الأمر إِلَىٰ هٰذَا الحَدُّ وينتهي وصل الأمر إِلَىٰ ما هو أكبر وهو أنهم يحكمون عليهم.

من خولك؟ ومن فوضك تحكم عليهم؟

﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ ٣٢﴾ [المطففين: ٣٢]، إِذَا رأوا الصالحين قالوا انظر إِلَىٰ هؤلاء، هؤلاء تركوا دينهم وتركوا دين آبائهم، وتركوا دين عشيرتهم، وتأثروا بهذا الدين الجديد، وبدأوا يستهزئون، ويسخرون، ويحكمون أيضًا ﴿قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ ٣٢﴾ [المطففين: ٣٢]، من خولك تحكم عليهم؟

يعني وصل أنك تستهزئ وتسخر، وتفرح بما تفعل من هٰذَا، ثُمَّ يأتي الأمر الأخير إِلَىٰ أنك تصل إِلَىٰ أن تحكم؛ ولذلك رد الله عليهم لما حكموا عليهم بأنهم أهل ضلال، وأنهم ليسوا عَلَىٰ الحق قَالَ الله عَزَّ وَجَلَّ ﴿وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ ٣٣﴾ [المطففين: ٣٣]، من كلفك؟، ما أرسلناك عَلَىٰ هؤلاء تحفظ أعمالهم حَتَّىٰ تحكم عليهم، وتقول هؤلاء ضالون وهؤلاء غير ضالين من أعطاك هٰذَا الشيء قَالَ الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ ٣٣﴾ [المطففين: ٣٣].

قَالَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ٣٤﴾ [المطففين: ٣٤]؛لأن يوم القيامة يظهر فيه الحق جليًا، في الدنيا يسخر من يسخر، ويلعب من يلعب، ويستهزأ من يستهزأ، ويضحك من يضحك، لكن إِذَا جاء يوم القيامة ظهرت الحقائق ﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ٣٤﴾ [المطففين: ٣٤]، كما الجزاء من

جِنس العمل، كما أنهم يستهزئون هؤلاء المجرمون يستهزئون بأهل الخير والصلاح في الدنيا إِذَا جاء يوم القيامة انقلبت الأمور، فأصبح أهل الخير والصلاح يضحكون من هؤلاء وهم يعذبون في نار جهنم، فيقول بعضهم هل أنتم مطلعون؟، ننظر في أهل النَّار ﴿فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ٥٥﴾ [الصافات: ٥٥]، يطلعون وينظرون إِلَىٰ أهل النَّار وهم يعذبون ﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ٣٤﴾ [المطففين: ٣٤]، ولاحظ أن يعني يضحكون يعني عَلَىٰ وجه المُجازاة ليس ضحكهم ضحك استهزاء بهم لا وإِنَّمَا رد عليهم بمقابل ما كانوا يستهزئون في الدنيا ويضحكون هم الآن يضحك المؤمنون منهم؛ لأن المؤمنين الآن أصبحوا في أعلى عليين، وهؤلاء في أسفل سافلين، فأهل الصلاح والخير الَّذِينَ كانوا يُستهزأ بهم كما كان ذلك في أول الإسلام كان طغاة قريش، ومجرمو قريش كانوا يستهزئون ببعض المؤمنين الصالحين من صحابة النَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المهاجرين الفقراء كعمار، وخباب، وبلال وغيرهم كانوا يستهزئون بهم، فإذا جاء يوم القيامة أهل الخير والصلاح يضحكون منهم، يضحكون وهم مغتبطون بحالهم لأنهم أين؟

في جنات النعيم، في جنات وفي عليين.

﴿عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ٣٥﴾ [المطففين: ٣٥]، يعني هم ينظرون إليهم، وينظرون إِلَىٰ نعيم الله، وينظرون إِلَىٰ ما يسرهم، وقد أطمئنوا عَلَىٰ هٰذِه الأرائك، والأرائك جمع أريكة: وهي المجالس والسرر، المجالس السرر الَّتِي قد بُطنت بالبطائن وفُرشت بالفرش يجلسون عليها وهم مطمئنين، وهم فرحين، وهم آمنين، وينظرون لهؤلاء المجرمين عَلَىٰ الأرائك ينظرون.

قَالَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في خاتمة السورة: ﴿هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ٣٦﴾ [المطففين: ٣٦]، هٰذَا استفهام كما يقول أهل اللغة استفهام، ولكنه يفيد مَاذَا؟ يفيد التقرير يعني قد ثوب والمراد بالثواب هنا الجزاء ليس الثواب الَّذِي يثاب به أهل الخير والصلاح هٰذَا الثواب عَلَىٰ إطلاقه وهو الجزاء ﴿هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ٣٦﴾ [المطففين: ٣٦]، هل جُزي؟ الكفار بما كانوا يفعلونه في الدنيا؟

نعم الجواب نعم جُزوا بما كانوا يفعلونه في الدنيا لقوا جزائهم يوم القيامة، فالثواب هنا إِمَّا أن يكون معناه الجزاء يعني هل جُزوا بذلك، أَوْ أنه يُقال ثواب استهزاءً بهم وسخرية نقول أنتم أثابكم الله عَلَىٰ أعمالكم لما عملتوها في الدنيا وجدتم ما عملتم قد وجدنا ما عملنا نحن، ﴿قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا﴾ [الأعراف: ٤٤]، فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَكم رَبُّكُمْ، هٰذَا جزائكم.

﴿هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ٣٦﴾ [المطففين: ٣٦]، الجواب نعم لقوا جزائهم هٰذِه الآيات الحقيقة مهمة وهي تحذر كل من يستهزأ ويسخر بأخيه المسلم ويغمز ويلمز أخاه المسلم كل ذلك ينبغي الحزر ينبغي الحزر من الاستهزاء بالآخرين والسخرية؛ ولذلك نهى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وحذر قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ﴾ [الحجرات: ١١]، وَقَالَ: ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾ [الحجرات: ١١]، كل ذلك تحزير من هٰذِه الصفات صفات أهل الاجرام وصفات اهل النَّار فيحذر المسلم أن يستهزأ خرجوا مع النَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للجهاد في غزوة تبوك، خرجوا للجهاد ، ويجاهدون مع النَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالنَّبِيّ يقول يقول لهم مَاذَا ؟

﴿قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٦]، والسبب أنهم استهزأوا بالصحابة، استهزأوا بالنبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصحابته مجرد كلام يخوضون في الكلام النتيجة

فإذا رأي الإنسان بعض المجالس فيها استهزاء وسخرية من أهل الخير فالواجب أن ينصح وأن يغادر وأن يبتعد عن هٰذِه المجالس ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ [الأنعام: ٦٨] ، فالخوض في الله، وفي شرعه، وفي رسوله، وفي عباده الأولياء المتقين، كل هٰذَا ينبغي الانسان ألا يجالس ألا يحضر. مثل هٰذِه المجالس الَّتِي فيها قد يعني الأنسان لا يتصور ما عقوبة هٰذَا الشيء فننظر نحن هٰذِه الآيات ونرى أنها عقوبات شديدة بسبب مجرد استهزاء، غمز، لمس، استهزاء، مجرد يظن الإنسان أنها (١٤:٣١) أحيانًا تجد بعضهم إِمَّا يحضر ـ مثل هٰذِه المجالس، أَوْ يشاهد بعض القاطع بعض الأفلام فيها استهزاء بالصالحين فيها استهزاء بدين الله وبشرعه وبأوليائه، ويظن أن هٰذَا الأمر عادي ما فيه أي شيء لا قد تنظر إِلَىٰ هٰذَا الشيء وتعاقب وأنت لا تشعر فعَلَىٰ الإنسان أن يحذر مثل هٰذِه الأمور.

نسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن يحفظنا وَإِيَّاكُمْ من كل سوء وأن يجعلنا وَإِيَّاكُمْ من أهل القرآن أهل الله وخاصته واللهُ أَعْلَمُ وَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ عَلَىٰ النَّبِيّ مُحَمَّد وعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الدرس (٢٤)

إِنَّ الْحَمْدَ لِلهِ نَحْمَدُهُ تَعَالَىٰ ونَسْتَعِينُهُ ونَسْتَغْفِرُهُ، ونَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا ومِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلاَ مُضِلَّ لَهُ ومَنْ يُضْلِلْ فَلاَ هَادِيَ لَهُ، وأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ ورَسُولُهُ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ ولَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ وخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا ونِسَاءً واتَّقُوا اللَّهَ الَّذِى تَسَاءَلُونَ بِهِ والْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ ويَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ومَنْ يُطِعِ اللَّهَ ورَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠- ٧١].

أيها الاخوة الكرام السَّلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ

حياكم الله في هذا اللقاء المبارك، وفي هذا اليوم أسأل الله سبحانه وتعالى أن يتقبل منا، وأن يعيننا وإياكم على طاعته، وأن يغفر لموتانا وموتاكم جميعًا وأن يتجاوز عنا وعنهم جميعًا.

أيها الاخوة الكرام في هذا المجلس المبارك، في هذا اليوم، وهو اليوم الرابع عشر من شهر ربيع الأخر من عام أربعة وأربعين وأربعمئة وألف للهجرة نجتمع في هذا المقام المبارك؛ لنتناول آيات من كتاب الله سبحانه نقرأها، ونبين معانيها، ونتدبر ما فيها من حِكمٍ وأحكام

السورة التي بين أيدينا وهي سورة من سور الجزء الأخير.

هي سورة الانشقاق النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال في هذه السورة وفي غيرها: «من سره أن ينظر إلى يوم القيامة نظر عين يعني: يبصرها كأنه يشاهد يوم القيامة، من سره أن ينظر الى يوم القيامة نذر عين فليقرأ سورة التكوير وسورة الانفطار وسورة الانشقاق»

النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قرن بين هذه السور الثلاث

لا شك أنها متشابهة، موضوعاتها متشابهة وحديثها متشابه، هي تتحدث عما يجري يوم القيامة، وتُعطي صورة حقيقية أمامنا، أشياء كثيرة قد نغفل عنها، أَوْ

لا نعرفها أصلا، وينبغي لنا أن نتعرف عليها.

هذا يوم عظيم: يوم لابد أن يأتي لكل إنسان، والخلق جميعًا سيُحشرون يوم القيامة، وسيواجهون هذا اليوم العظيم ما فيه من عرصات، وما فيه من أهوال شدائد.

الجمادات تتأثر فكيف بهذا الإنسان؟

سورة التكوير شرح الله فيها سبحانه وتعالى تفاصيل عظيمة عما يجري في يوم القيامة.

﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ١ وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ٢ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ٣ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ٤﴾ [التكوير: ١-٤]، ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ٦﴾ [التكوير: ٦]

كم آية ذكرها لنا؟

ذكر لنا اثنتي عشرة آية

ست آيات تحدث عند نهاية الدنيا، وست آيات تحدث عند بداية الآخرة، وفي عرصات يوم القيامة.

سورة التكوير فيها تفاصيل عظيمة

لما تنتقل إِلَىٰ سورة الانفطار التي ذكرها النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحديث

أيضًا تفصل لنا لكن تفصيل أقل، تذكر لنا آيتين في السماء، وآيتين في الأرض

﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ ١ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ ٢ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ ٣ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ٤﴾ [الانفطار: ١-٤]، ثم تفصل في أحوال أُخرى

سورة الانشقاق التي هي حديثنا هذا اليوم لم تذكر هذه التفاصيل، وإنما كأنها جاءت والعلم عند جاءت بعد هذه السور، فهي تقول لك الحديث قد جاءك فيما مضى- فلا حاجة أن أُعيد، أعطيك ملخص؛ ولذلك في سورة الانشقاق لم يذكر الله هذه التفاصيل، وإنما ذكر لنا ما يحدث للسماء وهي من الجمادات وما يحدث للأرض فَقَطْ، وماذا كان جواب السماء؟

تتحدث وهي جامدة من الجمادات، وتستجيب، وتطيع، وماذا يجري للأرض عندما تُؤمر، فتستجيب وتُبادر، ولا تتردد في هذا اليوم العظيم.

ولذلك أجمل الله فيها الحديث وبين موقف هٰذِه السماء، وموقف هذه الأرض

الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقول: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ ۝١﴾ [الانشقاق: ١]

لما تقرأ في سورة الانفطار الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقول: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ ۝١﴾ [الانفطار: ١]، وهنا يقول ﴿انْشَقَّتْ ۝١﴾ [الانشقاق: ١]

هل بينهما فرق ولا المعنى واحد؟

إن كان المعنى واحد مَالَه حاجة مرة يقول انفطار، ومرة يقول انشقاق

وإن كان هناك فرق إذًا لَا بُدَّ أن تعرف وأنت تقرأ القرآن لا ينبغي لك أن تمر على هذه الاشياء وأنت ما تفهمها يجيب عليك أن تفهم، وتعرف، وتفرق بين هٰذَا، وتفرق بين هٰذَا.

ونحن تحدثنا في لقاءات ماضية عن كلمة الانفطار لما جئنا وتحدثنا عن هٰذِه السورة، وبينا الفرق بينها وبين الانشقاق، ونحن نقول لك الآن إن سورة الانشقاق جاءت مُتأخرة بعد هاتين السورتين إذًا الانشقاق أعظم، ولما اقول لك أنت هذا الشيء أنفطر، وهذا الشيء أنشق لا شك أن الانشقاق أعظم من الانفطار.

الانفطار: بداية التشقق

يقول: تفطرت قدماه يعني: بدأ الشقوق فيها، لكن لما تقول انشقت القدم هٰذَا أعظم إذًا فيه فرق.

الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقول هنا: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ ۝١﴾ [الانشقاق: ١]

في آيات أُخرى حتى نربط بين الآيات، ونفهم القرآن جيدًا في آيات أُخرى قَالَ: ﴿فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ٣٧﴾ [الرحمن: ٣٧]، انشقت من شدة الهول، وعِظم الأمر، فأصبحت مثل الوردة يعني حمراء، اشتدت السماء أصبحت حمراء، ثم ذابت بدأت تسيل ﴿وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ٣٧﴾ [الرحمن: ٣٧]، أصبحت مثل الدُهن من شدة الهول، يوم عظيم شديد، في آية أُخرى يقول: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا ٢٥﴾ [الفرقان: ٢٥]، ﴿وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا ١٩﴾ [النبأ: ١٩]، في آية أعظم من هذا كله قد تكون هي المتأخرة قال الله عز وجل فيها: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]، يعني خلاص السماء انتهت، ذهبت، طويت مثل ما يطوى السجل إذًا هذه أهوال حوادث عظيمة للسماء فَقَطْ.

أين الكواكب والشمس هنا؟

لا شك أن إذا انشقت السماء ما في كواكب، ما في الشَّمْس، ما في قمر كلها ذهبت

إذًا جاءت متأخرة بعد ذهاب هذه الاشياء العظيمة كلها

﴿إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ ١﴾ [الانشقاق: ١]، عرفنا هذه الجملة وهذه الآية بعدها ماذا يقول؟

قَالَ: ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ٢﴾ [الانشقاق: ٢]، وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا: يعني السماء استمعت لربها، ﴿أَذِنَتْ﴾: معناها استمعت يعني خاطبها الله فاستجابت

وقال في آية أُخرى لما قَالَ: ﴿ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ [فصلت: ١١]، ماذا قالت السماء والأرض؟

﴿قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ (١١)﴾ [فصلت: ١١]، مستجيبين، جمادات ولا تتردد

والإنسان يُدعى إِلَىٰ الله وتجد من يتردد، ومن يكفر، ومن يعاند.

﴿وَأَذِنَتْ﴾: يعني استمعت لربها أنظر ما قال لأي شخص قَالَ: ﴿لِرَبِّهَا﴾ [الانشقاق: ٢]؛ لأنها تعرف ربها، تعرف الذي خلقها، وأوجدها ورفعها من غير عمد هو الله، فهي تعرف ربها؛ ولذلك قَالَ: اذنت واستمعت لربها سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الذي خلقها وأوجدها

﴿وَحُقَّتْ ٢﴾ [الانشقاق: ٢]،

معنى حُقَّتْ: أي حُق لها أن تستمع، وحق لها أن تجيب يعني أن تستجيب يعني ما في تردد، ولا يمكن أن تتردد، حُق لها أن تستجيب، وحُق لها أن تسمع وحُق لها ألا تتردد في إجابة ما يأمرها الله به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ

هٰذِه السماء أنشقت؟

نعم أنشقت

استمعت لربها؟

نعم

استجابت؟

استجابت

حُق لها ذلك؟ نعم ولن تتردد

هذا ما يجري في السماء باختصار في هذه السورة.

تنتقل الآيات الى الأرض، تنظر إِلَىٰ السماء، أنظر الى الأرض

ماذا يجري لها يوم القيامة؟

قَالَ: ﴿وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ٣﴾ [الانشقاق: ٣]، طيب أين الجبال؟

الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ذكر الجبال في سورة التكوير ﴿سُيِّرَتْ ٣﴾ [التكوير: ٣]، أين البحار؟

ذكر أنها فُجرت، وأنها سُـجرت ما في ذكر؛ لأنها الأمور هٰذِه خلاص انتهت وصـلنا مرحلة نهائية، قَالَ: ﴿وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ٣﴾ [الانشـقاق: ٣]، بُسـطت ومُدت كما يُمد الأديم -الجلد- كما تُمد السفرة، تمد الأرض: تبسط بسطا ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ١٠٥ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ١٠٦ لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ١٠٧﴾ [طه: ١٠٥-١٠٧]، لا انخفاض، ولا ارتفاع هٰذِه هي الأرض يوم القيامة، ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ٤٨]، تُبَدَّلُ: يعني تُغير صـفاتها، الأرض هي الارض لكن اختلفت عليك ﴿مُدَّتْ (٣)﴾ [الانشـقاق: ٣]، وتغيرت صفاتها.

﴿وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ٣ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ٤﴾ [الانشقاق: ٣-٤]، إذًا جاءت متأخرة؛ لأن الآن عندنا مَاذَا؟

عندنا خروج من القبور

﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا﴾ [الانشقاق: ٤]، ما الذي تُلقيه الأرض؟

الأرض مليئة، قد ثقلت ما الذي تلقيه الأرض؟

تلقي ما فيها من الناس، تُخرج الناس من قبورهم، وتخرج غير الناس، ما فيها من كنوز تأتي كالاسطوان يوم القيامة ذهب والفضة والأموال هذه تأتي؛ ليتحسر

أصحابها عليها، الذين يجمعون الأموال ينظرون إلى أموالهم أمامهم

تتحسر ـ كيف ما أنفقت؟، كيف ما تصدقت؟، كيف ما فعلت؟، كيف هذا المال الذي ذهبت وتركته؟ جاءني يوم القيامة

يأتيك لماذا يوم القيامة هذا المال؟

لتُحاسب عليه، تحاسب على النقير والقطمير في هذا المال هل أديته حقه؟ وحق الله فيه؟ ولا بس مجرد أرصدة تتركها وتذهب تأتيك يوم القيامة، فالكنوز والأرض كل ما في هذه الأرض يُخرجها الله؛ ولذلك قَالَ: ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ٤﴾ [الانشقاق: ٤]، يعني أصبحت خالية ما فيها شيء، كل ما تحت الأرض سيخرج على سطح الأرض، على وجه الأرض

وأسمع أيضًا ماذا قالت الأرض؟

﴿وَأَذِنَتْ﴾ [الانشقاق: ٥]: استمعت لربها لما أمرها مثل السماء لا فرق

﴿ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ١١﴾ [فصلت: ١١]، دون تردد

﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا﴾ [الانشقاق: ٢]: استمعت لربها، قالت لربها الذي خلقها، وأوجدها ﴿وَحُقَّتْ ٢﴾ [الانشقاق: ٢]: اي حُق لها أن تستمع.

أهوال عظيمة يعني الناس في غفلة عنها، تشتغل في هذه الدنيا، وتعمل ليل ونهار وتبحث يمين وشمال، ما تدري إلا قد أتاك الموت، قد يأتيك غفلة ولا تدري، ولا تستعد، ولا تكتب وصيتك، ولا تستعد لهذا اليوم إلا قد جاءك الموت، هٰذِه الأهوال ستواجهها، تعلمها، وتعرف عليها قبل أن

تواجهها؛ لتستعد ولذلك السلف الصالح من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ والتابعين كانت إذا قُرأت عليهم الآيات المتعلقة بأهوال يوم القيامة لا يستطيع أن يملك نفسه.

عُمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قرأ في صلاة الفجر سورة المدثر لما بلغ ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ ٨ فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ٩ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ١٠﴾ [المدثر: ٨-١٠]، سقط مغشيا عليه وحُمل إِلَىٰ بيته، هذا الذي يعرف عظمة يوم القيامة ويعرف ويحسب لهذا اليوم ألف حساب، أما في غفلة واشتغال بهذه الدنيا، الدنيا ليست مقر، وليست دارك أنت دارك في الاخرة، اسمع يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ مُناديًا هذا الإنسان، ﴿يَاأَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ ٦﴾ [الانشقاق: ٦]

الكدح: هو العمل الدؤوب المستمر، يقول: أيها الإنسان أنت تشتغل في هذه الدنيا ما هي نتيجة هذا العمل؟ تكدح، تشتغل، تعمل ليل ونهار

بشدة عناء وتعب، وتجد من الناس الآن من لا ينام إلا ساعات معدودة، ومن لا يُعطي الصلاة حقها عمل في عمل، دوام في دوام، لا صلاة، النوم، حق البيت حق الاسرة، حق الأرحام كل هٰذَا ضائع، مجرد عمل آلة يشتغل

﴿يَاأَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ﴾ [الانشقاق: ٦]

الكدح: هو العمل الدؤوب السريع الكثير الذي لا ينقطع

كل إنسان يفعل، وكل مُطالب منه الكدح والعمل لكن عمل بما ينفع الإنسان في دينه، ودنياه، وآخرته.

أما أن يعمل الدنيا، ويترك الآخرة أَوْ يعمل للدنيا، ويترك الدين لا

أن يعمل ويشتغل كل ذلك الإنسان مطلوب منه أن يعمل ويشتغل لكن لا عَلَىٰ حساب شيء دون شيء، أعطي الدنيا حقها، وأعطي الآخرة حقها، وأعطي دينك وشرعك وطاعة الله حقه وهكذا.

﴿إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ ٦﴾ [الانشقاق: ٦]؛ ولذلك الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ما قال لا تكدح، لا تشتغل، لا تعمل لا

قال كادح كل إنسان يكدح يعمل الله أباح لك وفتح لك المجال

لكن اعلم ماذا ستحصد بعد هذا الكدح؟

هنا النتيجة قَالَ: ﴿يَاأَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ ٦﴾ [الانشقاق: ٦]

مُلاقي من؟، ملاقي الكدح ولا ملاقي ربك؟ كلاهما، كلا الإثنين

كل إنسان يكدح في هذه الدنيا، ويلقى عمله، ويلقى ربه جميعا؛ حتى نجمع بين المعنيين، أنظر ﴿يَاأَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ ٦﴾ [الانشقاق: ٦]، أي ملاقي هذا الكدح، ومُلاقي ربك كلها وكل إنسان سيواجه عمله والعمل الآن يأتيك، بعد قليل يأتيك، العمل الذي ستواجهه، ﴿إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ ٦﴾ [الانشقاق: ٦]، لَا بُدَّ أن تلقاه، لَا بُدَّ أن يأتيك يعني من الضروريات أن تواجه عملك يوم القيامة ﴿كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ ٦﴾ [الانشقاق: ٦]؛

ولذلك فصل الله سبحانه وتعالى في هذا الإنسان الذي سيلقى كدحه، وعمله، ويلقى ربه فصل فيه، فَقَالَ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ٧﴾ [الانشقاق: ٧]، وهؤلاء هم السعداء، هم الذين عرفوا الطريق إِلَىٰ الله، هم الذين استعدوا لهذا اليوم

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ٨﴾ [الانشقاق: ٧-٨]، كيف يحاسب؟ كيف يحاسب حسابا يسيرا؟

من حوسب ونوقش عُذِب، قال النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «معنى يحاسب حسابا يسيرا قَالَ: هي عرض»

تُعرض الأعمال عليه فَقَطْ، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يبين له أعماله، ويبين له ذنوبه، فيقول: "فعلت في يوم كذا وكذا، وفعلت في يوم كذا وكذا، وفعلت في يوم كذا وكذا"، وقد سترتها عليك في الدنيا واليوم أسترها عليك، فتعرض الأعمال أما لو يُحاسب لا ينجو أحد، ولا واحد ينجو، لو كان أعماله مثل الجبال ما ينجوا؛ لأن نعم الله أكثر، وحق الله أعظم من أعمالك التي تقدمها ماذا تُقدم من أعمالك أمام حق الله، ونعم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؟

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ٨﴾ [الانشقاق: ٧-٨]؛ ولذلك قال حساب يسير، وسهل مجرد تُعرض أمامك أعمالك فقط

مثل ما تُعرض عندك فاتورة من فواتير الدنيا عليك كذا، لكن تجاوزنا عنك أمشي تفرح.

في الآخرة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يكشفك هذه الأعمال، ويقول فعلت في كذا، وفعلت في كذا، وفعلت في كذا، وقد سترت عليك في الدنيا والآن أسترها عليك في أحوج ما تكون.

﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ٨ وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا ٩﴾ [الانشقاق: ٨-٩]؛ لأنه قال في آية أُخرى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ ١٩ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ ٢٠ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ٢١﴾ [الحاقة: ١٩-٢١]، هنا ينقلب الى أهله: يرجع الى أهله يوم القيامة ما في دنيا خلاص انتهت الدنيا يرجع الى أهله في الجَنَّة، مغتبطا مسرورا فرحًا، فرحًا بأي شيء؟

بهذه النتيجة ﴿هَاؤُمُ﴾ [الحاقة: ١٩]، يرفع نتيجته، يرفع يده، ويرفع صحيفته إذا أُعطيت بيمينه، ﴿فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ ١٩﴾ [الحاقة: ١٩]، الناس مُبلمة يقرؤون كتابه، الناس مشغولين بأنفسهم، لكن من شدة الفرح كأنه من شدة الفرح ينادي الناس يقول ﴿اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ ١٩﴾ [الحاقة: ١٩]، فَهٰذِه حال السعداء الذين عرفوا الطريق إِلَىٰ الله واستعدوا في هذه الدنيا لملاقاة ربهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ١٠﴾ [الانشقاق: ١٠]،

في آية أُخرى قَالَ: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ﴾ [الحاقة: ٢٥]

كيف بشماله؟ ولا من وراء ظهره؟

قال أما يده اليمنى فتُغل في رقبته، وأما يده الشمال فتكون من ورائه، فيأخذ كتابه من وراء ظهره بشماله نسأل الله العفو والعافية، ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ١٠﴾ [الانشقاق: ١٠]، من خلف: هذه أشد الإهانة حتى في الدنيا لو تقابل شخص ويعطيك من الخلف هذه شيء من الإهانة، فكيف بيوم القيامة والناس ينظرون إليك وقد عرضت الأعمال أمامك، ثم يُقال يا فلان بن فلان خذ كتابك من وراء ظهرك، خذ كتابك بشمالك ﴿فَيَقُولُ يَالَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ ٢٥﴾ [الحاقة: ٢٥]، وهنا ماذا يقول؟

يقول: ﴿فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا ١١﴾ [الانشقاق: ١١]، يدعو على نفسه بالثبور بالهلاك، يقول: يا ليتني أهلك، يا ليتني كُنت ترابا، تُسوى بي الأرض وانتهي

كيف أواجه رب العالمين، وأواجه الناس بهذا الشيء؟ ﴿فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا ١١﴾ [الانشقاق: ١١]، يدعوا على نفسه بالهلاك لكن ما ينفع

لماذا؟ لأن أمامه النَّار؛ ولذلك قال الله بعدها: ﴿وَيَصْلَى سَعِيرًا ١٢﴾ [الانشقاق: ١٢]، معنى يَصْلَى: أي يدخل النار وُيقاسي شدة حرها

ولم يقول الله يدخل النَّار، ما قال يدخل النار قَالَ: يدخل سعيرا؛ لأنها تتسعر امامه، وتتلهب امامه، فهي تشتعل امامه، فيُسحب ويُلقى فيها

بسبب أنه ضيع دينه وضيع اخرته، فضاع عليه كل شيء قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ﴾ [الانشقاق: ١٣]، في الدنيا كان في الدنيا مسرورًا، مُغتبطًا بالدنيا مسرورًا لم يفكر في الآخرة، ولم يعمل للآخرة وإنما عمله للدنيا يأكل، ويشرب، وينام، وينكح كالبهائم لا يفكر في الآخرة ولا شيء؛ ولذلك قَالَ: ﴿إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا ١٣﴾ [الانشقاق: ١٣]، وزيادة على ذلك ﴿إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ ١٤﴾ [الانشقاق: ١٤]، ظن: معناها اعتقد، وتيقن يعني جزم جزما أنه لن يرجع إِلَىٰ ربه، ما في آخره

﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ [المؤمنون: ٣٧]، ما في آخرة، فهذا السبب لو كان عنده اعتقاد باليوم الآخر لعمل لليوم الآخر لكن لما أغلق على نفسه قَالَ: ما في يوم آخر، ولا في جزاء، ولا في بعث، ولم يعترف بذلك النتيجة ما هي؟

لما اعتقد هذا ﴿إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ ١٤﴾ [الانشقاق: ١٤-١٥]، يعني لن يرجع إِلَىٰ ربه كانت النتيجة عليه نتيجة سيئة، قال الله عَزَّ وَجَلَّ ﴿بَلَى﴾ [الانشقاق: ١٥]، يحور ويرجع الى ربه، هذا معنى ﴿بَلَى﴾ [الانشقاق: ١٥]

بلى أنه سيحور وسيرجع إِلَىٰ ربه وسيحاسبه، ويجازيه بالعدل، وبما يستحق

﴿إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا ١٥﴾ [الانشقاق: ١٥]، الله سبحانه وتعالى بصير بالعباد بكل إنسان، بصير مُطلع عليه ومُطلع على أعماله، فلا يخفى على الله شيء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ

﴿بَلَى إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا ١٥﴾ [الانشقاق: ١٥]، به وبغيره

بصير سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ مُطلعٌ على أعمال العباد

ما تقدم، وما تؤخر، وما تفعل، وما تذر كل ذلك مُطلعٌ عليه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ

وتُكتب أعمالك، وتُسجل عليك، تُفتح لك صحيفتك يوم القيامة، وتنظر فيها ما قدمت، وما أخرت من أعمال كل ذلك تُجزى به حق الجزاء.

طيب، لعل نقف ونحن نعيش حياة أُخرى عن الدنيا نعيش هذا المواقف العظيمة التي سيواجهها كل إنسان هل سيكون كتابك بيمينك أَوْ شمالك؟، أَوْ من وراء ظهرك؟، أمور عظيمة أهوال شديدة السماء ماذا قالت لربها والأرض ماذا قالت لربها؟ ماذا حدث؟ كل هذه نحتاج حقيقة لزيادة التدبر لهذا الكتاب

حتى يزداد إيماننا ويقيننا بربنا، ويقيننا بهذا اليوم العظيم الذي نحشر فيه ويجمع الله فيه الأولين والآخرين

أسأل الله سبحانه وتعالى أن يُعيننا على ذكره وعلى شكره وعلى حُسن عبادته، وبارك الله فيكم وجزاكم خيرا على استماعكم، وأن يوفقنا سبحانه وتعالى لما يحب ويرضاه والله أعلم، وصلى الله وسلم على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الدرس (٢٥)

إِنَّ الْحَمْدَ لِلهِ نَحْمَدُهُ تَعَالَىٰ ونَسْتَعِينُهُ ونَسْتَغْفِرُهُ، ونَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا ومِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلاَ مُضِلَّ لَهُ ومَنْ يُضْلِلْ فَلاَ هَادِيَ لَهُ، وأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ ورَسُولُهُ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ ولَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ وخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا ونِسَاءً واتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ والْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ ويَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ومَنْ يُطِعِ اللَّهَ ورَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠- ٧١].

أيها الأخوة الكرام السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وحياكم الله في هذا اللقاء المبارك

وأسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن يجعله لقاءً مباركًا نافعًا، وأن يتغمدنا وإياكم بواسع رحمته

وأن يغفر لنا ولموتانا وموتاكم، درسنا الأسبوعي في مثل هذا اليوم يوم الثلاثاء

مع القرآن الكريم ومع قصار السور من الجزء الأخير، السورة التي تناولناها في لقائنا الماضي هي من عظائم سور القرآن الكريم وهي سورة الانشقاق.

سورة الانشقاق: سورة تتحدث عما سيجري يوم القيامة، وعما سيواجه كل انسان، وَلَا بُدَّ لكل مسلم يقرأ القرآن وخاصة في الجزء الأخير من القرآن الكريم يجد صورًا عظيمة لليوم الآخر الله سبحانه وتعالى يصور لنا هذا اليوم بصور مختلفة مرةً يتحدث عن السماء، مرة يتحدث عن الجبال،

مرة يتحدث عن البحار، مرة يتحدث عن الأرض، مرة يتحدث عن خروج الناس من قبورهم، وأحوال الناس كل ذلك يأتي بصور لتقرير هذا اليوم، وتأكيد هذا اليوم في نفوس الناس.

حيث ألا يشك بذلك مؤمن؛ ولذلك دائمًا تقرأ في القرآن الكريم إذا جاء ذكر اليوم الآخر قَالَ: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾، يعني لا يمكن أن يشك فيه إنسان.

الآيات التي بين أيدينا التي صور الله لنا ما يجري، وما سيجري في يوم في اليوم الآخر من انشقاق السماء، واستجابتها بسرعة لربها، واستماعها لأمر ربها، ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ٢﴾ [الانشقاق: ٢]، حُق لها أن تسمع، حُق لها أن تستجيب، ويصور لنا أيضًا الأرض واستجابتها لربها، وحُق لها أن تستجيب، وأن تُمد الارض مدًا كما يُمد الاديم، وتُخرج الارض أثقالها، تُخرج الارض ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ٤﴾ [الانشقاق: ٤]

ألقت ما فيها من الأموات، من المعادن من الأموال؛ حتى اجتمعت فوق الأرض؛ ليجازي الله كل نفسٍ بما كسبت، ويصور الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لنا مصير الناس وانقسامهم قسمين في أخذِ كُل مسلمٍ أَوْ كُل إنسان كتابة.

فآخذٌ كتابه بيمينه وراجع إِلَىٰ أهله مسرورا، وآخذ كتابه بشماله لما تُغل يمينه في عنقه فيأخذ كتابه بشماله، ويدعو على نفسه بالثبور والهلاك، كُل هذه تصوير لليوم الآخر.

هل يشك عاقل او يتردد في قضية البعث؟ وإخراج الناس من قبورهم ومُجازاتهم ومصيرهم الى الجَنَّة أَوْ النار هل يشك عاقل في هذَا؟

لا يشك عاقل، ومع ذلك نجد من يُنكر هذا اليوم ويستبعد هذا اليوم؛ حَتَّىٰ يقول قائلهم أإذا كنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون أو اباؤنا الاولون، ويقول بعضهم ﴿ذَٰلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ (٣)﴾ [ق: ٣]، فيستبعدون لما يستبعد هذا الضعيف المسكين اليوم الآخر القرآن يرد عليه

والله عَزَّ وَجَلَّ يُقيم الحُجة عليه، اسمع ماذا قال لما صور لنا القرآن هذا التصوير العظيم قال ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ ١٦﴾ [الانشقاق: ١٦]، قد يسأل سائل كيف الله عز وجل يقسم بالشفق؟

نقول هذا تكرر معنا في سورة التكوير لما ذكر الله وصور لنا ما يجري يوم القيامة قَالَ بعدها ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ ١٥ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ ١٦﴾ [التكوير: ١٥-١٦]، هذا القسم تأكيد على هذا اليوم وأنه لَا بُدَّ من أن يأتي، وَلَا بُدَّ أن يراه كل مخلوق، وكل إنسان؛

ولذلك الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يؤكد والقسم أسلوب من أساليب العرب للتأكيد في الأخبار القسم أسلوب والقرآن استعمله في آيات كثيرة ﴿فَلَا أُقْسِمُ﴾، قال الله عز وجل ﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ١ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ٢﴾ [القيامة: ١-٢]، ﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ (١)﴾ [البلد: ١-٢]، آيات كثيرة بعض المفسرين وأهل العلم يقول أن اللام هنا لام زائدة

القرآن ما فيه زائد ولا يقال زائدة هم يقولونها من ناحية إعرابية، ولكن الأدب مع القرآن الكريم ألا يقال فيه لا زائد ولا ناقص، وإنما نقول هذه اللام إِذَا تدبرتها وتأملتها وجدتها جاءت في مكانها، من غير زيادة ولا نقصان.

ما معناها؟

نقول هذه اللام متعلقة بمحذوف كما هي في لغة العرب: أي لا، كما يدعي من يدعي أنه لا بعث، ولا جزاء، ولا حساب، بل أُقسم بأن هناك جزاءً، وبعثًا، وحسابًا.

إذا عرفت هذا المعنى زال عنك أن تقول هذه اللام ما معناها؟ فنقول لام ترد على المنكرين للبعث، لا كما يدعي هؤلاء أنه لا جزاء، ولا بعث، ولا جنة، ولا نار، لا ولكنني أُقسم قسمًا عظيمًا بأي شيء يُقسم الله عَزَّ وَجَلَّ؟

يُقسم بما شاء من مخلوقاته، والله لا يُقسم إِلَّا بالأشياء العظيمة، الأشياء العظيمة يُقسم بها يُقسم بِاَللَّيْلِ، يُقسم بِالنَّهَارِ، يُقسم بِاَلشَّمْسِ، يُقسم بالقمر، يُقسم بالسماء، يقسم بالأرض

لله أن يُقسم بما شاء من مخلوقاته، وليس للمخلوق أن يُقسم إِلَّا بالله، «مَنْ كَانَ حَالِفًا، فَلْيَحْلِفْ بِاللَّهِ أَوْ لِيَسكت»، فلا يجوز للإنسان المخلوق أن يُقسم بأي شيء غير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فلا يجوز أن يُقسم بالنبي، أن يقول وَالنَّبِيّ، أَوْ بحياة فُلان، أَوْ بحياتي، أَوْ بالكعبةِ أَوْ نحو ذلك لا يجوز، فلا يجوز القسم إلا بالله سبحانه وتعالى.

الله عَزَّ وَجَلَّ يقسم بمخلوقاته ما بما يشاء مما لها أثرٌ عظيم.

طيب ما هو الشفق؟ وما أثره العظيم؟

الشفق: قال أهل العلم هي الحُمرة التي تكون بعد غروب الشَّمْس، إذا سقط قرص الشمس أصبح في الأُفق لون الحُمرة، وقال بعضهم هو لون البياض الذي يأتي بعد الحُمرة قبل اسوداد اَللَّيْل طيب لماذا يقسم الله بالشفق؟ لماذا اختار الشفق وأقسم به؟

قال بعدها مَاذَا؟ قَالَ: ﴿وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ١٧﴾ [الانشقاق: ١٧]

الشفق: بداية اَللَّيْل، وذهاب النهار دائمًا هذه الحركة والتغير لما يأتي النهار، ثم يذهب النَّهَار، ويأتي الشفق، ثم يأتي اَللَّيْل بشدة سواده، ثم يأتي القمر بسلطانه في السماء، ثُمَّ يأتي الفجر والصبح، هذا التغير يدل على اي شيء؟

يدل على أن وراء هذا الكون، أن وراءه خالقًا مُدبرًا، متصرفًا، فيه مالكا له، مُسخرًا له.

انت لما تشوف هٰذِه الأشياء التي يقسم الله بها يدل عَلَىٰ قدرة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وعَلَىٰ عظمة الله، وعَلَىٰ منته ونعمه على عباده، فالقادر المُنعم المُحيط بهذه الأشياء المُدبر لها قادر على بعث الناس فهمنا؟، لكي نعرف أن هذا يرد على من؟ على من ينكر البعث

لما يقولون ما في بعث أنت ما تعرف قدرة الله، لو تعرف قدرة الله ما قلت ما في بعث

الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقول في الأموات ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ﴾ [ق: ٤]

الميت في قبره ينقص كل يوم،

الله عَزَّ وَجَلَّ يقول: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ﴾ [ق: ٤]، ما يفوت على الله شيء حتى تقول الله غير قادر؛ فلذلك الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هنا يقسم بهذه الأشياء المتغيرة تدل على أن وراء هذا الكون مُدبر، مُسخر، عالم محيط بعلمه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ ولذلك أقسم الله بالشفق، وأقسم بالليل ﴿وَمَا وَسَقَ ١٧﴾ [الانشقاق: ١٧]، معنى ﴿وَمَا وَسَقَ ١٧﴾ أي ما جمع، الليل يجمع، إذا جاء الليل واشتد بظلامه آوى كل انسان إِلَىٰ مأواه، وكل حيوان الى مأواه وتجتمع الليل يجمع، فمعنى وسق: أي جمع مخلوقات الله تجتمع في النهار كلٌ يمشي، وكلٌ يجري، وكلٌ يتنقل، وإذا جاء الليل وأشتد السواد كلٌ دخل في مسكنه، فهذا معنى قوله: ﴿وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ١٧﴾ [الانشقاق: ١٧].

﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ [الأنعام: ١٣]، فهذا يدل على عظمة الخالق، وقدرته وإحاطته بكل شيء، فالذي يدبر اَللَّيْل، ويجمع الخلق ويفرقهم هو الذي قادر على أن يجمعهم يوم القيامة ويبعثهم من قبورهم، قَالَ: ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ ١٨﴾ [الانشقاق: ١٨]

﴿اتَّسَقَ﴾: يعني كمُل بنوره، وأصبح بدرًا في لياليه -ليالي البدر- الثالث عشر، الرابع عشر، الخامس عشر، السادس عشر، يصبح القمر له سلطان في السماء، وقد أضاء على الأرض بنوره.

من الذي جعله يكمل وينير بهذا النور الساطع القوي؟ وبعد ايام تجده ليس له أي سلطان ويذهب حَتَّىٰ يختفي من الذي يخرجه هلالاً صغيرًا ثُمَّ يكبر، يكبر، ثُمَّ يرجع من؟

هو الخالق سُبْحَانَهُ المسخر، سخر الشَّمْس، سخر القمر، سخر اَللَّيْل، سخر النَّهَار كل هٰذِه الأدلة تدل عَلَىٰ أي شيء؛ حَتَّىٰ نعرف نتدبر، تدل على أن وراء هذا الكون خالقًا مدبرًا وقادرًا على إماتة الخلق بلحظة، وبعثهم بلحظة، بعث الناس ما يعجز الله عَزَّ وَجَلَّ

الله عز وجل ماذا يقول؟ ﴿مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ [لقمان: ٢٨]، عَلَىٰ هذه الأعداد كلها كنفس واحدة، لما أقسم الله على هذه المتغيرات أقسم أيضًا على هذا الإنسان أَوْ جاء القسم لأجل هذا الإنسان أنه يتقلب في هذه الحياة، يمر بما يمر به من مراحل؛ حَتَّىٰ تنتهي الحياة وفيها ينتقل للآخرة.

أسمع مَاذَا يقول الله لما أقسم بهذه الأشياء الثلاثة الشفق، ﴿وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ١٧ وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ ١٨﴾ [الانشقاق: ١٧-١٨]، قال بعدها ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ ١٩﴾ [الانشقاق: ١٩]، أي: كل إنسان يمر بمراحل نطفة، عقلة، مُضغة، ثُمَّ يخلقه الله خلقًا تامًا، ثُمَّ يُخرجه إِلَىٰ الأرض، ثُمَّ يُصبح طفلًا صغيرًا، ثُمَّ شابًا، ثُمَّ كهلًا، ثُمَّ شيخًا، ثُمَّ ينتقل.

أحواله في الدنيا مُتغيرة مرة صحيحً، ومرة مريضًا، ومرة فقيرًا، ومرة غنيًا، ومرة كذا، ومرة كذا تقلب الأحوال هٰذِه تدل عَلَىٰ أي شيء؟

تدل عَلَىٰ أن المُقلب لها، المُدبر هو الله سُبْحَانَهُ، وَهٰذَا الإنسان يسير بأمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من الَّذِي خلقك؟، من الَّذِي أوجدك في هٰذِه الأرض؟، من الَّذِي متعك بالصحة والعافية؟، من الَّذِي جعلك تعيش هٰذِه المُدة في حياتك ثُمَّ تنتقل إِلَىٰ آخرتك؟

هٰذا معنى ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ ١٩﴾ [الانشقاق: ١٩]، أي كل إنسان يتحول من حال إِلَىٰ حال، قَالَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بعد هٰذَا البيان: هل أحد يشك في قُدرة الله؟،في أحد يشك في قُدرة الله؟، الله يعطيك أشياء تشاهدها أنت يعني أي إنسان نأتي إلية نقول له أنت أحوالك مُتقلبة في الحياة الَّذِي يقلبها هو الله؛ حَتَّىٰ يُقلب القلوب والأبصار، من الَّذِي يُدبر هٰذِه الأشياء؟

هو الله ألا تعترف بقدرة الله، ألا تؤمن بقدرة الله، لا يشك في ذلك أحد ولكن المشركين الكافرين المُعاندين لا يؤمنون ولا يصدقون؛ عِنادًا وكفرا؛ ولذلك أسمع مَاذَا قَالَ الله قَالَ: ﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ٢٠﴾ [الانشقاق: ٢٠]، أسلوب إنكاري، كيف ما يؤمنون؟، ما تؤمن بهذه الأشياء الَّتِي تشاهدها ولا تؤمن بما سيأتي بعد البعث، ﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٢٠)﴾ [الانشقاق: ٢٠]، وزيادة عَلَىٰ ذلك، وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يُصدقون، ولا يؤمنون، ولا يسجدون، ولا يتبعون ما في هٰذَا القرآن من مواعظ، من توجيهات، من نصائح، لا يؤمنون ولا يُصدقون أين عقولهم؟، وَهٰذِه الآية إِذَا مررت عليها فأسجد عندها هٰذِه من مواضع السجود، القرآن فيه خمس عشرة سجدة، إِذَا مررت بهذه السجدات يُشرع لك أن تسجد سجدة سجود التلاوة، تسجد عَلَىٰ أي حال، إن سجدت وأنت طاهرًا تامًا مُستقبلًا القبلة هٰذَا كمال، إِذَا لم يتيسر لك الطَّهَارَةِ فأسجد عَلَىٰ الصحيح، إِذَا لم يتيسر لك القبلة وأنت في السيارة فأسجد أَوْ (١٥:٣٣) ، كل هٰذَا جائز المهم أن تحرص عَلَىٰ أن إِذَا مررت بمثل هٰذِه السجدات أن تسجد، وتدعوا بدعاء السجود إِذَا لم تعرف دعاء السجود، فسبح الله "سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَىٰ فإنه يكفي".

قَالَ: ﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ٢٠ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ ۩ ٢١﴾ [الانشقاق: ٢٠-٢٢]، قَالَ الله عَزَّ وَجَلَّ السبب بذلك، ما السبب؟

قَالَ: ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ ٢٢﴾ [الانشقاق: ٢٢]، السبب هو التكذيب والعناد؛ ولذلك جاء بحرف، بل الَّذِي هو للإضراب يعني انتقال من معنى إِلَىٰ معنى، ومن جملة إِلَىٰ جملة أعرض عنهم لماذا لا تؤمنون؟ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْكُمُ الْقُرْآنُ لَا تسْجُدُونَ؟، ثُمَّ بين لك السبب فَقَالَ: ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ ٢٢﴾ [الانشقاق: ٢٢]، السبب هو التكذيب والعناد، والكفر، والإصرار عَلَىٰ ما هم عليه إن وجدنا آبائنا هكذا، ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ ٢٢﴾ [الانشقاق: ٢٢]، يكذبون بالقرآن،

يكذبون بما جاءهم عن الله، يكذبون باليوم الآخر، يكذبون بالرسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يكذبون...

ولذلك لاحظ أنه مَاذَا قَالَ: ﴿يُكَذِّبُونَ ٢٢﴾، هٰذِه تُسمى صيغة المُضارع، ما قَالَ كذبوا لو قَالَ كذبوا أنتهى الأمر لكن يُكذب دائم باستمرار هٰذِه صفتهم، صفتهم التكذيب لا يوقنون ولا يريدون التصديق أبدًا ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ٢٣﴾ [الانشقاق: ٢٣].

الله أقد أحاط بهم، وعلم ما يسرون وما يعلنون، أعلم بما يُعون: أي بما تُكن صدورهم، بما تُخفي صدورهم، هٰذَا الصدر كالوعاء، فيوعي الإنسان فيه ويجمع في صدره فالله عَزَّ وَجَلَّ عالم بذات الصدور ويعلم بما يوعونه، وبما يخفونه، وتُكن صدورهم مِمَّا تظهر عَلَىٰ ألسنتهم ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ٢٣﴾ [الانشقاق: ٢٣]، قَالَ الله سُبْحَانَهُ تهديدًا لهم، وتخويفًا: ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ٢٤﴾ [الانشقاق: ٢٤]، ينتظرهم، بشرهم.

البشارة لا تكون إِلَّا في الخير، أنت تقول لفلان أُبشرك بكذا، لا تكون إِلَّا في الخير كيف كانت في الشر، الله يقول: بشر هؤلاء بالعذاب الأليم، هٰذَه ليست ببشارة، لكن هٰذَا من باب الاستهزاء بهم، وازدرائهم، والسخرية بهم أن هٰذِه ليست بشارة لكنها مثل هؤلاء يُبشرون بالشر ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ٢٤ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ٢٥﴾ [الانشقاق: ٢٤-٢٥]، استثنى الله من يسمع، استثنى الله من يؤمن، استثنى الله من يستجيب له، ولذلك وصفهم بأجل الأوصاف فَقَالَ: لكن إِلَّا استثناء مُنقطع أي لكن الَّذِينَ آمنوا وصدقوا بما جاءهم عن الله وأتبعوا هٰذَا الإيمان بالأعمال الصالحة، وبمراقبة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ والخوف والاستجابة لله هؤلاء وعدهم الله بأي شيء أن لهم الأجر العظيم ﴿لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ [الانشقاق: ٢٥]، أجرٌ ليوم القيامة، أجرٌ لا ينقطع أبدًا.

غير ممنون: أي غير مُنقطع يأتيهم في كل وقت، ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ٦٢﴾ [مريم: ٦٢]، أسأل الله سُبْحَانَهُ نحن وَإِيَّاكُمْ جميعًا أن يجعلنا من هؤلاء، وأن يحشرنا في زمرتهم، وأن يجعلنا وَإِيَّاكُمْ من أهل الجَنَّة الفائزين بها، وأن يُجنبنا طرق الشيطان، وطُرق الغاوين، المُعاندين، حقيقة السورة عظيمة عشنا معها تأملنها، تدبرناها فهمنا مت فيها، تقرأ القرآن، أقرء هٰذِه السورة بعد قليل

تجد أنك استوعبت معانيها، فهمت فهمًا جيدًا، تدبرتها أسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ألا يحرمنا هٰذِا الأجر وأن يجمعنا وَإِيَّاكُمْ في مُستقر رحمته ودار كرامته، واللهُ أَعْلَمُ وَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ عَلَىٰ النَّبِيّ مُحَمَّد وعَلَىٰ آله وَصَحْبِهِ أجمعين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الدرس (٣٦)

إِنَّ الْحَمْدَ لِلهِ نَحْمَدُهُ تَعَالَىٰ ونَسْتَعِينُهُ ونَسْتَغْفِرُهُ، ونَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا ومِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلاَ مُضِلَّ لَهُ ومَنْ يُضْلِلْ فَلاَ هَادِيَ لَهُ، وأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ ورَسُولُهُ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ ولَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ وخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا ونِسَاءً واتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ والْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ ويَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ومَنْ يُطِعِ اللَّهَ ورَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠- ٧١].

أما بعد أيها الأخوة الكرام:

السَّلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، حياكم الله في هذا اللقاء المُبارك، أسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن يرزقنا العلم النافع، والعمل الصالح، وأن يجعلنا وإياكم هداةً مهتدين.

في هذا اليوم الثامن والعشرين من شهر ربيع الآخر من عام أربعة وأربعين وأربع مئة وألف من الهجرة نجتمع في هذا المقام المبارك وعَلَىٰ كتاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قراءةً، وتفسيرًا، وتدبرًا، وتأملًا، وهذا هو المقصد حقيقة من نزول القرآن، القرآن الكريم نزل للتلاوة، نزل للتفسير والبيان، والإيضاح والفهم، نزل للتدبر تقرأ الآيات تفهمها تدبر تفهم والتدبر غير التفسير.

التفسير: تفهم هذه الآية ومعناها أما التدبر فإنك تنظر فيما تدل عليه هذه الآيات، ما ترمي إليه هذه الآيات.

التَّدَبُّر: هو التفكر في الآيات، إعادة النظر فيها، تأملها، هذا فوق التفسير لما تأخذ الآية تفسرها توضح معناها يأتيك التدبر بعد ذلك

أما أنك تتدبر الآية قبل أن تفهمها ما يمكن، ولا يحصل، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أمر بالتدبر أكثر من أن يأمر بتفسير الآيات؛ لأن الآيات واضحة، والقرآن واضح نزل بلسان عربي مبين، لكن التدبر هو الذي يحتاج مِنا إِلَىٰ أن نقف معه؛ ولذلك آيات يأمر الله بها بالتدبر

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ٢٤﴾ [محمد: ٢٤]، هل انغلقت القلوب؟ انغلقت القلوب وانقفلت؛ حتى لا تفهم كلام الله.

لَا بُدَّ أن تفهم وتُدرك هذه المعاني ثم بعد ذلك يأتي التطبيق، والعمل، الآيات القرآنية فيها أوامر، فيها نواهي، فيها أحكام، فيها حلال، فيها حرام، يأتي تطبيق القرآن في حياة المسلم

الحقيقة أيها الأخوة السورة التي بين أيدينا يعني سورة تحتاج منا إِلَىٰ تدبر وَإِلَىٰ تأمل.

السورة حقيقة تهز النفوس، وتهز القلوب، وهي تصلح في كل زمان ومكان، القرآن كله يصلح لكل زمان ومكان، وَهٰذِه السورة حقيقة يعني هي أي سورة؟

هي سورة البروج، سورة البروج الكثير إن لم يكن الجميع يحفظ هذه السورة، يحفظها، ويقرأها في صلاته لكن حقيقة هذه السورة سورة عظيمة جدًا.

يعني مرت معنا آيات وسور كثيرة قبل هذه السورة، وقفنا معها وقفات عظيمة هذه السورة تحتاج منا إِلَىٰ أن نقف، نُنْصت، نتدبر، نفهم هذه السورة أيها الأخوة هي تتحدث عن أي شيء: تتحدث عن مصير كل طاغية.

كل طاغية يطغى في الأرض، ويتكبر، ويتعالى مصيره مثل ما ذَكَرَ الله في هذه السورة،

نهايته نهاية سيئة، سيذله الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وكل من تكبر في كل زمان ومكان نهايته الإزلال، والصَغار عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وأن الله في هذه السورة أيضًا سينصر أولياءه ولو كان واحدًا، سينصر أولياءه، سينصر من ينصر هذا الدين، السورة حقيقة يعني تعجز الكلمات أن تُعبر عنها، وحقيقة أيضًا لو وقفت معها وقفات طويلة ما استطعت أن أُعطي السورة حقها.

كثير منا يقرأها لكن مرور الكرام، يقرأها ويقرأ غيرها مرور الكرام، لكن نحن نحتاج إِلَىٰ أن نقف نتدبر، نعيش مع القرآن، نري ما أهداف السور، غايات السور، هذا هو الهدف الحقيقي السورة أيها الأخوة نزلت في وقت حرج بين الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لما أشتد البلاء بالصحابة وأشتد التعذيب لكثير من الذين أسلموا مُبكرًا مع النَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أشتد بهم العذاب والإيذاء من المشركين تنزل السورة تعزيهم، وتقويهم، إن كنتم عذبتم يأيها المهاجرون، ويأيها الصحابة، ومن أسلم مُبكرًا مع النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إن كنتم وجدتم أذى من المشركين، وعذاب، وتضييق، فمن كان قبلكم أشد منكم، حُفرت لهم الحفر، والأخاديد، وأُلقوا في النار أمامه، ونسمع هذه السورة ونتأملها

وكل كلمة حقيقة من هذه السورة تحتاج منا أن نقف معها وهي تهدف إِلَىٰ غاية.

أنظر! كل كلمة ليست آية كل كلمة، الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ سماها سورة مَاذَا؟

سورة البروج، طيب لماذا قال سورة البروج؟ وما علاقة البروج بهؤلاء المضطهدين المعذبين بِالنَّارِ؟

تُحفر لهم حفر تحت الأرض، والله يقول البروج، ما العلاق كأنها رسالة لهم، وتعزية لهم، وبشارات لهم أنكم أيها المعذبون تحت الأرض في النَّار، والنار تتأجج عليكم أعلموا أن أرواحكم في أعلى عليين، فوق البروج أعلموا أن أرواحكم وإن تعذبت الأجساد فأنتم في أعلى عليين؛ ولذلك أقسم الله أنظر السور الَّتِي مرت معنا قبل ذلك ما فيها قسم

فيها أساليب شرطية، إذا السماء، هنا لا جاء قسم والقسم أشد، القسم لا يأتي إلا عند تأكيد الأمور العظام، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لا يُقسم إلا بأشياء عظيمة، أقسم الله هنا بأي شيء؟ أقسم بالسماء العظيمة الخلق.

قَالَ: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ۝١﴾ [البروج: ١]، أي صاحبة البروج طيب ما هي البروج؟ البروج هي منازل الشَّمْس، القمر، الكواكب، النجوم، منازلها يقسم الله بالسماء صاحبة هذه المنازل العظيمة، وكأنها مثل ذكرت لكم رسالة لهؤلاء المضطهدين أنكم في أعلى عليين ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ

﴿الْبُرُوجِ ١﴾ [البروج: ١]، منازل الشمس تنزل بمنزلة القمر له منازل ﴿قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ﴾ [يس: ٣٩]، الكواكب منازل، والكواكب السيارة، الكواكب الثابتة عالم آخر شي ما تتصوره في ذهنك أبدًا، لا تتصور في ذهنك هذه الأشياء التي تدور في هذا الفلك العظيم، وفي هذا الجو الواسع العظيم شيء عجيب من هذه الافلاك وهذه الأشياء. يقسم الله بها، يقسم بأربعة أمور أقسم بالسماء، ثُمَّ قَالَ: ﴿وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ٢﴾ [البروج: ٢]، هو يوم القيامة، وهي رسالة لهم تعذبون الآن بالأخاديد، والنار تأجج عليكم اليوم الموعود يأتيكم أصبروا؛ ولذلك أنظر مثل ما أن الآية تقول لهؤلاء واليوم الموعود النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ماذا قال لما مر بآل ياسر وهم يعذبون؟

قَالَ: «صبرًا آل ياسر إن موعدكم الجَنَّة» ما قال إنكم ستنتصر، وأنكم سيزول عنكم العذاب، وستحصل لكم كذا وكذا من فتوحات الدنيا والانتصار لا لا هٰذِه كلها ما تقوم عند شيء أعظم من هذا وهو «إن موعدكم الجَنَّة»، أصبر واحتسبوا.

والسورة تنزل تعزيهم تخاطبهم، ﴿وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ٢﴾ [البروج: ٢]، هذا القسم الثاني

ثم قَالَ: ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ٣﴾ [البروج: ٣]، الشاهد ومشهود هذه كلمتين لما جاءت هكذا مُجردة اختلف المفسرون في معانيها، وردت أحاديث، وردت آثار، ولكن الذي يظهر والله أعلم في معناها مما رجحه كثير من أهل العلم ومنهم الشيخ السعدي أن الشاهد هنا والمشهود كل شاهدٍ بعينيه، وكل مشهود ممن يُشهد عليه عام.

أنت تُشاهد، أنت شاهد تُشاهد مَاذَا؟

تشاهد الأرض، تُشاهد الشجر، تُشاهد الجبل، تُشاهد السماء هذه مشهودة فكل شاهد وكل مشهود يُقسم الله مثل ما أقسم في سورة أُخرى قَالَ: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ٣٨ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ٣٩﴾ [الحاقة: ٣٨-٣٩]، فهذا أعم تعميم فأقسم الله بأربعةٍ أمور السماء، واليوم الموعود يوم القيامة، وكل شاهد يُقسم الله به لعظم الشهادة ومشهود لعظم المشهود عليه.

وأنا يعني أقول لكم حقيقة السورة تعجز العبارات والكلمات أن تُعبر عنها

البروج لها معنى ذكرناه، اليوم الموعود له معنى مُرتبط بهذه القصة أصحاب الأخدود

الشاهد والمشهود: هؤلاء ﴿إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ٦﴾ [البروج: ٦]، ويشهدون والله عَزَّ وَجَلَّ هو فوقهم شهيد وأنظر كلمة الشهيد والشهود تتكرر بالسورة ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ٩﴾ [البروج: ٩]، إذا أنتم جلستم عَلَىٰ الأخاديد تتشفون من المسلمين وهم يعذبون ويعذبون، وتنظرون إليهم بازدراء، وتكونون عليها شهود، فالله فوقكم شهيد والله سُبْحَانَهُ يُقسم بكل شاهد وبكل مشهود.

لما أقسم الله بهذه الأمور الأربعة جاءك جواب القسم، أقسم على أي شيء؟ على أي شيء أقسم؟

أقسم على أن هؤلاء الطُغاة الذين يعذبون المسلمين ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ٨﴾ [البروج: ٨]، يُقسم الله على أن هؤلاء قد طُردوا من رحمة الله،

وأُبعدوا أشد البعد؛ ولذلك مَاذَا قَالَ: ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ٤﴾ [البروج: ٤]

هٰذِه أول عقوبة عليهم الطرد من رحمة الله، وحلول العذاب عليهم

﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ٤﴾ [البروج: ٤]: أي طُردوا ولُعن أصحاب الأخدود

لماذا؟ من هم أصحاب الأخدود؟

قصة طويلة، وكلام طويل، والمفسرون لهم كلام في هٰذِه خلاصته باختصار حتى لا نتشعب ونضيع خلاصة أصحاب الخدود أنهم هؤلاء قوم كفار؟ وسيدهم كافر مشرك بالله، ومنهم من أسلم وآمن بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ طائفةٌ منهم، فلما رأى هؤلاء قد أمنوا طلب منهم أن يردهم إِلَىٰ دينهم - الكفر - وإلا سيعذبهم، فأبوا، فلما أبوا وتمسكوا بدينهم لأنهم أسلموا لله قَالَ: يا إما ترجعون إلى دينكم الكفر وإلا العذاب فتنة، فأمر بحفر الأخاديد في الأرض وأضرم فيها النيران، واشتعلت بالنيران، وَقَالَ: "من رجع إِلَىٰ دينه ودين أبائه تركناه ومن أستمر عَلَىٰ ما هو عليه ألقيناه في النَّار"، فبدأ يُلقي في هذه النَّار؛

حتى جاءت امرأة معها طفل الصغير، فتلكأت ورجعت، فقال لها الطفل وهو صغير وقت الرضاعة قَالَ: "يا أمي اقدمي ولا تترددي فهو خير لك"، فألقت نفسها ولدها في هذه النار كل ذلك في سبيل الله ونصرة دينه.

قَالَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ٤﴾ [البروج: ٤]، الذين وضعوا هذه النيران

الاخدود ما هي؟

قَالَ: الاخدود التي فيها النيران، قال الاخدود ﴿النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ٥﴾ [البروج: ٥]، أي أنها تتوقد، وتتأجج بشدة ليست أي نار وبعدين حتى نفهم هؤلاء الصالحين المؤمنين يُلقون في النار أحياء ما هي النار هٰذِه؟

النار هذه لا تساوي في الآخرة شيء هي جزء من سبعين جزء وهؤلاء وعدهم الله بالنار

هؤلاء الكفار وعدهم الله بِالنَّارِ قَالَ: ﴿النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ٥ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ٦﴾ [البروج: ٥-٦]، من هم؟

هؤلاء الذين يعذبون جالسين على الأطراف الأخاديد يتشفون من المؤمنين، وينظرون، ويضحكون، ويستهزئون أمام هؤلاء وهم يُلقون في النَّار، وأيضًا يُشجعون الذين يقومون بإضرام النار أن يعملوا على ذلك قَالَ: ﴿إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ٦ وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ٧﴾ [البروج: ٦-٧]، أنظر هذه شهادة من الله على أنهم مؤمنون.

قَالَ: وهم هؤلاء الكفار على ما يفعلون بالمؤمنين أولياء الله شهود يشهدون هذا الشيء ليسوا غائبين، أَوْ في قصورهم، أَوْ في أماكنهم لا حاضرين أمام المؤمنين وهم يُعذبون، يحترقون بِالنَّارِ، قَالَ: وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود، والله شهيد عليهم.

ما السبب الذي جعلهم يفعلون هذه الأشياء؟ ما في سب ولا في أي دافع

إلا الإيمان والطاعة لله؛ ولذلك قَالَ الله عَزَّ ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ٨﴾ [البروج: ٨]، ما نقم هؤلاء وغضبوا أشد الغضب، وأحرقوهم بالنار ووضعوا لهم أخاديد إلا بسبب مَاذَا؟

إلا بسبب إيمانهم ﴿بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ٨﴾ [البروج: ٨]، ولاحظ ستأتيك الآن أسماء لله وصفات عظيمة في هذه السورة ﴿بِاللَّهِ الْعَزِيزِ﴾ [البروج: ٨]، له العزة، وله القوة، وله الجبروت يستطيع أن يمنع هؤلاء من تعذيب المؤمنين، ولكن أراد الله أمرًا أعظم.

العزيز الحميد، والعزيز ذو العزة والقوة والغلبة لا يغلبه أحد في شيء لا يغلبه أي أحد، والحميد: المحمود على أفعاله الذي يحمده كل مخلوق على حُسن أفعاله وتدبيره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وحكمته.

فلا تظن أن الله غائب عن هؤلاء، لكن عزيز وحميد سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وخذ من الصفات التي هي أعظم وأعظم قَالَ: ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [البروج: ٩]، يعني أنتم أيها الطُغاة: الذين تعذبون هؤلاء المؤمنين تحت ملك الله، وتحت تصرفه، ولن يخرج منكم واحد عن ملك الله : ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [البروج: ٩]، وأنتم في مُلكه

فكيف تفعلون بأوليائه هكذا؟

﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ٩﴾ [البروج: ٩]، لا يغيب عنه شيء، لا يغيب عنه شيء من أفعال هؤلاء ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ٩﴾ [البروج: ٩].

قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ إلى هنا انتهت القصة خلاص قصة الأخدود أنتهت

الآن تنتقل الآيات إِلَىٰ أي شيء؟

إِلَىٰ مُخاطبة كفار مكة، إِلَىٰ مُخاطبة مجرمي مكة الكفار يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لهم ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا﴾ [البروج: ١٠]، يفتنون للمؤمنين ونحن نقول هذا خطاب لأهل مكة ولا يمنع أن يدخل في كل من فتن عباد الله المؤمنين، في كل زمان حتى أصحاب الأخدود وغيرُهم ومن قبلهم، كل من فتن وَحَتَّىٰ عصرنا الحاضر

كل من فتن المؤمنين وأمتحنهم في دينهم ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا﴾ [البروج: ١٠].

يقول الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ يقول: "انظروا إِلَىٰ رحمة الله وسعة مغفرته، يُعذبون أولياءه ويفتح لهم باب التوبة"، يقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا﴾ [البروج: ١٠]، يعني المجال مفتوح أمامهم لعلكم تتوبون ﴿ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ١٠﴾ [البروج: ١٠]، عذاب جهنم ينتظر كل طاغية يُعذب أولياء الله، ويعذب كل مسلم، توعده الله بهذا الوعيد الشديد.

له عذاب جهنم وله عذاب الحريق، يحرقون أولياءه ينتظرهم الحريق الذي هو أشد النار أضعاف، أضعاف نار الدنيا بسبعين ينتظرهم، فكما أحرقتم أولياءه في الأخاديد ينتظركم العذاب الحريق.

بعد هذا الوعيد الشديد، والتهديد لأهل مكة الذين يُعذِبون بلالًا، وعمارًا، وخبابًا، وسمية وعمار، وياسر كل هؤلاء يعذبونهم الله يتوعدهم بهذا الوعيد الشديد ثم يُبشر أولياءه بأي شيء يبشرهم؟

قال ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [البروج: ١١]، صدقوا وآمنوا بالله وبرسله ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [البروج: ١١]، أتبعوا هذا الإيمان بالأعمال الصالحة قَالَ: ﴿لَهُمْ جَنَّاتٌ﴾ [البروج: ١١]، هذه بشارة، رسالة ﴿لَهُمْ جَنَّاتٌ﴾ [البروج: ١١]؛ حتى تطمئن قلوبهم وإن عذبوا، وإن عذبوا ﴿لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [البروج: ١١].

قَالَ الله: ﴿ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ١١﴾ [البروج: ١١]، أنظر ما فيه فوز في الجَنَّة، الجَنَّة توصف بالفوز الكبير في القرآن كله إلا في هذه الآية

لو تبحث القرآن كله يقول لك ﴿الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾، ﴿الْفَوْزُ الْمُبِينُ﴾ أي فوز لكن ﴿الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ١١﴾ [البروج: ١١]، لم يرد إلا مع هؤلاء المضطهدين، بشارة عظيمة لهم

﴿ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ١١﴾ [البروج: ١١]، لا تزال الآية في بيان عظمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وقدرته، وجلال صفاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وأنه مُحيط وأنه شهيد على كل من يعمل ذلك وتأتي البشارات والبشارات، والتهديد لهؤلاء في إِلَىٰ آخر السورة، السورة كلها وعيد شديد الطغاة وبشارات لمن تمسك وصبر على هذا الدين، يأتي إن شاء الله الحديث أَوْ بقية هذه السورة في لقاء قادم إِنْ شَاءَ اللهُ، نسأل الله أن ينفعنا بما قلنا وبما سمعنا ويجعلنا وإياكم هداة مهتدين موفقين لكل خير واللهُ أَعْلَمُ وَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ على مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الدرس (٢٧)

إِنَّ الْحَمْدَ لِلهِ نَحْمَدُهُ تَعَالَىٰ ونَسْتَعِينُهُ ونَسْتَغْفِرُهُ، ونَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا ومِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلاَ مُضِلَّ لَهُ ومَنْ يُضْلِلْ فَلاَ هَادِيَ لَهُ، وأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ ورَسُولُهُ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ ولَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ وخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا ونِسَاءً واتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ والْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ ويَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ومَنْ يُطِعِ اللَّهَ ورَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠- ٧١].

أما بعد أَيُّهَا الأخوة الكرام:

السَّلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، أسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن يرزقنا وإياكم العلم النافع والعمل الصالح، وأن يجعلنا وإياكم من أهل القرآن الذين هم أهل الله وخاصته.

حديثنا في لقائنا الماضي كان حول سورة البروج، وما ذكره الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في هٰذِه السورة من بطشه الشديد في أعدائه الطغاة ومن نُصرته لأوليائه، وأتضح لنا ما ذكرته السورة من آيات وما ذكرته السورة أيضًا من ذكر قصة أصحاب الأخدود، وأهل الأخدود وما فعلوه بعباد الله المؤمنين، وفتنوا عباده المؤمنين، ومآل ووعيد ووعد للفريقين لا تزال السورة في تأييد عباد الله الصالحين، وتهديد أولئك المُعاندين الطغاة.

وذكرنا في لقائنا الماضي أن السورة نزلت في وقتٍ كان المؤمنون بأشد الحاجة لنُصرتهم، وضعف المؤمنين، وتسلُط الكفار-كفار مكة- عَلَىٰ عباد الله المؤمنين وعَلَىٰ صحابة النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الضَعَفَة، المُستضعفين تأتي هذه السورة بشارات لهم بتهديد أعدائهم ونصرتهم وتأييدهم من الله سبحانه وتعالى.

في استكمال هذه الآيات قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ١٢﴾ [البروج: ١٢]، هذه رسالة لأولئك الذين يبطشون بالمؤمنين، ويهددون المؤمنين ويقتلون، ويعذبون المؤمنين هذه رسالة إن كان عندكم بطش بعباده المؤمنين، فإن بطش الله فوقهم، فإن بطش الله أشد؛ ولذلك تلاحظ إذا قرأت هذه الآية الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقول مَاذَا؟

يقول ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ﴾ [البروج: ١٢]، والمُخاطَب من؟

المُخاطَب النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكل من يصلح له الخطاب يخاطبه الله أَيُّهَا الرسول ويأيها المؤمن بطش ربك أشد من ما يفعل هؤلاء، وهذه تفريج وتسلية لهم، ونُصرة لهم ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ١٢﴾ [البروج: ١٢]، ولاحظ التأييد، والتأكيد، على هذه الجملة العظيمة بقوله إن، وإن في لغة العرب تفيد التأكيد.

﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ﴾ [البروج: ١٢]، وإضافة البطش إِلَىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ليس بطش أي إنسان، ليس بطش أي مخلوق وإنما هو بطش رب العالمين، ﴿بَطْشَ رَبِّكَ﴾ [البروج: ١٢]، قَالَ: ﴿لَشَدِيدٌ ١٢﴾ [البروج: ١٢]، بدخول اللام للتأكيد، لشديد: يعني ليس فوقه، وليس هناك أشد من بطش الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

كُل هذه تهديد لهؤلاء، وأيضًا وعد لهؤلاء المستضعفين، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بعدها: ﴿إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ١٣﴾ [البروج: ١٣]

﴿يُبْدِئُ وَيُعِيدُ﴾ [البروج: ١٣]: أي يُبدئ الخلق، يبدأ الخلق هو الذي بدأ الخلق وهو القادر عَلَىٰ إعادته، وهو الذي يبدأُ بالعذاب لأولئك المُعاندين في الدنيا، ويعيده عليهم في الآخرة، فالعذاب متصل بهم، عذابًا سرمدًا مُتصلٌ بهم في الدنيا، وفي قبورهم، وعند قيام الناس لرب العالمين، ﴿إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ١٣﴾ [البروج: ١٣].

ومع هذا التشديد، ومع هذا التهديد والتخويف، والوعيد الشديد إلا أن رحمة الله فوق ذلك؛ ولذلك لما تقرأ ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [البروج: ١٠]، فتنوا المؤمنين هؤلاء الأعداء، ثُمَّ لم يتوبوا يفتح لهم باب التوبة، ورحمة الله فوق كل شيء.

هنا يقول لما قَالَ: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ١٢ إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ١٣﴾ [البروج: ١٢-١٣]، قال بعدها مَاذَا؟

قَالَ: ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ (١٤)﴾ [البروج: ١٤] سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، غفور لمن تاب، غفور لأوليائه، ودود ومُحبٌ لمن تاب؛ ولذلك الله يحب التوبين، الله أشدُ فرحا بتوبة العبد، فهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ غفورٌ وودود، والودود من المودة: وهي المحبة، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ غفور لأوليائه، غفورٌ لمن تاب، مُحبٌ لمن تاب، مُحبٌ للتوابين، مُحبٌ لأوليائه، ومودته ومحبته لأوليائه ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ٩٦﴾ [مريم: ٩٦] أي محبة بينهم، ومحبة من الله لهم.

ثُمَّ بدر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يذكرُ شيئًا من أوصافه، فَقَالَ: ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ١٤ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ١٥﴾ [البروج: ١٤-١٥]، والعرش هو أعظم المخلوقات، وهو سقف الجَنَّة، وسقف السماوات، فوق السماوات سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، أعظم المخلوقات العرش العظيم

وصفه الله بأنه عرش عظيم، وصفه الله بأنه عرش كريم، وصفه الله هنا بأنه عرش مجيد والمجيد: من المجد، وهو كثرة الخيرات والسعة، فعرشه واسع عظيم ﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ١٥﴾ [البروج: ١٥].

العرش هو أعظم المخلوقات، وتحت العرش الكرسي، والكرسي: موضع القدمين لله جل جلاله، والسماوات تحت الكرسي جاء في حديث؛ حَتَّىٰ تعرف عظمة هذه المخلوقات بالنسبة للإنسان جاء في حديث عن النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قَالَ: «ما السماوات السبع بالنسبة للعرش إِلَّا كدراهم من فضة ألقيت في فلاة»، السماوات السبع بالنسبة للعرش كدراهم ألقيت في فلاة، لو تُلقي الآن دراهم في أرض فلاة ما تشكل شيء بالنسبة للأرض، فكذلك السماوات السبع على عظمتها لا تُشكل شيء بالنسبة للكرسي، والكرسي بالنسبة للعرش ماذا يكون؟

قَالَ: «الكرسي بالنسبة للعرش كحلقة أُلقيت في فلاة»، والعرش فوق ذلك، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عالٍ مستوٍ على عرشه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قال ﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ١٥ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ ١٦﴾ [البروج: ١٥-١٦]، وفيه تهديد، وفيه وعدٌ ونصرة لأوليائه، الله عَزَّ وَجَلَّ فعال لا يُعجزه شيء في الأرض ولا في السماء وإن أمهل هؤلاء الطُغاة المعاندين، فإنه فعال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لما يريد، لا يرده أحد ولا يرد أمره أحد سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فعالٌ لما يريد.

ثُمَّ تأتي الآيات في طريقها في التهديد والوعيد لأولئك المعاندين، الذين يبطشون بعباده المؤمنين، ورسالة أيضًا لأولئك المُستضعفين نُصرةً لهم، أسمع ماذا يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ ١٧﴾ [البروج: ١٧]، هل سمعت بخبر أولئك الجنود؟، هل اتاك؟ هذا يسميه استفهام

استفهام ماذا يُفيد؟

يُفيد التشويق، أما سمعت يا مُحَمَّد، ولم يسمع أصحابك المُستضعفين في مكة، ما سمعوا خبر أولئك حديث أولئك الجنود من هم الجنود؟، من هم هؤلاء الذين الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يدعون إِلَىٰ أن ويستفسر منا هل سمعنا أَوْ لم نسمع؟ قَالَ: هم ﴿فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ١٨﴾ [البروج: ١٨]، ذَكَرَ لك من الجنود وهم كثيرون، كثيرون أعداء الله، كثيرون الأمم التي أهلكها الله، لكن ذَكَرَ لك نموذجين يُناسب كلٍ منهما يُناسب الحال، يناسب حال أهل مكة

قال فرعون من هو فرعون هذه الامة؟ هو أبو جهل.

فيقول: هذا فرعون هذه الأُمة، تهديد له فرعون الذي قبله كان أشد منه بطشًا، يُذبح، ويستحي، ويقتل، ويبطش، ومع ذلك أهلكه الله وأغرقه في اليم ولم يعجزه شيء، لم يعجز الله ﴿فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ ١٦﴾ [البروج: ١٦]، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فلذلك أهلكه، وثمود على قوتهم وبطشهم أُعطوا من القوة ما لم يُعط أحد مثلهم، وأهلُ مكة أعطاهم الله ومكن لهم كانه يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: "يا أهل مكة إن استمريتم على ما أنتم عليه في عنادكم، وكفركم، وردكم رسالة نبيكم، وإزائكم لعباده المتقين،

فهؤلاء ثمود أنتم تنظرون إليهم، وتمرون بديارهم، أهلكهم الله بالصيحة وأنهاهم لا تزال ديارهم قائمة، ينظر إليها مع مرور السنين الطويلة قائمة بقوتهم؛ لتدل عَلَىٰ قدرتهم التي أعطاهم الله إياها.

قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿بَلِ﴾ [البروج: ١٩]، إضراب وانتقال من معنى إِلَىٰ معنى قَالَ: ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [البروج: ١٩]، أي هؤلاء الكفار يا مُحَمَّد الذي أنت تدعوهم ﴿فِي تَكْذِيبٍ ١٩﴾ [البروج: ١٩]، لا يقبلونه أنظر لما يقول ﴿فِي تَكْذِيبٍ ١٩﴾ [البروج: ١٩]، ويأتي بحرف الفاء يدل على إنهم قد انغمسوا في هذا التكذيب، وتمسكوا به بقوة فكأن التكذيب سيطر عليهم.

هؤلاء الكفار، وقومك المُعاندون لا يزالون، ومستمرون في غمرة هذا التكذيب لا يغادرونه، ولا يتركونه أبدًا

﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ ١٩﴾ [البروج: ١٩]، ولكن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ﴿مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ ٢٠﴾ [البروج: ٢٠]، تهديد وتخويف لهم، الله مُحيط بهم، ولم يقل والله من ورائهم مُطلع، أَوْ رقيب قَالَ: لا ﴿مُحِيطٌ ٢٠﴾ [البروج: ٢٠]، أشد لا يمكن أن يفلت منه أحد قد أحاط بهم من جميع الجهات.

كيف يتصرفون؟ وكيف يؤذون أوليائه؟ وكيف يعذبون عباده المؤمن والله محيطٌ بهم؟

لا يخرج أحدٌ منهم، ولا يعجزه أحدٌ منهم والله من ورائهم محيط، هذا الخبر الذي يأتي أهل مكة المعاندين، ويأتي المؤمنين

من أين هذا الخبر؟ من اين يأتي؟

يقول الكفار لمحمد ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ﴾ [الفرقان: ٤]، ويقولون ومحمد كذاب، ومحمد ساحر، ومحمد شاعر.

هذا الكلام الذي يأتي محمد من أين يأتي؟ أسمع ماذا يقول؟؛ حَتَّىٰ تعلم أن هذه القصة وما يحكيه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في هذه السورة وفي غيرها لم يأتي من عبث، ولم يأتي من أحد من الخلق وإنما نزل من السماوات؛ ولذلك قَالَ: الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿بَلْ هُوَ﴾ [البروج: ٢١]: أي هذا الذي تسمعونه، وهذه السورة، وهذا الَّذِي يُقرأ عليكم، وأتى به مُحَمَّد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لتسمعوه ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ ٢١﴾ [البروج: ٢١]، وصف الله كتابه القرآن بالمجيد

كثرة الخيرات، وكثرة المنافع، وكثرة البركات ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ ٢١﴾ [البروج: ٢١].

كيف تقفون منه بالرد والتكذيب، وعدم قبوله، وهو قرآن مجيد قد وصفه الله بأجل الصفات، وزيادة على ذلك قَالَ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ ٢١ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ ٢٢﴾ [البروج: ٢١-٢٢]، لا يستطيع مُحَمَّد يغير فيه، ولا يستطيع أحد من البشر يُغير فيه، ولا أعداء الإسلام على مر السنين إِلَىٰ عصرنا أن يزيد حرف، حرفًا واحدًا أَوْ يُنقص حرفًا من القرآن

لماذا؟

لأنه محفوظ، الشياطين لا تستطيع أن تُغير فيه، ولا تزيد ولا تنقص من القرآن الكريم

كما قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قَالَ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ٩﴾ [الحجر: ٩]، فكتابُ الله محفوظ، محفوظٌ من شياطين الإنس والجن، ومن أعدائه، وأخباره صدق

جاءت من سبع سماوات لا يُمكن أن يأتي شخص ويتهم القرآن بأنه كذب أو إفتراء من مُحَمَّد أو نحو ذلك.

سورة عظيمة حقيقة جاءت رسالة للمُستضعفين في مكة وهم يعذبون تنصرهم هذه السورة وتؤيدهم، جاءت لأولئك المُعاندين، لأولئك الذين يبطشون بالمؤمنين، أن وإن كانوا يبطشون بالمؤمنين، فإن بطش الله فوقهم، وإن كانوا يبطشون بالمؤمنين فإن غيرهم قد بطش، وأحرق ووضع الأخاديد وألقى فيها المؤمنين والنتيجة نصر الله أوليائه، والنصر لأوليائه ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ (٥١)﴾ [غافر: ٥١-٥٢]. أسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن ينفعنا بهذه السورة العظيمة وبغيرها.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الدرس (٢٨)

إِنَّ الْحَمْدَ لِلهِ نَحْمَدُهُ تَعَالَىٰ ونَسْتَعِينُهُ ونَسْتَغْفِرُهُ، ونَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا ومِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلاَ مُضِلَّ لَهُ ومَنْ يُضْلِلْ فَلاَ هَادِيَ لَهُ، وأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ ورَسُولُهُ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ ولَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ وخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا ونِسَاءً واتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ والْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ ويَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ومَنْ يُطِعِ اللَّهَ ورَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠- ٧١].

أيها الأخوة الكرام السَّلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، اللّٰهم إني أسألك علمًا نافعًا، ورزقًا طيبًا، وعملًا متقبلًا يا رب العالمين.

أسأل الله أن يجعل هذا الاجتماع اجتماعا مرحومًا، وتفرقنا من بعده تفرقا معصوما.

هذا الدرس الذي يُلقى كل ثلاثاء بعد صلاة العصر في تدبر القرآن الكريم، والعيش مع القرآن الكريم، والتأمل في آياته، والنظر فيها لا شك أنه فضل عظيم، النَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «ما أجتمع قومٌ في بيت من بيوت الله يقرؤون القرآن، ويتدارسونه فيما بينهم مثل هذا الأمر إلا نزلت عليهم السكينة، وحفتهم الملائكة، وغشيتهم الرحمة، وذكرهم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في الملأ عنده».

هذا شرف عظيم، شرف عظيم أن تعيش وقتًا من أَوْقاتك في مثل هذه المجالس الطيبة تسمع كلام رب العالمين، تتدبر، تفهم، وتستفيد فوائد عظيمة.

السورة الَّتِي بين أيدينا وإن كان الجميع بلا شك يحفظها، ويقرأها، ويرددها إن لم يكن كل يوم لا يمضي ـ عليه يوم أَوْ يومين أَوْ ثلاثة إلا ويقرأها، ولكن قراءة سريعة، قراءة تمر عليك مرور سريع غير إنك تقف، تتأمل، تتفكر هذا مكسب عظيم أيها الأخوة أن تسمع، أَوْ تحضر ـ مثل هذه المجالس، أَوْ أنت تقرأ وتستفيد سورة الَّتِي تأتي بعد سورة البروج في النزول من أعلى هي سورة الطارق.

وهي متآخية مع السورة يعني أُختها؛ لأن الله أقسم بالبروج قَالَ: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ١﴾ [البروج: ١]، ثُمَّ أقسم بالطارق قَالَ: ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ١﴾ [الطارق: ١]، الَّتِي قبل البروج الانشقاق ما فيها قسم قَالَ: ﴿إِذَا السَّمَاءُ﴾ [الانشقاق: ١]، وهي موافقة لما قبلها ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ ١﴾ [الانفطار: ١]، ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ ١﴾ [الانشقاق: ١]، ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ١﴾ [التكوير: ١]، كلها مبدوءة إِذَا الشرطية هٰذِه لا هٰذِه بالقسم، القسم أعظم لما تسمع أن الله يُقسم قف يعني لا يقسم الله على أي شيء، وإنما يُقسم على أمر عظيم، فأنت إذا سمعت الله يقسم بشيء قف عنده، أنت لو يُقسم شخص من الناس أي واحد يُقسم عَلَىٰ شيء لَا بُدَّ أن يُقسم على شيء عظيم، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لما يُقسم، يُقسم عَلَىٰ شيء عظيم.

سورة الطارق ليست طويلة، ولكن أنت لما تقرأها من أَوْلها إِلَىٰ أخرها، وتُعيد النظر فيها تقرأها مرتين ثلاث، تجد أنها لها مقصد، لها هدف كل سورة من سور القرآن أطول سورة في القرآن البقرة، أقصر سورة: سورة الكوثر كل سورة لها هدف ترمي إِلَىٰ هدف معين نزلت من السماء لهدف، لغاية لَا بُدَّ أن نعرفها لا نقرأها هكذا حتى الفاتحة لها هدف كل سورة من القرآن تجد لها هدف معين هذه السورة لما تنظر وتتأمل فيها والله يقسم بشيء عظيم وعَلَىٰ أي شيء يُقسم؟ هنا يأتي الكلام، هنا يأتي التَّأَمُّل، وهنا يأتي الغرض والمقصد من السورة

يُقسم عَلَىٰ أي شيء؟ يُقسم عَلَىٰ أن كُل نفس من بني آدم الله جعل عليها حافظ، جعل عليها حافظ من الملائكة يحفظ أعمالها، لا تظن أنك مفلوت في هذه الدنيا، وتعيش هكذا لا عليك حراسة، وعليك أيضًا من يُحاسب، ومن يُراقب، ومن يُسجل عليك كل أعمالك وكل حركاتك وسكناتك، ونومك وقيامك، وذهابك ومجيئك، وكلامك، كل شيء مُسجل عليك.

والله يا إخوان حقيقة لو أن إنسانًا يدخل له متجر من المتاجر، أَوْ محل، أَوْ أي صالة، أَوْ أي مكان والكاميرات عليه ثُمَّ في الأخير عندما يُريد الخروج يُحاسب بدقة ولا يُمكن أن يخرج إلا قد حاسب وانتهى، في أمور الدنيا لا أقشعر جلده، وأنتظم في مدخله ومخرجه عليه كاميرات، وعليه مُتابعات، وعليه كذا، ولا يأخذ شيء إلا يُنظر إليه، ولا يترك شيء إلا يُنظر إليه وفي الأخير سيحاسب حساب دقيق ولا يُمكن أن يتسامح عنه لا بالنقير ولا بالقطمير.

هذا في جانب البشر، فكيف بجانب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؟

أنت مخلوق مُنذ خُلقت ونزلت إِلَىٰ هذه الأرض وكُلفت إِلَىٰ أن تخرج من هذه الدنيا كل حركاتك وسكناتك مُسجلة، أنظر ﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ٤﴾ [الطارق: ٤]

ما في نفس إلا وعليها حافظ تحفظه الملائكة يعني ملك على يمينك يكتب الحسنات، وملك عن شمالك يكتب السيئات، ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ١٨﴾ [ق: ١٨]، مُحاسب في كل شيء.

إذًا ندخل في السورة، إذا عرفنا السورة الآن عرفنا مقصد السورة، السورة سورة الطارق تتكلم عن أي شيء؟

على أن كل إنسان يمشي ـ في هذه الدنيا مُحاسب على كل شيء خير مُحاسب، شر مُحاسب تتكلم بخير؟ سجل، تتكلم بشر؟ سجل، تمشي إِلَىٰ خير؟ يسجله، تمشي إِلَىٰ شر؟ يُسجل

حركاتك تخرج المسجد تذهب تأخذ سيارتك كل هذا كل شيء مُسجل عليك، كل شيء لا يفوت على الله سُبْحَانَهُ شيء أبدًا، فهذا معنى السورة: أن السورة تُذكر تذكير تُذكر كل إنسان منا أن يُراقب هو أَوْلًا نفسه: تُسمى المراقبة الذاتية، أنت أَوْل راقب نفسك، أحذر أن تفعل شيء لا يُرضي الله، أحذر أن يفقدك الله في شيء أَوْجب الله عليك حضوره

صلاة الفجر تنام عنها، صلاة العصر ـ تنام عنها صلاة كذا، لا يَفْقِدُك الله في شيء أَوْجب الله عليك أن تكون موجودًا فيه.

هذا معنى هذه السورة، السورة تدور كُلها على هذا المعنى إذًا لَا بُدَّ أيها الأخوة أن نفهم أن كل إنسان مُحاسب، طيب وإذا فهمت أن كل إنسان مُحاسب؟ يجب أن تنضبط في حياتك، يجب أن تطبق هذا القرآن، عرفت هذه السورة؟، عرفت مقصدها؟ إذًا الآن امتثل أنت

امتثل، لا تتكلم بشيءٍ يُغضب الله عَزَّ وَجَلَّ، ولا تفعل شيئًا يُغضب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ

بل أفعل الخير، وألتمس الخير ولو أن يكون وجهك طليقًا أمام الناس، ابتسامتك في وجه أخيك فعلك الخير، ذكرك الخير، أشياء كثيرة تفوت عَلَىٰ الإنسان رجل دخل الجنة لما أزاح غُصنًا عن الطريق رأى أنه يؤذي الناس فأزاحه عن الطريق، فدخل به الجَنَّة.

أمور قد لا يلتفت إليها الناس فيها خير عظيم حجر في الطريق قف أزحه ما تدري ماذا يصنع هذا الحجر لك بعدين؟

ندخل على السورة يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بعد بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ١﴾ [الطارق: ١]، هذا قسم مثل ما ذكرنا يعني يُقسم الله، والله لا يُقسم إلا بشيء عظيم، أقسم بالسماء لعظمها، وكما ذكرنا لا يُقسم إلا عَلَىٰ شيءٍ عظيم يأتي هذا الذي يُقسم الله عليه، أقسم بالسماء وأقسم بالطارق ما هو الطارق؟ أنظر دائمًا إذا قرأت في القرآن وما أدراك ما الطارق الجواب بعده مباشرة، إذا جاءتك "وما أدراك" أي شيء ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ ١٠ نَارٌ حَامِيَةٌ ١١﴾ [القارعة: ١٠-١١]، وهكذا كل في القرآن كلمة وما أدراك الجواب بعدها موجود مباشرة، كم مرة وردت ﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾ في القرآن؟

ثلاث عشرة مرة وردت في القرآن ﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾ والجواب موجود فيها، لكن إذا جاءتك ﴿وَمَا يُدْرِيكَ﴾ الجواب غير موجود، ولا يُمكن أحد يعرفه ولا النَّبِيّ، ولا الملائكة ﴿وَمَا يُدْرِيكَ﴾ وردت في القرآن ثلاث مرات ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ٦٣﴾ [الأحزاب: ٦٣]، هذا ما أحد يدري، ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى ٣﴾ [عبس: ٣] ما أحد يدري هٰذِه الأمور أخفاها الله عَزَّ وَجَلَّ.

إذًا نعرف الفرق لما تقرأ القرآن تأتيك ﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾ الجواب موجود عَلَىٰ طول

إذا جاءتك ﴿وَمَا يُدْرِيكَ﴾ لا يمكن أحد يعرفه، ما في أحد يعرفه مُستحيل

طيب أنظر قَالَ لك ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ١﴾ [الطارق: ١]، طيب

ثُمَّ قَالَ: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ٢﴾ [الطارق: ٢]، ودائما لجأت ﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾ هٰذِه تُحرك في نفسك أنه لَا بُدَّ أن تعرف هذا الشيء، يقول لك مثلًا: "وما أدراك ما زيد" تبدأ الآن تفكر تقول من هو زيد؟ هذا ما هو؟ الذي يقول وما أدراك ما زيد؟

إذا قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ١﴾ [الطارق: ١]، ثُمَّ أعاد عليك مرة ثانية وقال لك: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ٢﴾ [الطارق: ٢] الآن تنتبه، وتجد الجواب أمامك يقول لك الطارق هو ﴿النَّجْمُ الثَّاقِبُ ٣﴾ [الطارق: ٣]، هذا هو الجواب الطارق: هو النجم الثاقب.

طيب نعود مرة أُخرى نطرح سؤال نقول لماذا سُمي النجم بالطارق؟ والسورة كلها تسمى سورة الطارق، لماذا سُمي النجم بالطارق؟، ما معنى كلمة الطارق؟

قالوا: كلمة الطارق معناها: أصلها من الطرق، والطرق هو الظهور، البروز والظهور والمجيء ليلًا حتى إن الإنسان إذا قدم من بلد إِلَىٰ بيته وَإِلَىٰ أهله ليلًا يُسمى طارق "لا يطرق أحدكم أهله ليلًا" يعني لا يجيء ليلا، لا تأتي ليلا إِلَىٰ أهلك هذا كان في السابق يعني البيوت يعني صغيرة، والناس قد يكون في خوف، والمرأة قد تكون نائمة ليس عندها أحد، فيأتي الرجل في الليل وهي لا تدري من الذي أتى بالليل لكن الآن الأمور تختلف صار فيه تواصل واتصالات اختلفت الأمور لكن مقصود الحديث "لا يطرق أحدكم أهله ليلا"؛ حَتَّىٰ لا يُخيفهم.

أَمَّا الآن إذا أصبح فيه تواصل ونحوه خلاص الأمور واضحة، فهذا المقصد، المقصد أن كلمة الطارق هي المجيء ليلًا، ثُمَّ بعد ذلك نتج عن المجيء؛ لأن الذي يأتي يطرق الباب

يطرق وسُمي الطرق: طرقًا وإلا الأصل كلمة الطارق هو الظهور والمجيء بِاَللَّيْلِ.

طيب كأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقول النجم هو الطارق؛ لأنه يظهر ويبرز في اَللَّيْل، ويأتي في الليل لا يكون يعني سلطانه وقوته إلا بِاَللَّيْلِ يقول: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ٢﴾ [الطارق: ٢]، ثُمَّ قَالَ: الطارق ﴿النَّجْمُ الثَّاقِبُ ٣﴾ [الطارق: ٣].

ما معنى الثاقب؟ قَالَ: الذي يثقب بنوره؛ حَتَّىٰ ذُكر أن هذه النجوم التي في السماء تثقب بشدة نورها السمأَوْات السبع، بشدة النور تثقب وتضيء إِلَىٰ السمأَوْات السبع بعض المفسرين قَالَ: النجم هنا نوع من أنواع النجوم قال بعضهم إنه زحل، وبعضهم قَالَ يعني ذكر بعض النجوم المعروفة، ولكن أكثر المفسرين وهو الصحيح أن المُراد بالنجم هنا جنس النجوم، ليس نجمًا محددا مُطلق النجوم.

يعني النجوم التي في السماء نجوم كثيرة لا حد لها هذه النجوم تُضيء بقوة في السماء أنت في الدنيا أَوْ في الأرض هي بعيدة عنك، قد لا ترى إضاءتها قوية

أَوْ قد تكون هناك مُؤثرات أُخرى تعكس عَلَىٰ إضاءتها لكن إضاءتها قوية بشدة، قَالَ النجمُ الثاقب الله أخبر بأن النجم هذا نوره يثقب السمأَوْات، ويثقب الأرض ﴿النَّجْمُ الثَّاقِبُ ٣﴾ [الطارق: ٣].

لما أقسم الله بالسماء، وأقسم بالطارق، وأخبرك ما هو الطارق، أتى لك الآن أتى بالغرض من القسم، يُقسم الله على أي شيء على أن كل نفس مطلقة من غير استثناء، أي نفس كافرة ولا مؤمنة أي نفس تمشي على الأرض من بني آدم ﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ٤﴾ [الطارق: ٤]، يعني ما من نفسٍ إلا وعليها حافظٌ من الله يحفظها؛ حَتَّىٰ تخرج من هذه الدنيا ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ١٨﴾ [ق: ١٨].

طيب إذا عرفت هذا الشيء لَا بُدَّ أن تتذكر وتنظر في نفسك، تتأمل في خلقك، وفي نفسك

ولذلك أنظر أن ارشدك الله للتأمل وَالتَّفَكُّر في نفسك قَالَ: ﴿فَلْيَنْظُرِ﴾ [الطارق: ٥]، النظر هذا قَالَ: ﴿فَلْيَنْظُرِ الإنسان مِمَّ خُلِقَ ٥﴾ [الطارق: ٥]، هذا النظر مقصود به نظر التأمل وَالتَّفَكُّر، لا نظر العين لا ما هو بمقصود هذا معروف ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ٢١﴾ [الذاريات: ٢١]، شايف نفسك ما فيها شيء لا هو يقول لك أنظر نظر تأمل وتفكر في نفسك.

قَالَ: ﴿فَلْيَنْظُرِ الإنسان مِمَّ خُلِقَ ٥﴾ [الطارق: ٥]، من أين خُلقت أنت؟ من أين جئت؟ كيف خُلقت؟ فكر في نفسك، ثُمَّ هذا ما في أحد يستطيع أن يُنكر نفسه لما تقول من أين خُلقت؟ ومن أين أتيت؟ كل إنسان مؤمن أَوْ كافر لا يُمكن أن يُنكر هذا الشيء

لكن الكلام بعد، يعني أنت من أين خُلقت؟، كيف خُلقت؟ لكن كلام ليس هنا بعدما خُلقت ووجدت عَلَىٰ هٰذِه الأرض إِلَىٰ أين ستذهب؟ ثُمَّ إذا ذهبت تذهب إلى أين وما النتيجة؟

هنا يأتي الكلام طيب أنظر قَالَ: ﴿فَلْيَنْظُرِ الإنسان مِمَّ خُلِقَ ٥﴾ [الطارق: ٥]، من أي شيء خُلقت، ويأتيك اليوم حَتَّىٰ ما تُقحم نفسك تقول والله ما أدري من أين خُلقت؟، كيف؟ ما أدري قد لا أعلم أنا صغير في مرحلة ما أتذكر أعطيك الجواب الصريح قَالَ لك: ﴿خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ ٦﴾ [الطارق: ٦]، يعني أنت مخلوق من ماء، الماء هذا ما هو؟

هذا هو النطفة، الماء المني النطفة ﴿مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى ٣٧﴾ [القيامة: ٣٧]

أي يسيل هذا الماء الذي يخرج ويسيل قَالَ: ﴿خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ ٦﴾ [الطارق: ٦]، والدفق: هو الدفع بقوة، قَالَ ﴿مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ ٦﴾ [الطارق: ٦]، هذا الإنسان مخلوق من ماء مهين خُلق من ماء مهين، خُلق من نطفة، وفي آية قَالَ: ﴿خَلَقَ الإنسان مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ٤﴾ [النحل: ٤]، قَالَ: ﴿مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ ٦﴾ [الطارق: ٦]، من أين تأتي هذا الماء؟ قَالَ: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ٧﴾ [الطارق: ٧]، يعني هذا الإنسان المخلوق الذي يمشي ـ على الأرض بهذه الصورة الجميلة الحسنة رجلًا كان أَوْ امرأة هٰذَا أصلُها نُطفة قذرة صغيرة خرجت من صُلب أبيه، قَالَ ﴿الصُّلْبِ﴾ [الطارق: ٧]، الصلب: هو العمود الفقري الذي يكون في ظهر الإنسان.

قال ﴿الصُّلْبِ﴾ [الطارق: ٧].

والترائب ما هي؟

قالوا: الترائب هو صدر المرأة صدر الأم، هذا قول لبعض المفسرين أن الإنسان هذا المخلوق من ماء دافق، هذا الماء جاء من طريقين من صُلب الأب، وترائب المرأة، فأجتمع هذان المائان، واختلطا، ثُمَّ خُلق منه هذا الإنسان هذا رأي كثير من المفسرين وهناك رأي آخر أن الترائب هنا ترائب الرجل يعني هذا الإنسان خُلق من أبيه الأم اعتبار أنها وعاء

وعاء مستقر رحم تستقر فيه هذه النطفة ثم تتكون.

هذه النطفة من أين جاءت؟ قالوا: جاءت من الأب من ظهر أبيه -الصُلب- ومن صدر الأب الترائب، وهذا الذي رجحه الشيخ السعدي في تفسيره أن الترائب ترائب الرجل، وأن الصُلب

صُلب الرجلو بعضهم مثل ما ذكرنا أن تكون ترائب المرأة ممكن هذا يعني هذه كلها أشياء غيبية ما ندري لكن اجتهادية قد يكون هٰذَا، قد يكون هذا الله أعلم لأن العلم الحديث الآن ماذا يقول؟

يقول: أن هذا الماء الذي ينزل في رحم المرأة يُصادف البويضة، ثُمَّ يتلقح، ثُمَّ يتخلق منه هذا الإنسان، هذا هو عندهم في العلم الحديث، لكن في أحاديث عن النَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إذا سبق أَوْ إذا علا ماء الرجل ماء المرأة أشبه هذا الأبن لأعمامه

وإذا علا ما المرأة ماء الرجل اشبه هذا المخلوق لأخواله»، ذهب إِلَىٰ أخواله

هٰذِه حديث صحيح؛ فلذلك نقول ما نقدر نجزم بأن الترائب هي ترائب المرأة، أَوْ ترائب الرجل اللهُ أَعْلَمُ بذلك اللهُ أَعْلَمُ.

لكن هذا مثل ما ذكرت ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ٧﴾ [الطارق: ٧]، هذا الماء الدافق ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ٧﴾ [الطارق: ٧]، قَالَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ﴿إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ٨﴾ [الطارق: ٨]، رجع من؟ هل المقصود به رجع الماء؟ يعني هذا الماء الدافق لما يخلق الله منه هذا الإنسان يستطيع الله عَزَّ وَجَلَّ بقدرته، ولا يُمانعه شيء أن يُعيد هذا الإنسان المخلوق إِلَىٰ أن يعود ماء، فيرجع إِلَىٰ ظهر أبيه، نقول ممكن ما يعجزه شيء الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن يُعيد هذا المخلوق الذي يمشي ـ على الأرض يرجع إِلَىٰ أن يكون نطفة، ثُمَّ يرجع إلى ظهر أبيه نعم لا يُعجزه شيء في الأرض ولا في السماء.

طيب هذا ممكن أَوْ يُقال: ﴿إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ﴾ [الطارق: ٨] بعد موته يعني هذا الإنسان الذي خلقه الله من الماء، وعرف من أين جاء؟، وعرف كيف خلق؟

هذا الإنسان الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قادرٌ عَلَىٰ أنه إِذَا مات ودُفن تحت الأرض وتمزقت اشلاؤه أن يُعيده مرة أُخرى، فيبعثه من قبره، ويجازيه يوم القيامة طيب أيهما أصح وأقرب؟

نقول ﴿إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ٨﴾ [الطارق: ٨]، أي رجعه يوم القيامة

لماذا؟

أنظر أحيانًا عندك مُرجحات، عندك أشياء تخليك تختار هذا الصحيح، ولا هٰذَا أنظر لما تقول ﴿إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ٨﴾ [الطارق: ٨]، يعني عَلَىٰ بعثه، عَلَىٰ خلقه مرة أُخرى وإعادته مرة أُخرى

يموت الآن، ويتمزق بعد سنين طويلة بعد مئة سنة، بعد الف سنة الله يبعثه مرة أُخرى، ويخرج من القبر ﴿إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ٨﴾ [الطارق: ٨]؛ ولذلك أنظر بعدها ماذا قَالَ؟

قَالَ: ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ٩﴾ [الطارق: ٩]، إذًا الرجعة هنا رجعة مَاذَا؟

يوم القيامة رجعة يوم القيامة قَالَ ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ٩﴾ [الطارق: ٩]، تُبلى يعني: تُختبر السرائر ما هي؟ الأشياء الخفية أنت عندك أشياء ظاهرة وقد تُظهرها أنت وتُعلنها عَلَىٰ لسانك، أَوْ حركاتك أَوْ أخلاقك يعرفها الناس يعرفون أن فُلان صاحب خُلق جميل،

صاحب كرم، صاحب كذا هٰذِه أخلاق ظاهرة، لكن في أشياء داخلية ما يمكن يعرفها أحد ولا أقرب الناس لك تستطيع أن تُخفيها، هٰذِه في الدنيا، الناس ليس لهم إِلَّا الظاهر

يوم القيامة تختلف الأمور، الخفية تظهر وَهٰذِه مُصيبة أنت تسترها في الدنيا لكن في الآخرة ما تستطيع أن تسترها، عندك أشياء معاصي، عندك أشياء أخلاق سيئة، عندك كذا قد تسترها في الدنيا وتمشي بين الناس، والناس لا يدرون عنك قد يكون أقرب الناس لك ما يدري عنك وقد تقع في معاصي خفية في بينك وبين نفسك والناس ما يدرون عنك لكن يوم القيامة تنكشف السرائر، الخفايا تظهر أمام الناس تظهر كل شيء يظهر؛ ولذلك قَالَ هنا ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ٩﴾ [الطارق: ٩].

إذا انكشفت السرائر، فهذا الإنسان ما له من قوة في نفسه، ما عنده قوة، ولا ناصر ينصره، لا هو يستطيع بنفسه بقوته أن يدفع هذه الأشياء عنه، وليس أحد يستطيع أن ينصره ولا أقرب الناس له الأب ما ينصر أبنه والأبن ما ينصر أباه، ولا ينصر أمه، وهنا تظهر الأمور الصعبة ﴿فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ١٠﴾ [الطارق: ١٠]،

طيب لا نُطيل السورة تحتاج أيضًا وقفات منا، وتأملات والحقيقة العيش مع القرآن لا يُمل والتأملات تزداد كل ما تجلس مع القرآن تزداد علمًا، ولا تنقضي عجائبه وكما قَالَ بعض أهل العلم قَالَ: "هذا بحر لا ساحل له"، بحر ما فيه ساحل، تعيش مع القرآن بحر ما تنتهي لا لو تذهب ساعات وأيام وأنت تجلس مع هذه الصفحة الواحدة لم تنتهي

يقول أبن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "عليكم بالقرآن، عليكم بالقرآن" فإن فيه علم الأَوْلين والآخرين، هذا هو القرآن فيه علم الأَوْلين والآخرين، أنظر هٰذِه المعلومات ما كنا نعرفها

أَوْ ما كُنا يعني تمر علينا مرور الكرام تقرأ سورة الطارق كلنا نقرأها لكن هل فهمنا هذه الأشياء؟

كثير منا يمر مرور الكرام عليها ويقرأها على لسانه لكن نحن نريد قراءة قلب، ليست قراءة لسان تريد القلب يقرأ ليس باللسان القلب يخشع، ويتأمل، ويتفكر ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٣]، هٰذَا أثر القرآن لَا بُدَّ أن يكون أثره علينا

السورة طويلة، فهمناها، عرفناها، عرفنا أن الله أقسم بالسماء، وأقسم بالطارق، عرفنا ما هو الطارق، وعرفنا لماذا أقسم بأن كل إنسان عليه من الله حافظ يحفظ أعماله خيرها وشرها كل هذه معروفة، وأن هذا الإنسان قد خُلق في أصله وإنشاءه من ماء مهين، وأن الله قادر على بعثه، وسيجازيه تأتي تكملة السورة في لقاء قادم بِإِذْنِ اللهِ

نسأل الله أن ينفعنا بما قُلنا، وبما سمعنا، وأن يجعلنا وإياكم هداة مهتدين موفقين لكل خير والله أعلم وصلى على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أَجْمَعِيْنَ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الدرس (٢٩)

إِنَّ الْحَمْدَ لِلهِ نَحْمَدُهُ تَعَالَىٰ ونَسْتَعِينُهُ ونَسْتَغْفِرُهُ، ونَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا ومِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلاَ مُضِلَّ لَهُ ومَنْ يُضْلِلْ فَلاَ هَادِيَ لَهُ، وأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ ورَسُولُهُ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ ولَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ وخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا ونِسَاءً واتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ والْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ ويَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ومَنْ يُطِعِ اللَّهَ ورَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠- ٧١].

أيها الاخوة الكرام:

السَّلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، حياكم الله في لقائنا الأسبوعي مع تفسير القرآن العظيم وتدبُر معانيه، حديثنا في لقائنا الماضي كان حول سورة الطارق ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ٢﴾ [الطارق: ٢]، وبينا أن هذه السورة ركزت على قضية مُحاسبة النفس، وأن كل إنسان جعل الله عليه حافظًا يحفظُ أعماله، ويحفظُ أقواله، وأقسم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ جل جلاله بالسماء، وقد أقسم بالسماء في مواضع كثيرة، بل في هذه السورة على قصرها أقسم بالسماء مرتين، أقسم بالسماء هنا فَقَالَ: ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ١﴾ [الطارق: ١]، والطارق ما هو؟

فسره الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وبينه لنا، قال ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ٢ النَّجْمُ الثَّاقِبُ ٣﴾ [الطارق: ٢-٣]، والطارق: هو الذي يطرق ليلًا: يعني يظهر ليلًا، ويبين ليلًا، ويأتي ليلًا، ويُقال للرجل إذا

طرق أهله ليلًا أَوْ جاء أهله ليلًا سُمي طارقًا، وليس معنى الطارق الذي يطرق بيده أَوْ بشيء لا إنما الطارق: هو الذي يأتي ليلًا، ومن أتى نهارًا ما يُسمى طارقًا

ثُمَّ بعد ذلك لما كان الطارق إذا جاء يطرق بابه، بعد ذلك سُمي كل من يطرق طارقًا.

قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ٢﴾ [الطارق: ٢]، عرفنا في لقائنا الماضي أن كل ما جاءك في القرآن ﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾، فالجواب موجود، وقد وردت في القرآن في ثلاث عشرة آية، ﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾، تجد الجواب موجود.

أما إذا جاءك ﴿وَمَا يُدْرِيكَ﴾، فإن الجواب غير موجود، وقد وردت في القرآن في ثلاثة مواضع ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ٦٣﴾ [الأحزاب: ٦٣]، هذه ما يوجد الجواب، ولا يمكن، ولا أحد يصل إليه إذا جاءت ﴿وَمَا يُدْرِيكَ﴾.

﴿النَّجْمُ الثَّاقِبُ ٣﴾ [الطارق: ٣] ما المُراد به؟

بعض المفسرين حدد نوع النجم الثاقب، وبعضهم قَالَ هو جنس النجوم أي نجم من النجوم في السماء يسمى بالنجم الثاقب، والثاقب: المضيء إضاءة قوية؛ حَتَّىٰ قيل إن النجم الثاقب هو الذي يضيء في السماوات السبع، ويثقب السماوات السبع هذا معناه.

﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ٤﴾ [الطارق: ٤]: هذا جواب القسم، أقسم الله بالسماء، وبالطارق على أي شيء؟

على كل نفس من بني آدم عليها حافظ يحفظ أعمالها، فما من نفس إلا وعليها رقيب عتيد ما يلفظ من قول، أَوْ يفعل من فعل إلا ويُسجل عليه ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ١٠ كِرَامًا كَاتِبِينَ ١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ١٢﴾ [الانفطار: ١٠-١٢].

ثُمَّ أن سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ذكرنا بأصلنا، من أين أتيت؟، وَإِلَىٰ أين ستذهب؟

﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ٥﴾ [الطارق: ٥]، من أي شيء خلقه الله؟

ثُمَّ أجاب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ﴿خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ ٦ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ٧﴾ [الطارق: ٦-٧]، أي أن هذا أصله ماء ونطفة، خرج من صُلب أبيه، ومن ترائب أمه أَوْ أبيه، فخلقه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وأنشأه، ثُمَّ بين سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أنه على رجعه -رجع هذا الإنسان، وبعثه يوم القيامة-

لقادر، لا يُعجزه شيء، فَالَّذِي أنشأ النشأة الأَوْلى لا يُعجزه النشأة الأُخرى، لا يُعجزه أن يُعيده مرة أُخرى، و﴿إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ٨﴾ [الطارق: ٨]؟ متى؟

قَالَ: ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ٩﴾ [الطارق: ٩]، أي يوم القيامة، ﴿تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾: أي تُمتحن سرائر الإنسان: يعني خفاياه ما يخفيه، في الدنيا مستور عليه، قد تكون عنده تقصير، وعنده أشياء، وعنده معاصي، وعنده آثام مستور عَلَىٰ حاله لا يدري عنه أحد يمشي ـ في حاله لا أحد يدري عليه، إذا جاء يوم القيامة كُشفت السرائر، ظهر كل شيء لا يُمكن أن يُخفيه ولا يستطيع إخفاءه، ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ٩﴾ [الطارق: ٩]، فهذا الإنسان ما له من قوة ولا ناصر، ﴿فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ﴾ [الطارق: ١٠]، ليس عنده قوة في نفسه، ﴿وَلَا نَاصِرٍ ١٠﴾ [الطارق: ١٠] يستطيع أن ينصره، لا هو بنفسه قوي، ولا هو أيضًا قوي بغيره، فضعفه من نفسه ومن غيره.

قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بعد ذلك: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ١١﴾ [الطارق: ١١]، هذا قسم ثاني في السورة نفسها أقسم الله بالسماء على أي شيء؟، وصفها بأي شيء؟ قَالَ: وصفها بأنها ذات الرجع ما معنى ﴿ذَاتِ الرَّجْعِ ١١﴾؟ أي أنها ترجع في كل وقت، تبدأ وتعود، ترجع بأي شيء قال أكثر المفسرين أن معنى والسماء ذات الرجع أي ترجع بالمطر، فكلما جاء سحاب جاء بعده سحاب وهكذا بدليل مَاذَا؟

بدليل ما يقابله لما قال ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ١١﴾ [الطارق: ١١]، بالسحاب والأمطار، قَالَ: ﴿وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ ١٢﴾ [الطارق: ١٢]، تصدع بأي شيء؟، تتشقق بأي شيء؟ تتشقق بالنبات، مثل قوله تَعَالَىٰ ﴿أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ٢٥ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ٢٦﴾ [عبس: ٢٥-٢٦] أي بالنبات، فالسماء تأتي بالخير، والمطر، والغيث، وتصب على الأرض ثُمَّ بعد ذلك الأرض تتشقق بالنبات ﴿وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ ١٢﴾ [الطارق: ١٢].

أقسم الله بالسماء، وأقسم الله بالأرض عَلَىٰ أي شيء؟

عَلَىٰ أن هذا القرآن الذي تسمعونه ويأتيكم بهذه الأخبار قولٌ حق، وقولٌ فصل بين الحق والباطل، والهدى والضلال لا نشك فيه بأن هذا الذي تسمعونه أنتم هو قرآن منزل من عند الله وهو كلام الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ ولذلك قَالَ: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ١٣ وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ ١٤﴾ [الطارق: ١٣-

١٤]، ولا اللعب، ولا المزاح، بل هو حقٌ من عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ﴿إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ١٣ وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ ١٤﴾ [الطارق: ١٣-١٤]، ومثل ما يمر معنا في سور ماضية كل ما ذَكَرَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ مثل هذه الأحوال، أَوْ هذه الأخبار في الأخير يُثبت أن هذه الأحوال وهذه الأخبار منزلة من السماء؛ ولذلك السورة التي قبلها -البروج- قَالَ: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ ٢١ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ ٢٢﴾ [البروج: ٢١-٢٢].

وهكذا تجده قَالَ الله سُبْحَانَهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ١٥﴾ [الطارق: ١٥]: أي أعداء الإسلام يكيدون للإسلام في كل زمان؛ ولذلك جاء بأي شيء؟

جاء بالفعل المضارع الذي يدل على الاستمرار في كل زمان، في كل وقت، وفي كل بقعة من بقاع الأرض، إن أعداء الإسلام يكيدون كيدا لهذا الإسلام ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ [الصف: ٨]، ﴿وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ﴾ [التوبة: ٣٢]

﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ١٥﴾ [الطارق: ١٥]، يحاولون مُنذ بزوغ هذا الإسلام في زمن نبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهم يحاولون طمسه بكل ما يستطيعون ﴿يَكِيدُونَ كَيْدًا ١٥﴾ [الطارق: ١٥-١٦].

قَالَ الله: ﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا ١٦﴾ [الطارق: ١٦]: أي أن الله يكيد لهم، ويمكر بهم، وُيبطل حيلهم، ويُبطل مخططاتهم كلما أرادوا أن يفعلوا شيئًا والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لهم بالمرصاد ﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا ١٦﴾ [الطارق: ١٦]، ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ١٥ وَأَكِيدُ كَيْدًا ١٦﴾ [الطارق: ١٥-١٦].

قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ﴿فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ﴾ [الطارق: ١٧]: مهلهم، واتركهم، واعطهم وانتظر حالهم ﴿فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ١٧﴾ [الطارق: ١٧]: أي اعطيهم الوقت والفرصة واستدرجهم رويدًا: أي شيئا فشيئا، شيئا قليلًا مثل ما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قَالَ ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾، فما يدري هذا الكائد للإسلام إلا وقد مكر الله به وأبطل كيده، وهذه سُنة الله في أعدائه، لو تتأمل معي خاتمة السورة في بيان هذا القرآن وعظمته وأن ما فيه من أخبار في هذه السورة هي في هذا القرآن، وأنظروا إِلَىٰ خاتمة السورة موقف أعداء الإسلام وأرجع إِلَىٰ السورة التي قبلها، الله عَزَّ وَجَلَّ قَالَ: ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ ١٩﴾ [البروج: ١٩]، والتي قبلها الانشقاق

﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ ٢٢ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ٢٣﴾ [الانشقاق: ٢٢-٢٣]، فتجد هذه الأشياء تتكرر معنا

بيان حقائق يذكرها الله وأخبار يُبين لك مصدرها أنه القرآن العظيم ويثني على كتابه

﴿إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ١٣ وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ ١٤﴾ [الطارق: ١٣-١٤]، ثُمَّ يُبين لك موقف هؤلاء الأعداء في تكذيبهم، وردهم لهذه الرسالة، وكيدهم، ولكن الله من ورائهم محيط هذه السورة العظيمة الجليلة وقفنا معها تدبرنا آياتها، فهمناها ولله الحمد، وهذه نعمة وفضل أن تستشعر هذه الآيات وتقف معها وتتأملها

أسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن يجعل ما قُلناه وما سمعناه في موازين حسناتنا

وأن يجعلنا وإياكم ممن يستمع القول فيتبع أحسنه والله أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أَجْمَعِيْنَ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الدرس (٣٠)

إِنَّ الْحَمْدَ لِلهِ نَحْمَدُهُ تَعَالَىٰ ونَسْتَعِينُهُ ونَسْتَغْفِرُهُ، ونَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا ومِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلاَ مُضِلَّ لَهُ ومَنْ يُضْلِلْ فَلاَ هَادِيَ لَهُ، وأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ ورَسُولُهُ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ ولَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ وخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا ونِسَاءً واتَّقُوا اللَّهَ الَّذِى تَسَاءَلُونَ بِهِ والْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ ويَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ومَنْ يُطِعِ اللَّهَ ورَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠- ٧١].

أَمَّا بَعْدُ:

أيها الإخوة الكرام، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، حياكم الله في هٰذَا اليوم المبارك، هٰذَا اليوم هو اليوم السادس والعشرون من شهر جمادى الأولى من عام ١٤٤٤ من الهجرة، مجلسنا المعتاد الأسبوعي في تدبر القرآن والوقوف مع آياته، السورة التي بين أيدينا في هٰذَا اليوم هي سورة من سور القرآن يحفظها الكثير ولله الحمد، ولكن في الحقيقة، نحن في مثل هٰذِه المجالس لا نعرض السورة عرضًا هكذا، وإنما نقف مع السورة، نتأملها ونتدبرها ونفهم مراد الله سبحانه وتعالى منها.

الله سبحانه وتعالى أنزل القرآن للتدبر، للتَّأَمُّلِ، للتفكر في آياته، الوقوف مع إعجازه، نزل القرآن معجزًا، الله سبحانه وتعالى تحدى العرب وتحدى الناس جميعًا، وتحدى الإنس والجن عَلَىٰ أن يأتوا بمثل هٰذَا القرآن ولن يستطيعوا، ولو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هٰذَا القرآن ما

استطاعوا عَلَىٰ أن يأتوا، بل تحداهم أن يأتوا بعشر سور مفتريات ومع ذلك ما استطاعوا، وتحداهم أن يأتوا بسورة واحدة ومع ذلك عجزوا أن يأتوا ولا بسورة واحدة ولا بحديث، ولا بأقصر سورة، ولذلك ينبغي لكل مسلم إذا مر أو قرأ مثل هٰذِه السور وغيرها أن يقف ويتأمل ويتفكر، السورة واحدة هي كيان مستقل، له مبدأه وله نهايته، كل سورة لها افتتاحية، لها خاتمة، لها موضوع، تتحدث عن شيء، تحرك النفوس، تحرك القلوب، ليست هكذا تنزل، وإنما هٰذَا الذي يجب علينا.

السورة التي بين أيدينا هي سورة الأعلى، سورة الأعلى لها عدة مسميات، تُسمى بسورة الأعلى، وتُسمى بسورة "سبح اسم ربك الأعلى"، وتُسمى بسورة "سبح"، كما ورد كل هٰذَا في أقوال الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم، أنهم قالوا إنه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يقرأ بسورة "سبح"، ومرّة يقول: يقرأ بسورة "الأعلى"، ومرّة يقول: يقرأ بسورة "سبح اسم ربك الأعلى"، إذًا لها مسميات، دائمًا أيها الإخوان إِذَا وجدت سورة لها عدة أسماء يدل عَلَىٰ مَاذَا؟ يدل على مكانتها وعظمتها، سورة الفاتحة أعظم سورة في كتاب الله، كم لها من اسم؟ ذكر الحافظ السيوطي أن لها خمسةً وعشرين اسمًا، وهٰذَا يدل على عظمة...، الشيء كلما تعددت أسمائه وصفاته يدلّ على عظمته.

الله عَزَّ وَجَلَّ كم أسماءه؟ وكم صفاته؟ القرآن كم أسماءه؟ كم صفاته؟ النَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كم أسماءه؟ كم صفاته؟ كلما تتعدد الأسماء والصفات تدل على عظمة الشيء، سورة الأعلى لها هٰذِه الأسماء، طيب، نأخذها شيئًا فشيئًا، هٰذِه أسماءها، طيب أين نزلت؟ في أي مكان؟ نقول: نزلت بمكة، بل هي من أوائل ما نزل بمكة، الذي يقرأها ويتأملها يعرف أنها من أوائل ما نزل (٠٤:٣٥) ، حتى قَالَ بعض الصحابة أنها هي ثامن سورة نزلت في القرآن، يعني نزل قبلها سبع سور وهي الثامنة.

هي أيضًا من السور التي نقلها الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم إلى المدينة، لما هاجر الصحابة كان من أول ما نُقل إلى المدينة سورة الأعلى، حَتَّىٰ فرحا، قَالَ بعض الأنصار: ففرحنا بها فرحًا شديدًا، انظر كيف كان تعظيم القرآن عندهم! فرحنا بها فرحًا شديدًا، قُرأت عليهم سورة الأعلى، مكانها، وأسماءها، وأيضًا أنها نُقلت، أنها من أوائل ما نزل، هي السورة الثامنة، إذا تعرفت على هٰذِه الأشياء، تدل على عظمة هٰذِه السورة، أنت تعظّم السورة، تعظمها بالتعرف عليها، تريد أن تتعرف على أي

شخص على إنسان قبل ذلك تتعرف على هٰذَا الشخص ثم تقابله، قبل ما أن تدخل في السورة لا بد أن تعرفها.

السورة ورد في فضائلها أن النَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يقرؤها في صلاة الجمعة، يقرأها في الركعة الأولى في صلاة الجمعة، وفي الركعة الثانية سورة الغاشية،

ويقرأها أيضًا في صلاة العيدين: "بسبح" و"الغاشية"، أيضًا من فضائلها أنها تُقرأ في صلاة الوتر (الشفع والوتر)، إذا أردت أن تختم صلاة الليل، تختمها بالشفع والوتر، فتقرأ في الركعة الأولى: "سبح"، وفي الثانية: "الكافرون"، وفي ركعة الوتر سورة الإخلاص، هٰذِه سنة.

أيضًا من سننها وفضائلها أن النَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أرشد معاذًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لما يعني أرشده أن يقرأ في صلاة العشاء، قال: «اقرأ بسورة "سبح" و"الطارق" و"الليل" و"الشمس"»، فعدَّ هٰذِه السورة من السور التي تُقرأ في صلاة العشاء، فقراءتها في صلاة العشاء سنة، سنها النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هٰذِه السورة إِذَا نظرت وتأملت فيها وجدتها تتحدث عن عدة أمور مهمة، من هٰذِه الأمور والعناصر التي تتعرض لها السورة والموضوعات التي تعرضت لها السورة.

أولًا: تعظيم الله سبحانه وتعالى: بافتتاحيتها: ما من سورة افتُتحت بـ "سبح" إلا هي، لدينا سور افتتحت بـ "سبح لله"، سورة الحديد، سورة الحشر، سورة الصف: "سبح لله"، وفي سور افتتحت بـــ "يسبح" (فعل المضارع) مثل سورة الجمعة وسورة التغابن: "يسبح لله"، وهٰذِه السورة بصيغة الأمر: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١]، وفي السورة افتُتحت بالمصدر: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾ [الإسراء: ١]، هٰذِه التسابيح، إذًا السورة افتتاحيتها وآياتها الأولى تتحدث عن تعظيم الله وإجلاله وتقديسه، وتمجيده، آيات وبيان أفعاله في خلقه وحكمه في تدبيره وتصرفه في الكون.

ثم بعد ذلك تأتي البشارة للنبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، البشارة للرسول؛ لأنه في أوائل نزول القرآن، السورة الثامنة تأتي تبشر الرسول، تبشره بماذا؟ تبشره بهٰذَا القرآن العظيم، تظن أن القرآن يعني هو أي كتاب؟ لا، القرآن كتاب عظيم، أعظم كتاب وأشرف كتاب أنزله الله، القرآن العظيم، القرآن هو حبل الله المتين، فيه خبر من قبلنا وحكم ما بيننا، فيه نبأ ما قبلنا وحكم ما بيننا وخبر ما

بعدنا، يقول ابن مسعود في القرآن: "عليكم بالقرآن، فإن فيه علم الأولين والآخرين"، ما من علم إلا تجده إلا في القرآن الكريم، فالله عظم القرآن مخاطبًا محمدًا صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المُنزل عليه القرآن، قَالَ: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى (٦) إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ [الأعلى: ٦-٧]، هٰذِه بشارة للرسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن الله عَزَّ وَجَلَّ سيقرئه القرآن كله ولا ينساه: بمعنى أنه سيثبته في قلبه، يقرئه القرآن بطريق الوحي جبريل عليه السلام ويثبته في صدره، فَهٰذِه بشارة عظيمة.

والبشارة الثَّانِية ما هي؟ قَالَ: ﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى﴾ [الأعلى: ٨] أي أنك ستكون شريعتك يسيرة وسهلة، وأنت يسير وسهل في تعاملك مع أصحابك، وأصحابك أيضًا، كما قَالَ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا»، فأصل الدين سمح، الدين يسير، وصاحب الدين محمد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سمحٌ يسير، وأصحابه وأتباع هٰذَا الدين إلى قيام الساعة من أسمح الناس وأيسرهم في التعامل، لقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى﴾ [الأعلى: ٨]، فلما اشتروا بهٰذِه البشارات أمره بالتذكير، وإن كان هٰذَا الأمر موجهًا للرسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إلا أنه لكل إنسان عنده القدرة أن يتولى هٰذَا الأمر.

﴿فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى﴾ [الأعلى: ٩]، فهٰذِه السورة موضوعها تتحدث عن تمجيد الله سبحانه وتعالى، وعن البشارات التي وُجهت للرسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبيان موقف الناس من هٰذِه الدعوة، من قوس الناس من هٰذِه الدعوة، سيتذكر من يخشى ويتجنبه الأشقى، ثم بعد ذلك يبين الله سبحانه وتعالى من تذكر وخشي ربه، أنه سبحانه وتعالى جعله من المفلحين، وأنه قد تزكى وأفلح ونجى وسلِم وذكر اسم ربه، ثم ختم الله هٰذِه السورة بأي شيء؟ بأن كل ما ذُكر فيها ليس جديدًا، وإنما كان متقررًا في الكتب السماوية الماضية كما قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، قَالَ: ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى (١٨) صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾ [الأعلى: ١٨-١٩]: الصحف التي أُنزلت على إبراهيم، والصحف التي أُنزلت على موسى، وغيرهم ممن ذُكروا من الكتب المنزلة الماضية، أن هٰذَا الذي يذكره الله سبحانه وتعالى في هٰذِه السورة هو شيء مذكورٌ في الكتب السماوية الماضية التي أنزلها الله سبحانه وتعالى.

لما تسمع أنت أن هٰذَا الكلام الذي موجود هنا الآن في الكتب السماوية، ما لذي يدل عليه؟ يدل على عظمة هٰذَا الكلام الذي يُكرر في الكتب، والله عَزَّ وَجَلَّ ينزله في كتب ماضية، ثُمَّ يقرره في هٰذِه الشريعة، يدل على عظمة هٰذَا الشيء، يدل على عظمته، ليس أي كلام وإنما كلام عظيم، إذًا السورة، يمكن الكثير منا يقرؤها كل ليلة في صلاة الوتر، أو يقرؤها في صلاة الفريضة، أو يقرؤها في غير الفريضة، لكن هل تصورنا حقيقة، يعني لما نعيش مع القرآن، هل تصورنا هٰذِه الأشياء؟ ولا مجرد فقط قراءة، قراءة، وبعدين يمكن تقرأ أنت من أول القرآن وتختم كل ثلاث أيام، وأنا أعرف أناس يختمون كل ثلاثة أيام، ومنهم من يختم كل خمسة وسبعة وعشرة وشهر، لكن ليس القرآن يعني مجرد قراءة، القرآن تدبر وتفكر وتعيش معه حياة أخرى.

والسنة في ختم القرآن أن يُختم القرآن في كل سبعة أيام، هٰذِه السنة، وإن ختم دون السبعة إلى الثلاثة جائز، ما دون الثلاثة هٰذَا لم يُشرع إلا في المناسبات، مثل ماذا؟ مثل أيام رمضان، العشر الأواخر، عشر ذي الحجة، هٰذِه مناسبات يشد الإنسان فيها، ورد عن الصحابة كانوا يختمون كل ليلة، كانوا يختمون كل يوم وكل ليلة، جاء عن تميم الداري وعن عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وعن بعض الصحابة أنهم يختمون كل ليلة في المواسم، في المواسم الأمر ينبغي للإنسان أن يشد فيها، لكن في أيامه العادية يختم كل أسبوع، ورد عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه يختم كل جمعة، كل جمعة يختم، وإن ختم كل ثلاثة أيام لا بأس، بل هو مشروع وجائز وورد، أو خمسة أيام.

وإن ختم كل أسبوعين أو إلى شهر، لكن كره أهل العلم أن يمضي على الإنسان أربعون يومًا لم يختم فيه ختمة واحدة، بل جعلوا ذلك من هجران القرآن، كيف يمر عليك أربعين يوم ما تختم ولا ختمة واحدة؟ جعلوا ذلك من هجران القرآن الكريم.

السورة حقيقة يعني تتعجب أحيانًا، يعني لو تعيش معها ساعات طويلة، والله ما تكفي، ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عاش أو مضى ثمان سنوات في سورة البقرة، ثمان سنوات وهو يتأمل ويتدبر سورة البقرة، ثمان سنوات ليست كثيرة عَلَىٰ البقرة، شيخ الإسلام ابن تَيْمِيَّة أَلَّف كتاب كامل في تفسير سورة الإخلاص، مجلد كامل في سورة الإخلاص، سطر واحد، سورة الإخلاص سطر واحد أَلَّف فيه كتاب، فليس بالعجب أن يمضي وقتك أو تعيش مع القرآن الكريم.

كلمة "سبح" هذه، "سبح" ما معناها؟ "سبح" فعل أمر، الله أمرك، يأمر نبيه ويأمر كل مخاطب: "سبح" ما معنى "سبح"، ﴿سَبِّحِ اسْمَ﴾ [الأعلى: ١]، التسبيح: هو التنزيه والتعظيم والإجلال لله، يعني جَلَّل وعظَّم ونزه الله عن صفات النقص، يقول هنا: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١]، الإنسان الآن يسبح الله ولا يسبح اسمه، والآية ماذا تقول؟ تقول: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ﴾ [الأعلى: ١]، في آيات أخرى يسبحون الله، تسبيح الله، ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [البقرة: ٣٠]، في آيات أخرى قَالَ الله عَزَّ وَجَلَّ فيها: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [الجمعة: ١]، "يسبح لله"، "سبح لله".

هنا قَالَ: ﴿سَبِّحِ اسْمَ﴾ [الأعلى: ١]، أدخل الاسم، لماذا؟ الاسم معروف، اسم الله، الله اسمه الله، والرحمن، والإله، والعزيز، والحكيم، أسمائه كثيرة، كيف نسبحها؟

قَالَ أهل التفسير: معنى ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١]: أي سبِّح الله عَزَّ وَجَلَّ بأسمائه الحسنى، يعني عظِّم الله بأسمائه، كما أن المشركين يعظمون آلهتهم فيسمونها باللات والعزى، ويأخذون أسماء الله؛ لأن "اللات" مأخوذة من "الإله"، و"العزى" من العزيز، فكما أنهم يعظمون، يا مُحَمَّد عظم ربك وجلله بأسمائه الحسنى، وارفع بأسمائه، وادعُ بأسمائه، فأنت تقول: يا الله، يا عزيز، يا رحيم، يا غفور، هٰذَا معناه، التسبيح: تنزيهه عن أن يصفه الواصفون بصفات النقص، فأنت تعظمه، هٰذَا من وجه.

ومن وجهٍ آخر، قَالَ: "اسم"؛ لأن تعظيم الله قد يكون تعظيم بالقلب، وقد يكون تعظيم باللسان، وهٰذَا نصٌ على أن التعظيم يكون باللسان، تقول: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١]: أي بلسانك، تسبحه بلسانك، تعظمه بلسانك، كما أنك تعظم الله عَزَّ وَجَلَّ بقلبك بإقرارك بوحدانيته وعظمته، كذلك بلسانك تردد وتقول: "سبحان الله، سبحان الله، سبحان الله، سبحان الله وبحمده"، وهكذا، هٰذَا التعظيم، ولذلك لما نزلت هٰذِه الآية قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اجْعَلُوهَا فِي سُجُودِكُمْ»، في السجود تقول: "سبحان ربي الأعلى"، ولما نزلت ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ [الواقعة: ٩٦]، قال: «اجْعَلُوهَا فِي رُكُوعِكُمْ»، "سبحان ربي العظيم" في الركوع، هٰذَا معنى ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١].

لماذا قَالَ "ربك"؟ لماذا لم يقل "سبح اسم الله"؟ لماذا اختار "ربك"؟ هٰذَا لبيان أو للرد على المشركين أن الذي أوحى هٰذَا القرآن هو ربه، والذي أعطاه القرآن هو رب العالمين، لا كما يزعم هؤلاء المشركون أنهم يقولون إن محمدًا تلقى القرآن من بشر، إِنَّمَا أخذه من بشر. وأنه افتراه، وأنه يُملَى عليه بكرةً وأصيلا، قَالَ: لا، ربك الذي أوحى إليك القرآن، سبحه وعظمه، اختار اسم "الأعلى"، ما قال: "سبح اسم ربك العزيز" ولا "الرحيم"، قَالَ "الأعلى"، لماذا؟ دائمًا، إِذَا مريت مثل هٰذِه الوقفات، هٰذِه الكلمات ينبغي أن تقف عندها، يعني ما ذُكرت هكذا عبثًا، ذُكرت لحكمة، لما اختار الله اسم "الأعلى"؟ اختاره عن حكمة، ليس هكذا عشوائيّ، لا، اختار ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١]، تعظيمًا لله سبحانه؛ لأنه الأعلى فوق سبع سماوات.

والعلو: علو الذات، علو المكان، علو المكانة، أعلى عن كل شيء سبحانه وتعالى، ردًّا على المشركين الذين لم يعرفوا عظمة الله، لم يعرفوا عظمة الله فجاء القرآن يرد عليهم، ثم بعد ذلك تأتي صفات لله وأفعال، من هو الأعلى؟ من هو الذي عليك أن تسبحه وتُعظِّمه؟ من هو؟ قال: ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى﴾ [الأعلى: ٢]، نأخذ بعض الآيات ونقف، لكن؛ لأنها مرتبطة لازم نقف معها حتى نكمل، قال: ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى﴾ [الأعلى: ٢]، خلق ماذا؟ خلق الخلق كله: خلق السماوات، خلق الأرض، خلق ما بينهما، خلق ما فيهن، خلق الإنسان، خلق الحيوان، خلق الطير، خلق الجبال، ما تنتهي، ما تنتهي في عد مخلوقاته، خلق، ولكن خلقه خلقٌ حكيم، ولذلك ماذا قال؟ قال: ﴿خَلَقَ فَسَوَّى﴾ [الأعلى: ٢]، كيف سَوَّى؟ يعني جاء خلقه في أحسن شيء، لما تنظر إلى الجبال، حسنة وجميلة، تنظر إلى الأرض، تنظر إلى الأشجار، تنظر إلى الربيع، تنظر إلى الماء والغدير، تنظر إلى البحار، تنظر إلى السماء، ﴿خَلَقَ فَسَوَّى﴾ [الأعلى: ٢]، حتى الإنسان، انظر في نفسك، ﴿خَلَقَ فَسَوَّى﴾ [الأعلى: ٢]: العينين جميلتان، الأنف، الفم، الأسنان، يعني خلق عظيم، حتى في الحيوانات، يعني لو وقفنا مع كلمة ﴿خَلَقَ فَسَوَّى﴾ [الأعلى: ٢] ما تنتهي هٰذِه الكلمة، والله هو الذي خلق الخلق وأوجده من العدم، ولكنه خلقه بحكمة، وخلقه بصورةٍ حسنة، ﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ (٧) فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ [الانفطار: ٧-٨]، شيء جميل حسن.

لو أن هٰذَا الإنسان الذي خلقه الله إحدى يديه أطول من الأخرى، أو إحدى عينيه أكبر من الأخرى، أو إحدى أذنيه أطول من الأخرى، لوجدت أنه يختلف في شخص آخر خلقته مستوية، فالخلق خلق مستوي من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ﴿خَلَقَ فَسَوَّى﴾ [الأعلى: ٢]، لما خلق الخلق ما تركهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ما خلقهم وتركهم حتى الحيوانات، قال: ﴿وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾ [الأعلى: ٣]، قدر الأقدار، لما يخلق، يخلق بقدر، بحكمة، ويهدي هٰذَا المخلوق لما خُلق له، قَالَ موسى عليه السلام في مخاطبته لفرعون: ﴿الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ [طه: ٥٠]، كل شيء، فخلق الإنسان وهداه لمعيشته، وهداه كيف يأكل، كيف يشرب، كيف يتكلم، كيف يسمع، كيف ينظر، كيف يفكر، فخلق الله عَزَّ وَجَلَّ هٰذَا الخلق، وقدره تقديرًا دقيقًا وهداه، وهٰذَا حتى في الحيوانات، هدى الإبل لما خُلقت له، تعرف كيف تعيش، كيف تنام، كيف تأكل، تعرف صاحبها.

البقر خلقها وجعل فيها هٰذَا الحليب، تعرف كيف تنتج الحليب، هي تعرف كيف تنتج الحليب، تبحث عن المراعي، خلق سبحانه وتعالى وقدر فهدى، هداها لما فيه مصلحتها، خذ من الأمثلة والكثير والكثير، النحل خلقها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لما خلقها هداها، هداها كيف تأخذ من الزهور، وكيف تصنع هٰذِه البيوت العجيبة، وخذ (٢٣:٤٧) ، العنكبوت، الزواحف، الحشرات، عالم البحار، خلقها الله، وقدرها، وقدر خلقها، وهداها لحياتها، تعرف كيف تأكل وتشرب وتتناسل، كل هٰذِه بحكمة الله سبحانه وتعالى، (٢٤:٠٧) ، خلق، قدر فهدى.

قَالَ لما....، انظر كيف الترتيب العجيب، خلق، الخلق جميل، ثم تقدير وهداية، ثم لم يتركهم عبثًا، أخرج لهم المرعى، أخرج لهم النبات على الأرض، وهٰذَا النبات لا يبقى في حكمة الله، مدةً من الزمن، ولذلك قَالَ: ﴿أَخْرَجَ الْمَرْعَى﴾ [الأعلى: ٤]: أي من الأرض، ﴿فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى﴾ [الأعلى: ٥]: يعني مدة يسيرة ثم ينتهي، جعله غثاءً أحوى، أي جعله متكسرًا، متهشمًا، أسود، فمعنى أحوى: شديد السواد، فأنت تنظر إلى الربيع وإلى الرياض والخضرة، ثم بعد زمن تمر عليها فإذا هي متكسرة، متهشمة، وإذا وقع عليها شيء من الماء تكسرت واسودَّت، هٰذَا (٢٥:٠٥) ﴿فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى﴾ [الأعلى: ٥]، فالذي خلق وأوجد النبات والزرع ثم أماته وقضى عليه خلق هٰذَا الإنسان ثم أماته، ثم يبعثه، ثم يجازيه، هٰذَا المقصد.

بهذا التعظيم الجليل لله سبحانه وتعالى في خلقه وأفعاله وصفاته، تنتقل الآيات إلى ماذا؟ إلى هٰذِه البشارات الموجهة لنبينا مُحَمَّد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يأتي الحديث عنها إِنْ شَاءَ اللهُ في اللقاء القادم بِإِذْنِ اللهِ، نستكمل فيها هٰذِه البشارات، وإن شاء الله نسأل الله التوفيق والإعانة، وأن يجعلنا وإياكم من أهل القرآن الذين هم أهل الله وخاصته، وجزاكم الله خير على حضوركم وإنصاتكم، وبارك الله فينا وفيكم جميعًا، والله أعلم، وصلى الله وسلم على نَبِيِّنَا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أَجْمَعِيْنَ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



إِنَّ الْحَمْدَ لِلهِ نَحْمَدُهُ تَعَالَىٰ ونَسْتَعِينُهُ ونَسْتَغْفِرُهُ، ونَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا ومِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلاَ مُضِلَّ لَهُ ومَنْ يُضْلِلْ فَلاَ هَادِيَ لَهُ، وأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ ورَسُولُهُ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ ولَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ وخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا ونِسَاءً واتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ والْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ ويَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ومَنْ يُطِعِ اللَّهَ ورَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠- ٧١].

حياكم الله في هذا اللقاء المبارك، وفي هذا اليوم وهو اليوم الثالث من شهر جمادى الآخرة من عام أربعة وأربعين وأربع مئة وألف من الهجرة، نجتمع في هذا المقام المبارك مع تفسير القرآن العظيم.

حديثنا في اللقاء الماضي كان حول سورة الأعلى، وقلنا إن هذه السورة هي من أوائل ما نزل بمكة، بل هي السورة الثامنة في النزول، وإذا تعرفت على نزول السورة عرفت عمّا

تتحدث عنها؛ لأن أول البعثة أو وسط البعثة أو قبل الهجرة أو بعد الهجرة تختلف الآيات وحديث القرآن، ولذلك تعرف عمّا تتحدث هذه السورة، ونحن تحدثنا في لقائنا

الماضي أن هذه السورة من أوائل ما نزل، وأن ورد في فضائلها أنها تُقرأ في صلاة الجمعة مع سورة الغاشية، وفي صلاة العيدين، وأيضًا تُقرأ في صلاة الشفع والوتر مع سورة

الكافرون، وفي الوتر في سورة الإخلاص.

هذه السورة وحديثها هي تتحدث في بدايتها عن أمر النَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والأمة داخلة في ذلك، كل مخاطب، أنا وأنت والآخر، كلنا مخاطبون بأن يُؤمر كل إنسان منا أن يعظّم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وأن ينزهه حق التنزيه، ولذلك افتتحها الله بقوله: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١]، وهو أمر بالتسبيح وتعظيم الله وتعظيم أسمائه وأفعاله، ولذلك ذكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ شيئًا من أفعاله المحمودة العظيمة الجليلة في هذا الكون فقال: ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى﴾ [الأعلى: ٢]: خلق الخلق فسوّاه على أحسن صورة، وأجمل صورة، وأبهى صورة، خلق فسوّى ثم قدّر المقادير كلها بحكمته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فهدى من هدى، فهدى الخلق لما خُلق له.

(الآية)

﴿وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى﴾ [الأعلى: ٤].

(التفسير)

خلق الله الخلق ولم يتركهم بل رزقهم، خلقهم ثم رزقهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، هذه كلها أفعال لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

(الآية)

﴿أَخْرَجَ الْمَرْعَى (٤) فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى﴾ [الأعلى: ٤-٥].

(التفسير)

أخرجه على أحسن هيئة وأجمل صورة وأحسن لون وأحسن رائحة، ثم بعد ذلك بلحظة جعله غثاءً أحوى، يابسًا متكسرًا، أحوى: أي أسود، قد اسود بعد فترة، كل هذا يدل على قدرة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الذي أحيا الأرض ثم أماتها، فهو قادر على إحياء الناس بعد موتهم، هذا هو المقصد، لما بيّن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عظمته وأفعاله في هذا الكون جاء ببشارتين عظيمتين لنبينا مُحَمَّد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

البشارة الأولى: القرآن الكريم، وما أدراك ما القرآن؟ تعظيمًا لهذا القرآن وإجلالًا له، فقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى﴾ [الأعلى: ٦]: أي أبشر بهذا القرآن الذي سيثبت في صدرك

وفي صدر أمتك برجال هذه الأمة ممن يحملون هذا القرآن العظيم، ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى﴾ [الأعلى: ٦]: فسيثبت القرآن في...، ففرح النَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بهذه البشارة العظيمة لما سمع هذا الكلام من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى[1] (٦) إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ [الأعلى: ٦-٧]، ما شاء الله أن يُنسِيه، فإنه يُنسيه، يُنسيه ماذا؟ يُنسيه ما شاء أن يُنسيه من الآيات التي نسخها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، كما في قوله تَعَالَىٰ: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا﴾ [البقرة: ١٠٦]، يُنسيها من الصدور فيبدلها بخير منها.

(الآية)

﴿فَلَا تَنْسَى (٦) إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى﴾ [الأعلى: ٦-٧].

(التفسير)

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، تعظيمًا لله عَزَّ وَجَلَّ أنه لا يخفى عليه شيء من أحوال العباد، ومن أصواتهم وأعمالهم، جهروا بها بأصواتهم أو أظهروها أمام الناس أو أخفوها، فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يعلم الجهر وما يخفى، لما بيّن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بشارته في القرآن، زاده بشارةً أخرى، بأي شيء؟ بهذه الشريعة السمحة، بأن يسّر الله له هذه الشريعة، وجعلها شريعةً يسيرةً سمحة، فقال: ﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى﴾ [الأعلى: ٨]، فما من أمرٍ شاق يأتي في هذه الشريعة إلا وتجد له طريقًا لليسرى، ولا يمكن أن يأتي، ولذلك الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قال: ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: ٦]، ما قَالَ: "إن بعد العسر"، قَالَ "مع العسر"، يعني العسر إذا جاء اليسر معه مباشرة، معه، فلا يمكن أن يغلب العسر يسرين ما يمكن، فالعسر ما يمكن، ولذلك يسّر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لنبينا مُحَمَّد، ولنا أتباع مُحَمَّد، هذه الشريعة اليسيرة التي سهلها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، إذا لم تجد الماء وتريد أن تصلي، تصلي، تصلي بالطهور، تصلي بالتيمم، إذا لم تعرف القبلة تجتهد وتصلي، إذا لم تجد مكانًا تصلي على الأرض، «جُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا».

[1] أبدًا.

فشريعةٌ سهلةٌ سمحة، قَالَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لما بشّر نبيه بهاتين البشارتين، دعاه إلى أن يقوم بهذه الدعوة، قال: ﴿فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى﴾ [الأعلى: ٩]، وفي آيةٍ أخرى ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾ [الغاشية: ٢١]، يذكر الإنسان ويدعو إلى الله حسب قدرته، النَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خاطب بهذا، وكل من يُخاطب أيضًا داخل في هذا، فأنا وأنت والثالث نذكر بدعوة الله، ونذكر بما أمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ على قدر استطاعة كل إنسان.

والمُخاطب الذي أمامك وأنت تُذكره تُذكر كل إنسان، والداعية يذكر الناس أمامه عَلَىٰ نوعين، كما ذكر الله سبحانه، فقال: ﴿سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى﴾ [الأعلى: ١٠]، هذا المنتفع بالدعوة، من تدعوه إلى الإسلام أو من تدعوه إِلَىٰ التذكير ينتفع بهذه الذكرى.

(الآية)

﴿سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى (١٠) وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى﴾ [الأعلى: ١١-١٢].

(التفسير)

الأشقى يتجنبها، فكان الناس أمام هذه الدعوة إما هاديًا مهتدٍ سعيد في الدنيا والآخرة، وإما ضالٌ شقي لا ينتفع، ولذلك قال: ﴿إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى﴾ [الأعلى: ٩]، فإذا علمت أن الذكرى لا تنفع، فما الفائدة من الدعوة؟ الدعوة تدعوا أنت وتجتهد، فإذا تيقنت أن هذا المدعو أمامك لا تنفعه الدعوة فلا فائدة لدعوته، قال: ﴿وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى﴾ [الأعلى: ١١]، هذا الشقي يتجنب الدعوة ولا يسلك طريقها، فطريقه في الآخرة كما قَالَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، قَالَ: ﴿الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى﴾ [الأعلى: ١٢]، نار الله الموقدة، يصلى، هذا طريقه إِلَىٰ.....، طريق الشقي إلى الشقاوة، وطريق السعيد إلى السعادة، فقال: ﴿الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى﴾ [الأعلى: ١٢]، وهذه النار إذا وصلها ودخلها، وأُصليَّ فيها وذاق حرها فإنه لا يموت فيها ولا يحيى، لا يموت فيستريح ولا يحيى حياةً مستقرة: ﴿لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى﴾ [الأعلى: ١٣].

لما بين الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن من تزكى وانتفع وتذكر ونفعه ذلك، أثنى الله عليه ودله على الخير وفتح له باب الخير، فقال: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ [الأعلى: ١٤]، من زكى نفسه طهرها، طهر

أخلاقه، طهر أعماله بالأعمال الصالحة، وسلك طريق النجاة، فقد أفلح: أي فاز في الدنيا والآخرة، وسلم من عقوبة الدنيا والآخرة، ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى (١٤) وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾ [الأعلى: ١٤-١٥]، هذا حال المتزكي، حال المتطهر بالطاعات، أنه دائمًا في ذكر لربه وصلاةٍ لربه، شغله الشاغل وعمله الذكر، قراءة القرآن، الصلاة، هذا كما قَالَ سُبْحَانَهُ، قَالَ: ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾ [الأعلى: ١٥].

ولكن إذا تأملت في حال الناس، حتى المطيعين وحتى الأشقياء، آثروا الدنيا على الآخرة، من وُفق أن يعلم عِلم اليقين أن الآخرة هي دار القرار، وأنها هي التي يسعى لها كل إنسان، ويرجوها كل إنسان، لما آثر الحياة الدنيا على الآخرة، ولذلك قَالَ: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ﴾ [الأعلى: ١٦]، أيها الأشقياء وأيها أهل الدنيا، ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ [الأعلى: ١٦]، والآخرة في الحقيقة هي الخير، ﴿خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [الأعلى: ١٧]، هذه الأخبار التي نسمعها من تنزيه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في قول الله: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١]، وتعظيمه وذكر أفعاله العظيمة وبشارته لمحمد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ببشارتين، بأنه يقرئه القرآن فلا ينساه، وبأن يعطيه الشريعة السمحة السهلة، وبيان طريق أهل الخير وأهل السعادة وأهل الشقاء والضلالة، هذه الأخبار من أين تأتينا؟ تأتينا بالوحي، وقد أخبر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ونوه بشأنها في الكتب السابقة.

قَالَ الله عَزَّ وَجَلَّ: إن هذا الذي تسمعونه في هذه السورة العظيمة، إن هذا الذي لفي الصحف الأولى، هذه الصحف هي صحف إبراهيم التي أُنزلت عَلَىٰ إبراهيم، وصحف موسى التي أُنزلت عليه، عَلَىٰ موسى، فذكر نبيين عظيمين جليلين، أحدهما خليل الله، والآخر كليم الله، أنزل عليهم صحفًا ذُكرت ونوهت فيها أمة مُحَمَّد ومحمد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وشريعة مُحَمَّد، وما فيها من طريق الخير والسعادة والنجاة والسلامة، هذه هي السورة العظيمة التي وقفنا معها، تأملناها، عشنا معها، تدبرنا آياتها.

أسأل الله أن ينفعنا بها، وأن يبارك لنا ولكم بالقرآن، وأن يجعله ربيع قلوبنا وجلاء أحزاننا وذهاب همومنا وغمومنا، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل، وصلى الله وسلم على نَبِيِّنَا محمد وعلى آله وصحبه أَجْمَعِيْنَ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الدرس (٣٢)

إنَّ الْحَمْدَ لِلهِ نَحْمَدُهُ تَعَالَىٰ ونَسْتَعِينُهُ ونَسْتَغْفِرُهُ، ونَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا ومِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلاَ مُضِلَّ لَهُ ومَنْ يُضْلِلْ فَلاَ هَادِيَ لَهُ، وأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ ورَسُولُهُ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ ولَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ وخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا ونِسَاءً واتَّقُوا اللَّهَ الَّذِى تَسَاءَلُونَ بِهِ والْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ ويَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ومَنْ يُطِعِ اللَّهَ ورَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠- ٧١].

أيها الإخوة الكرام، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، حياكم الله في هذا المجلس المبارك، مجلس القرآن والتفسير والتدبر، لا زلنا في هذا الجزء الأخير من القرآن الكريم، وهو جزء "عَمّ"، ومثل ما ذكرنا في لقاءات ماضية، أن هذا الجزء حقيقة يركز على قضية أو قضية عقدية مهمة، وهي قضية الإيمان، الإيمان بالبعث والجزاء، والجنة والنار، وأن الله يبعث من في القبور ويجازي عباده المحسن بإحسانه والمسيء على إساءته، ومصير كل إنسان إلى جنة أو نار، لو تقرأ من هذا الجزء من أوله، من سورة النبأ إلى آخره، تجده كله على هذا النمط وعلى التركيز على قضية عقيدة المؤمن: الإيمان بالبعث والجزاء والدار الآخرة وكل ما يشمل هذه الدار.

واليوم الآخر يبدأ بخروج الإنسان من هذه الدنيا، من مات قامت قيامته وبدأت مرحلة اليوم الآخر في عالم البرزخ في قبره، في عرسات يوم القيامة، وفي مصيره الأخير: إما من السعداء في جنات النعيم، أو من الأشقياء في نار جهنم، هذه العقيدة التي يعتقدها كل مسلم ولا يشك فيها، المشركون والكفار عند بعثة النَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كانوا ينكرون هذا اليوم ولا يعترفون به، ﴿أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٢]، ما كانوا يعترفون به، وكانوا ينكرونه إنكارًا عظيمًا، تأتي السور القرآنية في هذا الجزء تركّز على هذه القضية حتى تزرع في كل قلب مؤمن قضية الإيمان باليوم الآخر؛ لأن الإيمان باليوم الآخر هو أقوى باعث على انضباط المؤمن في حياته، في سلوكه، في تعامله مع ربه، في تعامله مع نفسه، وفي تعامله مع غيره من الناس،

تضبط الإنسان؛ إذا عرفت أنك ستُبعث، ستُجازى، ستُحاسب، يجعلك تنضبط في حياتك، الذين لا يؤمنون باليوم الآخر أو لا يعتقدون اعتقادًا جازمًا أو ينسون هذا اليوم، وإن كان في أنفسهم الإيمان بهذا اليوم، ولكن لا يعني ينسون مع هذه الحياة، ويغفلون عنه، لا يبالون بحقوق الله، ولا يبالون بحقوق الناس، تأتي السور تركز على هذه القضية، السورة التي بين أيدينا ونتناولها إن شاء الله هي سورة سُمِّيت باسم من أسماء يوم القيامة، تركز على هذه القضية، وأنت تقرأ في هذا الجزء تجد أيضًا بعض السور، هذه السور تسمى بهذا اليوم: القارعة، وهذه السورة التي بين أيدينا سورة الغاشية، والقارعة، وتجد في ثنايا السور حديث عنها، سورة النبأ يقول الله عَزَّ وَجَلَّ فيها: ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا﴾ [النبأ: ١٧]، فيعرض لك ما يجري في هذا اليوم، تذهب إلى النازعات: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى﴾ [النازعات: ٣٤]، تذهب إلى عبس: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ﴾ [عبس: ٣٣]، وهكذا تمشي، ثم تلاحظ أن هذه السور لما تنظر فيها ككل تجد كل سورة تعطيك مشهدًا من مشاهد يوم القيامة، النبأ تعطيك مشهد، النازعات تعطيك مشهد، وهكذا في سورة الانشقاق، تعطيك مشهد مَاذَا؟ تطاير الصحف: فآخذٌ صحيفته بيمينه وآخذٌ صحيفته بشماله من وراء ظهره، وهكذا، تجد كل سورة تعطيك، القارعة تعطيك سورة ماذا؟ تعطيك مشهد الموازين.

هذه السورة التي بين أيدينا تعطيك مشهد وجوه الناس يوم القيامة إما خاشعة ذليلة، حقيرة، وإما ناعمة منعّمة، تعطيك مصير هؤلاء في جنات النعيم، ما الذي يجدونه في جنات النعيم، وما

الذي أعد الله لهم، كما في الحديث: «أَعْدَدْتُ لِعِبَادِيَ الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ»، كل هذا يقيظ في نفسك قضية الإيمان باليوم الآخر، يعرض الله لك مصير هؤلاء الأشقياء: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ (٢) عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ (٣) تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً (٤) تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ....﴾ [الغاشية: ٢-٥]، فيعطيك مشاهد، كل هذه؛ لأن لماذا السور القرآنية تعطيك مثل هذه المشاهد؟ لماذا؟ لأن اليوم الآخر، و-- ((@ ßáãÉ ÛíÑ ãÝåæãÉ- ٠٦:١٥)) -- القيامة يوم طويل، ﴿كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ [الإنسان: ٧]، يوم كما قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ مقداره خمسين ألف سنة، والجنة والنار لا تنقضي ولا تنتهي ولا تفنى، ولذلك يعطيك الله صور مرة هنا، مرة هنا، مرة هذه الحالة، مرة هذه الحالة.

السورة، سورة الغاشية، أولًا نعرف أن من فضائلها وخصائصها: أن النَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يقرؤها في صلاة العيدين، عيد الفطر وعيد الأضحى، يقرؤها في الركعة الثانية وقبلها سورة "سبِّح"، وكذلك كان يقرؤها في صلاة الجمعة في الركعة الثانية وقبلها سورة "سبِّح"، يدل على أي شيء؟ يدل على أن هاتين السورتين متشابهتان، بينهما تشابه كبير،

ثم إن مثل هذه المجامع كثيرة، يعني يوم المجامع العظيمة هذه: يوم العيدين أو يوم العيد، ويوم الجمعة يشهده أعداد كبيرة، فتأتي هذه السور تذكرهم، تذكرهم بحال السعداء، بحال الأشقياء، وتذكرهم بأن هذه الدعوة التي جاءتهم دعوة التذكير والوعظ ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾ [الغاشية: ٢١]، ﴿فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى﴾ [الأعلى: ٩]، كلها تحث على هذا الشيء.

سورة الغاشية افتتحها الله بالاستفهام: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾ [الغاشية: ١]، وهذا الاستفهام يفيد ماذا؟ يفيد التشويق: هل أتاك؟ ولا ما أتاك؟ النَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مرَّ يومًا من الأيام على امرأة وهي تقرأ: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾ [الغاشية: ١]، فسمعها النَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: «نعم، أتاني حديث الغاشية، نعم، أتاني حديث الغاشية»،

هذا الأسلوب عند العرب يُسمَّى أسلوب تشويق، تشتاق له النفس؛ لأنك تنتظر الآن أنت ما بعده، لما أقول لك: "هل رأيت فلان؟ هل رأيته؟" أو "هل رأيت هذا المشهد؟"، فأنت تقول: "نعم، رأيته" أو تقول: "لم أره"، تشتاق النفس إلى رؤيته، ولذلك هذا الأسلوب، يقول: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾ [الغاشية: ١]، يعني خبر هذا اليوم، الغاشية: اسم من أسماء يوم القيامة، سُمِّيَت يوم القيامة بالغاشية؛ لأنها تغشى الناس بأهوالها وشدائدها، فيُصيب الناس ما يُصيبهم من الأهوال، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى، فلذلك سُمِّيَت باسم الغاشية؛ لأنها تغشى الناس بأهوالها وشدائدها.

ثم بيَّن الله لك الناس أنهم على قسمين:

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ﴾ [الغاشية: ٢]، وهذه وجوه الأشقياء، نسأل الله العفو والعافية، وأن الله يجنِّبنا طرق هؤلاء الأشقياء ومسالكهم، قال: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ﴾ [الغاشية: ٢]، ذليلة، حقيرة، مهانة يوم القيامة، خاشعةً وجوههم، خ ﴿خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾ [القلم: ٤٣]، هؤلاء هم حال الأشقياء، ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ﴾ [الغاشية: ٢]، قال: ﴿عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ﴾ [الغاشية: ٣]: أي أنها يوم القيامة تشتد عليها الأهوال فتعمل ممن يُصيبها من الآلام ويصيبها من العذاب، فتجد الأغلال في أعناقهم والسلاسل يُسحبون، فهذا عملهم في الآخرة، يجدونه بمشقة وصعوبة، ﴿عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ﴾ [الغاشية: ٣]: أي متعبة، هذا المعنى هو الذي عليه أكثر المفسرين، وبعضهم يقول أن "عاملة ناصبة" أنها تعمل في الدنيا، تتعب نفسها، تجد من أهل الضلال، من يعمل في الدنيا، سواءً يعمل للآخرة أو يعمل لدنياه، تعمل في هذه الدنيا، وأهل البدع يعملون ويشتغلون، ثم يوم القيامة لا يجدون لهذا العمل أي أثر، لكن الذي يظهر أن قوله: ﴿عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ﴾ [الغاشية: ٣]، يوم القيامة، لماذا؟ لأن الله قال: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ﴾ [الغاشية: ٢]، فَيَوْمِئِذٍ: هو يوم القيامة، فالحديث عن يوم القيامة، وليس عن الدنيا.

فقال: ﴿عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ﴾ [الغاشية: ٣]، ثم قال بعدها: ﴿تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً﴾ [الغاشية: ٤]،

تصلى معناها: تدخل النَّار وتقاسي حرها وشدائدها، هذا معنى تصلى، ليس من الوصول، لا، هٰذَا خطأ، هٰذَا معناها تصلى من الصلي، وهو الشوي، أن تُشوى وتدخل النار وتُعذب وتأكلها النار، قال: ﴿تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً﴾ [الغاشية: ٤]، وصف النار بأنها نار حامية، هذه حالهم:

أولًا: الوجوه خاشعة، ثم الإرهاق في الأعمال، ﴿عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ﴾ [الغاشية: ٣]، ثُمَّ دخولهم نار جهنم والعذاب بها، ثُمَّ قَالَ: ﴿تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ﴾ [الغاشية: ٥]، هٰذَا مائهم شرابهم، ﴿وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ﴾ [الكهف: ٢٩]، إِذَا دنى من الوجه شوى الوجه، فيسقون من هٰذَا الماء الحميم، قَالَ: ﴿تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ﴾ [الغاشية: ٥]، آنية معناها: شديدة الحرارة، قد بلغت منتهاها في الحرارة، هم عُطاش يبعثون يوم القيامة عطاشًا، ثم يأتون يريدون الماء فيُسقون، يستغيثون فيغاثون بماء كالمهل، ﴿تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ﴾ [الغاشية: ٥].

أما الطعام، قَالَ: ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ﴾ [الغاشية: ٦]، هذا ليس طعام، ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ (٦) لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ﴾ [الغاشية: ٦-٧]، الضريع: هو نوع من أنواع الشجر الذي كله شوك، نوع من أنواع الشوك، رائحته نتنة وطعمه مر، لا يُسمن ولا يُغني، لا ينتفع به الإنسان في أكله، ولا يرد عنك الجوع، ويُطعمون من هذا الطعام، ويُسقون من هذا الماء، قال: ﴿لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ﴾ [الغاشية: ٧]،

هذا حال أهل النار، السؤال هنا: لماذا الله عَزَّ وَجَلَّ بدأ بهم ولم يبدأ بأهل الجنة؟

نقول: لأن السورة هي وجهت لمشركين منكرين، وهي أيضًا تحذير لهم وتهديد لهم، ولذلك بدأت بهذا التهديد.

قال الله عَزَّ وَجَلَّ بعدها في مصير السعداء، نسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن يجعلنا وإياكم جميعًا منهم، قال: ﴿لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ﴾ [الغاشية: ٧]، ناعمة: أي منعمة، قد نعمت بما تجده من النعيم في جنات النعيم، نعيم الجنة انعكس على وجوههم، فوجدوا أثر هذا النعيم على وجوههم، وأنت تلاحظ في الدنيا أصحاب النعيم المترفين، أصحاب الدنيا، ينعكس هذا النعيم على وجوههم، فهؤلاء أهل الخير والصلاح يجعل ذلك الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هذا النعيم على وجوههم، والوجوه يوم

القيامة وصفها الله: "وجوه"، يعني ذكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران: ١٠٦]، وذكر: "وجوه ضاحكة مستبشرة"، وذكر: "وجوه عليها قطرة"، تختلف الوجوه يوم القيامة لشدة أحوال يوم القيامة وأهوالها وطول ذلك اليوم، قَالَ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ (٨) لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ﴾ [الغاشية: ٨-٩]، ما قدمت في هذه الدنيا من أعمال يُرضيها الله بجزاء هذه الأعمال، فما تقدم أنت من عمل، من قول أو عمل أو فعل أو أداء فرائض أو سنن أو واجبات، كل ما تُسارع في هذه الأعمال الصالحة ستجد أثرها ونتيجتها بأن يُرضيك الله عَزَّ وَجَلَّ بجزاء هذه الأعمال الصالحة، قال: ﴿لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ﴾ [الغاشية: ٩].

ثم قال: ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ [الغاشية: ١٠]، وصف جنته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أنها جنة عالية، لهم غرف من فوقها غرف مبنية، وهم في عليين، في جنة عالية، قال أيضًا من أوصافهم، وأنت تلاحظ هذه الأوصاف تأتي متتابعة، ترتاح النفس لها وتطمئن النفس لها، قال: ﴿لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً﴾ [الغاشية: ١١]، لا تسمع فيها اللغو، ولا الكلام السيء، ولا الكلام البذيء، ولا الفحشاء، ولا نحو ذلك، إنما تسمع الكلام الطيب، ﴿وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ [الحج: ٢٤]، فكلامهم طيب: تسبيح وذكر وسلام، كل هذا لا تجد فيه ما يُكدِّر خاطرك أو يؤذي سمعك، قَالَ: ﴿وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ [الحج: ٢٤].

ثم قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ مقابل في النار لما قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ﴾ [الغاشية: ٥]، قال هنا في سقي المؤمنين، ماذا قال؟ قال: ﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾ [الغاشية: ١٢]، والعين هنا ليس المقصود بها عين واحدة، وإنما في عيون، ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ [الحجر: ٤٥]، وإنما قال عين جارية؛ لبيان الجنس، عينًا تجري على الأرض وتُفجَّر، يفجرونها، قَالَ، هذا شرابهم، أما أحوالهم، قال: ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ﴾ [الغاشية: ١٣]، يعني يتكئون على هذه السرر المرفوعة، السرر المرفوعة يضطجعون عليها ويجلسون عليها في نعيم، في طمأنينة، في أمن، في راحة نفسية.

قال: ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ (١٣) وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ﴾ [الغاشية: ١٣-١٤]، أمامهم الأكواب موضوعة إن اشتهوا أن يشربوا شربوا، والغلمان يطوفون عليهم، الولدان يطوفون عليهم بالشراب، بأنواع الشراب، بأنواع الأشربة: من ماء غير آسن، من لبن لم يتغير طعمه، من خمر لذة للشاربين، من عسل مصفى، يشربون ما يشاءون، قال: ﴿وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ (١٤) وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ﴾ [الغاشية: ١٤-١٥]، والنمارق: هي الوسائد، وأنت إذا دخلت المجلس ووجدته قد رُتبت وسائده، وهُيء، هٰذَا كله يتعلق بالأثاث، انفتحت النفس بهذا الترتيب الجميل، هذه سرر، هذه أكواب، هذه نمارق مصفوفة، هذه زرابي مبثوثة، الزرابي هي البسط والسجاد التي تكون مبثوثة في الأرض في كل مكان، قد رُتبت وجُملت لأصحابها، وأعدها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لعباده الصالحين.

قال: ﴿وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾ [الغاشية: ١٦]، النمارق مصفوفة ومرتبة الوسائد، والسجاد قد بُثت في الأرض، هذا الترتيب، ترتيب جميل، حسن، يجعل الإنسان تشتاق نفسه إلى هذا اليوم، تشتاق نفسه إلى أن يصل إلى هذا اليوم، وكل هذا يحثك على أي شيء؟ على المبادرة بالأعمال الصالحة والمسارعة إلى الأعمال الصالحة، وحتى كل ما تعمل صالح وأنت تتذكر هذه السورة، وهذا الترتيب، وهذا النعيم العظيم الذي لا ينفذ ولا ينقطع أبدًا، تشتاق نفسك إليه، أسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن يجعلنا وإياكم من أهل السعداء الذين يُنعمون بهذا النعيم العظيم، السورة لها بقية آيات، لعلنا إن شاء الله نكملها في لقاء قادم، أسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن ينفعنا بما قلنا، وأن يجعلنا وإياكم هداة مهتدين موفقين لكل خير،

والله أعلم، وصلى الله وسلم عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أَجْمَعِيْنَ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الدرس (٣٣)

إِنَّ الْحَمْدَ لِلهِ نَحْمَدُهُ تَعَالَىٰ ونَسْتَعِينُهُ ونَسْتَغْفِرُهُ، ونَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا ومِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلاَ مُضِلَّ لَهُ ومَنْ يُضْلِلْ فَلاَ هَادِيَ لَهُ، وأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ ورَسُولُهُ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ ولَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ وخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا ونِسَاءً واتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ والْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ ويَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ومَنْ يُطِعِ اللَّهَ ورَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠- ٧١].

أيها الإخوة الكرام، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، حياكم الله في هذا اللقاء المبارك، لقاء الثلاثاء مع القرآن الكريم قراءةً وتفسيرًا وتدبرًا، هذا اليوم هو اليوم السابع عشر من الشهر السادس من عام ١٤٤٤ من الهجرة، السورة التي نتناولها، وأيضًا تناولناها في لقائنا الماضي، هي سورة الغاشية، والغاشية اسم من أسماء اليوم الآخر، يوم القيامة، اليوم الآخر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ سماه بأسماء كثيرة في القرآن: سماه بالطامة، والصاخة، والقارعة، والتغابن، ويوم الحساب، وغيره من الأسماء الكثيرة التي ذكرها في كتابه، وتعدد الأسماء يدل على عظم هذا الشيء، كلما عظم الشيء تعددت أسماؤه.

السورة هي الغاشية التي تغشى الناس بأهوالها وشدائدها وعظائمها، ذكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن الناس في هذا اليوم على قسمين لا ثالث لهما: إما أهل السعادة، وإما أهل الشقاوة، إما سعداء أو أشقياء، في الدنيا يعملون، لا يتميز أحدهم عن الآخر، شقي أو سعيد، كلٌ يعمل في هذه الدنيا، وكلٌ يقدم ما استطاع من عمل، وفي النهاية وفي الآخرة تظهر هذه الأعمال، ويبين الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الشقي أو السعيد، ذكر الله في هذه السورة وجوه الناس، قال: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ﴾ [الغاشية: ٢]، و ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ﴾ [الغاشية: ٨]، الخاشعة: الذليلة، الحسيرة، هذه وجوه الأشقياء، عاملة ناصبة في يوم القيامة، من شدة ما تواجه من الأعمال الشاقة عليها، في نار جهنم التي تصلاها، ﴿تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً (٤) تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ﴾ [الغاشية: ٤-٥]، ماء شديد الحرارة، ﴿وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ﴾ [الكهف: ٢٩]، ليس لهم طعام أبدًا إلا هذا الطعام الذي ذكره الله: ﴿إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ﴾ [الغاشية: ٦]، وهو الشوك الذي لا يستطيع أن يتناوله، ﴿لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ﴾ [الغاشية: ٧].

وذكر الله طعام أهل النار، ليس فقط الضريع، ذكر أنواعًا من الأطعمة، قَالَ: "طعام من غسلين"، قَالَ: "طعام الزقوم"، وخذ من هٰذِه الأطعمة التي لا نفع فيها ولا فائدة، نسأل الله العافية، ذكر الله عَزَّ وَجَلَّ بعدهم أهل السعادة، السعداء من عباد الله المصطفين، الذين اختارهم الله في الدنيا قبل الآخرة، وتولى أمرهم في الدنيا، ووفقهم لطاعته قبل الآخرة، من هم؟ قال: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ﴾ [الغاشية: ٨]، تنعمت وجوههم بالطاعة قبل الآخرة، تعرف في وجوههم نظرة النعيم، ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ﴾ [الغاشية: ٨]، إلى ما ذكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قال: ﴿لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ (٩) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (١٠) لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً﴾ [الغاشية: ٩-١١]،

كل هذه نعم تُساق لهؤلاء أولياء الرحمن، الذين ذكرهم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وهذه كلها ذكرناها، لكن الذي وقفنا عنده هو قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ [الغاشية: ١٧]، قد يسألك سائل يقول لك: ذكر الله حال أهل النار ومصيرهم، ثم ذكر حال أهل الجنة ومصيرهم، ثم لفت الناس إلى أن ينظروا إلى هذه المخلوقات العظيمة: أربع مخلوقات، الإبل،

والسماء، والجبال، والأرض، يعني ما الحكمة وما السبب في ذكر هذه الأشياء؟ ما علاقتها باليوم الآخر والجنة والنار؟ ما علاقتها؟ ولماذا ذكرها الله؟

أولًا: لما تقرأ هذه الآية، يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ﴾ [الغاشية: ١٧]، من هم؟ قال: هؤلاء الذين أنكروا اليوم الآخر، ولم يؤمنوا به، ولم يعترفوا به، ولم يعملوا له، ولم يصدقوا بأن الله يبعث من في القبور، قال الله عَزَّ وَجَلَّ لهؤلاء، والمخاطب في أول الأمر هم الذين أنكروا اليوم الآخر من أهل مكة، عندما نزلت هذه الآيات، لفت الله أنظارهم، قال هؤلاء: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ﴾ [الغاشية: ١٧]، ولاحظ أن الله لم يخاطبهم، وإنما أشار إليهم بضمير الغائب؛ لأنهم لا يستحقون الخطاب، ما قال: "أفلا تنظرون"، قال: "أفلا ينظرون هم"، لماذا هم؟ غاب عنهم هذا الأمر وجهلوه، لماذا لا ينظرون إلى مخلوقات الله العظيمة؟ لماذا لا ينظرون؟ وإذا نظروا ما النتيجة؟ قال: ليتعرفوا على قدرة الله الذي لا يعجزه شيئًا في الأرض، يتعرفوا على قدرة الله وعلى نعم الله التي أنعم الله بها، أنعم الله عليهم بهذه المخلوقات، وأيضًا الله عَزَّ وَجَلَّ يحثهم ويرشدهم ويوجههم إلى أن ينظروا في هذه المخلوقات العظيمة التي تدل على أي شيء؟ تدل على قدرة الله، وأنه لا يعجزه شيءٍ في الأرض ولا في السماء، فأنتم تنكرون قدرة الله على البعث، الله عَزَّ وَجَلَّ، ماذا قال؟ قال: هذا الخلق كله من بني آدم، من أول الخلق إلى آخره، قال الله فيه ماذا؟ قال: "ما خلقكم الأول وما بعثكم الآخر إلا كنفس واحدة".

والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لما ذكر في سورة "ق" إنكار المشركين للبعث، أرشدهم إلى النظر في السماوات، قال: -- ((@ ßáãÉ ÛíÑ ãÝåæãÉ- ٠٧:٣٧)) -- ينظرون إلى السماء فأرشدهم إلى النظر إلى السماء وإلى الأرض، ﴿كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا﴾ [الشعراء: ٧]، ونظر إلى السماء، رفعها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وزينها، للسماء زينها إلى آخر، ما ذكر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ،

ذكر هنا لفت الأنظار إلى الإبل، واختار الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من سائر البهائم هذه البهيمة العظيمة الخلق، المُلفتة للأنظار، العجيبة في خلقها، فلفت الأنظار إليهم ولأنهم يعيشون معها، حياتهم كلها مع الإبل، هي حياتهم وهي أموالهم، هي أنفس أموالهم، فلفت الأنظار إليها لما فيها من

المخلوقات العجيبة، لما فيها من العجائب، ولما فيها من الفوائد والمصالح الكثيرة، هي طعامهم حليبهم وطعامهم في الأكل، يأكلون من لحومها ويشربون من ألبانها، وتحملهم إلى بلد لم يبلغوه إلا بشق الأنفس، وتحمل أثقالهم، وعجائب فيها لا تنتهي، حتى ذكر بعض المعاصرين، قَالَ: حتى البَعْر يستفيدون منه في إيقاد النار، حتى البَعْر في هٰذِه الإبل، فعجائبها عجائب عظيمة، وفي خلقتها، فأرشد الله وألفت الناس إلى أن ينظروا إلى الإبل، رُوي عن القاضي، شريح القاضي أنه قال لأصحابه: "اخرجوا بنا إلى الإبل، ننظر فيها، فإن الله أمرنا أن نتفكر فيها"، تتفكر في هذه المخلوقة، يقودها الصبي الصغير، ولا تتعارض ولا تمانع معه، خلق عجيب، قال: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ [الغاشية: ١٧]، ما قَالَ إِلَىٰ الإبل في أي شيء، قَالَ: لا، "انظر إليها كيف خُلقت، كيف خلقها الله بهذا الحجم العظيم، وبهذه هٰذَا -- ((@ ßáãÉ ÛíÑ ãÝåæãÉ- ٠٩:٥١)) --؟"، فتأمل في هذا المخلوق العجيب العظيم، تأمل فيه، فلما أرشدهم إلى الإبل، ولاحظ أن الله قدّم ماذا؟ قدم الإبل على خلق السماوات والجبال والأرض قدمها عليهم، لقربها منهم وكثرة إمساسها والعيش معها، فلفت الأنظار إليها.

هذا المخلوق العجيب الإبل، يعني إذا تفكرت فيه وتأملت فيه، يكفيك بأن الذي خلقه قادر على خلق الناس كلهم ولا يعجزه شيء، قَالَ: ﴿وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ﴾ [الغاشية: ١٨]، الإبل أمامك، ارفع رأسك إلى السماء وانظر في هذه السماء فوقهم، ﴿كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾ [ق: ٦]، خلقها الله بهذا الخلق الحكيم العظيم، وهذه المسافة البعيدة بغير عمل ترونها، مرفوعة، الله عَزَّ وَجَلَّ يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه.

ثم قال: ﴿وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾ [الغاشية: ١٩]، خلق عجيب في الجبال، انظر إليها في ألوانها وفي أطوالها وفي مساحاتها وفي تركيبها، عجائب تلفت الأنظار، ينبغي إذا خرجت إلى هذه الجبال أن تتفكر، إذا خرجت في هذه الصحراء، أن تنظر في هذه الجبال، تجد جبال شاهقة، وجبال أقل، وجبال أقل، وتجد مناطق ممتلئة بالجبال، ومناطق ليس فيها جبال، وتجد جبل منفرد وحده، من الذي خلقه؟ ومن الذي أوجده؟ ولا يغيب عنك أن هذه الجبال تسجد لله، وأن هٰذِه الجبال تسبح

لله، تسبح الجبال، ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ﴾ [الحج: ١٨]، كلها تعرف خالقها وتعظم خالقها، إِذَا خرجت يلفت نظرك هٰذِه الأشياء.

قال: ﴿وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ [الغاشية: ٢٠]، وبُسطت ومُهِّدت حتى تعيش عليها، حتى تزرع عليها، حتى تبني عليها، حتى تتنقل عليها، كل هذا من نعم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وقدرته، مناطق منبسطة ومناطق ما تجد فيها انبساط، كل هذا بتقدير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وتركيبه لهذه الأرض، وصنعه ﴿صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [النمل: ٨٨]، لما لفت إلى التفكر في هذه المخلوقات العظيمة، أمر الله عَزَّ وَجَلَّ نبيه محمدًا أولًا، ومن هو عَلَىٰ طريقة نبيه ويسلك منهجه، ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ [يوسف: ١٠٨]، قال: ﴿فَذَكِّرْ﴾ [الغاشية: ٢١]، ذكرهم بهذه الأشياء، ذكرهم بمصيرهم إما الجنة أَوْ النار، وذكرهم بهذه المخلوقات والعجائب آيات الله في الكون، وفي الأرض آيات للموقنين، ذكرهم بهذه الآيات، ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾ [الغاشية: ٢١]، أنت وظيفتك التذكير والوعظ والإرشاد للناس، فلست مسيطر عليهم، فمن تولى، فيتولاه الله عَزَّ وَجَلَّ ويعذبه العذاب الأكبر.

ثم أعاد آخر السورة إلى أولها تذكيرًا، مثل ما تُطوى الصحيفة، فتعاد السورة من آخرها إلى أولها، قال: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ (٢٥) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾ [الغاشية: ٢٥-٢٦]، فما عرَضنا عليكم في أول السورة حسابهم وجزائهم، فهم عودتهم إلينا، ونجازيهم بهذا الجزاء.

السورة حقيقة، صورة عظيمة، كثير منا يقرأها، تمر عليه مرور الكرام، لكن إذا وقفت معها وتدبَّرتَها وتأملتَ آياتها وجدتَ فيها من العجائب، وهذا الكتاب، القرآن العظيم، لا تنقضي عجائبه،

ولا يمل قارئه، وكلما ردده اشتاق إليه، ولا تنقضي علومه، يقول: بحرٌ لا ساحل له، ولا تنتهي عجائبه، أسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن يجعلنا وإياكم من أهل القرآن الذين هم أهل الله وخاصته، وأن ينفعنا بهذا القرآن، ويجعلنا ممن يتلوه آناء الليل وأطراف النهار على الوجه الذي يرضيه عنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، والله أعلم، وصلى الله وسلم عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أَجْمَعِيْنَ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الدرس (٣٤)

إِنَّ الْحَمْدَ لِلهِ نَحْمَدُهُ تَعَالَىٰ ونَسْتَعِينُهُ ونَسْتَغْفِرُهُ، ونَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا ومِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلاَ مُضِلَّ لَهُ ومَنْ يُضْلِلْ فَلاَ هَادِيَ لَهُ، وأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ ورَسُولُهُ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ ولَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ وخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا ونِسَاءً واتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ والْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ ويَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ومَنْ يُطِعِ اللَّهَ ورَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠- ٧١].

أيها الإخوة الكرام، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وحياكم الله وبياكم في هذا اللقاء المبارك، وفي هذا المجلس، المجلس الذي تحفه الملائكة وتغشاه الرحمة، وتنزل عليه السكينة، ويذكر الله أهله في الملأ الأعلى، أسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ألا يحرمنا هذا الفضل العظيم، وأن يرزقنا وإياكم العلم النافع والعمل الصالح، وأن يبارك لنا ولكم في أوقاتنا وفي أعمارنا.

هذه الجلسة المباركة مع القرآن العظيم، وتدبُّر آيات الكتاب الكريم، نتأمل ونعيش مع القرآن الكريم، ونتفكر كما أمرنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾ [النساء: ٨٢]، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ﴾ [ص: ٢٩]: أي كثير الخير كثير البركة، ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩]، التدبر والتذكر أمر مطلوب،

وليس المقصد هو القراءة فقط، القراءة مطلوبة مع التدبر والتأمل والتفكر والعمل بالآيات القرآنية، والتأثر بها.

السورة التي بين أيدينا، بعد ما تحدثنا عن سورة الغاشية، وما احتوته من عرض ليوم القيامة وبيان مصير السعداء والأشقياء، تأتي سورة الفجر تقرر هذه القضية، ومثل ما ذكرنا في لقاءات ماضية، أن الجزء الأخير هٰذَا كله يدور حول اليوم الآخر، ويقرر قضية الإيمان باليوم الآخر، واعتقاد المسلم اعتقادًا جازمًا بهذا اليوم وما يجري فيه من عذاب القبر ونعيمه، وخروج الإنسان من قبره، وملاقاته لعمله، والميزان، والصراط، والجنة والنار، والحوض، كل ما يجري في هذا اليوم يجب على المسلم أن يعتقد اعتقادًا جازمًا.

والآيات التي في هذا الجزء الأخير كلها والسور تركز على التأكيد على قضية الإيمان باليوم الآخر، وتدور حول الأدلة الدالة على الإيمان باليوم الآخر، الأدلة العقلية والأدلة الشرعية، وتدور حول بيان حال هذا الإنسان في الدنيا وحاله في الآخرة، ومصير كل إنسان في آخرته، كلها تدور حول هذا، السورة التي بين أيدينا، سورة الفجر، أقسم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فيها، هذه السورة وما يليها من سور كلها يقسم الله، أقسم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في سورة الفجر وفي سورة البلد على الصحيح، وفي سورة الشمس، والليل، والضحى، والتين، والعصر، والعاديات، كلها قسم، يقسم الله على أي شيء؟ لأي غرض؟

دائمًا نعرف في لغة العرب أن القسم لا يكون إلا لتأكيد شيء يحتاج إلى تأكيد، فتقسم على أن هذا الأمر واقع، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقسم ولا يحتاج الأمر إلى قسم، ومع ذلك يقسم على هذه الأمور، يقسم بهذه الأشياء على قضية الإيمان باليوم الآخر، أو التهديد أحيانًا، أو بيان حال الإنسان، كل هذه سور القسم كثيرة في القرآن الكريم، في هذه الآيات أقسم الله بخمسة أمور عظام، يقسم على أي شيء؟ يقسم على تهديد من يخالف، وتهديد من لم يؤمن، ومن يعترض، ومن يعاند، أن مصيره إلى

العذاب، يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَالْفَجْرِ (١) وَلَيَالٍ عَشْرٍ (٢) وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ (٣) وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾ [الفجر: ١-٤]، ثُمَّ يقول بعدها: ﴿هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ﴾ [الفجر: ٥]، والمراد بـ "ذي حجر" أي ذي عقل، سُمي العقل حجرًا؛ لأنه يحجر صاحبه عن التصرفات السيئة والأخلاق السافلة، العقل واللب، صاحب لب، وصاحب عقل، وصاحب حجر، هذه كلها تدل عَلَىٰ...، أَوْ من معاني أَوْ من ألفاظ العقل.

يقول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ﴾ [الفجر: ٥]: يعني في هٰذَا الأمر يحتاج إلى قسم؟ أن أقسم بخمسة أشياء لصاحب عقل، يقول السعدي في تفسيره: "والله واحدة تكفي، واحدة من هذه الأقسام الخمسة كافية لكل عاقل"، العاقل...، ولذلك الله خص من؟ خص العاقل من الناس، أما غير العاقل فلا يخاطبه، ﴿هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ﴾ [الفجر: ٥]، ألا يكفي هذا القسم، هذه الأقسام الخمسة، لعاقل؟ قال السعدي: "والله يكفي واحدة، واحدة تكفيه".

الله أقسم بالفجر، ما هو الفجر؟ هو الصبح، هو طلوع الصبح، الفجر أقسم الله به لعظم هٰذَا الوقت، هٰذَا الوقت عظيم، أولًا، ما وجه العظمة فيه؟ ما وجه تعظيمه؟ هذا تعظيمه أولًا أنه آية من آيات الله، وهو ذهاب هذا الليل بشدة سواده وثقله، يذهب هذا الليل، ثم يأتي النهار بنوره، هذه آية عظيمة من آيات الله، ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ﴾ [فصلت: ٣٧]، هذه آية.

الآية الثانية في: أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يحيي هذا الخلق مرةً أخرى،

فأنا وأنت والثالث إذا نام وذهب بهذا النوم، ثم بعد ذلك يحييه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ولذلك أنت تقول إذا قمت: "الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا"، فالحيوانات والطيور كلها تموت موتة صغرى، ثم يحييها، إذًا الفجر آية من آيات الله، والفجر فيه صلاة عظيمة، الله عظّمها؛ لأنها تحضرها وتشهدها ملائكة الليل وملائكة النهار، ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء: ٧٨]، تشهده

الملائكة تعظيم لهذا الوقت، وتعظيم..؛ ولأن قبله وقت عظيم وهو وقت السحر، وقت السحر وقت الاستجابة، استجابة الْدُّعَاء.

قال: ﴿وَالْفَجْرِ﴾ [الفجر: ١]، أقسم بالفجر، سمي الفجر فجرًا؛ لانفجاره، انفجار النَّهَار وذهاب الليل، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ﴾ [الأنعام: ٩٦]، فلق الإصباح: شقه بقوة، ﴿وَالْفَجْرِ﴾ [الفجر: ١]، ثم قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ [الفجر: ٢]، والليالي العشر فسرها ابن عباس رضي الله عنهما بسندٍ صحيح أن المراد بها عشر ذي الحجة، أقسم الله بها لعظمها أيضًا، ولما فيها من الثواب والأجور العظيمة، والأعمال التي يحبها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، «ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله»، أحب، ليست اكثر ولا أقل، لا، « أحب إلى الله من هذه الأيام»: يعني عشر ذي الحجة، فأقسم الله بها، قال: ﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ [الفجر: ٢]، ثم قَالَ هٰذَا الثالث: ﴿وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ﴾ [الفجر: ٣]،

وقُرئت بقراءة: "والشفع والوِتر"، الوِتر والوَتر معنى واحد، والشفع والوَتر، اختلف العلماء والمفسرون في معناه، قال بعضهم: الشفع هو يوم النحر؛ لأنه يوافق العاشر، والوتر هو يوم عرفة؛ لأنه يوافق التاسع، وبعضهم قال: الشفع هي الصلوات الخمس، الشفع والوتر، ففيها شفع كالرباعية، وفيها وتر كالثلاثية، وبعضهم قال: الشفع والوتر، الشفع الخلق، والوتر هو الله، «إِنَّ اللَّهَ وِتْرٌ يُحِبُّ الوِتْرَ»، على أقوال كثيرة، لكن الذي رجحه كثير من أهل التفسير أن كلمة الشفع والوتر عامة، يدخل فيها جميع الخلق؛ فالخلق فيه شفع وفيه وتر، فما انفرد سُمي وتر، وما كان زوجًا يسمى شفع في جميع المخلوقات، الجمادات، والحيوانات، والجبال، والأشجار، والإنسان نفسه فيه شفع وتر، فهذه الآية، أو هذا اللفظ الصحيح أنه عام، ويدخل فيه أن الله وتر والخلق شفع.

(الآيات)

قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾ [الفجر: ٤].

(التفسير)

أصلها: والليل إذا يسري، ومعنى يسري: هو الذي يمضي في الليل، الذي يمشي في الليل يسمى فلان يسري في اَللَّيْل، أسرى، أما في النَّهَار ما يقال يسري، ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا﴾ [الإسراء: ١]، ليل، ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾ [الفجر: ٤]: يعني يمضي الليل، ثم يأتي الفجر، وهذا يعني في ختام القسم يعيد الله إلى أوله، بدأ بالفجر وختمه بالليل،

وكأن احتوي على جميع الأوقات، هذا القسم أقسم بخمسة أشياء عظيمة كلها لها دلالات، ولها عظم، والله لا يقسم إِلَّا بشيء عظيم، لا يقسم بأي شيء إِلَّا شيء عظيم له دلالاته.

قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾ [الفجر: ٤]، أنت تقرأها بدون ياء؛ لأنها بدون ياء؛ لأنها مرسومة بدون ياء، وهذا يجوز في لغة العرب أن تحذف الياء وأن تثبت، يسري أو يسر، وإذا وقفت عليها تقول: "والليل إذا يسر".

(الآية)

قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ﴾ [الفجر: ٥].

(التفسير)

أجيبوا: هل في ذلك قسم؟ ما في قسم، ما يحتاج الأمر كله أن يقسم، ولكن الله مع ذلك يقسم ويؤكد، يقسم: "هل في ذلك قسم لذي صاحب عقل، وصحاب لب، وصاحب إدراك ومعرفة وعلم وحكمة، ما في، ما يحتاج الأمر، ما يحتاج، الذي تؤكد الشاك، الذي يشك ويتردد بالأمر تؤكد له، إذا كان شك، كان متردد بالأمر نؤكد عليه، أما شخص عنده اليقين بهذه الأشياء التي يقسم الله بها، ما يحتاج الأمر إلى ذلك.

(الآية)

قال بعدها: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾ [الفجر: ٦].

(التفسير)

قد يسأل سائل: يقول هذه الأقسام الخمسة الآن أين جوابها؟

كل قسم له جواب، لما تقول: أقسم بالله إني حضرت هذا اليوم مجلس كذا وكذا، أين الجواب؟

الجواب: حضورك تقسم بأنك حاضر، هنا أين القسم؟ وتلاحظ أن كثير من الآيات، مثل: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾ [الليل: ١]، ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى﴾ [الليل: ٢]، ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى﴾ [الليل: ٣]، قال: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ﴾ [الليل: ٤]، هذا جواب، ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ﴾ [الليل: ٤]، ﴿وَالضُّحَى (١) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى (٢) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾ [الضحى: ١-٣]، ﴿وَالضُّحَى (١) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى﴾ [الضحى: ١-٢]، الجواب: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ﴾ [الضحى: ٣]، فكل قسم له جواب، هنا ما في جواب، ولذلك قدّره أهل العلم بتقديرات، أنسب ما يقال فيه هو تهديد لكفار مكة المعاندين، يقسم الله على هذه الأمور: ليعذبن أهل مكة، ليصيبن أهل مكة العذاب العظيم، وبعضهم قال الجواب في آخر شيء، لما قال: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ [الفجر: ١٤]: يعني يقسم الله بهذه الأمور على أن الله لبالمرصاد، وأنه مراقب ومحاسب عباده، ولم يضيع أعمالهم، كل هذه تدخل في جواب القسم.

ثم يعرض الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لنا طوائف من الأمم الماضية ماذا جرى لهم،

وماذا كان موقفهم، ولذلك لما أقول لك أن هذا القسم ﴿وَالْفَجْرِ (١) وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ [الفجر: ١-٢] أنه جوابه: ليعذبن أهل مكة، هو المناسب؛ لأن الله عرض ما أصاب هؤلاء الأمم من العذاب، فكأنها رسالة لأهل مكة: يا أهل مكة، لا يصيبكم بسبب عنادكم وكفركم وإصراركم، لا يصيبكم ما أصاب الأمم الماضية، لا، يعني لا يصيبكم ما أصابهم، ولذلك قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾ [الفجر: ٦]، و"ألم" هذه استفهامية، استفهامية تفيد التقرير، يعني قد تقرر الأمر بأن الله أهلك عادًا الأولى، بأن الله أهلك عادًا، يقول: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ﴾ [الفجر: ٦]: يعني هذا في التقدير محذوف، يعني أعميت؟ أجهلت؟ ولم تر كيف فعل الله بهذه الأمم؟ أغاب عنك هذا الشيء؟ ولم تعلم؟ لم يأتك خبر هؤلاء الأمم، كيف فعل الله بهم؟ تقرير، كيف فعل الله بهؤلاء؟ من هم؟ قال: "عاد"، ولاحظ أن الله قال: "فعل ربك"، ما قال: "فعل الله"، لماذا؟ كأن هذه تأييد للرسول وتسري للرسول، فإن ربك أهلك هؤلاء، وأهلك أولئك، وأنه قادر على أن يهلك قومك إذَا عاندوا أصروا على كفرهم.

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾ [الفجر: ٦]، من هم عاد؟ هم أصحاب الأحقاف الذين يسكنون في جنوب الجزيرة العربية، والأحقاف جمع حقف، وهو المناطق الرملية كانوا يعيشون فيها، وكانوا قد عبدوا الأصنام وأشركوا بالله، وتعالوا عَلَىٰ الله وتكبروا وقالوا: "من أشد منا قوة؟"، وزادهم الله في أجسامهم بسطة وتكبروا، فأرسل الله إليهم هودًا عليه السلام، الذي أنزل الله فيه، سمى سورة كاملة بسورة هود، وذكر قصته في القرآن في مواضع كثيرة، أرسل الله إليهم هودًا عليه السلام، يعرفونه معرفةً تامة بأخلاقه ومعاملته وصدقه، فدعاهم إلى التوحيد، وعاد جاءوا بعد إهلاك قوم نوح، هم الذين جاءوا بعد نوح وسكنوا جنوب الجزيرة، فأرسل الله إليهم هودًا ودعاهم فكفروا وامتنعوا وأصروا على كفرهم وعاندوا وهددوه، فالنتيجة أن الله عذبهم، عذبهم بأي شيء؟ أرسل عليهم ريحًا صرصرًا في أيام نحسات، ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾ [الحاقة: ٧]، ﴿تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ﴾ [القمر: ٢٠]، تأخذ الرجل فترفعه إلى السماء ثم تلقيه على رأسه، فماتوا جميعًا، أهلكهم الله، لا تسمع فيها أحد يتكلم، لا يُرى فيها إلا مساكنهم، لم يبقِ منهم أحدًا.

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾ [الفجر: ٦] من هم عاد؟ قَالَوا: هم إرم، إرم هذا جدهم، ينسبون إلى عاد الجد الأول وإلى إرم الجد الثاني، ولذلك يسمون عاد الْأُولَىٰ؛ لأن هناك عادٍ أخرى، وعاد الْأُولَىٰ، وهؤلاء عرب، عرب عاربة أصلية.

(الآية)

فقال: ﴿إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ﴾ [الفجر: ٧].

(التفسير)

أي صاحبة الأعمدة العظيمة، والمراد بالعماد قيل أنهم موصوفين لطولهم بالعماد، كأنهم أعمدة من شدة طولهم، أو أنهم يتخذون العماد لضرب الخيام لهم، وقد أسرفوا وضعوا الخيام، أو أن العماد هي أبراج يضعونها، كما في قوله تعالى: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ﴾ [الشعراء: ١٢٨]، فكانوا يضعون...، والريع: هو المرتفع بين الجبلين، فكانوا يضعون الأبراج العالية ويفتخرون، فأهلكهم الله.

(الآية)

قال: ﴿الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ﴾ [الفجر: ٨].

(التفسير)

التي لم يُخلق مثلها في البلاد، ما هي؟ يعود إلى أي شيء الكلام؟

الطالب: ....

الشيخ: لا، أنا أريد أن أسأل حَتَّىٰ أرى الخطأ والصواب، كثير من الناس يقرأ بعض الآيات خطأ، ﴿الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ﴾ [الفجر: ٨]: هي عاد نفسها رجالهم ونساؤهم، لم يُخلق مثلهم في البلاد، أعطاهم الله القوة والبسطة في الجسم، وقالوا: ﴿مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ [فصلت: ١٥]، فلم يخلق الله مثلهم من قوتهم وخلقتهم العظيمة هٰذَا معناه، فقوله: ﴿الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ﴾ [الفجر: ٨]: أي الَّتِي تعود إلى قوم عاد، التي لم يخلق الله مثلهم في البلاد، ﴿الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ﴾ [الفجر: ٨].

وبعدما أهلكهم الله، بعد ذلك أنشأ الله بعدهم قومًا آخرين هم ثمود، ثمود يسكنون في الشمال الغربي من الجزيرة العربية، ومعروفة مدائن ثمود ومدائن صالح، ووادي القرى معروف، وأهل مكة يعرفونه والناس يعرفونه ويمرون عليه، وأهل الشام رحلاتهم تمر إلى مكة عَلَىٰ هٰذِه المدائن المعروفة، سُميت ثمود لقلة مائها، وأنعم الله عليهم بالنعم العظيمة، وأرسل الله إليهم صالحًا عليه السلام يدعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، فكانوا يعبدون الأصنام ويشركون بالله، فبعث الله إليهم رسولهم صالحًا عليه السلام ودعاهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، فأبوا واستكبروا، قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ﴾ [فصلت: ١٧]، فأهلكهم الله، كانوا يعبدون الأصنام ويشركون، حتى تحدوا صالحًا وقالوا: "إن كنت رسولًا من عند الله صادقًا، فأخرج لنا معجزة تدل على صدقك"، قال: "ماذا تريدون؟" قالوا: "فخرجوا معه إلى الصحراء"، فقالوا: "هذه الصخرة العظيمة، إن كنت صادقًا فأخرج منها ناقةً عُشراء": أي حامل في الشهر العاشر، فصلى صالح عليه السلام ودعا ربه، فانشقت الصخرة وخرجت منها الناقة، وكفروا ولم يؤمنوا وعقروا الناقة، وحذّرهم: ﴿نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا﴾ [الشمس:

١٣]، لا تتعرضوا لها، فعقروا الناقة فنزل بهم العذاب، أرسل الله عليهم صيحةً واحدة أهلكتهم جميعًا، صاح بهم جبريل صيحةً واحدة فتقطعت قلوبهم في أبدانهم فماتوا عن آخرهم، هذه عبر وآيات عظيمة.

(الآية)

قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ﴾ [الفجر: ٩].

(الشرح)

هٰذِه كلمة أخرى بعد، "جابوا" يعني جيب المصحف؟ ولا ما معنى جابوا؟، جابوا يعني أحضروا؟ ولا كيف؟، قطعوا، الجب: القطع، يقال هٰذَا شيء مجبوب يعني مقطوع، والتوبة تجب ما قبلها، أي تقطع، فقوله هنا: ﴿الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ﴾ [الفجر: ٩]: أي قطعوا الصخور، لم يكن لديهم آلات مثل الآلات الَّتِي موجودة عندنا الآن ما عندهم، ومع ذلك أعطاهم الله القوة على قطع الصخور ونحت الجبال، ﴿وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا﴾ [الأعراف: ٧٤]، تدخل فيها كهوف عجيبة وفيها زخارف حتى الآن موجودة، آيات عظيمة، أعطاهم الله القوة، ﴿الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ﴾ [الفجر: ٩]، وادي القرى، كانوا يعيشون في منطقة من أحسن المناطق، فيها الماء وفيها الزروع والخضرة، كانت بين جبل وسهل، ﴿وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا﴾ [الأعراف: ٧٤]: تتخذون من سهولها قصورًا، وتنحتون الجبال بيوتًا، وكانت في وادي يسمى وادي القرى، قال: ﴿الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ﴾ [الفجر: ٩]، فأهلكهم الله.

ذكر الله أيضًا الأمة الثالثة التي أهلكها الله، فرعون، قال: ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ﴾ [الفجر: ١٠]، وفرعون هو فرعون مصر، الذي أرسل الله إليه موسى عليه السلام يدعوه لعبادة الله وحده لا شريك له، وأن يترك عنها التَّكَبُّر والتجبر والفساد في الأرض، فأبى واستكبر حتى أغرقه الله، وبنو إسرائيل ينظرون إليه وهو يغرق في البحر، قال: ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ﴾ [الفجر: ١٠]، صاحب الأوتاد يعني الرجال الأقوياء والجنود، أو الأوتاد هي كان يضع أوتادًا ليعذب بها من يريد تعذيبه،

أو الأوتاد هي ما يسمى بالأهرام، كان يصنع هذه الأشياء، يفتخر بها، ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ﴾ [الفجر: ١٠].

(الآية)

قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ﴾ [الفجر: ١١].

(الشرح)

من هم؟ كل هؤلاء: عاد، وثمود، وفرعون، كلهم طغوا في البلاد، يعني أن يبين لك الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ السبب في هلاكهم، لماذا أهلكهم؟ لأنهم طغوا في البلاد، وزيادةً على الطغيان والتكبر والاستكبار،

فأكثروا فيها الفساد، ما أفسدوا فَقَطْ، أكثروا فيها الفساد، سبب الهلاك: الطغيان، التكبر عن طاعة الله، الفساد في الأرض بعد إصلاحها، كل هٰذِه من أسباب هلاك الأُمَم، ﴿فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ﴾ [الفجر: ١٢]، النتيجة: ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾ [الفجر: ١٣]، شاهد كيف تعبير القرآني: ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾ [الفجر: ١٣]: يعني أن العذاب لم يكن عذابًا هينًا، عذابًا شديدًا، إذا صبَّ عليك العذاب صبًّا، معناه أنه أحاط بك من جميع الجهات، لم يبقِ فيهم أحدٌ ينجو، صبّ العذاب صبًّا، فأهلكهم جميعًا، ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾ [الفجر: ١٣]، انظر "ربك" خطاب للرسول، أن الله مع النَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأن قومك يأتيهم ما يأتي هؤلاء، وأن الله سيدافع عنك، ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾ [الفجر: ١٣]، والسوط: عبارة عن شدة العذاب، فلما يقال: هذا يضرب بالسياط ويضرب بالسوط، كأنه يدل على شدة العذاب وتكراره واستمراره، ولذلك جاء تعبير القرآن بهذه البلاغة العظيمة، أن العذاب الذي حلَّ بهؤلاء كلهم سوط من العذاب، يعني عذاب شديد، صبَّ عليهم العذاب صبًّا، ولذلك لو ترجع إلى هذه القصص الثلاثة، تجد أن العذاب أحاط بهم، فعاد أحاط بهم الله العذاب، الريح التي تقلع رؤوسهم، وثمود الصيحة التي مزقت قلوبهم، وفرعون وجنوده أُغرقوا جميعًا، فأحاط بهم العذاب من جميع الجهات.

﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾ [الفجر: ١٣]، قال الله عَزَّ وَجَلَّ تعليلًا: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ [الفجر: ١٤]، لكل طاغية ولكل مفسد، ولكل معرض ولكل معاند، ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ [الفجر: ١٤]، بأن الله يرصد أعماله ويراقب أفعاله ويجازيه على أعماله، ولا تظن أنك مُفلت في هذه الدنيا ومعجز لله، لا تعجز الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ [الفجر: ١٤].

لا نطيل نقف عند هذا القدر، تلاحظ أن بعد هذه الآيات الحديث عن هذا الإنسان، ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ﴾ [الفجر: ١٥]، فيعرض الله لك حال هذا الإنسان في الدنيا، لقلة ضعف تفكيره، ويظن أن الله إذا أعطاه خير له، أو إذا منعه شر عليه، لا، لا تفكر بهذا التفكير، ثُمَّ لا بد تعرف كيف تتعامل مع ربك وكيف تتعامل مع هذا المال الذي أعطاك الله، هذا الحديث يأتي عنه إن شاء الله في لقاء قادم بإذن الله، أسأل الله أن ينفعنا بما قُلنا و بما سمعنا، وأن يجعلنا وَإِيَّاكُمْ ولاةً مهتدين موفقين لكل خير، والله أعلم، وصلى الله وسلم عَلَىٰ النَّبِيِّ مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أَجْمَعِيْنَ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الدرس (٣٥)

إِنَّ الْحَمْدَ لِلهِ نَحْمَدُهُ تَعَالَىٰ ونَسْتَعِينُهُ ونَسْتَغْفِرُهُ، ونَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا ومِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلاَ مُضِلَّ لَهُ ومَنْ يُضْلِلْ فَلاَ هَادِيَ لَهُ، وأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ ورَسُولُهُ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ ولَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ وخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا ونِسَاءً واتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ والْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ ويَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ومَنْ يُطِعِ اللَّهَ ورَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠- ٧١].

أَمَّا بَعْدُ:

أيها الإخوة الكرام، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، حياكم الله في هذا المجلس المبارك، أسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن ينفعنا بما نقول، وهو العليم الحكيم، أيها الإخوة، مثل هذه المجالس المباركة، مجلس القرآن الكريم، تدبر القرآن الكريم، تأمل آياته،

الحقيقة كل مسلم يشعر عندما يقرأ الآيات بتأمل بتدبر يشعر بعدة أمور عظيمة لا تخفى على أي إنسان.

أولًا: يشعر بعظمة هذا القرآن، بحقائق ما يذكره الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في هذا القرآن الكريم، يشعر بزيادة الإيمان، التمسك بهذا القرآن، يشعر بمحبة هذا القرآن، العيش مع آياته، تدبره، لا شك أن هذه أمور عظيمة، كلنا نحتاج إليها، العجيب أيها الإخوة، يعني مثل ما ذكرنا، القرآن، الإنسان

مع القرآن وعلاقته بالقرآن علاقة تلاوة، علاقة تفسير، علاقة تدبر، علاقة عمل، لا بد من هذه الأمور، فما علاقتك مع القرآن من حيث التلاوة؟

من حيث فهم الآيات وتفسيرها؟ من حيث التدبر، الذي هو فوق التفسير؟ ومن حيث تطبيق ما فيه من أخبار عن أمم ماضية، من أخبار مستقبلية؟ ما الذي سيجري في المستقبل؟

ما فيه من أوامر ونواهي وامتثال هذه الأوامر، والبعد عن نواهيه تحقيق مرضاة الله، فيه ترغيب، فيه ترهيب، العجيب يعني المرحلة الأولى، مرحلة التلاوة، كيف تقرأ القرآن؟

هل أنت تجيد قراءة القرآن؟ هل أنت تحسن كيف تقرأ القرآن؟

العجيب قبل أيام كان بجواري شخص، شباب يعني أعطيه من العمر ٣٠ سنة، خريج جامعة متعلم قرأ بجواري القرآن الكريم، والله لو أقول لكم حقيقة يا إخوان، والله ولا كلمة واحدة أحسن قراءتها، ليس بآية، كلمة، كلمة! كل كلمة يكسر فيها، كل كلمة يسيء ....، يعني كأني أقول: "والله يا أخي، لا تقرأ، خيرًا لك ألّا تقرأ حتى تتعلم كيف تقرأ القرآن"، ونحن إن شاء الله نسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن يبلغنا وإياكم هذا الشهر الكريم،

مقبلون على شهر عظيم كريم، فرصة للإنسان أن يتعلم، فضلًا عن أن يفهم التفسير وأن يتدبر وأن يعمل، ما تعرف تقرأ؟ تعلم.

الآن يا إخوان حقيقة، إذا كان عنده تقصير في علوم أخرى، حتى في اللغات الأخرى، يعقد دورات، ويذهب ويسافر ويتعلم حتى يحسن هذه اللغة ويتقنها، وكتاب الله الذي معك في حياتك، معك في قبرك، معك في عرسات يوم القيامة، معك في الجنة، يقال لك: "اقرأ وارتقِ ورتل كما كنت ترتل في الدنيا"، هذا القرآن معك في حياتك كلها، الدنياوية، والأخراوية، ما تعرف تقرأ؟ ولا حرف واحد؟ ولا كلمة واحدة؟ فضلًا عن أن يكون آية كاملة؟ كل آية فيها كم كلمة؟ يعني حقيقة إهمال، لا مبالاة، غير معتني، غير مهتمٌّ، القرآن يعني ليس هو شغله الشاغل، متى ما تيسر قرأ، ما يقرأ، هذا عدم مبالاة حقيقة، شيء يندى له الجبين، شيء....، يتحسر الإنسان لما يرى شباب، يعني لو كان رجل، يعني كبير، لم يسبق له التعلم قد يكون عنده تقصير، قد...، لكن خريج جامعة ما تحسن القراءة في الحقيقة يعني شيء يؤلم، نعود إلى الآيات القرآنية لنعيش مع القرآن لنتدبر القرآن، والحقيقة

والله يا إخوان، حقيقة مثل هذه المجالس والله فرصة عظيمة لكل إنسان، أنا أولكم وأنا المحتاج لمثل هذه المجالس الطيبة العطرة التي تحفها الملائكة، تخشاها الرحمة تنزل عليه السكينة، وتتدبر القرآن وتعيش مع القرآن الذي لا تنقضي عجائبه، لا ينتهي، والله لو تعيش وتعيش، يعني أنا أعطيك مثال الآن: نحن الآن في سورة الفجر وتأملنا الآيات الأولى من هذه السورة، والله لو نرجع إلى سورة الغاشية وسورة الأعلى، أنك ما تنتهي من تدبر هذه الآيات.

وأنا في لقاءات ماضية تحدثنا عن سورة الأعلى وسورة الغاشية، وأنت عندك علم ومعرفة أن سورة الأعلى وسورة الغاشية تُقرأ في المناسبات والمجامع، مثل يوم صلاة الجمعة وصلاة العيدين، لماذا؟ لماذا خصها النبي صلى الله عليه وسلم بأن تُقرأ؟ في سر، أنا كنت أتأمل سبحان الله العظيم، وأجلس أتدبر هذه السورتين وأقرأ في تفاسير عظيمة يظهر لك أشياء جديدة، تأملات جديدة، سورة الأعلى هي التحذير من الدنيا والانغماس فيها، التحذير من الدنيا: ﴿تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ [الأعلى: ١٦]، وفي الغاشية أيضًا لفت الأنظار إلى ما هو أعظم، والحياة الحقيقية في الحياة الأخراوية.

والأخراوية ذكرها الله سبحانه وتعالى، وبيّن أن الحياة الأخراوية هي حياتين: حياة هلاك وموت وشقاء، وحياة سعادة أبدية، فأنت تنظر في هاتين السورتين، وبعدين لما تقرأ يقول لك: ﴿وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى (٤) فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى﴾ [الأعلى: ٤-٥]، على طول أخرجه مرعى جميل، حسن، ملفت للأنظار، فجعله غثاءً أحوى: متكسر، يابس، أسود بلحظة! هذه الدنيا، هذه الدنيا سريعة، ولذلك جاء بكلمة بحرف "ف"، ما قال "ثم جعله"، عشان تكون المدة طويلة، لا، فقال: "فجعله" على طول، بسرعة ما تعيش، ثم ذكرك بما هو الذي يبقى لك في هذه السورة، قال: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى﴾ [الأعلى: ٦]، القرآن هو الذي يبقى، أما الدنيا تذهب.

﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (١٦) وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [الأعلى: ١٦-١٧]، في الغاشية التي ذكرها الله، ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ (٨) لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ﴾ [الغاشية: ٨-٩]، أقول لك حقيقة يعني القرآن لا تنقضي عجائبه، تقرأ السورة، تفسرها، تعود مرة ثانية تجد فيها عجائب، طيب سورة الفجر التي أقسم الله سبحانه وتعالى فيها بخمسة أمور: ﴿وَالْفَجْرِ (١) وَلَيَالٍ عَشْرٍ (٢) وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ

(٣) وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾ [الفجر: ١-٤]، أقسم الله ثُمَّ قَالَ: ﴿هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ﴾ [الفجر: ٥]، هل هناك قسم أعظم من هذا لصاحبي عقل، وصاحب حجر، وصاحب لب يميز؟ هل فيه؟

السعدي رحمه الله في تفسيره، يقول: والله واحدة كافية، قسم واحد يكفي، ما بخمسة، واحد يكفي، يكفينا واحد، أي عاقل يكفيه واحد، لو ما يقسم الله يكفيه، يكون عنده إيمان يكفيه بدون قسم، القسم لمن؟ لمن عنده تردد، ما عنده يقين، هذا تقسم تأكيد عليه القضية، أما شخص عنده الإيمان ما يمكن، وبعدين انظر تأمل لما ذكر الله سبحانه وتعالى هذه الأشياء؟ وقال: ﴿هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ﴾ [الفجر: ٥]، نعم فيه قسم يكفي لكل أحد نعم.

قال سبحانه وتعالى ذكر لنا ثلاث أمم: قوم عاد، وقوم ثمود، وفرعون، قوم فرعون، ثلاث أمم، كلها وصفها الله بالقوة والصلابة، وأعطاها الله وأنعم عليها: ﴿الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ﴾ [الفجر: ٨] في عاد، وأما ثمود، فقوتهم: ﴿جَابُوا[١] الصَّخْرَ بِالْوَادِ﴾ [الفجر: ٩]، أتوا بهذه الصخور وقطّعوها، قوة، ما عندهم آلات حديثة مثل الآن، ومع ذلك أعطاهم الله، حتى الآن، وأنت ترى وتبصر آثار هذا القوم، وفرعون الذي أعطاه القوة والأوتاد والجنود، كل هذه ما نفعتهم، ما نفعتهم لما تخلوا عن طاعة الله ولم يعرفوا حق الله عليهم، ما نفعتهم قوتهم، ولذلك قال الله سبحانه وتعالى فيهم حتى يبين لك أن الله لا يظلم أحدًا، وأنما أصابهم بذنوبهم، قال: ﴿الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ﴾ [الفجر: ١١]، وتجاوزوا الحدود في حدود الله، طغوا في البلاد، وزيادةً على ذلك أكثروا فيها الفساد، لم يقل أفسدوا، أكثر: أشد يعني، الله عذبهم وأخذهم، ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾ [الفجر: ٦]، بسبب أنهم طغوا في البلاد، فأكثروا فيها الفساد، فكان جزائهم ماذا؟ أن صب الله عليهم العذاب صبًا، وشوف كلمة "صب" تدل على الإحاطة بهم، أن العذاب أحاط بهم من جميع الجهات، صب عليهم العذاب صبًا.

[١] أي قطعوا.

قال: ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾ [الفجر: ١٣]، وكلمة "سوط" هذه تفيد ماذا؟ تفيد شدة العذاب وقوته لما يؤتي إنسان بمجرم يستحق العقوبة ويُساط بالسياط، تجد هذا أثره شديد عليه، فالعذاب الذي أحاط بهم كالسوط، شدة العذاب وإحاطته بهم، قال الله عز وجل في آخرها: إن ربك يا محمد، وأيها المخاطب، لبالمرصاد لكل إنسان، ليس لهؤلاء الأمم الثلاثة، المرصاد: أي مراقب ومحاسب أعمال العباد، لا يفوته شيء، انظر ولما قال: إن ربك سبحانه ولبالمرصاد: أي إنه يرصد أعمال العباد، لا يخفى عليه شيء، خيرها وشرها، قال: ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ﴾ [الفجر: ١٥]، انظر، تأمل، ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ﴾ [الفجر: ١٥]، فأما جاء بحرف الفاء، لماذا؟ حرف الفاء هنا له أثر يعني انظر القرآن حتى الحروف لها آثار، لها أثر، ولم تأتِ هذه الحروف هكذا عبثًا، إنما يختار الله سبحانه وتعالى؛ لأن القرآن نزل قرآنًا عربيًا غير ذي عوج، وتحدى الله العرب كلهم أن يأتوا بولا بسورة واحدة من مثله، فأعجزهم، وهم أهل العربية، أساطير العرب، أهل العربية وأهل البلاغة، ومع ذلك ما استطاعوا، فكل حرف تجد له دلالة.

قال: ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ﴾ [الفجر: ١٥]، يقول: إذا كان ربك بالمرصاد، وإذا كان الله عز وجل مراقبًا لعباده، ومتابعًا لهم، وحافظًا لأعمالهم، ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ﴾ [الفجر: ١٥]، فرّ عليها تفريعات، قال: ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ﴾ [الفجر: ١٥]، جنس الإنسان عمومًا، ويدخل فيه الذي لا يعرف شكر نعمة ربه، وهو الكافر، ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ﴾ [الفجر: ١٥]، شوف كلمة "ما ابتلاه" في دليل على أن الدنيا ابتلاء وامتحان، و"ابتلاه" غير "بلاه"، البلاء غير الابتلاء، ما الفرق؟ الفرق كما قال أهل اللغة، يقولون: الزيادة في المبنى زيادة في المعنى، "ابتلاه" أشد امتحان شديد، امتحان بأي شيء؟ ابتلاه بالخير والشر، ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ﴾ [الفجر: ١٥]، انظر كلمة "ربه" دليل على أن الذي ينعم ويعطيك هو خالقك، هو رازقك، ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ﴾ [الفجر: ١٥]، أعطاه الدنيا كاملة، كل ما يريد في هذه الدنيا، يعطيك، أغناك الله، أصبحت من أغنى الناس في هذه الدنيا، إذا أعطاك الله هذا الخير، هل هذا دليل على أن الله راضٍ عنك؟ هل هذا يدل؟

ولذلك ماذا يقول الإنسان؟ ﴿فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ﴾ [الفجر: ١٥]: يعني هذا خير لي وأكرمني وأعطاني.

فانظر قال: ﴿إِذَا مَا ابْتَلَاهُ﴾ [الفجر: ١٥]، امتحنه بالمال، المال امتحان لك، ولذلك سليمان عليه السلام قال: ﴿لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾ [النمل: ٤٠]، هل أنا أصل أشكر هذه النعمة؟ أعطاك الله الصحة والعافية والعقل ونعمة الدين ونعمة الطاعة ونعمة المال، امتحان لك: هل تشكر أو لا تشكر؟ هو ابتلاء، ابتلاء للغني وابتلاء أيضًا في الجانب الآخر، قال: ﴿رَبِّي أَكْرَمَنِ﴾ [الفجر: ١٥]، أكرمني وأعطاني، هذا الآن جوابه وهذه نظرة قاصرة يظن إن المال إذا جاءه وأن أعطاه الله ووسع عليه وكذا، يقول: هذا كرم من الله كرم، لا، يمكن الذي ما أعطاه الله وزوى عنه الدنيا أكرم عند الله، ليس ميزان الكرامة عند الله كثرة المال وإعطائه الدنيا، الدنيا يعطيها الله من يحب ومن لا يحب، الله ما يعطي الدين كل إنسان، الدين يعطيه الله من يحب، فلا تظن أيها الشخص إذا أعطاك الله المال هذه يمتحنك كيف تتصرف في المال، ماذا تصنع بهذا المال، هلذَا امتحان، ولذلك قَالَ: ﴿رَبِّي أَكْرَمَنِ﴾ [الفجر: ١٥].

قال الله عز وجل في المقابل، ولذلك جاء بحرف الواو؛ لأنه فيه موازنة بين جنسين، قال: ﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ[1] فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ﴾ [الفجر: ١٦]، ضيق عليه رزقه، جعله فقير، سواءً في رزقه، في ماله، في صحته، في دينه، في غير ذلك، ضيق الله عليه، قدر عليه رزقه، ﴿فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ﴾ [الفجر: ١٦]، يظن أن هذا إهانة، يظن أن الله لما زاوى عنه الدنيا وجعله يعيش فقيرًا، مسكينًا، أو ابتلاه ببعض الابتلاءات كالمرض ونحوه، يظن أن هذا إهانة له، إهانة، ولذلك الله أنكر عليه: كيف تقول أهانني؟ ما تدري أنت أن هذا إهانة ولا كرم لك، لما يصرف عنك الدنيا قد يكون كرم لك هذا قد يكون خير لك حتى لا يشغلك بهذه الدنيا، ويأتيك الموت وأنت لم تعِ لماذا خُلقت.

ولذلك قال الله سبحانه وتعالى: ﴿كَلَّا﴾ [الفجر: ١٧]، ليس الأمر كما تفهم، أيها ضعيف النظر، وعندك قصور في النظر، أن لا تظن أن من أُعطي الدنيا أُعطي لكرامته، وكم من ملك الدنيا

[1] هٰذَا الإنسان.

كفرعون وغيره، أُعطي الدنيا ليس لكرامته، وكم من عاش فقيرًا ضعيفًا مسكينًا ليس لإهانته، قد يكون الفقر خيرًا له، ولذلك الله سبحانه وتعالى قال: ﴿كَلَّا﴾ [الفجر: ١٧]، ليس الأمر كما يفهم هذا، أو يفهم هذا الأمر أكبر من هذا، الله أعطاك المال يمتحنك، امتحنك: أتشكر أم تكفر؟ تكون شاكرًا أو لا؟ جعلك فقير ليمتحنك: أتصبر ولا ما تصبر؟ ابتلاك بابتلاءات، يمتحنك في دينك: هل تصبر؟ هل عندك صبر أو لا.

ولذلك قال: ﴿كَلَّا﴾ [الفجر: ١٧]، ثم انتقل إلى معنى أكبر من هذا، قال: ﴿بَلْ﴾ [الفجر: ١٧]، و"بل" للإضراب، انتقال من المعنى الأول، انتهى، خلاص، هذه نظرتك، نظرتك قاصرة، ما تعرف أنت، أنا الآن كما كأن الله عز وجل يقول: "ليس هذه النظرة هي النظرة الصحيحة، هناك نظرة أكبر وأعظم"، ما هو؟ أن تعرف كيف تتعامل مع المال، أعطاك الله مال، كيف تتصرف فيه؟ ولذلك قال: ﴿كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ﴾ [الفجر: ١٧]، ما تعرفون قدر المال، ما تعرفون تتصرفون فيه، المال لأهله، أعطوه أهله، ﴿كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ﴾ [الفجر: ١٧]، واختار اليتيم لحاجته الماسة؛ لأنه فقد من يعوله، يعني يتيم ما يجد.

ولذلك ﴿كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ﴾ [الفجر: ١٧]، ولاحظ لم يقل: تعطون اليتيم حقه، تتصدقون على اليتيم، لا، قال: "تكرمون"، لماذا؟ لأن اليتيم ما ينتظر منك مال تعطيه إياه، أنت-- ((@ ßáãÉ ÛíÑ ãÝåæãÉ- ١٨:٠٠)) -- أكبر أن تكرمه، وتعرف حق الله فيه إكرامًا ورفعًا لمعنوياته، ليس فقط تعطيه المال وتمن عليه بمالك وتؤذيه بمالك، لا، ما هو أكبر من ذلك، تجعله مثل أبنائك وأعظم، ولذلك لاحظ قال: ﴿تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ﴾ [الفجر: ١٧].

ثم قال بعدها: ﴿وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ [الفجر: ١٨]، انظر، يقول: السعدي يعني عنده تأملات عجيبة، يقول: لما قَالَ: ﴿وَلَا تَحَاضُّونَ﴾ [الفجر: ١٨]، مَاذَا يدل عليه؟ يدل على أنه ما يتصدق على المسكين، هو أولًا في نفسه ما يتصدق عَلَىٰ المسكين، ثم أمر آخر: ما يحث على الصدقة، يعني لا هو تصدق، يعني هو منع الصدقة ومنع غيره، لذلك: ﴿وَلَا تَحَاضُّونَ﴾ [الفجر: ١٨]، يقولون: ما قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ولا تتصدقون على المسكين، قال: لا، أنت ما تحض عَلَىٰ...، من

باب أولى أنك ما تتصدق أصلًا، يعني مفروغ منك أنك تتصدق، وزيادةً على ذلك تمنع غيرك أن يقف مع هؤلاء المساكين المحتاجين.

قال: ﴿وَلَا تَحَاضُّونَ﴾ [الفجر: ١٨]، لا يحض بعضكم بعضًا، ولا يحس بعضكم بعضًا، ولا يشجع بعضكم بعضًا، مَاذَا يدل عليه؟ يدل على أن الأمة الإسلامية كالقطعة الواحدة، كالجسد الواحد، كل يقف تكافل، تعاون، تساعد بعضهم بعضًا، هذا مسكين، هذا عنده ديون، هذا عنده أُصيب بمصائب، هذا عنده التزامات مالية، يجب أن نقف معه ونساعد، ولذلك جاء بكلمة: "لا تحاضون"، ما قَالَ: "لا تحثون" أو قَالَ: "لا يحث بعضكم..."، لا، قال: ﴿وَلَا تَحَاضُّونَ﴾ [الفجر: ١٨]، كأنها كلهم يحث بعضهم بعضًا، فيقول: لماذا أنتم ما تعرفون تتصرفون مع هذا المال، ولا تحسنون التصرف في أن تعطوا هذا المال حقه في مثل هؤلاء المساكين؟ وذكر لك أشدهم: اليتيم والمسكين.

ثم قال بعدها: ﴿وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا﴾ [الفجر: ١٩]، انظر! عبر بأي شيء؟ عبر بالأكل كأنه يأكله في فمه من شدة حبه للمال، لا يأخذه عنده ويحوزه عنده، لا، يصل إلى درجة الأكل، "تأكلون التراث"، التراث ما ترثه أنت، هذا المقصود، ما ترثه عن غيرك، وهو الميراث، لماذا خص الميراث؟ يعني ما يأكل غير الميراث؟ يأكل المعاملات الربوية، ويأكل المعاملات التجارية، ويأكل كل شيء، لكن لماذا خص الميراث؟ لأن الميراث يأتي بلا تعب، يأتيك أصلًا بغير اختيارك، يُقسم لك من غير اختيارك، ويأتيك..، فمن شدة محبتهم للمال، غير المال الذي عنده، يعني بمجرد موت قريبه يأخذ ماله كله من شدة...، عندهم جشع.

ولذلك أهل الجاهلية كانوا لا يورثون النساء ولا يورثون الصبيان، يقولون: الذي يرث الرجل، الذي يأخذ السيف، ويجاهد، ويقاتل، ويدافع عن نفسه، المرأة، الصبي، ما يُعطى من المال، فحبهم للمال حبًا جمًا.

قال: ﴿وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا﴾ [الفجر: ١٩]، ما معنى "لمًا"؟ يلم الشيء، يلمه لمًا، ما يترك فيه شيء، يعني يأخذ حقه وحق غيره، ما يرفق على نفسه، يأخذ حقه وحق غيره، قال: ﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ [الفجر: ٢٠]، عطف، انظر، لما قَالَ: الميراث يأخذونه على غير وجهه، قالوا:

"وأيضًا لا تنسَ أنه يحب المال على أي وجه"، يحبه، ما قال يأخذه، ما قال يتعامل معه، يتكسب، قال: لا، يحب المال حبًا جمًا، شديدًا، قويًا، لا يكاد أن يترك هذا المال، حتى في آخر حياته، آخر حياته، ويزداد حبه للمال حبًا جمًا.

بعدها يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ﴾ [الفجر: ٢١]، انتقل الله عز وجل عن هذه الحياة الدنيا، ومواقف الناس من هذا المال، وموقف الكافر الذي لا يعرف حق الله في ماله، أما المؤمن، فالنبي صلى الله عليه وسلم قال: «نعم المال الصالح للرجل الصالح» الذي يحسن هذا المال ويعرف أين يضع هذا المال، فأما الكافر أو ضعيف النفس أو العاصي أو الجاهل، ما يعرف يحسن المال، تجد له أرصدة في البنوك ويذهب من الدنيا ويتركها كلها، يجمعها ويتركها لغيره، فنقلنا الله عز وجل بعد ذلك إلى عالم الآخرة، عالم الآخرة هذا ينتظر كل إنسان، وكل إنسان ينتظره، فيأتي الحديث عنه إن شاء الله في اللقاء القادم حول ما يجري في هذا اليوم العظيم، ومجيء الله سبحانه وتعالى لهذا اليوم، والملائكة تصف صفًا، ثم مجيء النار وهي تُجر بالسلاسل، سبعين ألف زمام في النار، يجر كل زمام واحد يجره سبعون ألف ملك، ويؤتى بها، ثم انقسام الناس في هذه، هٰذَا يأتي الحديث إن شاء الله في خاتمة هذه السورة العظيمة الجليلة، التي والله لا تشبع من تأملاتها والنظر فيها، وكل ما تقرأها وتعيد، ستجد فيها أسرار عجيبة أودعها الله سبحانه وتعالى في هذه السورة.

أسأل الله سبحانه وتعالى أن ينفعنا بما قلنا وبما سمعنا، وأن يجعلنا وإياكم هداةً مهتدين موفقين لكل خير، والله أعلم، وَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَىٰ النَّبِيِّ مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أَجْمَعِيْنَ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الدرس (٣٦)

إِنَّ الْحَمْدَ لِلهِ نَحْمَدُهُ تَعَالَىٰ ونَسْتَعِينُهُ ونَسْتَغْفِرُهُ، ونَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا ومِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلاَ مُضِلَّ لَهُ ومَنْ يُضْلِلْ فَلاَ هَادِيَ لَهُ، وأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ ورَسُولُهُ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ ولَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ وخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا ونِسَاءً واتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ والْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ ويَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ومَنْ يُطِعِ اللَّهَ ورَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠- ٧١].

أَيُّهَا الأخوة الكرام:

لا زلنا في مجالسنا المباركة في تدبر القرآن الكريم، وفي هٰذِه السورة العظيمة الجليلة، وهي سورة الفجر، كان لقاؤنا الماضي، وما قبله في بيان هٰذِه السورة العظيمة، وَهٰذَا اللقاء نختم به هٰذِه السورة، سورة الفجر، كما لا يخفى عَلَىٰ الجميع من السور المكية، الَّتِي تعالج قضايا العقيدة.

ومن أهمها توحيد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وإفراده بالعبادة، ومن أهمها الإيمان باليوم الآخر، الإيمان بالموت وما بعده، وما يجري لهذا الإنسان بعد موته، وما يجري للخلق جميعًا بعد بعثهم من قبورهم.

السورة عرضت لنا ما جرى لأقوام، أعطاهم الله من القوة، والشدة، والتمكين، كقوم عاد وثمود، وقوم فرعون، ثُمَّ بيَّن سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن هٰذِه الدنيا ابتلاء وامتحان، يبتلي الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الفقير بفقره، ويبتلي الغني بغناه، لينظر من يشكر ومن يصبر، وخاصةً الغني ماذا يصنع بهذا المال إذا

وسَّع الله عليه وأعطاه، وأن نظرة هٰذَا الإنسان نظرة قاصرة، إذا ابتلاهم الفقر، قَالَ: ربي أهانني، وإذا ابتلاهم بالغنى، قَالَ: ربي أكرمني.

قال الله: كلا، لا هٰذَا ولا هٰذَا، هٰذَا امتحان في هٰذِه الدنيا لمن يشكر نعمة الله عليه، ولمن يكفر، أَوْ لمن يكفر هٰذِه النعمة، وابتلاء لمن زوى الله عنه هٰذِه الدنيا، وجعله فقيرًا أيصبر أم يتسخط ويعترض عَلَىٰ ما قدر الله عليه.

ثُمَّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بيَّن حال الناس وحال الكافر مع هٰذَا المال، هل يعرف التصرف فيه ويحسن التصرف فيه أَوْ لا يحسن، قال الله: ﴿كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ﴾ [الفجر: ١٧]، من إحسان الله إليك أن أعطاك المال، أن تحسن إِلَىٰ إخوانك المحتاجين، وأن تحسن التصرف في هٰذَا المال، تعطي المساكين، وتعطي اليتامى، وتنظر في حق هٰذَا المال، وفي حقوق وفي أهل هٰذَا المال.

ثم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ذكر في آخرها لما قَالَ: ﴿وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ ۝١٨ وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا ۝١٩ وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ [الفجر: ١٨-٢٠]؛ يَعْنِي: نقل الله عَزَّ وَجَلَّ أنظار الناس إِلَىٰ ما هو أعظم، وأن الإنسان ينبغي أن يحسن التصرف هٰذِه الدنيا، لما سيلاقيه يوم القيامة، ولذلك عرض الله لنا مواقف عظيمة في هٰذَا اليوم، وتلاحظ أن كل موقف من مواقف يوم القيامة يتناسب مع السورة، يتناسب مع موضوعاتها، مع ما جرى قبلها، ومع سياقات هٰذِه الآيات.

ولذلك قال الله عَزَّ وَجَلَّ فيها: ﴿كَلَّا﴾، ليس هٰذَا التصرف المرضي في هٰذَا المال، أن تحرم أهله من هٰذَا المال، المساكين واليتامى، وتحب هٰذَا المال هٰذَا الحب الذي يجعلك تطغى ويجعلك تفسخ، ويجعلك تنسى حق الله فيه، ﴿كَلَّا﴾، ثم لفت الأنظار إِلَىٰ ما هو أعظم، وهو الوقوف بين يدي الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ومجازاة الناس.

هٰذَا الموقف العظيم الذي وصفه الله لنا بهذا الوصف العظيم، لما قَالَ: ﴿كَلَّا﴾؛ كلمة زجر، أَوْ قيل أن معناها: حقًا ﴿إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾، وَهٰذِه من أهوال يوم القيامة، أن تدكي الأرض، ولاحظ أنه قَالَ: إذا دكت، والدك هو دق الشيء، حَتَّىٰ يستوي، لا ترى ﴿لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا﴾ [طه: ١٠٧]، مستوية كالخبزة، ﴿إِذَا دُكَّتِ﴾ [الفجر: ٢١]، ولاحظ أنه قَالَ: دكت، ﴿دَكًّا دَكًّا﴾، كل

هٰذَا تأكيد على أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ سيسوي هٰذِه الأرض، أرض المحشر، ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ٤٨].

قَالَ: ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ۝٢١ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢١-٢٢]، يأتي الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في هٰذَا اليوم العظيم للفصل والقضاء بين الناس، ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾ [البقرة: ٢١٠]، ومجيئه مجيء حقيقي، يجب علينا أن نؤمن بأن الله يأتي يوم القيامة، يأتي مجيئًا حقيقيًا، لا نأوله بتأويل كما يؤوله أهل البدع، وَإِنَّمَا نثبت المجيء، وأنه يأتي حقيقة سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ليفصل ويقضي بين الناس.

كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢]، أَيْضًا الملائكة تأتي صفوفهم، ملائكة السماء تنزل مع الرحمن سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، تنزل من السماء عَلَىٰ هٰذِه الأرض، وعَلَىٰ هٰذِه البسيطة صفوفًا صفوفًا، ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢]، أهوال عظيمة حقيقة.

قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾ [الفجر: ٢٣]، يؤتى بجهنم كما جاء في الحديث الذي رواه مسلم وغيره، قَالَ: «يُؤْتَىٰ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ، مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَهَا حَتَّىٰ يُؤْتَىٰ بِهَا»، قَالَ: ﴿وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾ [الفجر: ٢٣]، في هٰذِه الحال إذا رأى هٰذَا الإنسان بعد بعثه وخروجه من قبره، ورأى هٰذِه الأهوال العظيمة الشديدة، ومجيء رب العالمين سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ والملائكة، ومجيء هٰذِه النَّار، وجاء الفصل والقضاء بين الناس، هنا يتذكر هٰذَا الإنسان.

يتذكر ماذا؟ يتذكر الدنيا وما فعل فيها، وما قدم فيها، إن كان مفرطًا، مضيعًا، ضالًا، ندم أشد الندم، وإن كان مقصرًا أَيْضًا ندم اشد الندم، وكلهم كل سيندم، وكل سيرى نفسه أنه قد قصر في هٰذَا الشيء، وتذكر أن لو كان شغل دنياه كلها في طاعة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، يتذكر الإنسان قال الله: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ﴾ [الفجر: ٢٣]، كيف تكون له الذكرى؟ ما ينفع بعد انتهاء وقت الذكرى.

الدنيا هي مجال العمل، الدنيا هي وقت العمل، فإذا انتهت دنياه وخرج من هٰذِه الدنيا انتهى عمله، وقضي وانتهى أمره، فَهٰذِه الدنيا هي مجال العمل، قَالَ: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ﴾ [الفجر: ٢٣]، يقول ماذا؟ ﴿يَقُولُ يَالَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾ [الفجر: ٢٤]، يتمنى، هٰذَا أسلوب

تمني، يا ليتني قدمت من الأعمال الصالحة لحياتي، أي حياة؟ حياة الآخرة، وعرف الآن أن الحياة الحقيقية هي الحياة الآخرة، ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ﴾ [العنكبوت: ٦٤]؛ الحيوان يَعْنِي: الحياة الحقيقية الدائمة، التي ليس فيها موت، ولا تنقطع سرمدًا.

يقول هنا: ﴿يَالَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾ [الفجر: ٢٤]، إذًا فيه تذكر، فيه تحسر، فيه ندم، مَتَىٰ؟ إذا فات الأوان، ما دام معك الأواني الآن، والوقت معك، لماذا تعرض نفسك للتحسر، والتذكر، والندم، ما ينفع، فما دام أنك في فرصة فاستغل هٰذِه، ولذلك بعثة الأنبياء، ونزول هٰذَا القرآن كله تذكير لنا، تذكير حَتَّىٰ تحيا قلوبنا مع القرآن، وتحيا قلوبنا ما دام الفرصة معنا، وما دام أن الله أعطانا أعمارًا نستغلها.

قَالَ: ﴿فَيَوْمَئِذٍ﴾ [الفجر: ٢٥]، إذا جاء يوم القيامة، وجاء هٰذَا الندم والتحسر، ﴿لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ﴾ [الفجر: ٢٥]، ما في أحد يعذب مثل عذاب الله، إذًا عذاب الله شديد، لا يمكن أن يوصف، ولا يمكن أن يُقاس عَلَىٰ أي عذاب من عذاب الدنيا، لا يعذب عذابه أحد، عذاب الله عظيم، وَهٰذَا عرض لأهل النَّار.

ثُمَّ يعرض أهل الجَنَّة، قَالَ: ﴿لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ ۝٢٥ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ﴾ [الفجر: ٢٥-٢٦]، إذا وُثِّقت الأيدي والأرجل بالسلاسل، وغُلَّت الأيدي بالرقاب، لا يوثق ولا يسلسل مثله، ﴿إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ ۝٧١ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ﴾ [غافر: ٧١-٧٢]، ما ينفع، ولذلك الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بدأ بأهل النار تهديدًا للمعاندين المستكبرين، ﴿وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ﴾ [الفجر: ٢٦].

قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في أسلوب الترغيب، وأسلوب ترغيب وتهنئة، وأسلوب شكر ورد معروف، ينادي الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هٰذِه النفس الطيبة، النفس المطمئنة، النفس المؤمنة، النفس الَّتِي عرفت لماذا خلقها الله، النفس الَّتِي قدمت لنفسها، قَالَ: ﴿يَاأَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ [الفجر: ٢٧]، اطمأنت عَلَىٰ أي شيء؟ اطمأنت عَلَىٰ أنها تلقى الله وهي آمنة، تلقى الله وهي آمنة، لماذا؟ لأنها استعدت لهذا اليوم يوم المعاد، فمن استعد لهذا اليوم، لقي الله وهو مطمئن آمن، ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢]،

ولذلك قَالَ: ﴿النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ [الفجر: ٢٧]، وصفها بالطمأنينة، والراحة النفسية، وانشراح الصدر، ﴿وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٣]، يقول الله لها، أَوْ للملائكة: ﴿ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً﴾ [الفجر: ٢٨]؛ يَعْنِي: ترجعين إِلَىٰ رضا الله، وإِلَىٰ جنة ربك، ودار الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، دار كرامة، ارجعي إِلَىٰ ربك راضية أنتِ، والله أَيْضًا، وأنت قد أرضيت الله سُبْحَانَهُ، وقد رضي الله عنك أيتها النفس، أيها الإنسان ارجع إِلَىٰ ربك وأنت راضٍ عما عملت، وعما جُزيت به من الحسنات والجزاء الحسن، وقد رضي الله عنك، فأنت رضيت وأرضيت، ورضي الله عنك.

قَالَ: ﴿رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً﴾ [الفجر: ٢٨]، شف كيف؟ طمأنينة، مطمئنة، وراضية، ومرضية، كل هٰذِه بشارات لهم.

قَالَ: ﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي﴾ [الفجر: ٢٩]، في زمرة المتقين، وزمرة الصالحين، ورفقة الأنبياء، والصديقين، والشهداء، والصالحين، ﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ۝٢٩ وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ [الفجر: ٢٩-٣٠]، كما قَالَ بعضهم: الجار قبل الدار، أعطاهم الله وصف لهم الجار وصحبة الأخيار، قبل أن يستقروا في هٰذِه الدار.

ذَكَرَ بعض أهل التفسير أن هٰذِه الآية تصدق عَلَىٰ يوم القيامة، وتصدق أَيْضًا عند الموت، فعند الموت تأتي هٰذِه البشارات، إذا خرجت روح الإنسان، أَوْ عند احتضاره يناديه منادي، ﴿يَاأَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ۝٢٧ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ﴾ [الفجر: ٢٧-٢٨]، أخرجي أيتها الروح الطيبة إِلَىٰ مرضاة من الله، ﴿يَاأَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ۝٢٧ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً﴾ [الفجر: ٢٧-٢٨]، يَعْنِي: يوجه للمؤمن هٰذَا الكلام عند خروجه من الدنيا، وعند ملاقاة ربه في عرصات يوم القيامة.

أسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ألا يحرمنا فضله، وأن يجعلنا وإياكم هداة مهتدين، موفقين لكل خير، وأن يجعلنا من هٰذِه النفوس المطمئنة، الراضية المرضية، إِلَىٰ لقاء آخر إِنْ شَاءَ اللهُ من سورة أخرى بِإِذْنِ اللهِ، أسأل الله أن ينفعنا بما قلنا، وبما سمعنا، واللهُ أَعْلَمُ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الدرس (٣٧)

إِنَّ الْحَمْدَ لِلهِ نَحْمَدُهُ تَعَالَىٰ ونَسْتَعِينُهُ ونَسْتَغْفِرُهُ، ونَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا ومِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلاَ مُضِلَّ لَهُ ومَنْ يُضْلِلْ فَلاَ هَادِيَ لَهُ، وأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ ورَسُولُهُ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ ولَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ وخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا ونِسَاءً واتَّقُوا اللَّهَ الَّذِى تَسَاءَلُونَ بِهِ والْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ ويَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ومَنْ يُطِعِ اللَّهَ ورَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠- ٧١].

أيُّها الإخوة الكرام السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، هذا اليوم هو اليوم الثالث والعشرون من شهر رجب من عام أربعة وأربعين وأربعمئة وألف من الهجرة، أسأل اللَّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن يُعيننا وإياكم على ذكره وعلى شُكره وعلى حُسن عبادته.

هذا المجلس المُبارك وهذه الوقفة المُباركة مع كتاب اللَّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قراءةً وتفسيرًا وتدبُّرًا وتأمُّلًا، مجلس مبارك تحفُّه الملائكة تغشاه الرحمة تنزل عليه السكينة يذكر اللَّه حاضريه في الملأ الأعلى عنده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

السورة الَّتِي بين أيدينا هي سورة البلد، وأنت تقرأ في سورة الفجر تتأمَّلها ثم تنتقل إلى سورة البلد تتأمَّلها تجد بينهما توافق كبير جدًّا في أولًا القسم فإن سورة الفجر أقسم اللَّه بخمسة أمور كما مر معنا

﴿وَالْفَجْرِ (١) وَلَيَالٍ عَشْرٍ (٢) وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ (٣) وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾ [الفجر: ١-٤] خمسة، وأقسم هناك أيضًا بقسمين عظيمين، إذًا توافق بين أنَّ هذه مُفتتحة بالقسم وهذه مُفتتحة بالقسم.

التوافق أيضًا الحديث عن هذا الإنسان هذا المخلوق العظيم، خلق اللَّه عَزَّ وَجَلَّ هذا الإنسان في كبد، وأيضًا ذكر هناك حديثًا عنه، أيضًا تجد التشابه بين السورتين أن اللَّه تحدَّث سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عن هٰذَا المال وموقف الإنسان منه، كيف يتصرف بهذا المال، هل يكون هذا المال وبالًا عليه أو يكون هذا المال عونًا له على طاعة اللَّه.

وكذلك الحديث عن أهل المال مَن هم، مَن هم الذين لهم حق في مالك، ذكر اللَّه في سورة الفجر اليتيم والمسكين وذكر هنا أيضًا في هذه عتق الرقبة والمساكين المحتاجين هم أهل المال ولهم حقٌّ في مالك، تشابه عظيم بين السورتين تشابه عظيم.

السورة في مقصدها العام تتحدَّث عن هذا الإنسان، هذا الإنسان كيف خلقه اللَّه وكيف يتصرف في هذه الدنيا، ما بين إنسان منَّ اللَّه عليه بالطاعة والاستقامة والنور والهداية وآخر لم يرى هذا النور ولا هذه الهداية فتخبَّط في هذه الدنيا لا يدري أين يذهب حيران، السورة حقيقة عظيمة تحتاج منها إلى تأمُّل العظيم.

أولًا افتتاحيتها بقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ [البلد: ١]، القسم له أفعال وله حروف، الفعل أُقسِمُ أحلف هذه أفعال، والحروف الواو والباء والتاء، في الفجر قال ﴿وَالْفَجْرِ﴾ أتى بالحرف يعني أُقسِمُ بالفجر، هنا صرَّح بالفعل قال ﴿لَا أُقْسِمُ﴾، اللام هذه كثير من الناس قد يغيب عن معناه أو يظن أنها نفي يعني لا أُقسِم يعني ما يحتاج الأمر قسم، لا هي قسم.

هذا الكلام عندما تتأمل تجد أن اللَّه يُقسِم، بدليل أنه عطف عليه قال: ﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ﴾ [البلد: ٣] كله قسم، حتى أنك لو تقرأ في موضع آخر يقول اللَّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾ [الواقعة: ٧٥]، ثم قال بعدها: ﴿وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ﴾ [الواقعة: ٧٦] إذًا هو قسم حقيقته قسم، أما الَّذِينَ يقولون أنَّه ليس بقسم هذا المعنى بعيد، الصحيح أن السورة مُفتتحة بالقسم، حَتَّىٰ قوله تَعَالَىٰ: ﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ (١) وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ [القيامة: ١-٢] هو قسم حقيقة.

طيب شلون يقول (لا) ثم يكون قسم؟ هنا السؤال، كيف يقول الله عَزَّ وَجَلَّ ﴿لَا أُقْسِمُ﴾ وأنت تقول إنه قسم؟ نقول هذا أسلوب من أساليب العرب، القرآن نزل بلسان عربي مبين، أسلوب من أساليب العرب أنت تستعمله أحيانًا، إذا كان الأمر قد وقع حقيقةً وظهر تقول ما يحتاج القسم، لا أُقسِم بهذا الشيء، هذا واقع ظاهر، لو جاءك شخص قال لك الشمس ظاهرة في النهار اليوم، تقول ظاهرة، يقول لك هي ظاهرة؟ تقول لا أُقسِم إنها ظاهرة يعني ما يحتاج الأمر إلى أنني أُقسِم لظهوره وبيانه، هذا معناه، وهذا أسلوب من أساليب العرب، أنت تقول في بيتك لا والله بلا والله، فلا ليس معناها أنني لا أُقسِم، بل أُقسِم.

﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ هذا اسم إشارة، يشير إلى أي شيء؟ إلى هذا البلد، ما هي البلد؟ هي البلد المذكورة هنا وقد ذكر الله في موضعٍ آخر القسم بها صريحًا هي مكة شرفها الله وحرسها الله، قال: ﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ وهو يُخاطب محمدًا صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقال في سورة التين: ﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾ [التين: ٣]، أقسم بالبلد الأمين وهي مكة، فقوله هنا لا أُقسِم بهذا البلد أي مكة حرسها الله، يقول يعني لا يحتاج الأمر أن أُقسِم بهذا المكان الشريف المُعظَّم؛ لأنه شريف مُعظَّم فلا يحتاج أن أُقسِم به، أو أنني أُقسِم به لشرفه ومكانته.

ثم أتى بجملة اعتراضية قال: ﴿وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ [البلد: ٢]، خطاب للنبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومعنى ﴿وَأَنْتَ حِلٌّ﴾ للمفسرين عدة معاني، بعضهم يقول وأنت حل أي أنت حالٌّ ومقيمٌ في مكة، وبعضهم يقول وأنت حلٌّ أي أن الله أحلَّ لك القتال في مكة أحلَّ لك القتل والأسر في مكة مع أن الله عَزَّ وَجَلَّ حرَّم القتل والأسر في مكة، ﴿وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ﴾ [البقرة: ١٩١]، وأن نبي الله إبراهيم عليه السلام حرَّم مكة جعلها حرامًا القتل وسفك الدماء والأسر والإيذاء والمعاصي كلها محرمة في هذا البلد، فالله عَزَّ وَجَلَّ أخبر محمدًا صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه أباح له ساعةً يُقاتل فيها المشركين.

وفي هذا إشارة أو نقول هي من معجزات القرآن الغيبية إعجاز غيبي؛ لأنه لم يحلَّه إلا لما دخل مكة في السنة التاسعة أو في السنة في السنة الثامنة على الصحيح، دخل مكة وفتحها في السنة الثامنة فأحلَّ الله

له ساعة، الآية أو السورة نزلت قبل ذلك بكثير، قبل يمكن عشر سنوات أو أكثر فيخبره اللَّه بخبر لم يأتي، يُخبره بهذا الخبر، قال: ﴿وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾.

المعنى الثالث قال بعض المفسرين: ﴿وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ أي أن المشركين أحلُّوا دمك وأحلُّوا دم أصحابك وآذوك لأنهم اجتمعوا على قتله فأحلوا دمه، قالوا أنت حلٌّ بهذا، كيف يحلون دمك وكيف يؤذونك وهم يعرفون عظمة المسجد الحرام ويعرفون أنهم لا يتعرَّضون لمن جاء إلى هذا المسجد؟

كل من جاء قادمًا بعمرةٍ أو حج للمسجد الحرام المشركون لا يؤذونه، وغير المشركين حتى خارج قريش لا يتعرضون له بسوء فكيف هؤلاء المشركون يقتلون ويؤذون النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فكيف يحلون لأنفسهم أذى محمد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟

وكل هذه المعاني صحيحة أنه حالٌّ بمكة، وأنه حِلٌّ بمكة، وأنهم أحلَّوا دمه، كل هذه صحيحة، قال: ﴿وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾، ثم عاد سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ إلى القسم مرةً أخرى لما أقسم بهذا البلد الشريف أقسم أيضًا بهذا الإنسان لما سيأتي مما يتعلق بهذا الإنسان فقال: ﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ﴾ [البلد: ٣]، الوالد من هو؟ ومن هو الولد؟ نقول كل إنسان والد ومولود، فيُقسم اللَّه بكل إنسانٍ قد أصبح والدًا وكل إنسان هو ولد أو مولود، فيقسم اللَّه تعظيمًا لهذا الإنسان، هذا الإنسان الذي خلقه سُبْحَانَهُ تَعَالَىٰ وكرمه وشرفه.

ثم جاء الجواب، اللَّه أقسم بأمرين أقسم بمكة وأقسم بهذا الإنسان، على أي شيء؟ قال الجواب: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ [البلد: ٤] اللام هذه يُسميها أهل العلم اللام موطئة للقسم تأكيدًا لهذا القسم، (وقد) تحقيق الأمر أن اللَّه خلق هذا الإنسان في كبد، والكبد المشقة العظيمة، الكبد المشقة التي يُكابدها الإنسان في حياته.

ولهذا المعنى لهذه الجملة وهذه الآية، للمفسرين فيها معنيان: المعنى الأول أن هذا الإنسان خلقه اللَّه في كبد، فإن أردنا به الكافر فإن اللَّه خلقه في مشقة وتعب في هذه الدنيا وسيواجه من المشاق العظيمة في قبره ويوم القيامة حتى يصل إلى مقره الأخير في نار جهنم وهو يُواجه ويُكابد هذه الحياة، هذا معناه، إلا من عصمه اللَّه فعرف الطريق إلى اللَّه وعرف الهداية.

والمعنى الثاني أن معنى قوله لقد خلقنا الإنسان في كبد أي في مكابدة في حياة المؤمن، سواءً قلنا في حياته في خلقه، كلها مكابدة ومشاقة، فخلقه في بطن أمه مُكابدة، وفي الدنيا يُكابد الحياة ويُواجه أشياء عظيمة، يبحث عن رزقه، يُصاب بالمصائب وغير ذلك، كلها في كبد، حتى في أعماله تحتاج إلى عمل، كل ذلك يعيش الإنسان في هذه الدنيا في كبد، ولكن المؤمن يختلف، المؤمن إذا أصابته ضراء صبر، وإذا أصابته سراء شكر، ولا يكون ذلك إِلَّا للمؤمن، فيُواجه المكابدة بلا شك لكنه يعرف كيف يتصرف مع هذه الأمور الشاقة.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾ [البلد: ٥]، يقول هذا الإنسان الكافر؛ لأن المؤمن يعرف أن الله يقدر عليه لكن هذا الكافر يحسب أن لن يقدر عليه أحد، يظن أنه خلاص أصبح في قوة ونشاط ومكابدة لهذه الحياة، فيظن أنه هو القوي وليس هناك أقوى منه، يستطيع أن يبطش بالمال ويأخذ ويُعطي وإلى آخره قوةً فيه وصلابة، فيظن أنه قد وصل إلى أنه لن يقدر عليه أحد، يظن أنه وصل إلى هذه الدرجة وهو أضعف شيء من المخلوقات، قد يكون من أضعف المخلوقات، أي مصيبة تصيبه يسقط منهارًا على طول، فالله أعطاه القوة والنشاط ويظن أنه وصل إلى هذه الدرجة.

وشوفوا موقفه حتى تعرف أن السياق في سياق من لا يعرف الطريق إلى الهداية، السياق في كل من لا يعرفه ولذلك قال الله عز وجل فيه: يقول هذا الإنسان مع قوته ونشاطه ومكابدته وأعطاه الله القوة، ﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا﴾ [البلد: ٦]، أعطاه الله المال والقوة والنشاط فلم يُحسن التصرف في هذا المال، ولذلك قال: ﴿أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا﴾ يعني مالًا كثيرًا تلَّبد بعضه على بعض فأهلكه، ما عرف يتصرف فيه.

لو كان في باب الخير وكان في باب الطاعة لما قال الله ﴿أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا﴾، لقال أنفقت في وجوه الخير فيأخذ المال ويُنفقه في وجوه الخير، لكن لما قال أهلكت دلَّ على أنه لا يُحسن التصرف وأنه كافر يبطش بالمال ولا يدري ماذا يصنع به.

﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا﴾، فقال الله له هذا الإنسان الذي أعطاه الله القوة والنشاط والمكابدة لهذه الحياة وأعطاه المال الذي بدأ يعني يتصرف فيه بغير حق يقول: ﴿أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ﴾ [البلد:

٧]، يظن أن اللَّه لم يره ولم يطَّلع عليه، اللَّه مُطَّلع عليه وعالم بحاله فكيف يدَّعي ويفتخر بماله ويبطش بماله ولا يحسن التصرف فيه واللَّه مُطَّلع عليه، قال: ﴿أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ﴾.

ثم ذَّكره اللَّه عَزَّ وَجَلَّ لما أخبره أن اللَّه مُطَّلع عليه ذكَّره بالنعم التي فيه فذكر أشهر هذه النعم، فقال: ﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ﴾ [البلد: ٨] يُبصر بهما ويرى بهما ويستطيع أن يتحرك ويذهب ويأتي، هذه نعمة العينين من أعظم النعم على هذا الإنسان، جعل اللَّه له عينين يُبصر بهما، تفكَّر في نفسك لو تفقد هاتين العينين كيف ستتصرف؟ ستفقد شيئًا عظيمًا.

قال: ﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ﴾ يمن اللَّه عليه بأن جعل له عينين يُبصر بهما، ألم نجعل له عينين ولسانًا يتكلم ويتحدث ويُبين ويُفصح؟ واللَّه أنعم عليك بالبصر تُبصر، تنظر السماء وتنظر إلى الأرض وتنظر إلى طريقك، وتُبصر الناس وتعرف فلان وتعرف فلان بعينيك، وأعطاك اللسان تتحدث والبيان، تستطيع أن تأخذ وتُعطي مع الناس وتتكلم، لو فقدت لسانك هذا لم تتحدث وأصبحت ستتحدث بالإشارة، عرفت نعمة هذا اللسان العظيم وهذا البيان.

قال: ﴿وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ﴾ [البلد: ٩]، شفتين لجماله بخلقته، لو لم يكن له هاتان الشفتان لأصبح فيه تشويه في خلقته، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى نعمة الشفتين للحديث، لو حصل خلل في إحدى الشفتين لم يُبِن الكلام ولم يُوضِّح كلامه وأصبح كلامه غير واضح، كذلك من نعمة الشفتين أنها تحفظ الطعام والشراب، لو أصبح فيها خلل سقط الطعام والشراب.

فهذه نعمة عظيمة، نعمة الشفتين لو تنظر فيها وتتأمل فيها وجدت فيها من الآيات العظيمة العجيبة في خلقها لما خلقها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، لما ذكَّره بنعمة الدنيا يُبصر ويتكلم وخلقه بأحسن صورة وبجمال وبشفتين جميلتين، هذه من نعم الدنيا، ذكَّره بنعمة الآخرة نعمة الهداية التي هي أعظم.

قال: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ [البلد: ١٠]، النجدان طريق الخير والشر، هداه اللَّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يعني بيَّن له، هداه هداية إرشاد، بيَّن له طريق الخير والسعادة والنجاة وبيَّن له طريق الشر حتى لا يقع فيه، هداه النجدين.

لماذا سُمي طريق الخير والشر بالنجدين؟ أصل النجد هو ارتفاع الشيء، ولذلك تُسمى هذه المنطقة منطقة نجد بارتفاعها، أصل النجد ارتفاع الشيء، وسُمِّيَ طريق الهداية وطريق الضلال النجدين لأنه

يحتاج إلى جهاد، يحتاج إلى جهد وبذل كأنه مرتفع، ولذلك الله سبحانه وتعالى قال في موضع آخر: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٣]، وهنا قال: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ طريق الخير والشر.

أعطاك الله نعمة عظيمة أنك بيَّن لك طريق الشر حتى لا تسلكه وتتجنبه، وبيَّن لك طريق الخير حتى تسلكه وتنجو بهذا الطريق وتسلم بهذا الطريق.

﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾ [البلد: ١١]، يقول هديناه طريق الخير وطريق الشر، ولكن مع الأسف أنَّ كثيرًا من الناس لم يرد الخير ولم يرد طريق الخير ولم يرد طريق النجاة بل أراد طريق الضلال والهلاك وعاش لحياته فلم يقتحم العقبة، ما هي العقبة وكيف يقتحمها؟ اقتحامها دخولها وصعودها بقوة، وأصل العقبة الشيء المرتفع، وهذا تصوير بديع لأي شيء للأعمال الصالحة، الأعمال الصالحة كالعقبة تحتاج منك إلى جهد، تحتاج منك إلى مجاهدة النفس بالأعمال الصالحة، قيام الليل الصيام في الهواجر أو شدة الحر، قراءة القرآن وغير ذلك، مجالس العلم، هذه تحتاج إلى مجاهدة تحتاج إلى صبر.

يقول هذا لم يقتحم العقبة، ثم قال: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ﴾ [البلد: ١٢]، ما علمك ما هي العقبة؟ هذا أمر عظيم شديد يحتاج منك مجاهدة، ما هو؟ فسَّر لك العقبة حتى تعرفها، قال هي ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ﴾ [البلد: ١٣] يعني إعتاق وفك الأسارى في الحروب وإعتاق الرقاب التي جعلها الله دائمًا في الكفارات، يعني تخليص هذا الرقيق من رقه وجعله حرًا وهي أكثر ما يتشوَّف له القرآن ويتشوَّف له الشرع.

قال: ﴿أَوْ إِطْعَامٌ﴾ [البلد: ١٤]، يعني العَقَبة هذه تحتاج منك أن تبذل المال، لما قال هنا ﴿أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا﴾ هذا المال لو صرفته في إعتاق الرقاب وصرفته في إطعام المساكين لما قال هنا: ﴿أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ﴾ [البلد: ١٤] يعني هذا المال تصرفه في إطعام هؤلاء المساكين الجياع، الجياع الذين لا مال ولا دار، قد افترشوا الأرض والتحفوا السماء ولم يجدوا مالًا، لا تجد المرأة الثكلى، المرأة الأرملة، الطفل الصغير اليتيم، الشيخ الكبير لا يجدون ذلك، تأتيهم الكوارث تُصيبهم الجائحات فيحتاجون من يقف معهم.

ولذلك قال: ﴿إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ﴾ [البلد: ١٤] هذا اليوم ما هو؟ قال: ﴿يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ﴾ شديد المجاعة، هنا يأتي دور الإنفاق في سبيل الله وهنا يأتي دور اقتحام العقبات الشديدة، لما تدفع المال

الطائل، لما دعا النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصحابة إِلَىٰ إنفاق مالهم في جيش العسرة جاء أبو بكر بماله كله، قال: ماذا تركت لأولادك؟ قال: تركت لهم اللَّه ورسوله، هذا وقت العقبة الشديدة.

قال: ﴿يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ﴾ [البلد: ١٤] إطعام مَن؟ قال إطعام اليتيم وخاصةً إذا كان قريبًا، فإطعامه صدقه وصله، أو مسكين الجائع المحتاج الذي قال: ﴿ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ [البلد: ١٦] الذي لصق من شدة الجوع والمسكنة على الأرض لا يستطيع القيام من شدة الجوع، فقال: يعني ﴿مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾، وهذا الذي يعمل هذه الأشياء هذا العمل واقتحام العقبة لا يأتي من فراغ وإنما يأتي من أعمال صالحة وإيمان سابق، فإن كان عندك إيمان قوي وعمل صالح فهذا الذي يساعدك.

ولذلك قال: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [البلد: ١٧]، أصبح يعني رسخ الإيمان فيه في قلوبهم، ﴿وَتَوَاصَوْا﴾ وصى بعضهم بعضًا، المؤمنون كالجسد الواحد يوصي بعضهم بعضًا، قال: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [البلد: ١٧] أن يُصبِّر بعضهم بعضًا على الطاعات وعلى الإنفاق في سبيل اللَّه وعلى الوقوف مع إخوانهم، ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾ بأن يرحم بعضهم بعضًا.

فإذا فعلوا ذلك وتماسكوا وتواصوا وعملوا الصالحة وآمنوا النتيجة قال: ﴿أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ [البلد: ١٨]، هم أهل الخير والصلاح في الدنيا والآخرة، وهم أهل النجاة، أصحاب اليمين يأخذون كتابهم بيمينهم، أما غيرهم من أصحاب الشمال الذين لم يعرفوا هذا الطريق وخبط في هذا المال وأهلك المال المتراكم ولم يحسن التصرف فيه.

قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا﴾ [البلد: ١٩] كفروا ولم يؤمنوا ولم يعرفوا حق المسكين والضعيف، ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾ [البلد: ١٩] أي أصحاب الشمال عليهم نارٌ مُؤصدة أي مصيرهم إلى نار جهنم تُؤصد عليهم وتُغلق عليهم، فيصبحوا في مكانٍ قد أُغلق عليهم كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿مُؤْصَدَةٌ (٨) فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ﴾ [الهمزة: ٨-٩]، قد أُغلقت عليهم الأبواب فلا يستطيعون، ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا﴾ [المائدة: ٣٧].

فالسورة عظيمة تحدثت عن عدة أمور، تعظيم المسجد الحرام والبيت الحرام، وتعظيم النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هذا الإنسان المخلوق وحاله في الدنيا ومواقفه كيف يُكابد الحياة والمشاق إن كان من أهل الخير أو إن كان من أهل الشر، ماذا يصنع بهذا المال، كيف يتصرف به، له إخوان محتاجون يقف

معهم ويساعدهم، هذا ما تحدثت عنه السورة، التعاطف والتماسك والتكافل بين المسلمين، حقيقة سورة عظيمة وقفنا معها وتأملناها.

أسأل الله أن يُبارك لنا ولكم وأن يُوفقنا وإياكم لطاعته والله أَعْلَمُ، وَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّد، وعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الدرس (٣٨)

إِنَّ الْحَمْدَ لِلهِ نَحْمَدُهُ تَعَالَىٰ ونَسْتَعِينُهُ ونَسْتَغْفِرُهُ، ونَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا ومِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلاَ مُضِلَّ لَهُ ومَنْ يُضْلِلْ فَلاَ هَادِيَ لَهُ، وأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ ورَسُولُهُ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ ولَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ وخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا ونِسَاءً واتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ والْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ ويَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ومَنْ يُطِعِ اللَّهَ ورَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠- ٧١].

أيها الإخوة الكرام السَّلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، حياكم الله في هذا اللقاء المبارك في هذا اليوم وهو غُرة شعبان من عام أربعة وأربعين وأربعمئة بعد الألف من الهجرة، أسأل اللَّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن يرزقنا وإياكم العلم النافع والعمل الصالح وأن يُبارك لنا ولكم في أوقاتنا وفي أعمارنا وفي علمنا وفي طاعاتنا.

درسنا في تأملات القرآن الكريم وتدبُّراته، بين أيدينا سورة من سور القرآن الكريم من قصار سورِه ومن الجزء الأخير، هي تتحدث حقيقة عن موضوع يهُمُّ الجميع ونحتاج إليه لتذكيرنا وتذكير أنفسنا وإخواننا، السورة التي بين أيدينا هي سورة الشَّمْس.

أقسمَ اللَّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بأمور عظيمة في هذه السورة، وهذه السورة والتي تليها والتي تليها وكثير من السور الآتية كلها مُفتتَحَة بالقسم، يُقسِم اللَّه بأمور عظيمة، الشمس، الليل، الضحى، العصر، أوقات وأزمنة، وكل قسم يأتي جوابه متناسبًا معه.

يعني اللَّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لما يُقسم بهذه الآيات العظيمة، يعني قد يأتيك سائل ويقول لك مثلًا لماذا اللَّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أقسم بالشمس في هذه السورة؟ هذا سؤال يحتاج إلى جواب، لما يأتيك شخص يقول لك طيب سورة الضحى ليش اللَّه اختار وقت الضحى وأقسم به؟ ليش ما يختار وقت الفجر ولا وقت الظهر؟ الضحى له دلالة، يعني أنت تقرأ القرآن تمر على هذه السورة وتسمعها وتقرأها لكن تحتاج منك أن تقف عندها، سورة العصر ليش أقسم اللَّه بالعصر؟ فكل سورة لها دلالاتها، وأهل التفسير وأهل العلم بحثوا في هذه الأشياء وأظهروا لنا بعض الأمور التي لها علاقة حقيقة وقوية في اختيار هذه الأشياء التي أقسم اللَّه بها.

ومن المعلوم عند الجميع أن اللَّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يختار بعلم سابق وبحكمة، ولا يُقسِم إلا بأمور عظيمة عنده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فلما أقسم بالشمس وجعلها هي أول هٰذِه المُقسَمات بها، لها دلالة عظيمة واختارها اللَّه وجعلها هي أول الأمور التي أقسم اللَّه بها واختار الشَّمْس.

أنت تعرف أن كل قَسَم لازم يكون له جوابه، يكون له المُقسَم عليه، أنت لما تقول مثلًا واللَّه ثم واللَّه، تُقسِم على شيء معين، إيش الشيء هذا؟ هنا هذا يُسمى جواب القسم، تقول واللَّه ثم واللَّه أنني زرت فلانًا، هذه (إنني زرت فلانًا) هي التي جعلك تقسم تؤكد عليها، فكل قسم له جواب، يعني أن تقسم على شيء معين.

هنا لما يقول اللَّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا (١) وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا (٢) وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا (٣) وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا (٤)﴾ [الشمس: ١-٥]، شوف كم مِن أمور، والسماء والأرض والنفس، على أي شيء؟ أين الجواب؟ يقسم على أي شيء؟ يُقسم على أمر مهم كلنا نحتاج إليه، هذا الذي أقسم اللَّه عليه هو الذي تدور السورة حوله، كل السورة تدور آياتها حول هذا الشيء، هذا الشيء هو الذي يُميز فلان عن فلان، يُميز كل فلان عن غيره، هنا يأتي المَحَك، يأتي المقصد، يأتي المحور الذي الآيات كلها تدور حوله.

ما هو؟ قال هو جواب القسم، طيب أين جواب القسم؟ قال هو قوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ [الشمس: ٩]، أفلح من زكَّا، زكَّا مَن؟ زكَّا نفسه، زكَّاها بأي شيء؟ وشوف كلمة ﴿أَفْلَحَ﴾ ﴿زَكَّاهَا﴾ وقبلها الشمس، فيها دلالات عظيمة تحتاج أن نتدبرها.

﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ [الشمس: ١٠]، هذا هو الذي تدور عليه السورة، فحتى قبل هذه الجملة ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ [الشمس: ٩-١٠] الآيات التي قبلها لها ارتباط وثيق بها، وما بعدها في قصة ثمود لها أيضًا رابط قوي في النفس.

حتى أنت الآن كما يقول تعيش مع السورة تتأملها، تُحلِّق في هذه السورة، نحتاج منا تركيز وجهد وفهم لآيات السورة حتى تدخل في معالم هذه السورة، السورة هذه لها معالم لها دلالات عظيمة، أي سورة من القرآن ليست مثل أي كلام، هذا كلام رب العالمين ليس كلام بشر، فيحتاج منك إلى وقوف تأمُّل دخول تدبُّر إعادة، تقرأ السورة أكثر من مرة، ولذلك من المنهج النبوي أنه كان يكرر السورة ويكرر الآية.

النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قرأ في ليلة: ﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨] كرَّرها حتى طلع الفجر، وعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كرَّرت أيضًا آية حتى قال القائل أني سمعتها تقرأها فذهبت إلى السوق وقضيت حاجتي وجئت وهي تكررها ﴿وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ (٢٧) إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾ [الطور: ٢٧-٢٨]، تُكررها تُكررها، لماذا نكررها؟ حتى نستوعب دلالاتها ما نستوعب الألفاظ، الألفاظ واضحة قدامك، تستوعب ما تدل عليه هذه الآيات.

اللَّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أقسم قَالَ: ﴿وَالشَّمْسِ﴾ [الشمس: ١] الشمس هي من أعظم الآيات المُشاهدَة بما فيها من مصالح للبشر وبما فيها من تسخير وعجائب ودلالات عظيمة، لما تتأمل هذه الشمس في طلوعها في أول النهار، في توسطها في الشمس في وسط النهار، في غروبها وذهابها، أين القوة وأين التأثير الذين نُشاهده من الشمس وعظمتها في السماء، وأنها تحطمت على الأرض وأبدت نورها على الأرض حتى تبدد الظلام وذهب، ثم في الأخير تذهب ما لها أي أثر، من الذي ذهب بها إلا الخالق القادر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؟ هو الذي يُسخرها وهو الذي يُدبِّرها، وقد يأتي يوم لا تأتي.

فيُقسم اللَّه بالشمس، والشمس هذه لما يذكرها اللَّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في سطوعها على الأرض ما ذكرها قال والشمس إذا طلعت ولا والشمس إذا غربت، قال: ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾ [الشمس: ١]، ضُحاها يعني وقت الضحوة، وقت الضحى لأنه هو أشد سطوع الشمس في الأرض وأشد نور الشمس يكون على الأرض بحيث أنه يذهب كل ظلام، تدخل الشمس في كل دار، تملأ الأرض، ولذلك أقسم بالشمس وضحاها.

وأنت لما تأخذ هذه الجملة ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾ [الشمس: ١] التي أقسم اللَّه بها ثم تذهب بها إلى جواب القسم ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ [الشمس: ٩]، عرفتَ أن الإنسان المؤمن الطائع التقي أنَّ صدره ونفسه كالشمس في قُبول الحق وفي انتشار الحق في صدره كانتشار الشمس على الأرض، وحُبه للطاعات وإقباله على الطاعات كالشمس يسطع سطوعًا.

وعكسه من دسَّاها كالظُلمة، ما يقبل شيء وليس له أي أثر إلا هذه الظُلمة والسواد الذي اسودَّ القلب معه واسودَّت النفس معه، النفس تتأثر بالطاعات وتتأثر بالمعاصي.

ما هي النفس؟ النفس هذه يعني خَلْق لطيف جعله اللَّه في هذا الإنسان، خفيف لطيف يتحرك، نحن لا نعلم كيفيته ولا نعلم كنهه ولا صفته لأن اللَّه لما قال: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾ [الإسراء: ٨٥] قال: ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ما نعرف كُنهها، لكن نعرف أنها في هذا الجسد.

إذا خرجت من هذا الجسد أصبح الجسد جماد ما يتحرك، الذي يُحرِّكه هو هذه النفس، ولذلك النفس هذه تصعد بهذا الإنسان إلى أعلى عليين أو تجعله في أسفل سافلين، هذه النفس تجعل الإنسان يسطع بنور الإيمان حتى يُشاهد كل شيء أمامه ويعرف الحق ويُميزه ويتبعه، ويعرف الضلال ويُميزه ويجتنبه، إذا متى؟ إذا امتلأت بطاعة اللَّه، مثل الشمس إذا ملأت الأرض.

﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾ [الشمس: ١]، ثم أقسم بآية أخرى، قال: ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا﴾ [الشمس: ٢] والقمر معروف والشمس معروفة، ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا﴾، كيف يتلوها؟ إذا ذهبت الشمس عن الأرض جاء القمر مكانها، تلاها بحيث أنه يكون له دور على الأرض بعدما كانت الشمس لها دور على الأرض، الشمس لها دور على الأرض ولها تأثير على الأرض، ذهبت الشمس جاء مكانها

القمر وأصبح له دور على الأرض في نوره في تأثيره في دلالاته في دوره على الأعمال ونحو ذلك، كل هٰذَا.

فتُلُوِّ القمر يعني يأتي مكانها، وقيل أنَّ ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا﴾ أي تبعها في النور، بحيث أن نور الشمس يذهب فيأتي نور القمر.

طيب قال بعدها: ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا﴾ [الشمس: ٣]، النهار يُجَلِّي يظهر، التجلية هي الظهور، طيب ﴿جَلَّاهَا﴾ جل ماذا؟ قال بعض المفسرين جلَّى الأرض، يعني النهار إذا جاء كشف لنا الأرض بنوره وبدَوْر النهار، النهار يُصبح الناس يُبصرون، النهار مُبصر، يُبصرون الناس، فإذا جاء جلَّى الأرض، وقيل: ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا﴾ أي جل الشمس على الأرض، يعني إذا جاء النهار جاءت الشمس وسطعت على الأرض.

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا﴾ [الشمس: ٤] إذا جاء الليل غشَّ الأرض بمعنى غطَّاها بظلمتها حتى لا تُبصر شيئًا على الأرض من شدة سواد الليل، إذا اسودَّ الليل واشتد سواده لا تُبصر شيئًا، ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا﴾ أي يُغطي الأرض، أو يُغطي الشمس، إذا جاء الليل غطى الشمس فذهبت فأصبح الناس في ظُلمة.

شُوف! آيات عظيمة، اللَّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قال في موضع آخر: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [فصلت: ٣٧]، فهي آيات من آيات اللَّه، جعلها اللَّه آية يُستدَل بها على أي شيء؟ على قدرة اللَّه وعلى علمه وعلى حكمته وعلى مُلكه وعلى تدبيره، وأن هذه كلها مُسَّخرَة بأمر اللَّه ومخلوقة خالقها وأوجدها اللَّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

لما لفت نظرك إلى الشمس في السماء والقمر والليل والنهار وحركته السريعة وطول الليل وقِصر النهار، لفت نظرك إلى السماء التي هي فوقك، فقال: ﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا﴾ [الشمس: ٥] أي السماء التي يُقسم اللَّه بهذه السماء الواسعة ويُقسم بمَن بناها وهو نفسه، يُقسم بنفسه، يُقسم بالسماء وبانيها وهو اللَّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، أو نقول والسماء وبُنيانها العظيم، هذا البنيان العظيم المُترامي الأطراف العالي

البعيد السَّمْك العظيم، مَن خلق السماء بهذه الصورة وجعل فيها الشمس والقمر والنجوم آيات عظيمة وزينها بزينة الكواكب؟ هو اللَّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فيُقسم بها.

ثم مقابل السماء يُقسم بالأرض، ﴿وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا﴾ [الشمس: ٦] ومعنى طحاها أي جعلها مُنبسطة واسعة، يستطيع الإنسان أن يمشي وأن يزرع وأن يبني وأن يعيش عليها، جعلها مُنبسطة، ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا﴾ [النبأ: ٦].

قال: ﴿وَمَا طَحَاهَا﴾، ثم أقسم بهذه النفس حتى يربطك بأي شيء؟ بالجواب، جواب هذا القسم، جعل النفس آخر شيء، ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾ [الشمس: ٧] ومعنى سوَّاها من التسوية وهو حُسن الخَلق والجمال.

ما المراد بالنفس هنا؟ قال بعض المفسرين: هي نفس بني آدم، نفس ذرية آدم، وبعضهم وسَّع قال لا، النفس هي كل نفس، نفس الحيوانات من بهمة الأنعام والوحوش وغيرها فيها نفوس تتحرك، وكلها فيها نفس.

فبعضهم قال هذا وبعضهم جعلها في نفس الإنسان، وهذا هو الصحيح هو الأقرب، لماذا؟ لأن الذي ألهمها فجورها وتقواها هي نفس الإنسان، قال: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ [الشمس: ٨] هذه النفس سوَّاها، لما خلقها في أحسن صورة أودع فيها قبول الخير والشر، هذا معنى ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾، أودع فيها قبول الخير والشر، ما من نفس إلا فيها قبول للخير وقبول للشر، فإن استطاع هذا الإنسان الضعيف أن يكون خيره أكثر من شره أفلح وحاول أن يكون الخير بيده، وإن ضعفت نفسه وتسلَّط الشر عليه وضعف الخير عنده قد خاب.

وهذا معنى ﴿أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ [الشمس: ٩-١٠]، لما قال: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ لاحظ! قدم الفجور على التقوى، ليش؟ قال لأنه يُخاطب أناس كفار، هذا أولًا، والأمر الثاني أن طبيعة الإنسان كذا يفجر أمامه، يحب الشر، طبيعة الإنسان كذا، إلا مَن منَّ اللَّه عليه وهداه إلى الهداية، وإلا طبيعة هذا الإنسان حبه يعني حب الشر طبيعته.

فلذلك قَالَ: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾، الفجور معروف والتقوى معروفة، التقوى الخوف من اللَّه والطاعة والاستقامة، والفجور عدم الخوف عدم الطاعة عدم الاستقامة طلب الشر، كل هذا يدخل في فجورها.

قال: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ الآن حتى يعني كلمة ألهمها فجورها أن اللَّه أودع في هذا الإنسان حب الخير والشر، مثل قول تَعَالَىٰ: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ [البلد: ١٠]، وقول تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٣]، يعني اللَّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هداه الهداية العامة، لأنه هداية اللَّه على نوعين، هداية عامة بحيث أنه يوضح لك كل ما فيه خير أو شر، وهناك هداية خاصة.

الهداية العامة تشمل الخلق كلهم، حتى الكفار هداهم اللَّه الهداية العامة، ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾ [فصلت: ١٧] فهداية عامة، وهناك هداية خاصة هداية التوفيق والإلهام، هذه خاصة بمن يهديه اللَّه، هداية التوفيق للمؤمنين، أما الأولى يُسَمُّونها هداية الدلالة والإرشاد.

قال: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾، اللَّه وضع في نفسك وفي عقلك أنك تعرف الخير وتعرف الشر، حتى الحيوانات، الحيوان يعرف عدوه ويعرف أن هذا خطر عليه ويعرف أن هذا شر ويعرف أن هذا خير، كذلك الإنسان يُمَيِّز، أعطاه اللَّه عقل، أعطاه سمع وبصر ويُميِّز أن هذا يضره وهذا ينفعه، فمن تجنب ما يضره وسلك ما ينفعه هذا الذي قد أفلح، ومن عكس هذا الذي قد خاب، هذا معناه، فاللَّه عز وجل أقام الحجة على الخلق سواءً في وضع الآيات أمامه أو إرسال الرسل وإنزال الكتب، أقام الحجة على الخلق.

قال: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ [الشمس: ٩] وشوف كلمة زكَّاها، ما هي التزكية؟ النماء والزيادة، يعني زاد نفسه بالطاعات وكثرت الطاعات عنده، الطاعات هذه لها أثر على الإنسان، كلما يزداد طاعة يزداد قُربة من اللَّه، واللَّه يزداد حبًا، واللَّه يُحبه ويُقَرِّبُه، كلما اقترب من اللَّه اقترب اللَّه منه.

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ رفع نفسه بالطاعات وارتفع وعلا بهذه الطاعة، قال ﴿أَفْلَحَ﴾ يعني ظفر بما يريد ونجا مما يخاف، يعني ﴿أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ [الشمس: ٩-١٠] دس نفسه وجعلها تندس في الفجور وفي المعاصي والشرك والكفر والضلال، فاندسَّت ولم تظهر، شوف

الفرق بين المؤمن العالي، والكافر ينزل والمؤمن يطلع، ولذلك قال أفلح في العلو وخاب، عندنا فلاح وعندنا خيبة وخسارة، وشوف قدَّم الفلاح لأنه هو المطلوب وهو الذي ينبغي للإنسان أن يُسارع له فيرتفع بالطاعة ويندس ويخسر بالمعاصي.

نختم المجلس بهذه الخاتمة التي ساقها اللَّه لنا في قصة ثمود لما هداها اللَّه ودلَّها على الخير لكنها أبت وعاندت وكفرت وامتنعت، لم تقبل ذلك، ساق اللَّه لنا يعني مثالًا لمن دسَّ نفسه، طيب ليش ما ساق اللَّه لنا مثالًا لمن زكَّى نفسه؟ نقول الأصل هو التزكية، والدعوة كلها قائمة على التزكية، والرسل أُرسلوا لهذا الأمر، والجنة لهم والكتب أُنزلت لأجلهم، الإشكال أنك تخاف من الطريق الذي يهوي بك في نار جهنم، أما الحق واضح تنطلق فيه، لكن تخشى أنت من هذه المهاوي التي تضيع فيها.

ولذلك ساق لك مثلًا من أمة مضت أقام اللَّه عليها الحجة، وأرسل إليها الرسل، وأعطاها الأدلة الدالة على أن اللَّه هو المستحق للعبادة وأنه ينبغي أن يُطاع فأبت وكفرت ولم تقبل وعبدت الأصنام والآلهة وردت رسالات ربها وكفرت وكذَّبت رسولها، بل زادت على ذلك أنها ردت الآية العظمى التي جعل اللَّه لها وهي الناقة التي أخرجها اللَّه لهم.

لما طلبوا من صالح عليه السلام أن يُخرج لهم آية، ما يُؤمنون إلا بآية حِسِّيَّة يُشاهدونها، قالوا إن أردتَ أن نؤمن بك أعطنا آية حِسِّيَّة فأخرج لهم هذه الآية، قال ماذا تريدون؟ فخرجوا معه للصحراء فنظروا إلى صخرة عظيمة صمَّاء، فقالوا يا صالح إن كنت رسولًا صادقًا في دعوتك وتريد أن نتبعك أخرج لنا من هذه الصخرة الصماء ناقةً عُشراء حامل في الشهر العاشر، فصلى ودعا فانشقت الصخرة وخرجت منها.

يعني هل بعد هذه الآية آية؟ ﴿وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً﴾ [الإسراء: ٥٩] يعني تشك في هذه؟ ما فيه شك، فقالوا سحرنا صالح، لا يريدون الحق ولا يريدون أن يتبعوا الحق.

ساق اللَّه قصتهم قال: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا﴾ [الشمس: ١١]، أي بطغيانها وإسرافها وكفرها وعنادها، ﴿إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا﴾ [الشمس: ١٢] أي الأشقى هو الذي انبعث، حرَّضوه على عقر الناقة وشجَّعوه فقام، هذا يُقال له قُدار بن سالف مُحيمِر ثمود هو الأشقى، ﴿إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا﴾ [الشمس: ١٢].

قال: ﴿إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا (١٢) فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ﴾ [الشمس: ١٢-١٣] حذَّرهم قبل ذلك وهددهم وخوفهم، ﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ﴾ احذروا ناقة اللَّه، لا تتعرضون لها هذه ناقة اللَّه وإضافتها إلى اللَّه تشريف، لا تتعرضون لهذه، ليست ناقة فلان ولا فلان وإنما هي للَّه، فلا تتعرضوها، ﴿نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا﴾ [الشمس: ١٣] سُقياها أي شربها للماء في الآبار، ﴿لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ﴾ [الشعراء: ١٥٥]، وقال بعضهم سقياها أي لبنها، يعني احذروا الناقة واشكروا أن اللَّه أعطاكم ووهبكم لبنها لكم فاحذروا وخافوا اللَّه.

﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ [الشمس: ١٤] والنتيجة عقروها فلما عقروها ﴿فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾ [هود: ٦٥] وخرج هو ومن معه من المؤمنين وتركهم، فجاءتهم الصيحة والرجفة، رجفت بهم الأرض وصاح بهم جبريل فتقطعت قلوبهم وماتوا عن آخرهم، أصبحوا هامدين.

قال: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا﴾ [الشمس: ١٤] فالنتيجة ﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ﴾ [الشمس: ١٤]، دمدم عليهم أي أطبق عليهم العذاب، عمهم العذاب جميعًا، لم يترك منهم أحدًا، ﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ﴾ [الشمس: ١٤] كلمة بذنبهم هذه تحتاج منا أن نقف عندها، يعني ما عذبهم هكذا، بسبب ذنوبهم، بذنبهم لما عصوا اللَّه وتمردوا على شرعه وعلى رسوله، عذبهم بسبب الذنوب، وهذه شؤم الذنوب والمعاصي، خطورة الذنب على الإنسان.

﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا﴾ جعلها كلها مستوية لم يترك منها أحد، ولا يخاف سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عاقبة هذه العقوبة التي أنزلها وهذا العذاب الذي أنزله عليهم، لا يخاف من عُقبى هذا الشيء ولا من عاقبته لأنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ملك وقوي وعزيز لا يُعجِزه شيء في الأرض ولا في السماء، ومن عصاه يعني استطاع أن ينتقم منه، ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢].

هذه السورة حقيقة عشنا معها هذه الدقائق المعدودة، حفَّتنا الملائكة وللَّه الحمد، وأنزل اللَّه علينا السكينة وغشيتنا الرحمة، وذكرنا اللَّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بأسمائنا في الملأ الأعلى، فضل عظيم أسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ألا يحرمنا هذا الفضل وأن يكتب لنا أجر هذا الفضل.

عِشنا مع هذه السورة، تدبرناها تأملناها عرفنا ما فيها، وأنت تقرأها مرة ثانية ستجد فرق شاسع بين قراءتك أول وقراءتك الحين، فرق كبير في تدبُّرها، وهذا هو المقصد، المقصد من قراءة القرآن أن تقف وتتدبر وتتأمل وتعمل.

أسأل الله أن يُوَفِّقنا وإياكم لطاعته، واللهُ أَعْلَمُ، وَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ عَلَىٰ مُحَمَّد وعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ



بسم الله وَالحَمْدُ للهِ، وأصلي وأسلم عَلَىٰ أشرف الأنبياء والمرسلين نَبِيِّنَا مُحَمَّد، وعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ، ومن اهتدى بهداه إِلَىٰ يوم الدين، اللَّهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علمًا وعملًا يا رب العالمين، واجعل هٰذِه الجلسة القرآنية جلسة مباركة نافعة.

أَمَّا بَعْدُ؛

أيها الإخوة الكرام السَّلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، حياكم الله في هٰذَا اللقاء، وفي هٰذَا اليوم، يوم الثلاثاء الموافق للثاني والعشرين من شهر شعبان، من عام أربعة وأربعين وأربعمئة وألف من الهجرة.

مجلسنا المبارك مع تفسير القرآن العظيم وتدبر آياته، وتأملها، ولا شك ونعيد ونكرر كَثِيْرًا؛ أن الغرض والمقصد من قراءة القرآن هو الوقوف عَلَىٰ الآيات، وَالتَّدَبُّر، وَالتَّأَمُّل، وفهم ما تقرأه، لا أن تقرأ شيئًا لا تدري ما معناه، وإذا مر بك شيء من القرآن، أو آية، أو لفظ من ألفاظ القرآن الكريم لا تعرف معناه، كان الواجب عليك أن تقف عنده، وترجع إِلَىٰ كتب التفسير والمعاني التي توضح لك هٰذَا المعنى، ولا أن تقرأ أشياء لا تعرف معناها.

فإذا كنت تقرأ القرآن وأنت لا تعرف المعاني، ماذا تستفيد وكيف تطبق القرآن، والمقصد من القرآن هو فهمه وتدبره وتطبيقه، السورة التي بين أيدينا نقف معها، نتأملها، ونقرأ آياتها، وننظر فيما يريده الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وأنت تقرأ الآية والسورة القرآنية، وكأنك تخاطب رب العالمين، أو أن الله هو الذي يخاطبك، كأنك تحدثه تحدث الله، أو يحادثك الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وتفهم ماذا تقرأ، وماذا تعني هٰذِه الآيات، ماذا تريد منك هٰذِه الآيات، هٰذَا هو المقصد.

فنقرأ هٰذِه الآية، وهي السورة التي بين أيدينا، هي سورة اَللَّيْل، الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ سمى بعض هٰذِه السور بأشياء من آياته الكونية وغير الكونية، وهٰذِه السورة وما قبلها وما بعدها، كله سور تبدأ بالقسم، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لا يقسم إِلَّا عَلَىٰ أمر عظيم، هٰذَا الأمر أولًا لَا بُدَّ أن نفهمه، الله لا يقسم إلا عَلَىٰ شيء عظيم، هٰذَا يسمى جواب القسم، أو المقسم عليه.

ثم هو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لا يقسم إلا بأمور عظيمة عنده، فالليل أمر عظيم، والنهار أمر عظيم، وَالشَّمْس، والقمر، والضحى، والعصر، والفجر؛ كلها أمور فيها آيات عظيمة، والله لما يقسم يختار هٰذَا الشيء، الغرض منه أن يلفت الأنظار إِلَىٰ أن تتفكر في هٰذِه الآيات العظيمة، لا أن تقرأ: وَاَللَّيْل إذا يغشى، وَالنَّهَار إذا تجلى، وما خلق الذِّكْر...!، لا، هٰذَا ليس المقصود.

أولًا: لماذا أقسم الله بِاَللَّيْلِ، هٰذَا أمر، قف عنده، ثم بما وصف الله الليل لمّا أقسم به، قَالَ: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾ [الليل: ١]؛ يغطي بظلامه كل شيء، إذًا هو آية عظيمة، الآن أنت في النهار تبصر، والنهار مبصر وتشوف كل شيء، بعد ساعات تصبح في ظلمة شديدة، لولا هٰذِه الأنوار المخترعة، لأصبحت في ظُلمة شديدة، والليل قد غطى كل شيء، حتى لو أردت أن ترى يدك، لا تستطيع أن تراها في بعض الأحيان، إذًا هو آية عظيمة.

أَيْضًا ينبغي لك أن تتفكر وتتأمل، لماذا قدم الله اَللَّيْل، لماذا ما قَالَ وَالنَّهَار؟ السورة التي قبلها أقسم الله بِاَلشَّمْسِ، قَالَ: ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾ [الشمس: ١]، ثم أقسم بالقمر، ثم أقسم بِالنَّهَارِ، ثم أقسم بِاَللَّيْلِ، أَخَّر اَللَّيْل، هنا لا، قدَّم اَللَّيْل، إذًا فيه أسرار، فيه حكم في اختيار هٰذِه الألفاظ، واختيار هٰذِه الأوقات، تقديم هٰذَا الشيء عَلَىٰ هٰذَا الشيء، لَا بُدَّ لك أن تتدبر وتتأمل، هٰذَا هو التدبر والتفكر في القرآن الكريم.

أقسم الله بِاَللَّيْلِ، قَالَ: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾ [الليل: ١]، والليل معروف، لا يحتاج أن نفسره، ومعنى إذا يغشى؛ إذا هٰذِه ظرفية زمانية للمستقبل، واذا قلت: إذ؛ للماضي، وإذا قلت: إذا؛ للمستقبل، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقسم بالليل مَتَىٰ؟ قَالَ: ﴿إِذَا يَغْشَى﴾ [الليل: ١]؛ إذًا فعل يغشى هٰذَا الظرف متعلق به، أي عندما، أو في وقت غشيانه للأرض، عندما يغطي الأرض يقسم الله في هٰذِه الحالة.

يَعْنِي: أنت لما ترى هٰذِه الأرض، وهٰذِه البسيطة قد عمَّها الظلام قف عند هٰذَا، وتفكر، وتأمل، هٰذَا هو المقصود.

طيب، لماذا قدَّم الله اَللَّيْل؟ ذكر بعض أهل التفسير أن فيه إشارة، إِلَىٰ أن اَللَّيْل هو ظلمة الجهل، والكفر، والضلال، وأنها قد أزاحها الله، وذهبت، وجاء مكانها النور، والهداية، والطاعة، النَّهَار أصبح قد عم بنوره وضيائه الأرض كلها، فكأن هٰذِه الرسالة، رسالة النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبعثة النَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كأنها سبب لزوال الجهل، والظلم، والكفر، والطغيان، ويحل محله النور، والضياء، والهداية، والاستقامة، والطاعة، كأن إشارة إِلَىٰ هٰذَا الشيء.

وهٰذَا أَيْضًا يتأكد معنى السورة الَّتِي تليها، أشد التأكد في السورة التي بعدها، سورة الضحى لمَّا يأتي الحديث عنها، سيظهر لك جليًّا أنه فعلًا المقصود به رسالة النَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يقول: ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى﴾ [الليل: ٢]؛ والنهار معروف، وإذا؛ عرفناها، وتجلَّى؛ أي انكشف، وظهر، وبان لكل إنسان، ما في أحد يخفى عليه النَّهَار، النَّهَار مبصر، واضح، ظاهر بنوره، ترى كل شيء، تبصر نفسك، وتبصر غيرك، فهٰذَا معناه، فهٰذِه آيات عظيمة.

الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قَالَ في موضع آخر: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ [فصلت: ٣٧]، فجعلها من آياته الدالة عَلَىٰ توحيده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وانفراده بالخلق، والتدبير، وَالتَّصَرُّف، وانفراده بالعبادة، والطاعة، ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى ۝١ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى﴾ [الليل: ١-٢]، هٰذَا القسم الْثَّانِي.

القسم الْثَّالِث؛ قَالَ: ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى﴾ [الليل: ٣]؛ أي والذي خلق الذكر والأنثى، وهو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فأقسم بآيته العظمى، وهي اَللَّيْل، وأقسم بآياته العظمى، وهي النَّهَار، ثم أقسم بنفسه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بأنه هو الذي خلق الذكر والأنثى، وبعض أهل التفسير يقول: إِنَّمَا؛ هنا مصدرية، يَعْنِي: وخلقه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الذكر والأنثى، فأقسم بِاَللَّيْلِ، وبالنهار، وبخلقه لهذا الجنس مختلف، ذكر وأنثى، لماذا؟ ليبقى هٰذَا الجنس بتناسله، ولا ينقطع، ولا ينقرض.

ما المراد بالذكر والأنثى؟ نقول: يشمل الذكر والأنثى من بني آدم، الرجال والنساء، وأيضًا في البهائم عمومًا، وفي الطيور، وفي كل ما يتناسل، والزواحف كلها ذكور وإناث، صنَّفها الله بهذه الطريقة، صنفها سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لتظهر آياته.

ولذلك الله ذكر قَالَ: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾ [الروم: ٢٠]، وآية بعدها قَالَ: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: ٢١]، فهٰذِه كلها آيات الله، فأنت تقرأ وتقف، تقرأ وتقف، وتتأمل هٰذِه الآيات العظيمة.

قَالَ: ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى﴾ [الليل: ٣]، لمَّا أقسم بهذه الأمور، عَلَىٰ أي شيء أقسم؟ قَالَ: أقسم عَلَىٰ أن سعي الإنسان، أو سعي بني آدم مختلف، ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى﴾ [الليل: ٤]؛ ما معنى: سعيكم، هل السعي هو العمل، ولا يختلف؟ لو كان العمل، يَعْنِي هل يمكن أن يستقيم، أن تقول: إن عملكم لشتى؟ نقول: السعي أدق من العمل، وأبلغ من العمل؛ لأن السعي فيه عمل حثيث سريع، وجهد، فالإنسان يسعى بجهد، يعمل بجهد، وبسرعة، وينتج.

فقوله: سعيكم، لما قَالَ الله سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ﴾ [الليل: ٤]، دل عَلَىٰ أن الإنسان يسعى في هٰذِه الدنيا، والسعي هنا وإن كان سعي الإنسان في الدنيا يشمل سعي الدنيا والآخرة، أنت تسعى للدنيا لاكتساب، وتسعى للآخرة لتدَّخر أعمالك الصالحة عند الله، الذي كله شامل، لكن الآية خصت عمل الآخرة.

ولذلك يأتيك الآن تفسير هٰذَا السعي، ما المراد به، فنقول المراد بالسعي هنا: هو سعي عمل الإنسان في هٰذِه الدنيا، ماذا يقدم ماذا يفعل في أعماله الصالحة التي يتقرب بها إِلَىٰ الله، يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى﴾ [الليل: ٤]، وهل معنى شتى مختلف؟ نقول: لا، أبلغ، شتى أشد من مختلف، يَعْنِي اختلافًا جذريًا بعيدًا، مثل ما تقول: شتان بين هٰذَا وهٰذَا، لا يمكن أن يجتمعا، المختلفات قد تجتمع، لكن الأشياء التي هي أشتات ومختلفة، ومتفرقة بعيدة عن بعض، من الصعوبة أن تجتمع.

ولذلك قَالَ: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى﴾ [الليل: ٤]؛ أي مختلفًا اختلافًا عظيمًا، لا يمكن أن يجتمع اثنان، وتكون أعمالهم واحدة، مستحيل ولا يمكن، كل إنسان له عمله، ويقدم من عمله ما يستطيع ما يقدر عليه ويستطيع، وكل إنسان يبذل في هٰذِه الدنيا ما يقدمه، ليكون ذخرًا له في الآخرة.

﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى﴾ [الليل: ٤]؛ هل يدخل في هٰذَا الأعمال الصالحة، والأعمال السَّيِّئَة، ولّا نقول فَقَطْ الأعمال الصالحة؟ نقول: لا، سعي الإنسان في الدنيا عَلَىٰ أي وجه، كان سعيه في الخير، والطاعة، أو سعيه في الشر والمعصية، كله داخل.

بدليل ما يأتي تفصيله الآن، فبدأ يفصِّل، وجاء بالفاء التي تفرِّع، قَالَ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾ [الليل: ٥-٦]، هٰذَا الجانب اَلْأَوَّلُ، أهل الخير، والطاعات، والاستقامة، هؤلاء بدأ الله بهم، لماذا بدأ الله بهم؟ لحث الناس عليه، لحث الناس عَلَىٰ أن يبادروا إذا سمعوا مثل هٰذَا، ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى﴾ [الليل: ٥]؛ أعطى ماذا؟ أعطى مال، ولّا أعطى عمل، ولّا ماذا؟

نقول: بعض المفسرين يقول: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى﴾ [الليل: ٥]؛ أي بذل ماله؛ لأنه قَالَ في الجانب الآخر: بَخِل، وبعض المفسرين يرى أن كلمة أعطى؛ تشمل المال وغير المال، وهٰذَا هو الصحيح، أعطى يَعْنِي بذل، بذل نفسه بالمال والصدقة، وبالأعمال الصالحة، يَعْنِي: بادر بالطاعات، بادر بأداء الصلوات، بادر بقيام اَللَّيْل، بادر بالصيام، بادر بالعمرة، بادر بالحج، بادر بذكر الله، بادر بالتسبيح والأوراد، يَعْنِي: كلمة أعطى تشمل جميع ما يقدمه الإنسان لنفسه.

يَعْنِي كأن الآية تقول: فَأَمَّا من قدم لنفسه الأعمال الصالحة عَلَىٰ شتى أنواعها واختلافها، ولذلك نرجع إِلَىٰ كلمة سعيكم، يَعْنِي مراد به السعي عمومًا، كل الأعمال الصالحة.

﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى﴾ [الليل: ٥]؛ التقوى في غالب معانيها هي الخوف من الله، ولذلك إذا اجتمع البر والتقوى، يفسر البر بالطاعات، والتقوى بترك المعاصي، وهنا لما جاءت أعطى واتقى، العطاء أو الإعطاء: أعمالك الصالحة الَّتِي تقدمها، واتقى: أي خاف الله عَزَّ وَجَلَّ، خاف الله باجتناب معاصيه، فكأن الوصف هنا يعطينا: أن من بذل وقدم نفسه في الطاعات، وسارع إِلَىٰ رضا الله عَزَّ وَجَلَّ في الطاعات، واجتنب المعاصي، وخاف الله من الوقوع في المعاصي والمخالفات.

فَأَمَّا من أعطى، واتقى، وحقق هٰذِه الجملة، وأيضًا قبل ذلك صدَّق، وكان عنده الإيمان، وَالصِّدْق، والتصديق بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وبوعده، ﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾ [الليل: ٦]، والمراد بالحسنى: ما وعده الله من الخير، يدخل في ذلك الجَنَّة، وما أعده الله للمتقين في قبل الجَنَّة، فيما في الدنيا بأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يحييه الحياة الطيبة، هٰذَا كله وعد من الله، وبقبره بأن الله سُبْحَانَهُ يجعله روضةً من رياض الجَنَّة، وبعرصات يوم القيامة، بأن الملائكة تتلقى، ﴿هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِى كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٣].

وبدخوله وفوزه بجنات النعيم، وبرضى الله، فكل هٰذَا داخل، وصدَّق بكل ما جاءه بخبر يسره، وبوعد من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وصدق بالحسنى، فالنتيجة ما هي؟ هنا يأتيك الذي نحتاجه حقيقة في هٰذِه السورة كلها، هٰذِه الذي نحتاج له؛ لأن هٰذِه أكثر ما مر معنا قد ذُكر في آيات أخرى، لكن هنا هٰذَا الذي نحتاج إليه.

قَالَ: من فعل هٰذِه الأفعال، النتيجة ما هي؟ قَالَ: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى﴾ [الليل: ٧]، من بذل وقدَّم، واجتهد في الطاعات، وصدَّق بوعد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من كرمه، من كرم الله عليه أن ييسره لليسرى، ما معنى ييسره اليسرى؟ أن يفتح له أبواب الخير في الصدقات، وفي الطاعات، وفي الأعمال الصالحة، وفي الصلاة وغيرها، مما يجد فيه اللذة، لذة الطاعات، ييسر اليسرى، كل خير؛ صلة رحم، طاعات، بر الوالدين، بر الجيران، بر الأعمال الصالحة بشتى أنواعها، الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ إذا علم من هٰذَا الإنسان أنه بذل في طاعة الله، فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ييسره ويسهل أمره، وهٰذَا أعظم أمر نحتاج إليه حقيقة.

أعظم أمر تحتاج إليه، أن الله يفتح لك أبواب الخير، ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: ٦٩]، ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ [محمد: ١٧]، وفتح لهم باب الخير؛ لأنك إذا أقبلت، أقبل الله عليك، وإذا أتيته أتاك سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وفتح لك أبواب الخير، هٰذَا الذي نحتاج إليه، نحتاج إِلَىٰ هٰذَا.

ويأتيك الجانب الآخر في السعي المختلف، يأتيك الجانب الآخر مقابل لهذا، ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ﴾ [الليل: ٨-٩]؛ قَالَ: بخل بنفسه وبماله، لا هو الذي قدَّم نفسه في الطاعات، ولا قدَّم ماله، نفس الْأَوَّلُ؛ يَعْنِي بخل، حتى بالصلاة يبخل عَلَىٰ نفسه، التي هي منفعة له، وحتى دفع المال، والتصدق بالمال، وبذل المال في وجوه الخير، يبخل به ويمسكه، فهٰذِه هٰذِه حال أهل العسرى.

قَالَ: ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ﴾ [الليل: ٨]؛ استغنى بنفسه عن طاعة الله، استغنى بنفسه عن رضا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وتكبَّر عن طاعة الله، وبخل بماله وتكبر، وهٰذَا هو الواقع، ﴿وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ﴾

[الليل: ٩]؛ كذَّب بما وعد الله، الله وعده بالخير في الدنيا، ووعده في قبره، وفي عرصات يوم القيامة، والفوز بجنات النعيم، كل هٰذَا لم يصدق به ولم يؤمن به.

النتيجة ما هي؟ قَالَ: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾ [الليل: ١٠]؛ وهٰذِه في الحقيقة هي المحك، وهٰذَا هو الموقف العظيم، أن أهل الشر ييسر الله أمورهم للشر، ويفتح لهم أبواب الشر، فتجده إذا وقع في معصية، جاءت المعصية الأخرى، وهكذا تتراكم عليه المعاصي وهو لا يشعر، ويظن أنه عَلَىٰ خير وتنقلب عنده الموازين، فيظن الشر خيرًا والخير شرًا، فتنقلب عنده، ويبدأ يكثر من هٰذِه المعاصي، ويملي الله له ويستدرجه وهو لا يدري.

فهٰذَا هو أشد الأمور أن ييسر أهل الشر للعسرى، ويفتح لهم أبواب الشر، كما قَالَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قَالَ: فلما زاغوا ومالوا، وتركوا طاعة الله، أزاغ الله قلوبهم، ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤]؛ كسب الذنوب والمعاصي لها شؤم عظيم.

قَالَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ﴾ [الليل: ١١]؛ الذي بخل به، هل سيذهب به؟ لن يذهب، مالك ما قدمت، ومال وارثك ما أخَّرت، ﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى﴾ [الليل: ١١]؛ إذا هلك وسقط، وختم له بسوء، وذهب إِلَىٰ النَّار، ما ينفعه ماله، لو جمع الدنيا كلها بحذافيرها ما نفعته أمواله في الآخرة، ما ينفع ماله إِلَّا ما قدمه لوجه الله خالصًا.

طيب، لا نطيل عليكم، الوقت يضيق، والصورة تحتاج منا إِلَىٰ تأمل أكثر وعبرة، هٰذَا القسم اَلْأَوَّلُ؛ وهو أعمال الإنسان في الدنيا، وسعيه في الدنيا، واختلاف الناس في ذلك، يأتي بعد ذلك جزاؤه في الآخرة، يأتي الحديث عنه إن شاء الله في اللقاء القادم، أسأل الله أن ينفعنا بما قلنا وبما سمعنا، وأن يجعلنا وإياكم هداة مهتدين، موفقين للخير، وميسرين لليسرى، واللهُ أَعْلَمُ.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ



بسم الله وَالحَمْدُ للهِ، وأصلي وأسلم عَلَىٰ أشرف الأنبياء والمرسلين نَبِيِّنَا مُحَمَّد، وعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ، ومن اهتدى بهداه إِلَىٰ يوم الدين، اللَّهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علمًا وعملًا يا رب العالمين، واجعل هٰذِه الجلسة القرآنية جلسة مباركة نافعة.

أَمَّا بَعْدُ؛

أيها الإخوة الكرام السَّلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، حياكم الله في هٰذَا المجلس المبارك، مجلس القرآن الكريم، وتفسيره وتدبر آياته، هٰذَا اليوم هو اليوم السَّادِس، من شهر رمضان المبارك عام أربعة وأربعين وأربعمئة وألف من الهجرة، نجلس في هٰذَا المجلس المبارك ومعنا آيات من كتاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

السورة الَّتِي تناولناها في لقائنا الماضي، هي سورة اَللَّيْل، وعرفنا هٰذِه السورة العظيمة الجليلة وما فيها من آيات، وأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بيَّن فيها أعمال العباد، وأوضحها لنا غاية الإيضاح والبيان، ثُمَّ جاء آخر السورة؛ جزاء أعمال العباد، وجزاءهم في الدار الآخرة.

بيَّن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن أعمال العباد في الدنيا في شتى، وفي اختلاف، ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ﴾ [الليل: ٤]؛ بعد ما أقسم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بأمور عظام، وهي: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۝١ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَىٰ﴾ [الليل: ١-٣]، بيَّن جواب القسم بأن سعي العباد مختلف، ولاحظ مثل ما ذكرنا أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قَالَ: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ﴾ [الليل: ٤]، ولم يقل: إن أعمالكم؛ لأن السعي يختلف، السعي يحتاج إِلَىٰ جهد وبذل، بخلاف الأعمال.

لذلك الإنسان في الدنيا يسعى، ويكدح، ويعمل، لأي شيء يعمل؟ لآخرته التي تبقى له، ولاحظ أنه قَالَ: ﴿لَشَتَّى﴾ [الليل: ٤]، ولم يقل: مختلف، شتى يَعْنِي: اختلاف بعيد جدًا لا يمكن أن يتقابل، ولا يمكن أن يقترب، شتان ما بينهما، أعمال الأبرار، وأعمال الفجار، بلا شك فرق عظيم.

ولذلك فصَّل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لما أجمل، قَالَ: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى﴾ [الليل: ٤]، ما هو السعي المختلف كل يتطلع إِلَىٰ هٰذَا الشيء، ما هو؟ فَقَالَ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى﴾ [الليل: ٥-٧]؛ أهل الخير، والصلاح يوفقون للصلاح، وتتيسر أمورهم للصلاح، وييسر الله لهم الخير، ويفتح لهم أبواب الخير، إذا علم من العبد صدق اَلنِّيَّة، والإقبال عَلَىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، أعطى أعماله لله، قدم أعماله لله، قدم ماله وكل ما يملك، ونفسه، وروحه لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

أعطى وأتقى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، واتقى المحارم، وخاف عقوبة الله، وخاف ما توعد الله به أعداءه، اتقى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بالسعي إِلَىٰ الخير، وتحقيق مرضاة الله، واتقى أن يقع فيما حرم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، والبعد عن معاصيه، ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾ [الليل: ٥-٦]، صدق بجزاء الله، كل ما وعدك الله من الخير، تكون عَلَىٰ يقين بما وعدك الله.

﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾ [الليل: ٦]؛ يرى بعض المفسرين أن الحسنى هنا هي الجَنَّة، وقد يكون اللفظ أعم، الجنة بلا شك أنها داخلة في هٰذَا المعنى، وكل ما وعدك الله من الخير في الدنيا، وفي القبر، وفي يوم القيامة، وفي آخر مستقر لك، وهي الجَنَّة بالفوز بها، صدق بذلك كل ما أخبرك الله به من هٰذَا الوعد الكريم، تُصدق به.

النتيجة ما هي؟ ييسره لليسرى، تتيسر أموره للخير، تتفتح له أبواب الخير، اعلم أنك إذا أقبلت عَلَىٰ الله، فتح الله لك الخير، كل ما أقبلت زادك الله خيرًا، وتيسرت أمورك، أمور الآخرة، وأمور الدين، وأمور الدنيا، وعَلَىٰ العكس، وعَلَىٰ المقابل يحذِّر الله، يسوق لنا هٰذَا الشيء حتى نحذر أن نسلك هٰذَا الطريق.

﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ﴾ [الليل: ٨]؛ بخل بأي شيء؟ بخل بنفسه، بماله، بعمله، لا يعطي نفسه، ولا يعطي شيئًا لربه، ﴿وَاسْتَغْنَى﴾ [الليل: ٨]؛ استغنى عن ربه وعن دينه، عاش للدنيا، ما النتيجة؟ ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى﴾ [الليل: ٨-٩]؛ بما وعد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من الوعد والوعيد، كذب

بالحسنى من الوعد، ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾ [الليل: ١٠]؛ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ييسر أموره للشر، والأمور العسرى، والأمور التي لا فلاح فيها، ولا خير فيها، تجد من أهل الشر من يبحث عن الشر، ويفتح له الله أبواب الشر، أبواب الضلال، ويزيده طغيانًا، وكفرًا، وضلالًا، ويملي له الله في عمره ليزداد كفرًا، بسبب أنه أعرض، وأنه لم يقبل، ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾ [الليل: ١٠].

﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى﴾ [الليل: ١١]؛ إذا هلك لا ينفعه ماله، المال هٰذَا إِمَّا خير لك، وَإِمَّا شر، وهٰذَا لا ينتفع به، لا ينفعه ماله إذا تردى، قَالَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في الجانب الآخر من السورة، لمَّا بيَّن الأعمال، وأثر هٰذِه الأعمال في الدنيا، الآن يأتيك أثرها في الآخرة، ما أثر هٰذِه الأعمال المسابقة في الخير، أو في الشر لأهل الشر، ما أثر هٰذَا؟

قَالَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى﴾ [الليل: ١٢]؛ الهداية والتوفيق من الله، وتيسير الأمور من الله، الذي يملك الهدى من؟ الذي يملك الهدى، والتوفيق، والتيسير، هو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، إذًا ما الواجب علينا؟ أن نتوجه إِلَىٰ الله بسؤاله الهدى، بسؤاله التيسير، بسؤاله التوفيق، ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى﴾ [الليل: ١٢].

بعض المفسرين يقول: معنى إن عليه للهدى؛ أي علينا أن عَلَىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الهدى والضلال، أهل بلاغة القرآن: الحذف، يحذف الشيء أحيانًا لدلالته، مثل: ﴿سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ﴾ [النحل: ٨١]، ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ [ق: ١٧]، هٰذِه أحيانا من بلاغة القرآن، الاختصار والحذف.

فمعنى الآية: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا﴾ [الليل: ١٢]؛ أي عَلَىٰ الله الهدى والضلال، فمن ضل بأمر الله وقدرته، ومن اهتدى فبأمر الله وقدرته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، هو المالك للهدى، والمالك للضلال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فمن ضل فبعلم من الله، ومن اهتدى فبعلم سابق من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فالهداية والضلال بيد الله، يهدي من يشاء ويضل من يشاء.

قَالَ: ﴿وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى﴾ [الليل: ١٣]، الهداية والضلال بيد الله، والدنيا والآخرة لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، هو المالك لها، طيب، أنت إذا سمعت مثل هٰذَا الكلام، ما الواجب عليك عندما تسمع مثل هٰذِه الآية؟ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقول: ﴿وَإِنَّ لَنَا﴾ [الليل: ١٣]؛ يَعْنِي لنا الآخرة، ولنا الأولى،

الدنيا لله، والآخرة لله، إذًا ما الواجب عليك أنت؟ أن تتوجه إِلَىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وأن تسأل الله عَزَّ وَجَلَّ، وألا تلجأ إِلَىٰ أحد من المخلوقين العاجزين الضعفاء، ما ينفعونك، الذي ينفع ويضر هو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، الدنيا لله، والآخرة لله، فاسأل الله عَزَّ وَجَلَّ، اطلب حاجتك وتوجه إِلَىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

ولمَّا بيَّن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في هٰذِه الآيات، أن الدنيا والآخرة لله، عادت الآيات إِلَىٰ التحذير من أهل النَّار، وسلوك مسلك أهل النَّار، فقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى﴾ [الليل: ١٤]، إنذار وتحذير أن يسلك الإنسان طريق النَّار، وطريق الهلاك، ﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى﴾ [الليل: ١٤]؛ من سلك طريق الهلاك هلك، ومن سلك طريق النجاة نجا، فالتحذير هنا من طرق أهل الضلال.

فقَالَ: ﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى﴾ [الليل: ١٤]؛ أي تتلظى، وتتوقد، وتتوهج بشدة حرارتها، ونار الآخرة لا توصف، ومهما وصفت لا يمكن أن تتصورها، إذا كانت نار الدنيا التي تحرق وتدمر، هي جزء من سبعين جزء من نار الآخرة، فكيف تتصور نار الآخرة.

﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى﴾ [الليل: ١٤]؛ والتنكير هنا للتعظيم، لما قَالَ: نارًا؛ أي نارًا عظيمة، لا تتصورها، ولا يمكن أن تتصورها، قَالَ: ﴿لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى﴾ [الليل: ١٥]؛ لا يدخل هٰذِه النار ويصلاها، ومعنى يصلاها: ليس من الوصول، تجد بعض الناس يقول: لا يصلاها؛ أي لا يصل، لا، هٰذَا معنى خاطئ، لا يصلاها: أي لا يدخلها ويقاسي حرها إلا الأشقى، من الصَّلِيّ، وهو الشواء، يُشوى بِالنَّارِ، وتأكله النَّار.

﴿لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى﴾ [الليل: ١٥]؛ والأشقى: الذي شقي في الدنيا، وشقي في الآخرة، لم يعرف طريق السعادة، ولم يعرف طريق النجاة، وأصبح من الأشقياء هو الذي توعده الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ولذلك بيَّن الله من هو الأشقى، والقرآن واضح، وآياته يوضح بعضها بعضًا، إذا قيل لك من هو الأشقى؟ فقل: الذي كذَّب -كَمَا تَقَدَّمَ- كذب بالحسنى، الذي كذب بما أخبر الله به، بوعده ووعيده، كذب بذلك، وتولى، ولم يعمل، تولى وأعرض ولم يقبل عَلَىٰ عبادة ربه، هٰذَا هو الأشقى، وهو الذي يصلى هٰذِه النَّار، وهو الذي مصيره إِلَىٰ نار جهنم.

والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يذكر لنا أثر هٰذِه الأعمال الَّتِي عملها في الدنيا، يعمل في الدنيا، ويجازى في الآخرة، هٰذَا جزاؤه.

واسمع إِلَىٰ جزاء السعداء؛ قَالَ: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى﴾ [الليل: ١٧]؛ أي سيبعد عنها أشد البعد، بحيث أنه لا يتأثر بهٰذِه النَّار، ويصير إذا جنب النَّار، كان مصيره إِلَىٰ جنات النعيم، وإلى رضا رب العالمين، وسيجنبها الأتقى، مثل ما مر معنا، ﴿أَعْطَى وَاتَّقَى﴾ [الليل: ٥]، اتقى هنا تأتي النتيجة، هو الأتقى، هو الذي كمل في تقوى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وحافظ عَلَىٰ تقوى الله عَزَّ وَجَلَّ، لا أن يتقي الله في وقت دون آخر، بل يحافظ عَلَىٰ تقوى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى﴾ [الليل: ١٧]، من هو الأتقى؟ قَالَ: ﴿الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى﴾ [الليل: ١٨]؛ يقدم ماله لله، تزكيةً وتطهيرًا لنفسه، ﴿الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى﴾ [الليل: ١٨]؛ يعطي ماله لله، لا يعطي لأجل الدنيا، وَإِنَّمَا يقدم ماله لوجه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ولذلك قَالَ الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ﴾ [الليل: ١٩]؛ أي هٰذَا الذي يعطي، ويقدم ماله، لا يريد من أحد، ثناء، ولا زكاة، ولا رد معروف منهم، وإنما يريده من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى﴾ [الليل: ١٩]؛ لا يريد من أحد أن يرد عليه نعمته، أو هو يريد يقدم هٰذَا الشيء، أو يتصدق حتى يرد عليه، ولذلك احذر؛ إذا أعطيت الفقير صدقة، من الأخطاء التي يقع فيها بعض المتصدقين، أنه يقول للفقير: ادع لي، أنت أعطيته لله، دعا فالحَمْدُ للهِ، ما دعا، لا تطلب منه شيء، هٰذَا يخالف الإخلاص، ويخالف أجر الصدقة فمن الأخطاء التي يقع فيها بعض الناس مثل هٰذَا الأمر.

﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى ۝١٩ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى﴾ [الليل: ١٩-٢٠]؛ لا يريد إِلَّا ما عند الله، هٰذَا في قمة الإخلاص، عمله في قمة الإخلاص، ﴿إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى﴾ [الليل: ٢٠]؛ فلما كان عمله خالصًا في صدقاته، وفي أعماله، وفيما يرضي ربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، النتيجة ما هي؟ ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾ [الليل: ٢١]؛ أن يرضيه الله عَلَىٰ نيته، وعَلَىٰ حسن عبادته، وعَلَىٰ حسن استقامته، يجازيه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ويرضيه.

ولذلك أجمع أهل التفسير عَلَىٰ أن هٰذِه الآية نزلت في خليفة رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ، الَّذِي أنفق ماله كله في سبيل الله، ولذلك كثير من المفسرين يروا بإجماع، عَلَىٰ أن هٰذِه الآيات في أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكما قرر أهل التفسير، العبرة بعموم اللَّفْظ، لا بخصوص السبب، يَعْنِي وإن نزلت في الصديق فهي عامة، يدخل فيها كل من اتصف بهذه الصفات، فجزاؤه عند الله بهذه الأعمال خير جزاء.

الحقيقة سورة عظيمة، أقسم الله، ودائمًا أيها الإخوة، إذا وجدت أن الله يقسم، لا يقسم إِلَّا عَلَىٰ شيء عظيم، لا يقسم إلا بعظيم، وعَلَىٰ شيء عظيم، هٰذِه السورة بيَّنت لنا أعمال العباد، يَعْنِي: أوْجزت لنا الحياة كلها، كل أعمال الناس في الدنيا أوْجزتها لنا في هٰذِه الأسطر، وأوْجزت لنا نتائج الفوز والخسارة الآخرة، من الفائز ومن هو الخاسر، من الذي يعمل في الدنيا فيجد جزاؤه في الآخرة، ومن الذي يعمل في الدنيا ويجد جزاؤه في الآخرة، من الخير، أو الشر.

أسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن يجعلنا وإياكم من أهل السعداء، من الفائزين في الدنيا، والفائزين في الآخرة، وأن يعيننا وإياكم عَلَىٰ طاعته، وأن يتقبل منا ومنكم، واللهُ أَعْلَمُ.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ



بسم الله وَالحَمْدُ للهِ، وأصلي وأسلم عَلَىٰ أشرف الأنبياء والمرسلين نَبِيِّنَا مُحَمَّد، وعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ، ومن اهتدى بهداه إِلَىٰ يوم الدين، اللَّهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علمًا وعملًا يا رب العالمين، واجعل هٰذِه الجلسة القرآنية جلسة مباركة نافعة.

أَمَّا بَعْدُ؛

أيها الإخوة الكرام؛ السَّلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، حياكم الله في هٰذَا اللقاء المبارك، لقاء القرآن الكريم وتفسيره، وهٰذِه المجالس الطيبة العطرة لكلام الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، مجلسنا في هٰذَا اليوم، وهٰذَا اليوم هو اليوم الثاني عشر من شهر شوال، من أربعة وأربعين وأربع مئة، وألف من الهجرة مع سورة من قصار سور القرآن الكريم.

هٰذِه السورة التي يحفظها الكثير، تحتاج منا إِلَىٰ قراءة بتأني، وفهم، وتفسير، وتدبر لمعانيها، ودلالاتها، ولا شك أن كل مسلم عاقل يعرف أن كل آية من كتاب الله، تحتوي عَلَىٰ معاني عظيمة، تحتوي عَلَىٰ دلالات، وعَلَىٰ معاني، ومفاهيم عظيمة.

السورة التي بين أيدينا، هي سورة الضحى، هٰذِه السورة نحتاج أن نفهمها فهمًا جيدًا، من عدة نواحي:

من حيث: المعنى العام، وما تدل عليه هٰذِه السورة.

من حيث: وقت نزولها، متى نزلت؛ لأن أحيانًا وقت النزول يعطيك معنى جديد، متى نزلت، في أي ظرف نزلت، وهٰذَا يكشف لك أَيْضًا من معاني هٰذِه السورة، وأيضًا سبب النزول، لماذا نزلت؟ هي نزلت لسبب معين.

والقرآن الكريم نعرف جميعًا أنه احتوى عَلَىٰ مئة وأربع عشرة سورة، هٰذِه السور والآيات العظيمة التي جاوزت الستة آلاف آية، بعضها ينزل ابتداءً، وهو الكثير، وبعضها ينزل لسبب معين، إما حادثة تقع، أو سؤال يأتي للنبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فيجيب الوحي.

وأسباب النزول ليست كثيرة، لو حصرناها نجد أنها قليلة، يَعْنِي الأصل في الآيات القرآنية أنها تنزل هكذا، يوحى إِلَىٰ النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فيأتي جبريل، فينزل عليه، قد يكون هناك حوادث تقع، أو أسئلة ترد للنبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، تأتي امرأة تسأل، يأتي رجل يسأل النَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فيجيب الوحي.

نقرأ جميعًا: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾ [البقرة: ٢١٩]، ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ﴾ [البقرة: ٢٢٠]، ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ﴾ [البقرة: ٢١٥]، ﴿يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ﴾ [الأحزاب: ٦٣]، هٰذِه لها أسباب.

سورة الضحى لها سبب، نأخذها تدريجيًا، أولًا وقت نزولها، وسبب نزولها؛

وقت نزولها كان وقتًا مبكرًا، يَعْنِي تعد هي من أوائل ما نزل من القرآن الكريم، في وقت مبكر، بعدما نزلت السور في فترة الوحي المبكرة، كان من ضمن هٰذِه السور سورة الضحى، إذًا هي نزلت في أوائل الدعوة، في بدايات الدعوة، وهٰذَا ستأتيك دلالته في السورة نفسها، لما تقرأها وأنت تعرف ظرف نزولها، وتعرف وقت نزولها، هٰذَا سيعينك عَلَىٰ فهمها وتأملها أكثر؛ لأنك إذا عرفت مثلًا هٰذِه السورة نزلت في مكة، أو نزلت في المدينة يختلف الأسلوب، ويختلف الوضع، أو نزلت في أوائل النزول المكي، أو في أواخر الفترة المكية، أو في أوائل الفترة المدنية، كل هٰذِه تساعدك عَلَىٰ فهم الآيات.

طيب، إذا عرفنا وقت نزولها، وأنها من السور التي نزلت مبكرًا، ما سبب نزولها؟ سبب نزولها أن الوحي أتى إِلَىٰ النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أول ما أتى بالآيات الخمس من سورة العلق، ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: ١]، الآيات الخمس، هٰذَا أول نزول القرآن، ثم بعده نزلت آيات، قيل أن بعد العلق سورة المدثر؛ لأنه نُبِّئ بـ: اقرأ، وأُرسل بالمدثر، ﴿قُمْ فَأَنْذِرْ﴾ [المدثر: ٢]، وقيل نزل بعدها أَيْضًا: سورة القلم؛ ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ [القلم: ١]، المزمل، هٰذِه من أوائل ما نزل.

ثم جاءت الضحى، الضحى لها سبب نزول، ما سبب نزولها؟ هو انقطاع الوحي، الوحي ينزل، ثم ينقطع لحكمة، ثم ينزل، ثم ينقطع، له انقطاعات، يسمى عند العلماء لاحتباس الوحي، احتباس الوحي وانقطاعه، في مكة فترة عاش النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثلاث عشرة سنة في مكة وقت الدعوة، انقطع الوحي أكثر من مرة.

ومن أشهر انقطاعاته: سورة الكهف، سورة الكهف انقطع الوحي فيها لمَّا سأل المشركون عن أصحاب الكهف، وعن ذي القرنين، لم يأتِ الوحي هكذا مباشرة، انقطع خمس عشرة ليلة، لحكمة، لماذا؟ لأن النبي لمَّا جاءه المشركون، قالوا له: "أخبرنا يا محمد عن أصحاب الكهف، وأخبرنا عن ذي القرنين"، من أين جابوا الكلام هٰذَا؟ أتوا به من اليهود.

اليهود قالوا: "إن أردتم أن تعجزوا محمدًا، فاسألوه عن هٰذِه الأسئلة"؛ لأن اليهود ما يعرفون، اليهود ما يعرفون دقائق قصة سورة الكهف، ولا يعرفون دقائق قصة ذي القرنين، فقالوا للمشركين: اسألوا محمد إن كان يوحى إليه، سيخبركم، إن كان هو صادقًا في نبوته فسيخبركم.

فلما جاءوا للرسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قالوا: "يا محمد أخبرنا عن هٰذَا، وهٰذَا، قَالَ: أخبركم غدًا"؛ لأنه ينتظر الوحي، فانقطع الوحي خمس عشرة ليلة، لماذا؟ لأنه لم يقل: إِنْ شَاءَ اللهُ، مع أنه نبي، ومع أنه يخبر عن الوحي، ومع ذلك قَالَ الله في سورة الكهف نفسها: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا﴾ [الكهف: ٢٣]، فعلق أمرك بالمشيئة؛ لأن هٰذَا أمر غيبي، فانقطع الوحي.

انقطع في المدينة أَيْضًا انقطاعات متعددة، قصة الثلاثة الذين خُلِّفوا، انقطع الوحي عن توبتهم خمسين ليلة، قصة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، واتهام المنافقين لها بالفاحشة والإفك، انقطع شهرًا كاملًا، والنبي ما يدري عن وضع زوجته، حتى جاءت آيات سورة النور، انقطاعات الوحي كانت تنقطع فترات، لحكمة أرادها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، منها سورة الضحى.

لما انقطع الوحي جاء المشركون، فقالوا: "يا محمد إن شيطانك الذي يأتيك، قد ودَّعك وقلاك، وأبغضك"، وجاءت امرأة قيل إنها أم جميل زوجة أبي لهب، فقالت: لما اشتكى النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وحزن حزنًا شديد عند انقطاع الوحي، قالت: "ما أرى شيطانك إلا قد هجرك وتركك"، فأنزل الله هٰذِه السورة ردًّا عليهم.

طيب، نبدأ بالسورة، السورة أقسم الله بها، كما أقسم بغيرها من السور، قبلها وَاللَّيْل، وقبلها والفجر، وقبلها وَالشَّمْس، كلها قسم، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لا يقسم إلا بعظيم، ولا يقسم إلا لأمر مهم، وهنا أقسم بالضحى، لأي شيء؟ لبيان، ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾ [الضحى: ٣]، يَعْنِي: لم يتركك ربك، ولم يقلاك، ولم يبغضك، عَلَىٰ ما يدعي هؤلاء، فأقسم بالضحى.

وأقسم بِاللَّيْلِ، قَالَ: ﴿وَالضُّحَىٰ ۝١ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ﴾ [الضحى: ١-٢]، اختيار كلمة الضحى، أنت تقرأ في القرآن، مرة أقسم بالفجر، مرة أقسم بالعصر، مرة أقسم بِاللَّيْلِ، مرة أقسم بِالنَّهَارِ، كما هنا في السورة، ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ﴾ [الليل: ٢]، أقسم بأوقات.

طيب، لِمَا اختار الضحى في هٰذِه السورة، ما السر؟ ذهب بعض أهل العلم التماسًا للسر، اختيار الضحى في هٰذَا الوقت، لماذا، إشارة إِلَىٰ أي شيء؟ وأنت تقرأ وتتأمل يفيدك هٰذَا، إشارة إِلَىٰ أن الدعوة ما زالت في بداياتها، ردًا عَلَىٰ هؤلاء لما قالوا: إنه ودَّعك، وتركك، وقلاك، قَالَ الله عَزَّ وَجَلَّ: لا، الأمر في بداياته، والدعوة في بداياتها، وقد احتمى الوحي الآن في نزوله، ليس حَتَّىٰ الآن، لم ينزل إلا آيات تعد عَلَىٰ الأصابع، ما بعدت السور الكثيرة؟

واختار الضحى لماذا؟ لأنه هو وقت أول النَّهَار، فكأن الدعوة في أولها، في بداية مسيرتها، فأول النهار هٰذَا من وجه، من الوجه الآخر: أن الضحى وقت ظهور الضياء بشدة، ووقت انتشار النهار في كل بيت وفي كل بقعة، فإشارة إِلَىٰ أن هٰذِه الدعوة ستعم الأرض كلها، وستدخل في كل بيت، وستضيئ في قلوب الناس، كما تضيء الشمس في وقت الضحى، حتى يكون هٰذَا الإسلام ظهوره عَلَىٰ الأرض، كظهور الشمس في وقت الضحى.

لو قَالَ: العصر، ما يتضح هٰذَا الأمر، ما ينجلي لك، ولذلك سورة العصر لما تأتينا، اختيار العصر؛ لأن الله قَالَ فيها: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ [العصر: ٢]، والخسارة متى تحدث؟ في نهاية الأمر، فكأن العصر نهاية النَّهَار، تظهر فيه خسارة والربح، انظر كيف اختيار العصر، الفجر، الضحى، هٰذِه الاختيارات لم تأتِ هكذا عبثًا، وَإِنَّمَا اختيار إلهي دقيق.

ولذلك قَالَ: ﴿وَالضُّحَىٰ﴾ [الضحى: ١]، ثم قَالَ: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ﴾ [الضحى: ٢]؛ غطى بظلامه كل شيء، لم يترك شيء، مثل ما أن الجاهلية والكفر قبل بعثة النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عمت كل شيء،

وغطت كل شيء، لا تجد أحد يقول: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فلما عمت، قَالَ: هٰذَا الليل الذي عم، وسجى وغطى؛ لأن التسجية: التغطية، كأنه غطى الأرض قَالَ: هٰذَا خلاص انتهى دوره، سيذهب ويأتي الضحى مكانه.

فبدأ بالضحى فَقَالَ: ﴿وَالضُّحَى﴾ [الضحى: ١]، الذي هو الإسلام، وشروق نور الإيمان، ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى﴾ [الضحى: ٢]، هو الكفر والجاهلية التي بدأت تتلاشى وتنتهي، خلاص انتهى دورها، ثم لما أقسم بهذين الأمرين العظيمين، جاءك جواب القسم: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ﴾ [الضحى: ٣]؛ والتوديع هو ترك الشيء ومغادرته، قَالَ: ما ودعك، ما تركك ربك؛ لأنك أنت لما تودع شخصًا، سيسافر أو سينتقل من مكان إِلَىٰ مكان، توديع نهائي، ومغادرة.

فالله عَزَّ وَجَلَّ نفى عنه، قَالَ: ﴿مَا وَدَّعَكَ﴾، ولم يتركك أبدًا، كما يدَّعي هؤلاء المشركون، أن ربك ودَّعك، وجفاك، وتركك، وقلاك، لا، أثبت الله، وردًا عليهم، ﴿مَا وَدَّعَكَ﴾، لاحظ كلمة: ربك، ما قَالَ: ما ودعك الله، أو: ما ودعك الرحمن، قَالَ: ﴿رَبُّكَ﴾؛ لأنه هو الذي تولى أمرك، وهو الذي رباك، وهو الذي أنشأك هٰذِه النشأة الصالحة، حتى أوحى إليك بهذه الرسالة العظيمة، واختارك عَلَىٰ بني آدم، فجعلك أفضل بني آدم، وخير البشر، وخير ولد آدم، سيد ولد آدم.

﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ﴾ [الضحى: ٣]، الذي رباك، وخلقك، ورزقك، ورباك التربية الصالحة، ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ [الضحى: ٣]؛ قلى: معنى أبغض، قَالَ: ما تركك، وودعك، ولا أبغضك كما يقولون أبغضك، ولاحظ؛ ما قَالَ: وما قلاك، حذفها، يَعْنِي من باب التأدب، حتى لا يواجه نبيه بهذه الكلمة القاسية، وهي كلمة البغض، لم يحصل ولم يطرأ بغض لنبينا محمد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الله مُطْلَقًا أبدًا.

لما رد عَلَىٰ هؤلاء المشركين مقالتهم، أنه ودعه، وقلاه، وتركه، بدأ يذكر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أنعامه، وفضائله، وخيراته عَلَىٰ نبيه، وما فضَّل به نبيه محمد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَىٰ﴾ [الضحى: ٤]، يا محمد الآخرة خيرٌ لك من الأولى؛ لأن الدنيا دار مشقة، وتعب، وعناء، وهي قصيرة المدى، قصيرة الوقت، تمضي بسرعة وتنتهي، وليست العبرة بالدنيا، العبرة بالآخرة، وما أعد لها الإنسان، فَقَالَ: ﴿وَلَلْآخِرَةُ﴾ [الضحى: ٤]؛ أي الدار الآخرة، ﴿خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَىٰ﴾ [الضحى:

٤]؛ فاصبر عَلَىٰ ما يصيبك من ابتلاءات، وعناء، ومشقة في دعوتك، فإن الآخرة خير لك من الأولى، وفي هٰذَا حث للنبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في استمراره بالدعوة، وأنه لَا بُدَّ أن يتعب، وَلَا بُدَّ أن يواجه مشقة في دعوته، قَالَ: ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَىٰ﴾ [الضحى: ٤].

ثم قَالَ: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾ [الضحى: ٥]؛ أي أن الله سيعطيك في الآخرة عطاءً، حتى يرضيك، ويرضي أمتك، وهٰذِه الجملة: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾ [الضحى: ٥]؛ قَالَ السعري في تفسيره: "ما أحد يستطيع أن يأتي بعبارة تعطيه هٰذَا المعنى العظيم، أن الله يعطيه، حَتَّىٰ يرضيه، إلا مثل هٰذِه الجملة"، هٰذِه العبارة عبارة عظيمة، ذكرها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، أن الله وعد نبيه بأنه يعطيه عطاءً، حتى يرضيه بنفسه وبأمته.

﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾ [الضحى: ٥]؛ أنت لما تسمع مثل هٰذِه الآية، ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾ [الضحى: ٥]، وتسمع موقف المشركين أنهم يقولون: "ودعك ربك، وقلاك، وأبغضك"، تعرف كيف إنعام الله عليه، وعناية الله الإلهية بنبيه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتدفق الخيرات عليه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهٰذِه الوعود العظيمة التي يعد بها نبيه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قَالَ: ثم لما بشره بهذه البشارة العظيمة، وبهذا العطاء العظيم في الآخرة، بدأ يذكِّر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بنعمه عليه عَلَىٰ مُحَمَّد، كما كان يذكرها عَلَىٰ من سبقه من الأنبياء، ذكَّر موسى في آيات في قصة موسى، أن الله أنعم عليه بنعم عظيمة وهو صغير، وآيات كثيرة تشير إِلَىٰ ذلك.

كذلك نِعم الله عَلَىٰ محمد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: يا مُحَمَّد، ألم يجدك ربك يتيمًا فآوى، فآواك، وجدك يتيمًا في بطن أمه وهو حمل، مات أبوه وهو حمل في بطن أمه، فخرج إِلَىٰ هٰذِه الدنيا يتيم الأب، ثُمَّ بعد ست سنوات تموت أمه، فيصبح يتيم الأب والأم، فيتولى أمره جده عبد المطلب، ثم يموت وهو ثمان سنوات، ثم يأتي عمه أبو طالب ويتولى رعايته، ويدافع عنه إِلَىٰ أن بلغ ما بلغ من السن، وهو يقف معه، ويدفع عنه شرور قومه، كل هٰذِه معنى: فآوى، أن الله هو الذي آواه، وسخر له هؤلاء، مع أنهم مشركون، ومع ذلك كانوا يقفون هٰذِه المواقف.

قَالَ: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا﴾ [الضحى: ٦]، وقد آواك، وتولى أمرك وأنت صغير، ألم يجدك يتيمًا، ألم يجدك ضالًا فهدى، والمقصود بالضلال هنا عدم معرفة الشريعة، ليس الضلال ضد الهدى أن النبي

كان ضالًا لم يهتدِ، لا، النبي منذ النشأة وهو عَلَىٰ التوحيد وعَلَىٰ الطاعة، لكن لم يعرف الوحي، ﴿مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ﴾ [الشورى: ٥٢]، ما كان يدري ما الكتاب ولا الإيمان، حتى جاءه الوحي فبعثه الله بهذه الرسالة، وأنزل عليه هٰذَا الكتاب، فهٰذَا معنى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾ [الضحى: ٧].

﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا﴾ [الضحى: ٨]؛ أي فقيرًا محتاجًا، والنبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نشأ فقيرًا، قَالَ: ﴿عَائِلًا فَأَغْنَى﴾ [الضحى: ٨]، أغناه بالإيمان والطاعة، غِنى النفس، وأغناه بالمال لما فُتحت الفتوحات، وجاء هٰذَا جاء هٰذَا المال إِلَىٰ النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأغناه، ثم يخبر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن الإنسان يتذكر نعمة الله عليه، وفي هٰذَا حث عَلَىٰ أن الإنسان يرى أولًا نفسه، ثم يرى غيره، يتذكر نعمة الله، فيقول: إن كنت يا محمد يتيمًا، وعائلًا، وضالًا، وقد أنعم الله عليك بهذه النعم العظيمة، فانظر إِلَىٰ غيرك، وراعي غيرك، فإن هناك من الأيتام الكثير.

ولذلك قَالَ بعدها: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ [الضحى: ٩]، اليتيم الذي قد فقد من يعوله ويعطف عليه، ويحنو عليه، فقد من يعوله، فلا تقهره، لا تزيده قهرًا عَلَىٰ قهره، وفقد من يعوله، ثم تأتيه وتزيده ذلك، ﴿فَلَا تَقْهَرْ﴾، لا تقهره بالكلام، أو بالتأنيب، أو بالحرمان، أو بعدم العطف عليه، فاحذر أن تعامل اليتيم، بمثل هٰذِه المعاملة، كما أنك لا تريد ذلك لنفسك، فلا ترضى لغيرك.

قَالَ: ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ [الضحى: ١٠]؛ انظر؛ ﴿يَتِيمًا فَآوَى﴾ [الضحى: ٦]، قَالَ: ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى﴾ [الضحى: ٨]، قَالَ: ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ [الضحى: ١٠]؛ إذا جاءك السائل لا تنهره بالكلام القوي، الذي يزيد حالة الفقر عليه زيادة بالإهانة والكلام السيء، ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ [الضحى: ١٠]؛ وأما إذا جاءك السائل، إِمَّا أن تكرمه بالعطاء، وَإِمَّا أن تكرمه بالكلمة الطيبة، تعطيه من الكلمات الطيبة، أو تعطيه مما أعطاك الله، هٰذَا هو المراد بالتعامل مع المحتاجين، والضعفاء، والفقراء إذا سألوك شيئًا.

ولا يلزمك أن تتحقق إذا سألك في الطريق، أعطه شيئًا يسيرًا، الذي ينبغي عليك أن تتحقق فيه هي زكاة المال الكثيرة، هل تصرفها له أو لا، هٰذَا الذي يجب عليك، ألا تضع هٰذَا المال إلا في مكانه،

أما الأشياء اليسيرة والمساعدات الخفيفة، فإذا مر بك سائل فأعطه ما تيسر، أو ادع له، وأعطه الكلمة الطيبة.

ويذكر بعض أهل التفسير أن السائل هنا يدخل فيه سائل العلم، سائل العلم إذا سألك بفتوى بعلم، جاءك من يسألك وأنت أهلًا للعلم، أو عندك معرفة بالجواب، وإن لم تكن عالمًا، وسألك سؤال، فيجب عليك أن تعلمه، وأن تعطيه من العلم، وأن تبين له هٰذَا الأمر، ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ [الضحى: ١٠]؛ ولا تنهره بالكلام وتزجره بالكلام.

﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى: ١١]، نِعَم الله عظيمة، وآلاءه جسيمة عَلَىٰ كل إنسان، فعليه أن يُحدِّث، كيف يُحدِّث بنعمة الله، نقول: نِعَم الله أنواع: نِعَم عامة، ونِعَم خاصة، أن ينعم الله عليك بنِعم عامة، ويُنعم عليك بنِعم خاصة.

أما النِّعم العامة؛ فلا مانع أن تُحدِّث بها، تقول الحَمْدُ للهِ، والتحديث المراد بها إظهارها وشكرها لله، والاعتراف بها، هٰذَا المقصود، تحديث، إظهارها، وشكر الله عليها، والاعتراف بأنها من عند الله، مثل ماذا؟ تقول: الحَمْدُ للهِ الَّذِي هدانا لهذا الإسلام، الحَمْدُ للهِ الذي هدانا للمحافظة عَلَىٰ الصلاة، الحَمْدُ للهِ الذي هدانا نِعم ظاهرة الكل يراها، فهٰذَا تُحدِّث به ولا تجحده، وتشكر الله عليه، فتقول: الحَمْدُ للهِ، وتكثر من الحمد لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ والشكر لله عَلَىٰ ما أنعم عليك بهذه النِّعم العامة.

هناك نِعَم خاصة؛ فهٰذِه تختلف، لا تحدِّث بها إِلَّا من تحب وتأمنه، لا تحدِّث بها كل الناس، فإذا أنعم الله عليك بنعمة خاصة، كحفظ القرآن، أو قيام اَللَّيْل، أو المحافظة عَلَىٰ صيام النَّوافِل، أو أشياء خاصة، أو ترقية، أو مال، أو حصل أي شيء من أمور الدنيا، أشياء خاصة، فهٰذِه لا تحدِّث بها كل الناس، قد يحسدوك عليها، والناس ليسوا عَلَىٰ درجة واحدة، وَإِنَّمَا تُحدِّث بها من تأمنه، ومن تحبه، وتعرف أنه يفرح لك، وأنه يدعو لك، هٰذَا تخاف تخبره، تحدِّثه وتقول: الحَمْدُ للهِ، أنا والله أخبرك بأني الحَمْدُ للهِ حصلت عَلَىٰ كذا وكذا، أشياء خاصة.

أما أن تعلن، وتحدث الناس بأشياء خاصة، هٰذَا قد يكون ضرره عليك أكثر، وقد تُسلب منك النعمة، وقد تصاب بالعين، وقد تصاب بالحسد، قد تصاب بأشياء، فهٰذَا معنى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى: ١١]؛ النِّعم الظاهرة، كما كان النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يحدث الصحابة بنعم الله

عليه، وكذلك الناس يتحدثون بنعم الله عليهم بنعمة الصحة، والعافية، والهداية، وغير ذلك، هٰذَا ما احتوت عليه هٰذِه السورة العظيمة من آيات عظيمة، ومن دلائل، وهدايات، أسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن يتقبل منا، وأن يجعلنا وإياكم من أهل القرآن الذين هم أهل الله وخاصته، وانفعنا بما قلنا، وبما سمعنا، واللهُ أَعْلَمُ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الدرس (٤٢)

بسم الله وَالحَمْدُ للهِ، وأصلي وأسلم عَلَىٰ أشرف الأنبياء والمرسلين نَبِيِّنَا مُحَمَّد، وعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ، ومن اهتدى بهداه إِلَىٰ يوم الدين، اللَّهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علمًا وعملًا يا رب العالمين، واجعل هٰذِه الجلسة القرآنية جلسة مباركة نافعة.

أَمَّا بَعْدُ؛

أيها الإخوة الكرام؛ السَّلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، حياكم الله في هٰذَا اللقاء المبارك، لقاء القرآن، والتفسير، وَالتَّدَبُّر، هٰذَا اليوم هو اليوم التاسع عشر من الشهر العَاشِر، من عام أربعة وأربعين، وأربعمئة وألف من الهجرة، نجتمع في هٰذَا المقام المبارك، لنأخذ سورة من قصار السور، نقرأها، ونتأملها، ونتدبرها، ونتعلم ما فيها.

فإن النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «خَيرُكُم مَنْ تَعَلَّم القُرآنَ وَعَلَّمه»، هٰذِه السورة التي بين أيدينا، والتي تسمى بسورة: الشرح، أو سورة: الانشراح، أو تسمى أَيْضًا بسورة: ألم نشرح، كلها أسماء لهذه السورة، هٰذِه السورة ذكر بعض أهل العلم، بأن لها علاقة قوية بما قبلها، حتى ذكر بعضهم أن سورة الضحى، وسورة الشرح هي سورة واحدة، كأنها سورة واحدة، لشدة ارتباط هٰذِه السورة بهذه السورة.

ما وجه ارتباط هٰذِه السورة بهذه السورة؟ أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ذكر أفضاله، وأنعامه وتربيته لنبيه محمد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في سورة الضحى التي مرت معنا في لقائنا الماضي، لما قَالَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ﴾ [الضحى: ٦-٨]، كل هٰذِه أنعام وأفضال من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَلَىٰ نبيه، بهدايته، بإيوائه وهدايته، وإغناءه، لما قَالَ: ﴿فَأَغْنَىٰ﴾.

لما جاء في هٰذِه السورة، زاد من فضائله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وإنعامه عَلَىٰ نبيه، فَقَالَ: ألم نشرح لك صدرك، وهٰذَا الاستفهام يسميه أهل العلم: استفهام تقريري، يَعْنِي قد شرحنا لك صدرك، لكنه لما يأتي بهذه الصيغة، يلفت النظر ويقرر له هٰذَا الأمر، حتى كأنه علمه واستقر عنده، ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ [الشرح: ١]؛ يَعْنِي: قد شرحنا لك صدرك، وشرح الصدر معناه انفساحه وانبساطه، بحيث يتقبل من الله أوامره، ويتقبل من الله ما يكلفه الله من التكاليف، ينشرح صدره للطاعة.

وهٰذَا وإن كان موجهًا للرسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإن كل مؤمن قد شرح الله صدره للإسلام، ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾ [الزمر: ٢٢]، قد شرح الله صدره للإسلام، وأنعم عليه، والصدر معروف، هو ما يكون فيه قلب الإنسان، فإذا انشرح الصدر، واتسع للطاعات، تقبله القلب، واستقرت هٰذِه الطاعات، وهٰذِه الأوامر في قلبه.

يذكر بعض أهل العلم أن انشراح الصدر هٰذَا، انشراح حقيقي، وانشراح معنوي؛

الانشراح الحقيقي: أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أمر بشق صدر النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد شُق صدره، ذكر أهل التاريخ والمغازي، وأهل العلم، والحديث، أن النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مر بمراحل في شق صدره، وقيل أنه شُق صدره أربع مرات، وقيل مرتين، وأول شق صدر للنبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعمره أربع سنوات، لما كان في ديار بني سعد عند حليمة السعدية، جاءه جبريل ومعه ملك، فأضجعاه، وشقَّا صدره، من حيث لا يشعر، أو من حيث لا يتأذى، ونزعوا منه قطعة سوداء مما تكون في كل إنسان من الغل والحسد، وأبدلوها بما هو خير منها.

وقيل المرحلة الثانية: كان عند وقت الإسراء والمعراج، وهو قد جاوز الخمسين، وقيل غير ذلك واللهُ أَعْلَمُ، ولكن ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ، ذكر أن شرح الصدر هو شق صدر النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو شرحه بالطاعات، ولذلك إذا قرأت أنت هٰذِه الآية: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ [الشرح: ١]؛ يَعْنِي تحقق في ذهنك أن هٰذِه السورة كلها تبين لك شرح صدر الإنسان بالطاعات، وكل ما يأتي بعدها مرتبط بهذا الشرح.

ولذلك تلاحظ لما قَالَ: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ ۝٢ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح: ١-٤]، ثم قَالَ: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: ٥]، تلاحظ

ارتباط بين تيسير الأمور وشرح الصدور، ولذلك كان من دعاء موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: "ربي اشرح لي صدري، ويسر لي أمري"، فإذا انشرح صدرك للطاعة، وتيسرت أمورك، هٰذَا كل ما يتمناه الإنسان، وأنت تلاحظ أهل الخير، والصلاح، والطاعة، تنشرح صدورهم للطاعات، وتتيسر أمورهم في حياتهم.

أعظم ما يتمناه الإنسان، وهو الذي خصه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هنا، أعظم أمر، لمَّا قَالَ: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ﴾ [الشرح: ١-٢]؛ ووضع الوزر: حط الذنوب، ومسحها، وإزالتها، وهٰذَا الذي يتمناه الإنسان، لما تُغفر له ذنوبه، يرتاح حتى لا يبقى عليه شيء.

ولذلك تلاحظ في آيات كثيرة في القرآن الكريم، مما يتفضل الله به عَلَىٰ عباده المتقين، أول ما يبدأ: بغفران الذنوب، تُغفر لهم ذنوبهم، ثم يجازون، وهٰذَا ما يسمى عند أهل العلم: بالتخلية قبل التحلية، أن تتخلى عن سائر الذنوب، ثم تتحلى بالطاعات، أما أن تتحلى بالطاعات والذنوب ما تزال معك، فإن الذنوب تقلق الإنسان، تقلقه ولا يرتاح.

ولذلك بدأ الله بعد شرح الصدور، في قوله: ﴿وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ﴾ [الشرح: ٢]، والوزر يُجمع عَلَىٰ أوزار، والأوزار هي الذنوب والمعاصي التي تثقل الإنسان، ولذلك قَالَ: ﴿وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ ۝٢ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ﴾ [الشرح: ١- ٣]؛ يَعْنِي: اشتد عَلَىٰ ظهرك شد، يَعْنِي: حملًا ثقيلًا عَلَىٰ الظهر، ﴿أَنْقَضَ ظَهْرَكَ﴾ [الشرح: ٣].

ثُمَّ من شرح الصدور ومن فضائل الله عَزَّ وَجَلَّ، أن قَالَ بعدها: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح: ٤]، وهٰذَا كل من يريد شرح الصدر، ويريد الارتياح، أن يكون له مقام عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، لا عند الناس، الناس ليس ميزانهم كميزان الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، أعظم ما يتمناه الإنسان، أن يكون له منزلة ومقام عند الله، أن يكون من أولياء الله، أن يكون من المقربين عند الله.

ولذلك قَالَ: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح: ٤]؛ حتى قَالَ بعض السلف: لا يذكر الله، إِلَّا ويُذكر معه نَبِيِّنَا مُحَمَّد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، في الشهادة: أشهد أن لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وأشهد أن محمدًا رسول الله، في الآذان، في الإقامة، في الصلاة، في التحيات؛ أشهد أن لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وأشهد أن محمدًا رسول الله، في الخطب في الجمعة، والأعياد، أشهد أن لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وأشهد أن محمدًا رسول الله.

فذكره صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بلغ ما بلغ من هٰذِه المنزلة العظيمة، بل؛ إن الله وملائكته يصلون عَلَىٰ النَّبِيّ، بل إن من ذكره أن كل مؤمن يحب النبي محبة عظيمة في قلبه، وهٰذَا من رفع ذكر النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومن فضائل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَلَىٰ نبيه وعَلَىٰ أمته، أن يسر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الأمور، فما من أمر عسير، إلا ويأتي اليسر ويفك هٰذَا العسر، ما يأتي أمر عسير عَلَىٰ أي الإنسان، إلا ويكون اليسر معه.

ولذلك قَالَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: ٥-٦]، أُلاحظ؛ ما قَالَ: إن بعد العسر يأتي اليسر، ما قَالَ بعده، وَإِنَّمَا قَالَ: معه، كأنه صاحب له، يَعْنِي: لا ينفك عنه، فإذا جاء العسر، فاليسر معه، فلا تظن إذا اشتد الكرب وضاقت بك النفس، أنها خلاص ليس لك حيلة، وليس لك فرج، لا، إذا اشتد الكرب جاء الفرج معه.

لكن الإنسان نفسه ضعيفة، وعَجُول ويتعجل الأمور، ولو تأنى وصبر؛ لأن الصبر هي صفة المؤمن، هي صفة الأتقياء، الصبر يحبه الله، ويحب الصابرين سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ. الصبر أمر النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في كتاب الله عَزَّ وَجَلَّ أكثر من ستة عشر مرة، أن يقول الله له: اصبر، اصبر، أكثر من ستة عشر مرة يأمره بالصبر، بل أن الصبر، وهٰذَا يوجه لكل من تتعسر أموره، وتصعب عليه، وتشتد به الكروب، أن يبشر بأن يصبر، ويبشر بالفرج؛ لأن الله قَالَ: ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: ٦]، والصبر أجره لا حد له، أعظم الأمور التي أجرها مفتوح الصبر، ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].

قَالَ الأوزاعي: "يُفرغ لهم إفراغًا لا حد له"، قَالَ: إن مع العسر يسرًا، ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: ٥-٦]، جملتان تعطينا معاني عظيمة، لاحظ أن العسر مُعرَّف، واليسر نكرة، وقَالَ أهل العلم أن العسر هنا المعرف هو واحد، ولذلك النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَنْ يَغلِبَ عُسْرٌ يُسْرَيْن»، إذًا اليسر هنا المُنكَّر يسر ويسر، فإذا اشتد الأمر جاء اليسر، ثم جاء اليسر، ثم انفرج الأمر.

لما بين الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هٰذِه الفضائل، وهٰذِه الأنعام لنبينا محمد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولكل مؤمن يدخل في ذلك مما هو عام لا خاص، فإذا علم ذلك، فإن الله يأمره بالمبادرة للطاعات، والتزامها وعدم التخلي عنها.

ولذلك قَالَ: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ﴾ [الشرح: ٧]، إذا فرغت من أشغالك فتعلق بربك، وانصب بالدعاء والعبادة، كل ما أردت، بل إذا فرغت من الطاعة اشتغل بطاعة، لا تنفك حتى قَالَ بعضهم هنا، قَالَ: إذا فرغت من صلاتك الفريضة، فاشتغل بالذكر، وإذا فرغت من الذِّكْر، فاشتغل بتلاوة القرآن، لا يبقى الإنسان هكذا، ليس في يديه شغل الدنيا ولا الآخرة، هكذا جالس عبثًا، لا يكون مؤمن، وَإِنَّمَا المؤمن دائمًا متعلق بربه، كل وقته في طاعة الله، تسبيح، وذِكر، وقراءة قرآن، وصلاة، وعبادات.

﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾ [الشرح: ٧-٨]، وهٰذَا يدل عَلَىٰ أن الإنسان يعمل لله، لا لأحد من الناس، ويخلص لربه، ولذلك قَالَ: ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ﴾ [الشرح: ٨]، لا إِلَىٰ غيره، وَإِلَىٰ ربك فارغب في الطاعات، وأقبل عليها، وسارع في طاعة الله عَزَّ وَجَلَّ، ولذلك موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لما قَالَ الله: ﴿وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَىٰ ۝٨٣ قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَىٰ أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾ [طه: ٨٣-٨٤]، الإنسان يتعجل العبادات ليرضي ربه.

ولذلك أول الأوقات رضا الله، في الصلاة أولها رضا الله، فيستعد الإنسان ليرضي ربه، حتى يرضيه الله، السورة عَلَىٰ قصرها والكل يحفظها، والكل يرددها، والكل يسمعها، تأملناها، ووقفنا معها، ووجدنا فيها من هٰذِه الآيات العظيمة الجليلة، ومن هٰذِه التوجيهات العظيم، التي حقيقة نستفيد جميعا كلنا في حياتنا، نسأل الله أن يجعلنا وإياكم من أهل القرآن، الذين هم أهل الله وخاصته، وأن ينفعنا بالقرآن، وأن يبارك لنا في أوقاتنا، وفي أعمالنا، واللهُ أَعْلَمُ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الدَّرْسِ (٤٣)

بسم الله وَالحَمْدُ للهِ، وأصلي وأسلم عَلَىٰ أشرف الأنبياء والمرسلين نَبِيِّنَا مُحَمَّد، وعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ، ومن اهتدى بهداه إِلَىٰ يوم الدين، اللَّهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علمًا وعملًا يا رب العالمين، واجعل هٰذِه الجلسة القرآنية جلسة مباركة نافعة.

أَمَّا بَعْدُ؛

أيها الإخوة الكرام؛ السَّلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، حياكم الله في هٰذَا اللقاء المبارك، وأسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن يرزقنا وإياكم العلم النافع، والعمل الصالح، وأن يجعلنا وإياكم هداة مهتدين موفقين لكل خير، هٰذَا اليوم هو اليوم السادس والعشرون، من الشهر العَاشِر، من عام وأربعين وأربعمئة وألف للهجرة.

حديثنا مع القرآن الكريم، ومع تفسيره، ومع قصار السور، السورة التي بين أيدينا، سورة يحفظها الجميع بلا استثناء، ويرددها ويقرأها كَثِيْرًا، وإن كانت قصيرة في آياتها، فمعانيها عظيمة جدًا، وسور القرآن أحيانًا تجد السورة قصيرة جدًا، فتجد ورائها معاني كثيرة، ومهما قرأت في تفسيرها وفي بيانها، قد لا تصل إلا إِلَىٰ القليل، الشيء القليل من معانيها، معانيها بعيدة كثيرة، أحيانًا تجد آية واحدة يتحدث عنها العلماء، يتكلم عنها العلماء، يكتبون فيها مؤلفات.

ولذلك كتب بعض المفسرين وبعض العلماء في آية واحدة، كتب فيها مؤلف، مثل قوله تَعَالَىٰ: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، قَالَ أهل التفسير، هٰذِه الآية تسمى بآية الأخلاق، جمعت كل الأخلاق في هٰذِه الآية، آية في القرآن قَالَ الله فيها: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾ [الأعراف: ٣١]، سماها أهل العلم: آية الطب، جمعت الطب كله، ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾ [الأعراف: ٣١]، هٰذَا هو الطب كله، هٰذَا العلاج.

تجد أحيانًا بعض الآيات قليلة الألفاظ، بعيدة المعاني كثيرة، السورة التي بين أيدينا، هي سورة: التين، سورة التين من قصار السور، ولذلك ما يُقال في القرآن آية صغيرة، أو سورة صغيرة، أو مصحف صغير، أو قرآن صغير، القرآن كله كبير عظيم، والسور عظيمة كبيرة، والآيات كبيرة، ما يُقال صغير.

ولذلك الأحناف رحمهم الله يحرمون أن يُقال: مصحف صغير، أو يُقال مثلًا: آية صغير أو سورة صغيرة، هٰذَا لا ينبغي أن يُقال، فسورة التين هي من قصار السور، آياتها قصيرة، وهي حجمها قصير، لكن معانيها عظيمة، إذا تأملتها وتدبرت آياتها، وجدتها فعلًا آية أو سورة عظيمة، هٰذِه السورة من السور التي أقسم الله بها، السور التي مرت معنا، بعضها سور يقسم الله في أولها، والله لا يقسم إلا بأمر عظيم عَلَىٰ شيء عظيم.

عندنا مُقسم به ومُقسم عليه؛

المقسم به: شيء عظيم، الله أقسم بثلاثة أشياء، أو بأربعة عَلَىٰ الصحيح، هي ثلاث آيات لكنها أربعة، ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾ [التين: ١-٣]، أربعة أشياء يقسم الله بها، يأخذ أربعة أشياء فيقسم بها، لا شك أن المقسم عليه هٰذَا شيء عظيم، ينبغي لك أن تقف عنده، تتأمله.

ما هو المقسم عليه؟ ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤]، السورة حتى نفهمها جيدًا، لما تقرأها، والكثير يقرأها ويسمعها من الأئمة، لكن قراءتها بتدبر يختلف، أنت لما تقرأها وتكرر قراءتها تعيدها مرتين ثلاث، تجدها هي تهدف إِلَىٰ شيء معين، ولها مقصد معين، ما هو؟

طيب، عرفنا أن الله أقسم بالتين، وهو الشجر المعروف، ﴿وَالزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾ [التين: ١-٣]، أقسم عَلَىٰ أي شيء؟ أقسم عَلَىٰ أن هٰذَا الإنسان قد خلقه الله في أحسن صورة أحسنت، ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ۝٥ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝٦ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ﴾ [التين: ٥-٧].

إذًا السورة تهدف إِلَىٰ شيء معين، ما هو؟ هو إثبات اليوم الآخر، وإثبات الجزاء لمن عمل الجزاء لأهل الجزاء، بأعمالهم الصالحة، أو غير ذلك، إذًا هي تقرر قضية ماذا؟ قضية الحساب، والجزاء،

وَالجَنَّة، وَالنَّار، والبعث، وَالَّذِي أنكره المشركون، هي تقرر هٰذِه القضية، تقررها بسور، ونحن نعرف، مر معنا أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقرر اليوم الآخر بطرق مختلفة، طرق عقلية، وأدلة، ومر معنا كَثِيْرًا.

فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقرر لنا الجزاء والحساب، وما يترتب عليه من الجَنَّة وَالنَّار، وبعث الناس من قبورهم، هٰذِه حقيقة هي من حقائق الدعوة، والإسلام، وهي أَيْضًا تعتبر من أركان الإيمان، أركان الدين.

طيب، إذا فهمنا هٰذَا جيدًا عرفنا أن السورة تقرر هٰذِه القضية، قضية الإيمان باليوم الآخر، والإيمان بالجزاء، والحساب، وَالجَنَّة، وَالنَّار، إذا تقرر عندك هٰذَا، تأخذها الآن شيئًا فشيئًا، حتى تصل إِلَىٰ الهدف.

طيب، يقول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ﴾ [التين: ١]؛ أقسم بالتين، التين شجر معروف، وثمره معروف، والتين من العجائب، وما فيه من الفوائد؛ لأن الله اختاره وأقسم به؛ لأهميته، ولما فيه من الفوائد والعجائب، حتى قَالَ: بعضهم أنه شبيه بثمار الجَنَّة؛ لأنه ليس فيه عجو، ليس فيه حد، ثمار الجنة تأكلها ليس فيها يَعْنِي ما تخرجه وترميه من الحبوب والبذر، وهٰذَا من غير، قالوا: "شبيه بثمار الجَنَّة".

التين شجر معروف، وفوائده معروفة، والزيتون شجر معروف أَيْضًا، وفوائده معروفة، وزيته مبارك، وشجرة مباركة كما قَالَ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «كُلُوا وادَّهِنوا، فَإِنَّه مِنْ شَجَرةٍ مُبَارَكَة»، ثم قَالَ: ﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾ [التين: ٢]؛ طور سينين: هو طور الجبل الذي كلم الله عنده موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، ﴿وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ﴾ [مريم: ٥٢]، هٰذَا هو الطور، ﴿سِينِينَ﴾ [التين: ٢]، يُقال: سينين، ويُقال: سيناء، وهي منطقة معروفة بمنطقة سيناء، سميت سيناء، لكثرة الأشجار الملتفة حول هٰذَا الجبل، والجبل الطور المعروف، كلم الله، أقسم الله به لشرفه؛ لأن الله اختاره ليكلم عنده موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

قَالَ: ﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾ [التين: ٣]، وهي مكة شرَّفها الله، البلد الأمين: مكة الذي أوحى الله فيها لنبينا محمد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إذًا عندنا موسى، ومحمد، والتين والزيتون، مكانه أين؟ قَالَ: في الشام، وهي بعثة من؟ بعثة عيسى ابن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ، إذًا كأنها إشارات إِلَىٰ مواطن الوحي.

مواطن الوحي: الشام، طور سينين، البلد الأمين، وكأنها إشارات، وبدأ بأولي العزم الثلاثة عَلَىٰ مراتبهم، الأقل، ثم الأكثر أو الأعظم، ثم الذي هو أعظم من الجميع، عيسى، ثم موسى كليم الله، ثم فوق موسى مُحَمَّد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سيد البشر، سيد الأولين والآخرين، فأقسم بهذه الأشياء، إشارة إِلَىٰ أماكن، هٰذِه الأماكن التي أوحى الله عندها، أو أرسل وحيه عندها.

﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾ [التين: ٣]، لما أقسم بهذه الأشياء، أقسم عَلَىٰ هٰذَا الإنسان، الذي هٰذَا الإنسان قَالَ فيه: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾ [التين: ٤]؛ ولقد: اللام موطئة للقسم، وقد: للتحقيق، أي قد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم، مر معنا أن الله يذكر لنا، أنه خلق هٰذَا الإنسان في كبد، خلقه في كذا، خلقه في كذا، هنا نشير إِلَىٰ أمر معين يتناسب مع السياق، وما يأتي بعد السياق، فيقول: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا﴾ [التين: ٤]، خص أو أقسم عَلَىٰ خلق هٰذَا الإنسان في أحسن صورة، وأحسن اعتدال؛ لأن كلمة: في تقويم؛ أي في اعتدال، يَعْنِي في قوامة، واعتدال، واستقامة.

لقد خلقنا هٰذَا الإنسان في أحسن صورة، جعله في صورة جميلة وحسنة، ونضرة في جمال الشعر، والعينين، والأنف، والشفتين، وجمال اعتدال الإنسان في طوله، وفي تقسيماته، لا تجد يدًا أطول من الأخرى، أو قدمًا أطول من الأخرى، أو عين أوسع من الأخرى، وَإِنَّمَا خلقه في أحسن صورة، وأجمل صورة، خلقه في أحسن صورة في خلقته الظاهرة، وأيضًا في أحسن صورة في فطرته الداخلية، فطره الله عَلَىٰ التوحيد، والإيمان، والتصديق، فخلقه الله داخلًا وخارجًا، مظهرًا ومخبرًا، ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤].

ثم قَالَ: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ [التين: ٥]، الإنسان خُلق في أحسن صورة، في أحسن جمال وخلقة ظاهرًا، وباطنًا في فطرته السليمة، في عبادته لربه، في تصديقه ما يأتيه عن ربه، كل هٰذَا هو الأصل في هٰذَا الإنسان، لكن قد تجد من هٰذَا الإنسان، أو من بني آدم، أو من هٰذَا الخلق من ينحرف في باطنه، أما في ظاهره لا ينحرف، في ظاهره يبحث عن زيادة الجمال، لكن داخله تجد من ينحرف في فطرته إِلَىٰ الكفر، بدل التصديق، وَإِلَىٰ العناد، وَإِلَىٰ الاعتراض، وَإِلَىٰ عدم الإيمان بما يأتيه من ربه، فينحرف عن فطرته، ويخرج عن فطرته، وعن طريق الاستقامة.

الله خلقك في أحسن تقويم في داخلك وخارجك، فتخرج وتترك هٰذَا الطريق، فإذا خرج وترك هٰذَا الطريق، ما النتيجة؟ قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ [التين: ٥]؛ أي أعطيناه الجمال، والبهاء، والخلقة الطيبة، والعقل التام، والحديث مع الناس، والكلام، والمنطق، الحيوانات ليس معها منطق، الحيوانات ليس معها عقل كعقل الإنسان، يدبر ويتصرف، شرَّف الله هٰذَا الإنسان وكرَّمه عَلَىٰ سائر المخلوقات، ليشكر وليعبد ربه.

ولذلك قَالَ: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ﴾ [التين: ٥]؛ ثُمَّ: تفيد الترتيب المتراخي البعيد، يَعْنِي: أعطيناه الحياة الدنيا في جماله، ثم بعد ذلك، بعد ما تنتهي حياته، يعود إِلَىٰ أسفل سافلين إذا غير فطرته، وكفر، ولاحظ أن الله يقول هنا: ﴿أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ [التين: ٥]، ما قَالَ: إِلَىٰ أسفلين، يَعْنِي: أشد انحطاط، إذا انحط عن فطرته، وانحط عن عبادة ربه، وتكبر، وتمرد عَلَىٰ ربه، الله يجعله في أسفل سافلين، إِلَّا إن حافظ عَلَىٰ فطرته، وإيمانه، وطاعته لربه خرج من هٰذَا، ولذلك استثنى الله.

﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ [التين: ٥]، قَالَ أهل التفسير: رددناه إِلَىٰ أسفل سافلين؛ أي إِلَىٰ جهنم، إِلَىٰ نار جهنم، يقول: أعطاه الله الحياة الدنيا، وخلقه في أحسن صورة داخلًا وخارجًا، ليعبد ربه، فإذا انحرف وترك عبادة ربه، رده الله إِلَىٰ أسفل سافلين، إِلَىٰ نار جهنم، ولا يؤبه به، ولا يُلتفت إليه؛ لأنه هو الذي خرج عن طريق الاستقامة إِلَىٰ طريق الانحراف، فكان انحرافه إِلَىٰ الهاوية.

﴿ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ۝ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [التين: ٥-٦]، فأسفل سافلين هنا: هي نار جهنم، في أقعر وأسفل الأرض، وقيل أسفل سافلين: أن يُرَد إِلَىٰ أرذل العمر، وهٰذَا قول اختاره ابن جرير الطبري، ولكن القول اَلْأَوَّلُ الذي اختاره ابن كثير وغيره أقرب، لماذا؟ لأنه إذا قلنا: أسفل سافلين، ثم قلنا: إلا الذين آمنوا، نجد من الذين آمنوا وعملوا الصالحات، من يُرَد إِلَىٰ أرذل العمر، تجد أنت من تراه أن هو من الصالحين، بل هو قد عُرف بصلاحه واستقامة ربه طول حياته، ثم في آخر حياته يُرَد إِلَىٰ أسفل السافلين، ﴿لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا﴾ [النحل: ٧٠].

وهٰذَا واقع في كثير، قد تجد من الصالحين من يمر بهذه المرحلة، ﴿وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ﴾ [يس: ٦٨]، ولذلك ما نستطيع أن نقول: أسفل سافلين أرذل العمر، ثم نقول: إلا الذين آمنوا؛ لأن الذين أمنوا قد يُرَدُّون، فاختيار أسفل سافلين نار جهنم، هو المتناسب مع، إِلَّا الذين آمنوا، ونقول:

أسفل سافلين؛ هي نار جهنم، ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [التين: ٦]؛ فإنهم يسلمون وينجون من هٰذِه النَّار، وينجون من اسفل سافلين، فيكون الاستثناء استثناءً متناسبًا.

قَالَ: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [التين: ٦]؛ آمنوا: أي صدقوا بما جاءهم عن الله وعن رسوله، وأتبعوا هٰذَا التصديق والإيمان بالأعمال الصالحة، لا مجرد الإيمان، يدَّعي أنه مؤمن، ولا يصليه، يدَّعي أنه مؤمن ولا يزكيه، يدَّعي أنه مؤمن ويعق والديه، ويفعله من الأفعال السَّيِّئَة، والأخلاق البذيئة، ويقول: أنا مؤمن، لا، الإيمان إيمان تصديق وعمل، قول وعمل.

قَالَ: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [التين: ٦]، ما هي النتيجة؟ ﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ [التين: ٦]، غير منقطع، دائم، وذلك في جنات النعيم، ﴿أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا﴾ [الرعد: ٣٥]، لا ينقطع فيها شيء، ولا تنقطع الحياة، ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى﴾ [الدخان: ٥٦]، هٰذِه حياتهم الأبدية السرمدية، ﴿لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾ [الكهف: ١٠٨]، ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ [التين: ٦].

قَالَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وهٰذَا هو المقصد الآن، نصل إِلَىٰ مقصد السورة: ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ﴾ [التين: ٧]، أيها الإنسان، ما الذي يجعلك؟ إنكار، كيف تكذب بالدين، ما المراد بالدين؟ الدين هنا: الجزاء والحساب، ليس الدين هو الشرع، ليس المقصود بالدين هنا الشرع، إِنَّمَا المقصود به: الجزاء والحساب، مثل ما تقول أنت: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤]، يوم الدين هو يوم القيامة، يوم الجزاء.

وقوله هنا: ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ﴾ [التين: ٧]؛ أي ما الذي يجعلك تُكذِّب بالجزاء وَالجَنَّة، وَالنَّار، والمعاد الذي تعود فيه إِلَىٰ رب العالمين، ما الذي يجعلك تكذب أيها المكذب، وأيها الضال، وأيها المنحرف عن فطرتك وعقيدتك، ما الذي جعلك تكذب بهذا اليوم، وأنت تعرف حياتك، وتعرف الذي خلقك وأوجدك، قادر عَلَىٰ يعيدك، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لما خلق الخلق، وخلق هٰذَا الخلق كله السماوات والأرض، وخلق هٰذَا الإنسان، لم يخلقه عبثًا، وَإِنَّمَا خلقه ليجازي المحسن عَلَىٰ إحسانه، ويجازي المسيء عَلَىٰ إساءته، فلم يخلقه عبثًا، لهذه الحكمة التي خلقها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، خلق هٰذَا الخلق لحكمة الجزاء، وَالجَنَّة، وَالنَّار، ويثيب المطيع، ويجازي العاصي عَلَىٰ معصيته.

قَالَ الله: ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ﴾ [التين: ٧]؛ بالجزاء والحساب، ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾ [التين: ٨]؛ أليس الله هو ذي الحكمة العظيمة، وأليس الله هو الحاكم بين عباده،، الحاكم بالعدل، والقضاء بين عباده، أليس ذلك هو الله، إذًا الذي يحكم بالحكمة العظيمة، وبالحكم والعدل بين الناس، ألا يساوي من غير فطرته وكفر بربه، ويساوى مع من بقي عَلَىٰ فطرته، وعرف الطريق إِلَىٰ ربه، من عمل الأعمال الصالحة، ومن عمل الأعمال السَّيِّئَة، لا يساوي هٰذَا بهذا، فالله يتفضل عَلَىٰ عباده الصالحين، بإكرامهم في دار كرامته، ويحكم عَلَىٰ من يستحق النار بعدله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فهو أحكم الحاكمين.

فأليس الله بأحكم الحاكمين؟ بلى إنه أحكم الحاكمين، هل يجوز الإنسان إذا انتهى من هٰذِه السورة أن يقول: بلى، ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾ [التين: ٨]، بلى إنه أحكم الحاكمين، ومثلها سورة: القيامة، ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى﴾ [القيامة: ٤٠]، بلى قادر، هل نقولها؟ نقول: يجوز أن تقولها خارج الصلاة، وأنت تقرأ القرآن، أو في السُّنَّة جائز، أما في الفريضة، فلا تأتي إلا بما ورد، وَأَمَّا في غيرها فالأمر واسع، فإن قلتها لا بأس، وإن تركتها فلا بأس، كل ذلك جائز.

هٰذَا ما احتوت عليه هٰذِه السورة، التي ذكرنا في أولها أنها سورة عميقة، مليئة بالعلوم، والفوائد، والتوجيهات، والمواعظ، ومع قصر آياتها وقلة آياتها، إلا أن فيها هٰذِه التوجيهات التي تدبرناها وتأملناها، أسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن ينفعنا بما قلنا وبما سمعنا، وأن يجعلنا وإياكم هداة مهتدين، موفقين لكل خير، واللهُ أَعْلَمُ.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الدَّرْسِ (٤٤)

بسم الله وَالحَمْدُ للهِ، وأصلي وأسلم عَلَىٰ أشرف الأنبياء والمرسلين نَبِيِّنَا مُحَمَّد، وعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ، ومن اهتدى بهداه إِلَىٰ يوم الدين، اللَّهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علمًا وعملًا يا رب العالمين، واجعل هٰذِه الجلسة القرآنية جلسة مباركة نافعة.

أَمَّا بَعْدُ؛

أيها الإخوة الكرام؛ السَّلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، حياكم الله في هٰذَا اللقاء المبارك، وهٰذِه الجلسة المباركة، في هٰذَا اليوم، وهو اليوم الثالث من الشهر الحادي عشر، من عام أربعة وأربعين وأربعمئة، وألف من الهجرة، نجتمع في هٰذَا المقام المبارك، لنقرأ آيات من كتاب الله، نتأملها، ونتدبرها، ونتفكر فيها، نعيش معها هٰذِه الدقائق الثمينة.

لا زلنا في قصار سور القرآن الكريم، والسورة التي بين أيدينا في الحقيقة، من أَجَلّ سور القرآن الكريم، وتحتاج منا إِلَىٰ تأمل، وَإِلَىٰ تدبر وتفكر، هٰذِه السورة هي كما ذكر أهل التفسير وأهل العلم، هي أول سورة نزلت في كتاب الله، ولما يقال لك أول سورة نزلت في كتاب الله، تستشعر عظمة هٰذَا الوحي، وتستشعر عظمة هٰذَا الكتاب المنزل، وهٰذِه الدعوة العظيمة التي جاءت لتخرج الناس من ظلمات الجهل، والكفر، والطغيان، والأعراض، والعناد، إِلَىٰ نور الطاعة، والاستقامة، والطريق إِلَىٰ الله.

عندما تقرأ هٰذِه السورة، وهي أول سورة، وآياتها في بداياتها، هي أول آيات يوحي الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بها إِلَىٰ نبينا محمد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لا شك أنك تحتاج منك إِلَىٰ أن تتأمل هٰذِه الفواتح العظيمة، يَعْنِي لم تأتي هٰذِه الفواتح هكذا، وإنما جاءت لتحرك الأذهان، جاءت لتجعل هٰذَا الإنسان

يتفكر في حياته، يتفكر في خلقه، يتفكر في مبدأه، ومعاده، لم يخلقه الله هكذا عبثًا، وَإِنَّمَا خلقه للعلم، وَالتَّعَلُّم، وعبادة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، والطريق إِلَىٰ الله، وطريق النجاة.

هٰذِه السورة افتتحها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بالأمر، واختتمها بالأمر، إذًا هي أوامر، وهٰذِه الأوامر لما تسمعها أنت، تُوجه إليك، إذًا تحرك فيك هٰذِه الأشياء، لما يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿اقْرَأْ﴾ [العلق: ١]، ثم في آخرها يقول: ﴿وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾ [العلق: ١٩]، ثم أمر آخر أَيْضًا، حتى نلفت الأنظار، أن هٰذِه الآية، أو هٰذِه السورة، أول وحي ينزل إِلَىٰ الأرض من السماء يأتي بالأمر، ﴿اقْرَأْ﴾ [العلق: ١]، وآخر آية في كتاب الله عهدًا بالعرش، وآخر آية نزلت في كتاب الله عَلَىٰ الإطلاق، تأتي بالأمر، في قوله تَعَالَىٰ: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٨١]، شوف كيف بداية السورة هنا، بداية الخلق الذي خلق الإنسان، بداية خلق الإنسان، بداية وجود هٰذَا الإنسان.

وفي السورة الأخيرة، وفي الآية الأخيرة، آخر آية تنزل في كتاب الله: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٨١]، وهنا المبدأ الخلق، وهنا المعاد، يتفكر الإنسان في مبدأه، وفي معاده، ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨١]، وهنا يذكرك الله بالخلق اَلْأَوَّلُ، وأن الله لم يخلق الآن الإنسان هكذا سُدىً، أو عبثًا، وَإِنَّمَا خلقه للعلم، وَالتَّعَلُّم، والكتابة، والقراءة، ومعرفة النظر في ملكوت السماوات والأرض، والنظر في نفسه، ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١]، ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٨٥].

هٰذِه السورة ابتدأها الله كما ذكرنا بالأمر، وهي أول آيات القرآن نزولًا، وهي الآيات الخمس، الآيات الخمس؛ ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: ١]، هي أول ما نزل من الوحي عَلَىٰ الإطلاق، وهو الصحيح عند أكثر أهل العلم، لما جاء في الصحيحين عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أول ما بدأ به الوحي، ثم ذكرت قصة مجيء الوحي، ومجيء جبريل للنبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو في غار حراء يتعبد الله، حتى جاءه الوحي بهذه الآيات.

ثُمَّ إن بقية السورة نزلت بعد فترة من نزول الوحي، ومن بعثة النَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، واشتداد عداوة الكفار للمسلمين في قصة أبي جهل، وما حصل معه مع النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،

يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في بدايات هٰذِه الآية، أو هٰذِه السورة: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ﴾ [العلق: ١]؛ توجيه وأمر بالقراءة وَالتَّعَلُّم، كما قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿الرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝٢ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ۝٣ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ [الرحمن: ١-٤]، ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾ [الرحمن: ٣]، ثم قَالَ: ﴿عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ [الرحمن: ٤].

وهنا قَالَ: اقرأ باسم لربك الذي خلق، ثم قَالَ، ﴿عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾ [العلق: ٤]، وفي خلق آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ أول ما خلقه الله، علمه كل شيء، علمه الأسماء، علمه أسماء كل شيء، وجعله يفوز بعد محاورته مع الملائكة بفوزه بالعلم، وَالتَّعَلُّم، لما قَالَ: يا ادم أنبئهم بأسماء هؤلاء، فأنبأهم، فسجد الملائكة تعظيمًا، واحترامًا، وتقديرًا، وتحيةً لآدم لما فضله الله بالعلم، فالإنسان يتفضل ويرتفع بالعلم، ويهبط وينزل بالجهل.

قَالَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ﴾ [العلق: ١]، نقرأ هٰذِه الآيات بتأمل وتدبر، اقرأ: فعل أمر من القراءة، وهي النطق والبيان، ﴿بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ [العلق: ١]؛ أي: اقرأ وأنت متلبسًا باسم الله، وأنت متبركًا باسم الله، ببركة هٰذَا الاسم العظيم، مثل ما تقول: أشرب بسم الله، وآكل بسم الله، وأدخل بسم الله، وأقرأ بسم الله، وأكتب بسم الله، بسم الله تعظيمًا لاسم الله.

وإن كان المقصود أنك بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، المقصود هو الله عَزَّ وَجَلَّ، ولكن تقديم الاسم للتَّبَرُّكِ، والتعظيم، وأيضًا للتذكير بأسماء الله الحسنى؛ لأن المشركين يعظمون أسماء اللات، فيتكلمون باللات، أو يتكلمون بالأصنام، باللات، والعزى، ومناة، وغيرها.

قَالَ: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ﴾ [العلق: ١]، ولاحظ أنه قَالَ: باسم ربك، تذكيرًا بأنه هو ربه، وهو خالقه، وهو الذي أوجده، وهو الذي رزقه، وهو الذي هداه، تذكيرًا، بالمربي له اَلْأَوَّلُ، وهو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ولم يقل: اقرأ باسم الله، وَإِنَّمَا قَالَ: ﴿بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ [العلق: ١]، تذكيرًا بأن هٰذَا الوحي وهٰذِه الرسالة، هي رحمة من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من رب العالمين الذي خلق الخلق، ورزقهم وهداهم.

﴿بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ﴾ [العلق: ١]، وكلمة خلق هنا تعم جميع المخلوقات، خلق الخلق جميعًا، ولذلك متعلق الفعل محذوف، وحذفه يدل عَلَىٰ العموم، الذي خلق، خلق ماذا؟ خلق كل شيء، هو خالق كل شيء، ثم خصص لتحديده لهذا الإنسان؛ لأنه مخاطب بهذا، ولذلك لما قَالَ: ﴿الَّذِى خَلَقَ﴾

[العلق: ١]، قَالَ: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ [العلق: ٢]، فحدد بعدما عمم خصص، فَقَالَ: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾ [العلق: ٢]؛ لأنه هو المخاطب بهذه الآيات؛ ولأنه من أعظم المخلوقات.

قَالَ: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ [العلق: ٢]؛ والمقصود بالإنسان هنا: هو عموم الإنسان، آدم وذريته، ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ [العلق: ٢]، أو يُقال: ذرية آدم؛ لأن آدم لم يُخلق من علق، وإنما خلقه الله من تراب، ثم من طين، ثم من صلصال كالفخار، فالعلق في ذريته، والنطفة في النطفة، ثم العلقة، ثم المضغة، في ذريته.

﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ [العلق: ٢]؛ والعلق: هي قطعة الدم الجامدة، بعد ما تتحول هٰذِه النطفة، وهو الماء المهين، يتحول بعد أربعين يومًا إِلَىٰ قطعة دم جامدة، قيل لها: علق؛ لأنها تعلق في جدار الرحم، وتبقى أربعين يومًا هكذا، ثم تتحول إِلَىٰ مضغة، والمضغة قطعة اللحم التي بقدر ما يمضغ الإنسان، قَالَ: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ [العلق: ٢]؛ وذِكر العَلَق هنا، حتى سميت السورة بسورة: العلق، وسميت بسورة: اقرأ، وسميت أَيْضًا عند بعض المفسرين بسورة: القلم، وأيضًا سورة نون بسورة القلم، ولا يمنعن أن تكون هناك سورتان باسم واحد، لكن تتميز، كأن يُقال مثلًا: نون والقلم، أو اقرأ القلم.

قَالَ: ﴿مِنْ عَلَقٍ﴾ [العلق: ٢]، وتسمية السورة لذكر هٰذَا اللَّفْظ، الذي ذكر بخلق الإنسان اَلْأَوَّلُ، ونشأة الإنسان اَلْأَوَّلُ، كيف نشأ، وكيف خلقه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وتذكيرًا بضعفه، وأنه مر بهذه المراحل، حَتَّىٰ أنشأها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ خلقًا تامًا، في أحسن صورة، وأحسن تركيب، وهٰذَا يذكرك أَيْضًا بالسورة التي مرت معنا، سورة التين، لما قَالَ الله سُبْحَانَهُ: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤]، ذكَّره بأنه من علق، وأنه جعله في أحسن صورة، وفي أحسن تقويم، كل هٰذَا يُذكِّره بالخلق اَلْأَوَّلُ، ويجعل الإنسان يعترف بضعفه، يعترف بعظمة الرحمن سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ورحمته التي عمت كل شيء، وفضله وإحسانه عَلَىٰ هٰذَا الإنسان.

﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ [العلق: ٢]، ثم أعاد مرة أخرى تأكيدًا، وتذكيرًا، وتأكيدًا عَلَىٰ أهمية القراءة، والعلم، وَالتَّعَلُّم، ولذلك قَالَ: ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ [العلق: ٣]، تذكير بأن أَيْضًا المعلم هو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، والذي يمن عَلَىٰ عباده بالعلم، وَالتَّعَلُّم، والتعليم هو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وأنه من

تفضل الله عليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بالعلم، وَالتَّعَلُّم، والتعليم، فإن هٰذَا من كرامات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ له، ومن تفضل الله عَزَّ وَجَلَّ له.

ولذلك قَالَ: ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ [العلق: ٣]، وكلمة الأكرم، يقول أهل اللغة: هٰذَا اسم التفضيل، واسم التفضيل، إذا كان مقرونًا بالألف واللام، دل عَلَىٰ الاختصاص، يَعْنِي: الأكرم، لا أكرم معه، ولا أكرم مشابهًا له، فهو الأكرم من جميع الوجوه، لا شبيه له في كرمه، وهٰذَا يذكرنا حَتَّىٰ نعرف أن القرآن الكريم مترابط، يَعْنِي متشابه الآيات ومترابط الآيات، لما تقرأ: ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ [العلق: ٣]، يذكرك بأي شيء؟ يذكرك بسورة الانفطار، ﴿يَاأَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ۝٦ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ﴾ [الانفطار: ٦-٧]، ربك الكريم هو الذي خلق، وهنا يقول: ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ [العلق: ٣]، الذي خلقك خلق اَلْأَوَّلُ، وعلمك بعدما أخرجنا من بطون أمهاتنا لا نعلم شيئًا، وجعل لنا السمع، والأبصار، والأفئدة، كل هٰذَا تذكير لنا بهذه النعمة.

قَالَ: ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ [العلق: ٣]، ومن كرمه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ماذا؟ ﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾ [العلق: ٤]، شوفوا الآن جاءت الكتابة، لَمَّا ذكَّرنا بالقراءة، ذكَّرنا بالكتابة، والقراءة سابقة للكتابة، الإنسان يقرأ ثم يكتب، يقرأ ثم يكتب، ولذلك قَالَ: ﴿اقْرَأْ﴾ [العلق: ٣]، والنبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قرأ ولم يكتب؛ لأنه أُمِّيّ وبقي عَلَىٰ أميته إعجازًا بأن يأتي بكتاب عظيم، لا يستطيع العرب أن يأتوا ولا بآية، ولا بسورة من مثله، ومع ذلك وهو أُمِّيّ لا يقرأ ولا يكتب.

ولذلك علمه الله القراءة، فقرأ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، واستجاب لله، وتعلم القراءة، وحفظ القرآن، وهو أول حفاظ هٰذِه الأُمَّة، وَأَمَّا الكتابة فلم يكتب، وَأَمَّا الكتابة فقد أُمر الناس بها، أن يقرأوا ثم يكتبوا، ولذلك قَالَ: ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾ [العلق: ٣-٤]؛ القلم: هو آلة الكتابة.

قَالَ: ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ٥]، هٰذَا من كرم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، أن علم الإنسان مالم يعلم، الله أخرجنا من بطون أمهاتنا لا نعلم شيئًا، فعلمنا ما لم نعلمه، ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٧٦]، وعلمك لا يمثل شيئًا في علم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ولذلك الخضر لما ركب السفينة، وموسى معه، والخضر قد أعطاه الله من العلم عن لدني فوق موسى، فلما ركب السفينة جاء

عصفور أو طائر، وأخذ من الماء بمنقاره ثم طار، قَالَ الخضر: "يا موسي، ما علمي وعلمك في علم الله، إلا مثل ما أخذ هٰذَا الطائر من هٰذَا البحر"، فعلم الله واسع.

﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ٥]، ويدخل في ذلك علم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وعلم أسمائه، وصفاته، وأفعاله، وعلم شرعه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وعلم ما يتعلق بالخلق، وعلم ما يتعلق بالمعاد، كل ذلك داخل، ويدخل فيه سائر العلوم الدينية والدنيوية، ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ٥]، حتى في العلوم الدنيوية، ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ٥].

هٰذِه الآيات الخمس هي التي نزلت في أول بعثة النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأول افتتاحية هٰذِه الرسالة، وأول الكشف وإزالة هٰذِه الغمة، وهٰذِه الجهالة التي عمت عَلَىٰ العرب، أزالها الله بهذه الكلمات العظيمة التي تقول للجهل وداعًا للجهل والكفر والضلال، وداعًا بمجيء هٰذَا النور، وَهٰذِه الطاعة، هٰذِه الآيات الخمس الَّتِي وقفنا معها، بقية السورة تحتاج منا أَيْضًا إِلَىٰ تأمل وَإِلَىٰ وقفات، تحتاج إِلَىٰ وقت آخر، لا نطيل عليكم، نقف عند هٰذَا القدر، ونسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن يبارك لنا ولكم، وأن يوفقنا وإياكم لطاعته، وأن يجعلنا وإياكم من أهل القرآن الذين هم أهل الله وخاصته، واللهُ أَعْلَمُ.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الدَّرْسِ (٤٥)

بسم الله وَالحَمْدُ للهِ، وأصلي وأسلم عَلَىٰ أشرف الأنبياء والمرسلين نَبِيِّنَا مُحَمَّد، وعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ، ومن اهتدى بهداه إِلَىٰ يوم الدين، اللَّهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علمًا وعملًا يا رب العالمين، واجعل هٰذِه الجلسة القرآنية جلسة مباركة نافعة.

أَمَّا بَعْدُ؛

أيها الإخوة الكرام؛ السَّلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، حياكم الله في هٰذَا اللقاء المبارك، وفي هٰذَا المجلس مجلس القرآن الكريم، أسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن يرزقنا وإياكم العلم النافع، والعمل الصالح، وأن يبارك لنا ولكم في أوقاتنا، وفي أعمالنا، هٰذَا اليوم هو اليوم العَاشِر من الشهر الحادي عشر، من عام أربعة وأربعين وأربعمئة وألف من الهجرة.

مجلسنا مع تفسير القرآن الكريم، وقصار السور، والسورة التي بين أيدينا تحدثنا عنها في لقائنا الماضي، ونكمل الحديث عنها في هٰذَا اللقاء إِنْ شَاءَ اللهُ، هٰذِه السورة كما ذكرنا هي أول سورة نزلت في كتاب الله، أول سورة، وآياتها الخمس هي أول ما نزل في بداية هٰذَا النور العظيم، وهٰذِه الهداية العظيمة التي قشعت ظلمة الأرض، وظلمة الضلال، وبها جاء الخير، وبها ظهرت هٰذِه الأُمَّة التي هي خير أمة أُخرجت للناس.

لما تقرأ هٰذِه السورة وأنت تتذكر حال أهل الكفر والضلال، وكيف كانوا يعيشون، ثم جاء هٰذَا النور، وقشع هٰذِه الظلمة وبددها، وأنت تقرأ هٰذِه السورة تجد أثر هٰذِه السورة عَلَىٰ الأُمَّة الإسلامية، وأثر هٰذِه السورة عليك أنت، وعَلَىٰ كل مسلم، تبدأ هٰذِه السورة بالأمر بالقراءة والكتابة: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ [العلق: ١-٣]؛ يذكرك الله بخلقك اَلْأَوَّلُ، ﴿الَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ [العلق: ١-٢]؛ يذكرك بالخلق اَلْأَوَّلُ.

والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لما خلق الخلق، تكفل برزقهم، فما من مخلوق إلا وقد كتب الله له رزقه، فتكفل الله برزقه، وزيادةً عَلَىٰ ذلك وفضلًا من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ورحمة، فوق خلقه الأول في أحسن صورة، وإكمال خلقه بهذه الصورة العظيمة الجميلة، وتكفل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بأن تكفل برزقه، وفوق ذلك كله أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أنعم عليه بالعلم، العلم، والكتابة، والقراءة، فهذَا فضل من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، أن أخرج هذِه الأُمَّة بهذا العلم، وَالتَّعَلُّم، والقراءة، والكتابة من ظلمة الجهل، والتخبط، والضلال.

تقرأ هذِه الآية وتعرف نعمة الله عليك، بأن أنعم عليك بالخلق اَلْأَوَّلُ، بهذه الصورة الجميلة، أنعم الله عليك بالرزق، بأن هيأ لك هذَا الرزق، أنعم الله عليك فوق ذلك بالعلم وَالتَّعَلُّم، لم تبقى جاهلًا ضالًا، لا تدري أين تذهب، أنعم الله عليك بالعلم والقراءة، تستطيع تقرأ القرآن، تتعلم العلم النافع، تسمع و تستوعب هذِه الأشياء، ولكن مع الأسف وأنت تقرأ هذِه الآيات، والله عَزَّ وَجَلَّ يقول: ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ﴾ [العلق: ٣-٥]؛ مُطْلَقًا، ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ٥]؛ خرج من بطن أمه جاهلًا، لا يعرف.

﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: ٧٨]؛ لمَّا تتذكر هذَا الكلام وهذِه الآيات، وهي تحرك في نفسك، مع الأسف الشديد أنك تجد من الناس من إذا أنعم الله عليه بالعافية، وأنعم الله عليه بالرزق، وقد يكون أَيْضًا أنعم الله عليه بالعلم، إن الإنسان من طبيعته الطغيان، والإسراف، والإعراض، والضلال، طبيعة الإنسان هكذَا، إلا من عصم الله، إلا من أنعم الله عليه بالهداية وعرف الطريق إِلَىٰ الله عَزَّ وَجَلَّ، وأنقذه الله من هذِه الصفة السَّيِّئَة.

ولذلك أنت تقرأ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لما ذكر هذِه الآيات، وهذِه النعم العظيمة، قَالَ: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى﴾ [العلق: ٦]؛ كلمة كلا، هذِه كلمة تكررت في القرآن الكريم أكثر من ثلاثين مرة، والعجيب أن: كلا، لم ترد إلا في النصف الثاني من القرآن، يَعْنِي أنت تقرأ النصف اَلْأَوَّلُ إِلَىٰ أن تنتهي من سورة الكهف ما في: كلا، أبدًا، لما تبدأ بسورة مريم إِلَىٰ أن تصل إِلَىٰ آخر القرآن، تأتيك كلا متكررة.

ما معنى: كلا؛ كلا لها معنيان: المعنى اَلْأَوَّلُ: أحيانا تأتي بمعنى: حقًا، يَعْنِي هٰذَا الأمر حقيقةً، ومرة تأتي بمعنى الزجر والردع، كيف يحصل هٰذَا الشيء، وهنا هٰذِه قَالَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿كَلَّا﴾ [العلق: ٦]، وستأتينا بالسورة نفسها مرة ثانية، وفي نفس السورة لها معنيان، جاءت بمعنيين:

المعنى اَلْأَوَّلُ هنا: قَالَ الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَىٰ﴾ [العلق: ٦]؛ يقول كلا: يَعْنِي حقًا أن الإنسان هٰذَا المخلوق ليطغى، متى يطغى، متى يصل إِلَىٰ درجة التَّكَبُّر، والاستكبار، والطغيان؟ قَالَ: ﴿أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَىٰ﴾ [العلق: ٧]؛ إذا رأى نفسه مستغنيًا بالمال، تكبَّر، طبيعته يتكبر، وهٰذَا في حق الكافر، أما المؤمن فمن طبيعته التواضع لله، وكلما أعطاه الله، ورفع الله مقامه بالمال، بالعلم، بالجاه، بالمكانة، يتواضع لله، يتواضع لله، يتواضع لله.

ولذلك النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لمَّا أنعم الله عليه بفتح مكة، كيف دخل مكة؟ دخل مكة متواضعًا أشد التواضع، أنعم الله عليه بأن فتح له مكة، ومع ذلك يتواضع لله، لكن من فقد العلم، وأصبح جائع في جهله، لا يعرف أن الله إذا أنعم عليه، الواجب عليه أن يتواضع لله عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَىٰ﴾ [العلق: ٦]؛ حقًا إن الإنسان طبيعة الإنسان وهٰذَا الكافر، قَالَ: ﴿لَيَطْغَىٰ﴾؛ أن يصل إِلَىٰ درجة الطغيان والاستكبار، مَتَىٰ؟ قَالَ: ﴿أَنْ رَآهُ﴾ [العلق: ٧]؛ إذا رأى نفسه قد استغنى بالمال، وأعطاه الله، وفتح الله عليه بالمال، فإنه يتكبر، هٰذِه طبيعة الكافر، أما المؤمن فليس داخلًا في هٰذَا.

قَالَ الله عَزَّ وَجَلَّ ردًا عليه: ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ﴾ [العلق: ٨]؛ تطغى، تتكبر؟ اعلم إنك سترجع إِلَىٰ الله، ستموت وتذهب وتترك هٰذَا المال، وتركنا ما خولناك من المال، أين المال الذي حصلت عليه، وأين ما جمعت في هٰذِه الدنيا؟ أصبح حطامًا، ذهبت وتركته، ولذلك قَالَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ﴾ [العلق: ٨]، ترجع إِلَىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ليس معك شيء، تركتم ما خولناكم، رجعتم فرادى، ترجع إِلَىٰ الله منفردًا، لا مال، ولا ولد، ولا شيء إلا عملك الصالح.

قَالَ: ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ﴾ [العلق: ٨]، وهٰذَا الكافر لما يطغى ويستكبر، أشد ما يكون في تذكيره أن تذكره بمصيره، إِلَىٰ متى تفعل كذا، إِلَىٰ متى تطغى، إِلَىٰ متى تستكبر؟ مصيرك أنك ستنتهي من هٰذِه

الدنيا وتذهب، كلها أيام معدودة، كلها سنين عديدة، سنين معدودة وتذهب وتترك هٰذِه الدنيا، فلماذا تطغى؟ فأشد ما يردع الكافر هو تذكيره بالموت، تذكيره بمصيره.

ولذلك ينزعجون أهل الدنيا، أهل الحطام ينزعجون لما يُذكَّرون بمثل هٰذَا الأمر، ولذلك الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قَالَ: ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ [التكاثر: ١]، اشتغلتم بالدنيا والتكاثر في كل شيء، ﴿حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ [التكاثر: ٢]؛ اشتغلتم حتى ذهبتم إِلَىٰ مصيركم في هٰذِه القبور.

قَالَ: ﴿إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى﴾ [العلق: ٨]؛ ثم يذكر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في هٰذِه الآيات في السورة هٰذِه في ثناياها وخاتمتها، يذكر لنا حال هٰذَا المتكبر، هٰذَا الطاغية المستكبر، زيادةً عَلَىٰ تكبره، وعناده، وكفره، يمنع الخير؛ يَعْنِي لا يريد الخير لنفسه، ولا يريد الخير لغيره، حتى الخير يمنعه من غيره، يَعْنِي لا يقدم الخير لنفسه لينفع نفسه، ولا يريد أن الناس ينتفعون بهذا الخير، ولذلك ذكر لنا صورة، ومثلا عَلَىٰ مر السنين لكل من يفعل هٰذَا، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لمَّا يذكر لنا قصة من قصص القرآن، أو حالًا من أحوال ما وقع في نزول القرآن، يذكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هٰذَا الشيء يُذكِّره لنا، حتى يعتبر من يعتبر، ويتعظ من يتعظ.

ولذلك يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى﴾ [العلق: ٩]؛ إذًا هٰذَا رجل ينهى، يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿أَرَأَيْتَ﴾ [العلق: ٩]، وأرأيت هنا معناها أخبرني، أخبرني عن هٰذَا الذي ينهى، ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى ۝٩ عَبْدًا إِذَا صَلَّى﴾ [العلق: ٩-١٠]، ينهى عن المنكر، ينهى عن المعروف، وينهى عبدًا من عباد الله، قد تعبد لله وتقدم لله، فكيف ينهاه، هو لا يمتثل، ولا يريد أن غيره يمتثل، ولذلك يقول: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى ۝٩ عَبْدًا إِذَا صَلَّى﴾ [العلق: ٩-١٠]؛ هٰذَا العبد يصلي لله، ويتقرب إِلَىٰ الله بأعماله الصالحة، فثم تأتي وتمنعه، ولا تريد له الخير؟

وهٰذِه الآيات كما هو معلوم عند الجميع، نزلت في أبي جهل، لمَّا كان يمنع النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الصلاة عند الكعبة، فيهدده ويمنعه، ويقول: "لا أراك بعد هٰذَا اليوم تصلي في هٰذَا المكان، فإن صليت فعلت بك كذا وكذا"، ولذلك أنزل الله فيه هٰذِه الآية، إِلَىٰ يوم القيامة تُتلى في حقه، وفي حق كل من يفعل بمثل هٰذَا الفعل، بأن يمنع الناس من الخير، أو يمنعهم من عبادة ربهم.

قَالَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى﴾ [العلق: ١١]؛ هٰذَا الذي أنت تنهاه وتمنعه، أخبرني إذا كان عَلَىٰ الهدى، عَلَىٰ الطاعة، عَلَىٰ الإيمان، عَلَىٰ العلم النافع، عَلَىٰ العمل الصالح، أخبرني إذا كان عَلَىٰ خير ثم تمنعه، ﴿أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى﴾ [العلق: ١٢]؛ أمر بالخير والتقوى، ونهى عن الشر، وحذر منه، ﴿أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى﴾ [العلق: ١٢].

ثم قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لمَّا ذكر حال هٰذَا الطائع، العبد الذي يصلي لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وكان عَلَىٰ طاعةٍ من ربه، وعَلَىٰ نور من ربه عَلَىٰ الهدى، أو يأمر بالخير، والتقوى، والخوف من الله، قَالَ: ﴿أَرَأَيْتَ﴾ [العلق: ١٣]، هٰذَا الحال الذي يقابله، وهو الذي ينهى قَالَ: ﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ [العلق: ١٣]؛ أخبرني عن هٰذَا الذي يكذب ويتولى، كذَّب بأي شيء؟ كذَّب بالحق، كذَّب بالطاعة، كذَّب بما أمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وتولى وأعرض عن طاعة ربه، هو كذب وأعرض، وينهى غيره عن الخير، وعن الطاعة، وعن الهدى، وعن تقوى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

هدده الله عَزَّ وَجَلَّ كما هدده في الْأَوَّلُ، هدده مرةً أخرى قَالَ: ﴿أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى﴾ [العلق: ١٤]، كيف يغيب عنه هٰذَا أن الله مطلع عليه، وعالم بحاله، ومحسن أعماله، وسيجازيه عَلَىٰ عمله، كيف يغيب عنه أن الله يعلم حاله، ولذلك هدده بأن الله مطلع عليه، وهٰذَا تخويف له، وعالم بحاله ثم هدده مرة أخرى، فَقَالَ: ﴿كَلَّا﴾ [العلق: ١٥]؛ جاءت: كلا، مرة ثانية، كلا، هنا غير الأولى، كلا الأولى بمعنى: حقًا، هنا لا، هنا كلمة ردع وزجر له، قَالَ: ﴿كَلَّا﴾ [العلق: ١٥]؛ يَعْنِي تخويف له.

﴿كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ﴾ [العلق: ١٥]؛ عن فعله وعن تهديده، وتخويفه، ﴿لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ﴾ [العلق: ١٥]؛ ما معنى السفع بالناصية، وما هي الناصية؟ السفع هو أخذ الشيء بقوة وبشدة، أو وسمه بِالنَّارِ، ولذلك يُقال: "رجل أسعف الخدين"، أو "امرأة سفعاء الخدين"، إذا كان فيها سواد في خديها، إِمَّا من كي ونحوه، ﴿لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ﴾ [العلق: ١٥]؛ نأخذه بقوة، نجذبه بشدة مع ناصيته.

طيب، لِمَ خص الناصية، الناصية: مقدمة الرأس، لماذا خص الناصية؟ لأن أخذه بناصيته إهانةً له، وإذلالًا له، لمَّا تكبر عن طاعة الله، والجزاء من جنس العمل، لمَّا تكبر عن طاعة الله جازاه الله، بأن أهانه حَتَّىٰ تصل مقدمة رأسه إِلَىٰ الأرض، كما يُفعل بالمجرم، ﴿فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ﴾ [الرحمن: ٤١]؛ في يوم القيامة يُؤخذ بالنواصي والأقدام.

قَالَ: ﴿نَاصِيَةٍ﴾ [العلق: ١٦]؛ هٰذِه الناصية، وهٰذَا الرأس، وهٰذَا الإنسان، حاله ماذا؟ ﴿نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾ [العلق: ١٦]، ما الفرق؟ نقول: كاذبة في أقوالها، خاطئة في أفعالها، وإن كان الله نص عَلَىٰ الناصية، المراد به الإنسان كله، فأقواله هٰذَا الرجل الذي سيُؤخذ بهذه الحال بقوة، وسيُجذب بهذه القوة ويُرمى في نار جهنم، ويُهان؛ لأن كلامه سيء ومحرم، ﴿نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ﴾ [العلق: ١٦]؛ لا يقول إِلَّا أقوالًا كاذبة، ولا يعمل إِلَّا أعمالًا سيئة.

قَالَ: ﴿نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾ [العلق: ١٦]؛ وخاطئة، معنى الخطأ هنا: الخطأ الذي يكون مقصودًا متعمدًا، كما قَالَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في قصة امرأة العزيز: ﴿إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾ [يوسف: ٢٩]؛ يَعْنِي المتعمدين الخطأ، أما المخطئ الَّذِي يقع منه الخط من غير عمد، ما يسمى خاطئ، ولذلك هنا قَالَ: خاطئ؛ يَعْنِي متعمدًا أن يفعل.

قَالَ الله عَزَّ وَجَلَّ تهديدًا له: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾ [العلق: ١٧]؛ هو يهدد محمدًا صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويهدد ضعفاء المسلمين بأن له القوة، ومن معه من اتباعه، وأنه سيأتي بجنود معه، وسيأتي كذا ويهدد، ويقول للنبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "هٰذَا الوادي كله معي، وسآتي به ليتسلطوا عليك"، قَالَ الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾ [العلق: ١٧]؛ والنادي: هو المجلس الذي يجلس فيه هو وأصحابه، فليدعوا من معه، وأتباعه، وأصحابه.

﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾ [العلق: ١٧]، ويأتي بما عنده، عندنا ما هو أعظم عندنا، ولذلك قَالَ: ﴿سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾ [العلق: ١٨]؛ والزبانية: هي خزنة نار جهنم، الملك الواحد ما يستطيع الإنسان أن يواجهه، فكيف إذا كان أعداد هائلة من زبانية النَّار، أن يسلط الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ زبانية النار عَلَىٰ هٰذَا الطاغية، هٰذَا المجرم، سندعو الزبانية، قَالَ الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿كَلَّا﴾ [العلق: ١٩]؛ كلمة ردع وزجر له، كلا: جاءت ثلاث مرات.

قَالَ: ﴿كَلَّا لَا تُطِعْهُ﴾ [العلق: ١٩]؛ لا تطعه فيما يأمر ويقول، أو فيما ينهى، لا تصلي في هٰذَا المكان، لا أراك بعد هٰذَا اليوم أنك تفعل كذا وكذا، قَالَ الله: ﴿كَلَّا لَا تُطِعْهُ﴾ [العلق: ١٩]؛ لماذا؟ لأن الله مع نَبِيِّنَا محمد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: ﴿كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ۩﴾ [العلق: ١٩]؛ أي استمر في طاعة الله، وتقرب إِلَىٰ الله، وأكثر من السجود، كما قَالَ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَقْرَب مَا يَكُون العَبْد

لِرَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٍ»، فأكثروا من السجود، والمقصود بالسجود هنا، ليس مجرد سجود أن تسجد، المراد به العبادة، المراد به الصلاة، الصلاة أحيانًا يُطلق جزء منها ويراد بها الكل، فتقول: يركع ركعتين، أو يركع ركعة، أو يسجد، فكلها يُراد بها الصلاة.

هنا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يأمر فيقول: استمر في صلاتك، وأقم صلاتك، وأكثر من سجودك، وكل ما تكثر من السجود والصلاة، فإنك تكون أقرب إِلَىٰ الله، أقرب إِلَىٰ الله، وفي هٰذَا نستفيد أن الإنسان كل ما حصل له فرصة في الصلاة، فليكثر، صلاة الضحى، صلاة اَللَّيْل، أوقات الصلوات المفتوحة، فليكثر من الصلوات؛ لأنه كلما أكثر قرب من الله، والله يحب من العبد أن يكثر من طاعته وصلاته، وكل ما سجد تقرب إِلَىٰ الله بِالْدُّعَاءِ، فيُشرع له ذلك.

وهٰذِه السورة فيها سجدة في آخرها، وهي آخر سجدة في كتاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فعَلَىٰ الإنسان إذا مر بمثل هٰذِه الآية أن يسجد، يُشرع له السجود إن كان في صلاة فرض، أو صلاة سُنَّة، أو يقرأ وهو جالس، فإنه يشرع له السجود، أن يسجد سجود التلاوة، وإن كان مثلا في طريق وهو يمشي، أو في سيارته، ولم يتهيأ له السجود، فلا بأس أن يترك السجود، لا بأس إن حصل له السجود سجد، وإن لم يتيسر له، فلا بأس أن يتركه.

فإن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خطب مرة بالناس يوم جمعة، وقرأ آية السجدة من سورة النحل، ثم سجد، ثم خطب مرةً أخرى في الجمعة القادمة، وقرأ آية السجدة، ولم يسجد، ولما سئل قَالَ: "أريد أن أُبيِّن لكم أن السجود سُنَّة"، فمن تيسر له أن يسجد فليسجد، ومن لم يتيسر له، فلا حرج أن يتركه، ولكن السجود أفضل، مهما تيسر للإنسان أن يسجد، ولو كان يومي إيماءً، حتى في صلاته، حتى في سيارته، لو يومي إيماءً عَلَىٰ قدر السجود ويسجد، لا يترك السجود، بل يكثر من الطاعة.

الإنسان كل ما حصل له فرص في الطاعات، ألا يفرط في شيء من ذلك؛ لأن هٰذَا ينفعه، هٰذِه السورة العظيمة الحقيقة، وقفنا معها هٰذِه الوقفات، تأملنا هٰذِه الآيات، وانتفعنا بها، نسأل الله أن ينفعنا بها، نسأل الله أن يبارك لنا، وأن يجعلها حجة لنا لا علينا، وأن يجعلنا وإياكم من أهل القرآن، الذين هم أهل الله وخاصته، وأن يبارك لنا في أوقاتنا وفي أعمالنا، واللهُ أَعْلَمُ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الدرس (٤٦)

﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨].

بسم الله، والحمد لله، وأُصلي وأسلم على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آلِهِ وصحبِهِ وَمَنْ اهتدى بهداه واتبعَ سُنتهُ إلى يومِ الدين، اللّٰهمَ علمنا بما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علمًا وعملًا يا رب العالمين.

أيها الإخوة الكِرام، السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، حياكم الله فِي هذا المجلس المبارك، وَفِي هذا اللقاء لقاء القُرآن الكريم، وتفسير القُرآن وتدبر معانيه، والتفكر فِي آياته، هذا اليوم وهو اليوم السابع عشر مِنْ شهر ذي القِعدة مِنْ عام أربعةٍ وأربعين وأربعمائة وألف مِنْ الهجرة.

مجلسنا مع قِصار السور. الحقيقة قِصار السور هي يعني الكل يحفظ هذه السور القِصار، لكن يحتاج إلى فهمها، فهم معانيها، فهم ألفاظها، ونحتاج إلى أن نعرف حقيقة هذه السور القِصار التي يقرأها الكثر مِنا ويحفظها، وجاء عن الحسن البصري رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى أَنَّه قال: إن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أنزلَ مِنْ الكُتب مائة وأربعة، جمعَ ما فِي هذه الكُتب المائة وأربعة فِي أربعة كُتب: فِي التوراة، وَفِي الإنجيل، وَفِي الزبور، وَفِي القُرآن. ثم جمعَ ما فِي هذه الكُتب الأربعة فِي القُرآن الكريم. ثم جمعَ ما فِي القُرآن الكريم مِنْ هذه العلوم جمعها فِي المفصل.

ما هو المفصل؟

المفصل يبدأ مِنْ سورة (ق) إلى آخر القُرآن، وهو ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

- طوال المفصل؛ مِنْ (ق) إلى سورة (النبأ، عم).
- ثم أواسط المفصل؛ ويبدأ مِنْ سورة (النبأ) إلى (الضحى).

➤ثم قِصار المفصل؛ ويبدأ مِنْ (الضحى) إلى (آخر القُرآن).

يقول: جمعَ علوم القُرآن كلها فِي المفصل، ثم جمعَ ما فِي المفصل فِي الفاتحة. ثم جمعَ كل ما فِي الفاتحة فِي قوله تَعَالَى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥].

المفصل اشتملَ على أعظم علوم القُرآن، كُل علوم القرآن فِي المفصل، وأنت تقرأ أي سورة مِنْ قِصار السور، أي سورة، يعني أي سورة مِنْ قصار السور تجدها فِي الغالب مشتملة على التوحيد، إفراد الله بالعبادة، تقرير التوحيد، طاعة الله، وإفراد الله بالطاعة والعبادة، على شيء مِنْ قصص القُرآن، على شيءٍ مِنْ أحكامه، على شيءٍ مِنْ أخلاقه.

شوف كيف كتاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى اشتملَ على هذه الأمور: الطاعة، والعبادة، والتوحيد، إفراد الله بالعبادة، الخضوع لله، ما فيها مِنْ القصص والوعظ والتذكير؛ لأن القَصص تأتي فِي القُرآن للوعظ والتذكير والتفكر، ما فيها مِنْ الأعمال الصالحة كالصلاة، الصيام، وغيرها التي تُقربك إلى الله، ما فيها مِنْ الأخلاق التي نزلَ القُرآن لأجل هذه الأخلاق.

يعني سورة (الضحى) هي بداية قِصار المفصل، لو تأملتها تجدها هي فِي رعاية النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ۝٧ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى ۝٨﴾ [الضحى: ٧، ٨]، يعني فِي رعاية النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الحِسية.

ثم تأتي بعدها سورة الشرح: فِي رعاية النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وإكرامه للأشياء المعنوية: شرح الصدور، مغفرة الذنوب، وغيرها.

ثم تأتي بعدها سورة التين؛ وهي تُركز على ماذا؟ على خلق الإنسان وعبادتهُ لله، وأن الذي يرفعهُ عند الله هي الطاعة، والذي يجعلهُ فِي أسفل سافلين هي المعاصي.

بعد سورة التين وأنتَ تقرأ حتى تتأمل أكثر وأكثر وتعيش مع القُرآن، سورة العلق، سورة العلق فيها أعظم نعمة، نعمة القُرآن، نعمة العِلم، نعمة التعلم، القراءة، الكتابة، ولذلك الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فهموا هذه السورة فهمًا جيدًا وطبقوه فِي حياتهم، فكان منهم القُراء، وكان منهم الكُتاب، كُتاب الوحي يكتبون القُرآن، وقُراء يتميزون، فطبقوا هذه السورة.

لما تقرأ هذه السورة ثم تنتقل للتي بعدها، سورة القدر: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾ [القدر: ١]، تجد فيه ترابط شديد بين هذه السورة وهذه السورة. والقدر يعني لما تتأمل هذه السور؛ تجد أجور الأمة كلها فِي هذه السورة، أعظم الأجور فِي تحقيق هذه السورة وتطبيقها، تطبيقها؛ لأن الله أفاض على هذه الأمة مِنْ الأجور العظيمة.

النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عُرضت عَلَيْهِ أعمار أُمته، فكأنه تقالها بالنسبة لأعمار الأُمم السابقة، فأرادَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن يُرضيهُ بأن يجعل ويُعوض قصار هذه الأعمار -ما بين الستين والسبعين، قليل ما يتجاوز-، عوضهم الله بهذه الأجور العظيمة؛ إذا أدركت ليلة القدر، كم سيحصل لك مِنْ الأجور؟ أكثر مِنْ أربعة وثمانين سنة، ولا نقول: إن ليلة القدر تُعادل، لا ما تُعادل هي خير، الله يقول: ﴿خَيْرٌ﴾ [القدر: ٣]، ما قال تعادل، خير يعني فوق؛ أكثر وأكثر. ما مقدار هذه الخيرية؟ لا يعلمها إلا الله.

الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قال فِي هذه السورة، بعد بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيْمِ: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر: ١]، أول شيء قال: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾ ما هو؟ القُرآن. كيف عرفت أَنَّه القُرآن؟ لأنك لو قرأت السورة التي قبلها، الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ذكرَ القُرآن، فكأنه يقول: هذا القُرآن الذي قال الله فيه: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ﴾ [العلق: ١]، هذا القُرآن هو الذي أنزلهُ الله ردًا على المشركين الذين يقولون: إن محمد هو الذي افترى القُرآن وأنه أتى، وأنه شاعر، وأنه كاهن. قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾، و(إنا) تُفيد الاختصاص، ضمير يرجع إلى الله، جمير الجمع والتعظيم، مثل: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ﴾ [الحجر: ٩].

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾، وكلمة (أنزلناه) تدلُ على أن القُرآن نزلَ مِنْ السماوات، نزلَ مِنْ عند الله، مِنْ فوق سبع سماوات، وأن الله تكلمَ به كلامًا مسموعًا سمعهُ جبريل، فحفظهُ؛ فنزلَ به على قلب النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ ما الذي نزل فِي ليلة القدر؟

نحنُ نعرف جميعًا أن القُرآن نزلَ مُفرق، مُفرقًا فِي ثلاث وعشرين سنة، تنزل آية، تنزل آيتين، تنزل ثلاث، تنزل سورة كاملة، متفرق، فيه مدني، فيه مكي، فتنزل. كيف يقول: ﴿أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾؟

نقول: ﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾ لأن القُرآن نزلَ جُملةً وتفصيلًا.

نزوله جُملة أن الله أنزلهُ مِنْ اللوح المحفوظ إلى بيت العِزة؛ السماء الدنيا، البيت المعمور، أنزلهُ كاملًا، أنزلهُ كامل. لماذا يُنزلهُ كاملًا؟ تشريفًا لهذه الأمة، حتى تراه الملائكة، البيت المعمور يطوف عَلَيْهِ سبعون ألف ملك لا يعودون مرةً أُخرى، فإنزالهُ فِي هذا المكان تشريف لهذه الأمة، تعظيم لهذه الأمة.

➤هذا معنى ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾ يعني أنزلناهُ جُملةً مِنْ اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا.

☚وَفِي نفس الوقت أنزلهُ الله بداية نزوله، أول ما نزل مِنْ الآيات هي الآيات فِي قولهِ تَعَالَى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ﴾ [العلق: ١]، الخمس الآيات هي أول بداية نزول القُرآن كان ليلة القدر، كان ليلة القدر مِنْ رمضان.

☙وشوف ولاحظ، تأمل: أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لما أرادَ أن يُنزلَ كتابهُ وشريعته، اختار لها أفضل الأنبياء: محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم اختار لها أفضل الأماكن: مكة، ثم اختار أفضل الملائكة الذي يُنزله: وهو جبريل، ثم اختار أفضل الشهور: رمضان، ثم اختار أفضل الليالي: ليلة القدر.

شوف كيف تشريف هذه الأُمة بهذا القُرآن، كيف يُشرفهُ الله ويرفع مكانته وقدره، وتجد مِنْ النَّاس مَنْ يصد عن القُرآن، أو يلهو، أو لا يُعطي القُرآن حقه، وينشغل عنه، وهذا فضل وكنز عظيم بين أيدينا، كيف نُفرط فِي مثل هذا وأنتَ ترى أن الأُمم السابقة كاليهود والنصارى أُنزلت عليهم الكُتب وضاعت وحُرفت، وهذا القُرآن قال الله فيهِ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

أنزلهُ الله فِي ليلة القدر. ما هي ليلة القدر؟ هي الليلة الشريفة.

لماذا سميت بهذا الاسم؟

لأن الله قدرَ فيها المقادير، مقادير السنة كاملة: الآجال، والأرزاق، والولادة، وغير ذلك، قدرَ الله فيها.

أو أن يُقال: مِنْ القدر وهو الشرف؛ لأنها ليلة شريفة، وليلة قدرَ الله ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدخان: ٤].

تقدير الأقدار تنقسم إلى أقسام كَمَا ذكرَ أهل العلم-:

تقدير أزلي، قدرهُ الله فِي اللوح المحفوظ، لما خلقَ الله أول ما خلق خلق القلم، قال: «اكتب».

قال: أكتب ماذا؟ قال: «اكتب كل مقادير السماوات والأرض»، كُل شيء إلى قيام الساعة. نسميه هذا التقدير الأزلي.

ثم التقدير العمري، وهو أن الله إذا خلقَ أي مخلوق فِي بطن أُمه يُقدر له أقداره. يُسمى التقدير العمري، كم عمره؟ كيفَ يُرزق؟ هل يُعطيه العلم؟ هل كذا..؟ إلى آخرِه. كم أجله؟ هذا نُسميه التقدير العمر، فِي بطن أُمه.

ثم التقدير السنوي، ليلة القدر.

ثم التقدير اليومي، كُل يوم له تقدير. ﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩]، تقادير يومية.

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾، لما يعني اختصَ الله هذه الليلة وشرفها بقولهِ: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾، زادها تشريفًا أن قال بعدها: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾ [القدر: ٢]، هذا تشريف وتفخيم لها، تعظيم.

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾ [القدر: ٢]؟ ثم أجاب.

نحنُ ذكرنا فِي لقاءات ماضية أن القُرآن إذا جاءت كلمة ﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾؛ الجواب موجود. إذ جاءت كلمة ﴿وَمَا يُدْرِيكَ﴾؛ الجواب غير موجود.

وهنا قال: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾ إذًا الجواب موجود. ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ﴾ [القارعة: ١٠]؟ ﴿نَارٌ حَامِيَةٌ﴾ [القارعة: ١١]. الجواب موجود فكل ما تأتي كلمة ﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾.

هنا قال: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾ [القدر: ٢]؟ ثم أجاب، قال: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ [القدر: ٣].

شوف قال: ﴿خَيْرٌ﴾، ما قال لك: مقابل ألف شهر، لا، ﴿خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾، يعني مَنْ يوفق لإدراك هذه الليلة، فقد كسبَ كسبًا عظيمًا أن يُكتب له أجر ألف شهر، كم ألف شهر؟ كم سنة؟

قدرها بعضهم: بأنها تتجاوز الأربع وثمانين سنة كلها خالية مِنْ ليلة قدر، لو كان فيها ليلة قدر كانت أضعاف أضعاف.

ثم زادَ هذا التشريف بأن قال: ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا﴾ [القدر: ٤]، يعني هذه الليلة تنزل فيها الملائكة، هذه الليلة التي هي ليلة القدر، مِنْ تشريفها: أن ملائكة السماء تنزل على الأرض.

وقال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ﴾ لم يستثني منهم أحد.

﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ﴾ ثم قال: ﴿وَالرُّوحُ﴾ والروح هو جبريل كَمَا قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي موضعٍ آخر: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ۝١٩٣ عَلَى قَلْبِكَ﴾ [الشعراء: ١٩٣، ١٩٤]. الروح الأمين هو جبريل.

قال هنا: ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا﴾ [القدر: ٤]، حتى ذكر بعض أهل العلم: أن الأرض لا يبقى فيها بُقعة إلا وفيها ملك، إلا وفيها ملك، تمتلئ الأرض بالملائكة؛ تشريفًا لهذه الليلة، وبيانًا لأن هذه الليلة خالية مِنْ الشرور، ما فيها شرور، والملائكة لا تنزل إلا على الخير، ولذلك الملائكة تنزل على حلقات القُرآن، تحفهم، وتنزل على حلقات الذِكر والعلم والتعليم، «ما اجتمعَ قومٌ فِي بيتٍ مِنْ بيوت الله، ... »، إلى آخر الحديث، قال: «إلا حفتهم الملائكة، ونزلت عليهم السكينة»، فالملائكة تنزل للخير، تنزل، بل تضع الملائكة أجنحتها لطالب العلم.

قال هنا: ﴿وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾ [القدر: ٤]؛ أي لا ينزلونَ إلا بأمره، وهذا يدل على ماذا؟ على أدب الملائكة، وأنها لا تنزل إلا بأمر الله، لا تتصرف إلا بأمر الله، ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ﴾ [التحريم: ٦].

﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾ [القدر: ٤]، مِنْ كُلِّ أمرٍ فيه خير، تنزل به الملائكة؛ فهذه الليلة كلها خير.

قال: ﴿سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ [القدر: ٥].

أي أنها سالمة مِنْ الشرور، (سلام) ليسَ فيها شر.

﴿سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ قال: أن وقتها ينتهي بطلوع الفجر. طيب، متى يبتدئ؟ يبتدئ بغروب الشمس، البداية معروفة، النهاية أعطاك حدها، قال: بطلوع الفجر ينتهي.

ولذلك تجد بعض النَّاس أول الليل فِي الليالي العشر، أو الأوتار العشر، أول الليل ما يشتغل بالطاعة ولا الصَّلَاة ولا شيء، يجلس بين المغرب والعشاء، ثم يُصلي التراويح ثم يرجع.

لا، كلها شريفة، عظمها، استغلها.

ثم تجد بعضهم أيضًا إذا صلى القيام، وانتهت صلاة القيام بالوتر، يجلس، يعني يضيع وقته، إما سواليف أو نحو ذلك، لا، هي إلى طلوع الفجر، الإنسان العاقل يستغل هذه الدقائق الثمينة لئلا تضيع عَلَيْهِ، بجميع أنواع الطاعات.

تحديد ليلة القدر، القُرآن ما حددها، وَالسُّنّة لم يرد تحديد واضح، ولذلك يعني هي مثل ما يُقال: إنها مُبهمة علينا، وإبهامها خير حتى يجتهد الإنسان، يجتهد بالعشر كُلها، لو حُددت لما اجتهد، خلاص عرف مكانها أو وقتها واشتغل بالطاعة، لكن لما أُبهمت كان ذلك خيرًا، فيجتهد فِي سائر هذه العَشر كلها.

وذكر كثير مِنْ السلف مِنْ الصحابة والتابعين أنها ليلة السابع والعشرين لأدلة كثيرة، فهي تتحرى هذه الليلة قريبة جدًا، قريبة أن تكون ليلة القدر، ولكنك فِي الواقع حتى فِي عهد النَّبِيّ وقعت فِي عهد النَّبِيّ ليلة إحدى وعشرين، ووقعت مرةً ليلة ثلاث وعشرين، فيُحتمل أن تكون فِي هذه الليالي.

فالإنسان العاقل الحصيف يستغل هذه الليالي الشريفة فِي طاعة الله.

قرأنا هذه السورة، تأملنا آياتها ومعانيها العظيمة، شدة ارتباطها لما قبلها، وفهمناها، هي مِنْ قِصار السور التي يحفظها الكثير، لكن تحتاج منها إلى تأملات، إلى تفكر فيها.

أسأل الله أن ينفعنا بما قلنا، وبما سمعنا، وأن يجعلنا وإياكم هُداةً مُهتدين موفقينَ لكُلِّ خير، مفاتيح للخير، مغاليق للشر، واللهُ أَعْلَمُ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آلِهِ وصحبِهِ أجمعين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الدَّرْسِ (٤٧)

بسم الله، والحمد لله، وأُصلي وأسلم على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آلِهِ وصحبِهِ وَمَنْ اهتدى بهداه واتبعَ سُنتهُ إلى يومِ الدين، اللّٰهمَ علمنا بما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علمًا وعملًا يا رب العالمين.

أيها الإخوةُ الكِرام، السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، حياكم الله فِي هذا اللقاء المبارك، وَفِي هذا المجلس؛ مجلس القُرآن الكريم، نجلس نتناول آيات مِنْ كتاب الله، نتأملُها، نتدبرُها، نفهمُ خطابات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لنا، وكيفَ يأمرنا وكيفَ ينهانا.

الحقيقة مثل هذه المجالس التي تتعطر بكلام الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هي خيرُ المجالس، هي خيرُ المجالس التي تحفها الملائكة وتغشاها الرحمة، وتنزل عَلَيْهَا السكينة، ويذكرُ اللهُ أهلها فِي الملأ الأعلى، أسأل الله ألا يحرمنا هذا الفضل العظيم.

السورة التي نتناولها فِي هذا اليوم هي سورةُ ﴿لَمْ يَكُنِ﴾، تسمى فِي بعض المصاحف سورة ﴿لَمْ يَكُنِ﴾، وقد جاءت هذه التسمية على لسان النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، تُسمى بسورة ﴿لَمْ يَكُنِ﴾، **وتسمى بسورة (البيّنة)، وتسمى بسورة (القيمة)، كلها أسماء.**

وردَ فِي فضلِها حديث أُبي رَضِيَ اللَّهُ عَنْه، أُبي بن كعب، أن النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال لأُبي: «إن اللهَ يأمرني أن تقرأ عليَّ سورةَ ﴿لَمْ يَكُنِ﴾». قال أُبي: وسماني؟

يعني أن الله سماني باسمي؟!

قال: «نعم».

فبكى أُبي، كيف رَبُّ العالمين يُسمي أُبي باسمهِ، ويقول لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خيرُ البشرية، سيد الأولينَ والآخرين: اذهب إلى أُبي واجعل أُبي يقرأ عليك القُرآن؟! لَا شَكَّ أن هذا فضل

عظيم وشرف لهذا الصحابي الجليل. وحقهُ أن يبكي لهذا الشرف العظيم، جَلَّ وَعَلَا رَبُّ السماوات والأرض يُناديهِ باسمه، أو يُسميهِ باسمه.

☚هذه السورة إذا تأملناها ووقفنا معها، ومثل ما ذكرنا يعني عندما أنت تقرأ القُرآن الكريم، وتقرأ قصار السور، ومثل ما ذكرنا أيضًا أن قصار السور هذه مع وجازتها وخلاصتها وقلة آيتها إلا أنها احتوت على علوم عظيمة، احتوت على علوم عظيمة، أنتَ تقرأ سورة (العَلق) وفيها الإشادة بالقُرآن الكريم، تعظيم القُرآن الكريم، وان الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أنزلهُ على نبيهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وفيها الحث على العلم والتعلم والكتابة ﴿اقْرَأْ﴾.

☚ثم بيان موقف أعداء الدعوة، وذكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى موقفًا واحدًا مِنْ مواقف أعداء الدعوة: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِى يَنْهَى ۝٩ عَبْدًا إِذَا صَلَّى ۝١٠﴾[العلق: ٩، ١٠].

❍تأتي هذه السورة؛ سورة (القدر) فِي تعظيم القُرآن وتشريفه، ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾.

☚ثم تأتي السورة التي تليها وهي سورة ﴿لَمْ يَكُنِ﴾ أو (البينة) تُبين مواقف النَّاس على اختلافهم مِنْ هذا القُرآن ومن هذه الدعوة، مواقف الْيَهُود، مواقف النَّصَارَى، مواقف الكُفار والمشركين على شتى انواعِهم ومِللِهم، ما موقفهم مِنْ القُرآن الكريم؟ ما موقفهم مِنْ الدعوة ودعوة النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهذا الإسلام؟

☚ثم لما أقامَ الله عليهم الحُجة وبيّنَ موقفهم وأنه قد جاءتهم البيّنة وقد قامت عليهم الحُجة، يُبين الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بعدها مصير مَنْ استجاب، ومصير مَنْ رفض وعاند.

هذه السورة، اقرأ أنت السورة، سورة ﴿لَمْ يَكُنِ﴾، اقرأها وكَرر قرارتها، تجد ما أذكرهُ لك هو عين هذه السورة، يعني خُلاصة هذه السورة، مقصدها، هدفها، عينُها، هو بيان موقف هذه الطائف التي على الأرض مِنْ بني آدم، جميعُها، ما تركَ الله فيهم أحد، بيان موقفهم مِنْ أي شيء؟ مِنْ هذه الدعوة، مِنْ البينة، مِنْ الشريعة، مِنْ دعوةِ محمد، هل يقبلون ويدخلونَ فيها؟ أو يرفضون ويستمرون على عِنادِهم؟

◈ثم إذا رفضوا ﴿هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾ [البينة: ٦]، شرُ الخليقة بحكم الله، ثم مصيرهم ﴿نَارِ جَهَنَّمَ﴾ [البينة: ٦]، هذا حُكم الله فيهم.

◈وأما مَنْ استجاب وأقبل ورضي فقد اللهُ عنه، رضيَ اللهُ عنه وقبلهُ ووعدهُ بالوعد الكريم، ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾ [البينة: ٨].

هذا لما تقرأ أنتَ هذه السورة، وتنظر حُكم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى العدل فِي مثل هؤلاءِ، عدلهُ فِي أعدائه، وفضلهُ فِي أوليائه، تقرأها وتتأمل!

➤أولًا: تحمدُ الله وتشكرهُ على أن الله هداك، أن الله هداك لهذا الدين، تحمد الله وتشكرهُ أنكَ لم تكن مِنْ هذه الطوائف، سلمكَ الله منها، وأدخلكَ فِي رحمته، وعرفتَ دين الله وتمسكتَ به.

➤ثم تحمد الله عَزَّ وَجَلَّ أنكَ جعلكَ مِنْ خير البرية، أنتَ مِنْ خير البرية، ثم وعدكَ بهذا الوعد الكريم، فتحمد الله وتشكرهُ على هذه النعمة العظيمة.

ندخل فِي السورة ونتأمل آياتها آيةً آية.

يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيْمِ: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ [البينة: ١]، لم يكونوا تاركينَ ما هم عَلَيْهِ، ولم يكونوا منفصلين ومنفكين عما هم عَلَيْهِ، ولاحظ أن سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى حكمَ عليهم، حكمَ عليهم بأي شيء؟ أهل الكتاب بأي شيءٍ حكمَ عليهم؟ حكمَ عليهم بالكفر، بالكفر، قال: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ﴾ **فالذين كفروا مَنْ هم؟**

هم أهل الكتاب والمشركين.

كفروا بأي شيء؟

كفروا برسالة النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكفروا برسالاتهم وحرفوها وغيروها، الْيَهُود والنصارى لم يكونوا متمسكين بأديانِهم التي أُرسلت إليهم، ولم أيضًا يتمسكوا بشريعة محمد، وَالنَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخبرَ عن حال الْيَهُود والنصارى، فقال: «**لا يسمعُ بي يهودي ولا نصراني ثم لا يؤمن بي، إلا أدخلهُ اللهُ النار**»، فهذه رسالة لهم، لا يظن ظان أن أهل الكتاب مِنْ الْيَهُود والنصارى هم على أديانهم ويُحاسبهم رب العالمين، نقول: هم كُفار بحكم الله: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ﴾ عن أديانهم وعن ما هم عَلَيْهِ وعن عقائدهم الفاسدة، ﴿حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾، **ما هي البينة؟**

البينة ذكرها الله، قال: ﴿رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً﴾ [البينة: ٢]، محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يقرأ عليهم القُرآن، وهو أُمي لا يقرأ ولا يكتب، وإنما عن ظهرِ قلب، ينزل عَلَيْهِ جبريل، فيُلقيه القُرآن الكريم، ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ [النمل: ٦]، يتلقى القُرآن ثم يحفظهُ فِي صدرهِ، ثم يُبلغهُ الأُمة.

قال: ﴿رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً﴾، يعني يتلو هذه الصُحف التي أُنزلت عَلَيْهِ، وإن لم تكن بين يديه، وهي قد كُتبت بعدَ ذلكَ بين يدي الصحابة، لكنها صُحفٌ محفوظة، كَمَا قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ ۝١٣ مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ ۝١٤﴾ [عبس: ١٣، ١٤].

قال هنا: ﴿يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً﴾ [البينة: ٢] هذه الصُحف وهذه الرسالة، وهذا القُرآن، **ما الذي فيه؟ علام اشتمل؟**

قال: ﴿فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ﴾ [البينة: ٣] فيه أخبار، أخبار قيمة، فيه أحكام يحتاجها النَّاس، أحكام الحلال، أحكام الحرم، الأوامر، النواهي، ما تركَ القُرآن شيئًا إلا ونبهنا عَلَيْهِ، إلا وذكره القُرآن الكريم.

قال الله عَزَّ وَجَلَّ فِي حق القُرآن: ﴿تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل: ٨٩]، ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]، كُلُّ العلوم فِي القُرآن الكريم.

➤ثم إذا أردت أن تعرف حال هؤلاءِ الْيَهُود والنصارى والمشركون، أيضًا مِنْ العرب وغيرِهم، إذا أردت أن تعرف حالهم، **اسمع ماذا قال؟**

قال: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ [البينة: ٤] يعني ما تفرقوا، كانوا متمسكينَ بأديانهم ومِللهم الفاسدة الباطلة، لكن لما جاءت شريعة محمد تفرقوا، **كيف تفرقوا؟**

آمنَ مَنْ آمنَ منهم، وكفرَ مَنْ كفر، ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، فلذلك تفرقوا. تفرقَ الذين أوتوا الكتاب، فآمنَ بعضهم، وكفر بعضهم، ما تفرقوا إلا مِنْ بعدِ ما جاءتهم البيّنة.

ثم بيّنَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن دعوة أنبيائهم لهم كموسى وعيسى، ودعوة محمد كلها مُتفقة، كلهم مُتفقونَ على دعوة واحدة، وهي: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البينة: ٥]، هذه

دعوة الله عَزَّ وَجَلَّ، كُل الرُسل يدعونَ إلى هذه العقيدة، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، التوحيد، إقامة التوحيد، إقامة (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ).

﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ﴾ عبادةً خالصةً لله، دونَ أن يُشركوا معه أحد، لا يعبدوا عيسى ولا يعبدوا أحدًا مِنْ الخلق، ولا يتولوا أحدًا مِنْ المخلوقين، وإنما يتولونَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ويعبدونه، ﴿إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٦].

﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾ [البينة: ٥]، أكد. الحُنفاء جمعُ حنيف، والحنيف هو المائل إلى طاعة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى تاركًا جميعَ الأديان، وكأنها إشارة للنصارى الذينَ يُريدونَ أن يتمسكوا بأديانِهم المُحرفة، فقال الله عَزَّ وَجَلَّ: كونوا حنفاء مُقبلينَ على طاعة الله التي أمرَ الله، والتي خلقَ الخلقَ لأجلِها، عبادة الله.

﴿حُنَفَاءَ﴾ جمعُ حنيف، مُقبلًا على طاعة الله تاركًا جميع الأديان، على دين الإسلام، دين الحنيفية، دين إبراهيم عَلَيْهِ السلام.

قال: ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥]، هذا الدين القيم المستقيم قائم على أي شيء؟ عبادة الله وحدهُ لا شريكَ له، مُخلصًا له، وإقام الصَّلَاة التي هي أساس الدين، وإيتاء الزكاة.

لماذا خصَ الصَّلَاة والزكاة؟

نقول: لأن الصَّلَاة هي الرابط بينك وبين الله، الذي يصلك بالله عَزَّ وَجَلَّ الصَّلَاة، لو انقطعتَ عنها انقطعت الصلة بينكَ وبين الله.

والزكاة: قال هي صلتكَ مع الخلق، مع إخوانك المسلمين المحتاجين.

فإذا ربطت نفسكَ بالله فِي الصَّلَاة، وربطت نفسكَ بإخوانك المسلمين بالزكاة، حققتَ دين الإسلام، ولذلك الله عَزَّ وَجَلَّ قال فِي حق المشركين: ﴿فَإِنْ تَابُوا﴾ عن شِركِهم ودخلوا فِي الإسلام، ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾ [التوبة: ١١]، وإن لم يتوبوا ولم يُقيموا الصَّلَاة ولا الزكاة فليسوا إخوانًا فِي الدين.

ولذلك النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**العهد الذي بيننا وبينهم الصَّلَاة، فمن تركها فقد كفر**».

إذا عرفتَ حقيقة هذا الأمر، وعرفتَ هذه الدعوة العظيمة، والمنهج القويم، والدين المستقيم، الآن لم تضر النتائج، مَنْ تمسك وَمَنْ لم يتمسك.

☚ **حتى نختم هذا اللقاء،** قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [البينة: ٦]، أعاد مرةً أُخرى، ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ﴾ [البينة: ٦] يعني بقوا على كُفرهم ولم يقبلوا هذه الدعوة، ولم يدخل في الإسلام، النتيجة ما هي؟

قال: ﴿فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾ [البينة: ٦]، ما دامَ لم يتب ولم يدخل في الإسلام واستمرَ متمسكًا على ما هو عَلَيْهِ في دينه، وماتَ على ذلك، ﴿فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ [البينة: ٦].

ثم زيادةً على ذلك: ﴿أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾ [البينة: ٦]، شَرُّ الخليقة، شَر الخلق عند الله مثل مَنْ كانَ على هذه، كفر بالله وَلِمَنْ يقبل دعوته.

أما مَنْ قبلَ الدعوة وأخذَ بدعوة الله، فما النتيجة؟

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ [البينة: ٧]، أول شيء: شرفهم الله وأثنى عليهم؛ لأنهم خيرُ الخليقة، خير مَنْ خلقَ الله هو مَنْ؟ هو مَنْ آمنَ وعملَ الصالحات. آمنَ حققَ الإيمان لله عَزَّ وَجَلَّ، وعملَ الصالحات التي تُرضي الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قال: ﴿أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾، ثناءٌ مِنْ الله.

ثم بيّنَ جزاءهم، فقال: ﴿جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ [البينة: ٨]، شوف كلمة: ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾، يعني مُقرب أنت عند الله، هذا أول تكريم لك إنك قريب عند الله.

﴿جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾ [البينة: ٨]، ومعنى عدن يعني جنة إقامة، لا تُريد أن ترتحل ولا تنتقل عنها ولا تذهب عنها، هذا معنى كلمة (عَدْن) يعني جنة إقامةً لا تُريد أن تزولَ عنها ولا تُريد أن ترتحل عنها.

﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ [البينة: ٨]، يؤكد لك هذه الإقامة أنها إقامة مؤبدة، إقامة مُستمرة لا تنقع أبدًا، ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾.

ثم ثناءٌ مِنْ الله عَزَّ وَجَلَّ لهم، وشُكرٌ لهم على أعمالِهم الصالحة وقبولهم وحُبهم لطاعة الله يُثني الله عليهم بأن الله قد رضي عنهم، وهذا أعظم ما يحصل عَلَيْهِ المسلم، بعد رؤية الله عَزَّ وَجَلَّ والنظر في

جمال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن يرضى اللهُ عنك، وأن ترضى عنه، قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ [البينة: ٨]، قدمَ رضاه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، أن اللهَ يرضى عنهم، لماذا؟ يرضى عنهم؟ لأنهم أولياءه. لماذا يرضى عنهم؟ لأنهم عرفوا الطريقَ إلى الله، قدموا ما استطاعوا فِي رضى الله فِي الدنيا؛ فرضيَ اللهُ عنهم فِي الدنيا، ورضي الله عنهم فِي الآخرة.

﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [البينة: ٨]، كيف يرضون عنه؟ يرضونَ عنهُ لما أكرمهم، هل رضيتم؟ قالوا: بلى يا رب، ولما لا نرضى!، أعطيتنا، ونجيتنا، وسلمتنا، فيرضونَ بما أعطاهم اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إشارةً لهؤلاء الذين أكرمهم الله حتى نعرف أن هذا ليسَ خاصًا بطائفة معينة أو بوقت معين إلى مدى، إلى أن تقومَ الساعة، قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ذَلِكَ﴾ [البينة: ٨] أي هذا النعيم، لِمَنْ؟ ﴿لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ [البينة: ٨]. مَنْ خافَ اللهَ فِي الدنيا أمنَ فِي الآخرة، مَنْ خافَ اللهَ فِي الدنيا، حصلَ على هذا النعيم العظيم، وهذا لِمَنْ خشيَ ربَ العالمين، فمن خافَ الله وابتعدَ عن معاصيه وأقبلَ على طاعتهِ ولزمَ طاعتهُ واتقى الله عَزَّ وَجَلَّ فِي الدنيا؛ فإنه يومَ القيامة بإذن الله وكرمهِ أن يكونَ مِنْ المُكرمينَ عنده.

نسأل الله ألا يحرمنا فضله، وأن يجعلنا وإياكم ممن إِنْ شَاءَ اللهُ يُقال لهم: رضي الله عنكم، وقد رضيتم عنه، وأن يجعلنا وإياكم مِنْ الفائزينَ فِي الدنيا والفائزينَ فِي الآخرة، واللهُ أَعْلَمُ، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الدرْسِ (٤٨)

بسم الله، والحمد لله، وأُصلي وأسلم على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آلِهِ وصحبِهِ وَمَنْ اهتدى بهداه واتبعَ سُنتهُ إلى يومِ الدين، أَمّا بَعْدُ: اللّهمَ علمنا بما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علمًا وعملًا يا رب العالمين.

أيها الإخوةُ الكِرام، السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، حياكم الله فِي هذا اللقاء المبارك، وَفِي هذا المجلس الشريف؛ مجلس القُرآن الكريم، **أيها الإخوة الكرام السورة التي بين أيدينا ونتناولها فِي هذا اليوم هي سورة (الزلزلة)**، سورة الزلزلة حديثها واضح مِنْ بداياتها ومن عنوانها، وأما مِنْ حيث موضع هذه السورة وأنت تقرأ ما قبلها وهي سورة البيّنة وأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ذكرَ مصير الذين كفروا مِنْ أهل الكتاب والمشركين، وأنهم فِي نارِ جهنم، ثم ذكرَ مصير الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأن لهم جناتٍ تجري مِنْ تحتها الأنهار، بيّنَ لكَ متى يكون هذا، متى يكون ويتحقق هذا الوعد، الوعد الذي، أو الوعيد الشديد الذي توعدَ الله به الذين كفروا، ثم الوعد الكريم الذي وعدَ الله به عبادهُ المتقين، متى سيتحقق؟

قال: يتحقق ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ﴾، إذا زُلزلت الأرض تحققَ ذلك، وكُلٌّ أخذَ مكانه، واستقرَ فِي قراره.

سورة الزلزلة وردَ فِي فضائلها أحاديث، منها: أن النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما نزلت عَلَيْهِ هذه السورة، كان عنده أبو بكر الصديق رَضِيَ اَللَّهُ عَنْه، فلما نزلت على النَّبِيّ، قرأها النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فبكى الصديق رَضِيَ اَللَّهُ عَنْه، بكى لعظمِها.

ومن فضائلها أن رجلًا جاء إلى النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد طعنَ فِي السن، وكَبُرَ فِي السِن، فقال: يا رَسُول الله، إن شرائع الإسلام قد كثرت عليّ، وقد يعني كَبُرَ سِني وضعفَ جسمي وثقلَ

لساني، فأرشدني إلى سورة مِنْ سورة القُرآن أقرأها. فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عليكَ بسور (ألر)» -يعني يونس وهود ويوسف وما بعدها-. قال: إني أعجز عن ذلك. فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عليك بسور التسابيح»، -سبح أو سَبحَ يُسبِحُ-. فقال: يا رَسُول الله أعجز عن ذلك. فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عليك بسورة ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ﴾»، فقال هذا الرجل: واللهِ لا أزيدُ عَلَيْهَا، واللهِ لا أزيدُ عَلَيْهَا. -يعني آخذ بها ولا أزيدُ عَلَيْهَا-. فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أفلحَ الرويجل، أفلحَ الرويجل». الرويجل تصغير رجل، لما كان ضعيفًا ولا يتحمل، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عنه رويجل، قال: «أفلحَ الرويجل» يعني مَنْ أخذَ بهذه السورة وضبطها حفظًا وتلاوةً ومعنًى وتدبرًا تكفيه.

ولذلك الصديق رَضِيَ اَللَّهُ عَنْه لما قُرأت عَلَيْهِ أول مرة بكى، عرفَ معانيها، وعرف حقائقها، وهي كافية، كافية.

نبدأ بالسورة: قال: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيْمِ: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ [الزلزلة: ١]، الزلزلة سُميت بها السورة، سُميت فِي بعض التفاسير سورة (الزلزلة) فِي بعض الآثار. وَفِي بعضها تسمى بسورة (الزلزال).

والزلزلة أصل زلزلَ فعل وتحركَ واضطرب بشدة، واهتزَ بقوة. والزلزلة أصلها تحرك الشيء، مثل ما ذكرنا: تحريك الشيء بقوة، واهتزازه بقوة، هذا يُسمى زلزلة، ولكن لا تُقارن زلزلة الآخرة بزلزلة الدنيا، يعني زلزال مقدار يسير جدًا هزة أرضية بزلزال خفيف، ماذا صنع بالعالم؟ وماذا كانت نتائجهُ؟ فكيف بزلزلة الأرض وتحريكها بقوة فِي اليوم الآخر، بلا شك أَنَّه زلزال عظيم.

ولذلك الله قال فِي سورة أُخرى: ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ [الحج: ١]، شيءٌ عظيم لا تتصوره أبدًا.

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ أي حُركت بقوة، متى يكون هذا؟

عندنا نفختان:

- النفخة الأولى.
- والنفخة الثانية.

﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨].

إذًا نفخة الصعق والموت وخراب الكون وانتهاؤه، ثم الصعقة الأُخرى هي بعث النَّاس مِنْ قبورهم.

هذا مُتحقق هنا، لما تقرأ: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ **هذه الصعقةِ الأولى،** وهي خراب الكون، تحريكها بقوة بحيث لا يبقى عَلَيْهَا شيء، لا يبقى عَلَيْهَا شيء، الجبال تذهب، الجبال تندك مع الزلزلة وتذهب، ولذلك مثل هذه الآية تقرأها أنت في سورة الواقعة، يقول: ﴿رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا﴾ [الواقعة: ٤] إذا زُلزلت هذا بداية خراب الكون، انتهت الدنيا، ذهبت الجِبال وذهبت البنايات العالية، كُل معلم انتهى، أصبحت الأرض ﴿قَاعًا صَفْصَفًا ۝١٠٦ لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ۝١٠٧﴾ [طه: ١٠٦، ١٠٧]، أصبحت مستوية، لا ارتفاع ولا نزول، هذه، وانتهى العالم، ذهبَ النَّاس، خلاص، هذه ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ النفخة الأولى.

ثم النفخةُ الثانية: ﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ [الزلزلة: ٢]، بمعنى: نُفخَ فِي الصور النفخة الثانية فخرجَ النَّاس مِنْ قبورهم.

﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ ما أثقالها؟ النَّاس، المعادن، وما فِي جوفِها، حتى الحيوانات تخرج، حتى الحشرات تُحشر، كُلٌّ يُحشر. ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ [التكوير: ٥]، وكل هذه البهائم تُجمع وتُحاسب، والإنسان يأتي يخرج مِنْ قبرِهِ مُسرعًا.

قال: ﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾، فإذا حصلَ هذا الأمر الرهيب العظيم المُلفت الذي يذهب بالعقول، يقول هذا الإنسان: ما لها؟ ما الذي جرى؟ ما الذي حدث؟ هذا قال بعض أهل التفسير: القائل هو الكافر، أما المؤمن عنده يقين، يقول: المؤمن يعلم أن هذا بعث، وأنه خرجَ مِنْ قبرِهِ للجزاءِ والحساب، فيخرجُ مُطمئنًا يعني يقول: هذا ما وعدَ الرحمن. يقول المؤمن: ﴿هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾ [يس: ٥٢]، أما الكافر ينبهر ويقول: ما لها؟ ما الذي جرى لها.

وبعض المفسرين يقول: إن القائل هنا ﴿وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا﴾ [الزلزلة: ٣] هذا يشمل المؤمن والكافر، لماذا؟ لأن الكافر مُنكر ومنبهر، والمؤمن يُصيبهُ ما يُصيبه مِنْ أهوال يوم القيامة، مثل ما قال

سبحانه: ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ۝١ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى﴾ [الحج: ١، ٢] المؤمن والكافر، قد انذهل مِنْ هذا الأمر العظيم.

قال: ﴿وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا﴾، ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ [الزلزلة: ٤] أي فِي هذا اليوم، ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ [الزلزلة: ٤] ما هي؟ الأرض، تُحدثُ أخبارها. كيف تُحدثُ الأرضُ أخبارها؟ بأن تتكلم، أنطقها مَنْ؟ الذي أنطقَ كُلَّ شيء، فتتكلم الأرض، تتكلم الجمادات، تتكلم الأيدي تنطق والأرجل، كلها تتحدث.

قال: تحدث عن أخبارها، ما هي أخبارها التي تتحدث عنها؟ تقول: فلان فعلَ عليَّ كذا وكذا، وفلان فعلَ عليَّ كذا وكذا، فمن فعلَ خيرًا عَلَيْهَا شهدت؛ فهي تشهد كَمَا تشهد الأيدي وتشهد الأرجل، تشهد الأرض، تنطق وتشهد أن فلان فعلَ عَلَيْهَا مِنْ الخير كذا وكذا وكذا، مِنْ الصَّلَاة، مِنْ الزكاة، مِنْ الصوم، مِنْ العبادات، مِنْ كُل أنواع العبادات.

وكذلك الكافر والعاصي، فعلَ عَلَيْهَا كذا وكذا وكذا، وتبدأ تُحدث.

ولذلك شوف لاحظ، قال: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾، لو قال (حدثت) انتهت. لما يقول (تُحدث) لا تنتهي على أعداد الخلق، لا تزال تُحدثُ أخبارها، تُخبرُ بما حصلَ عَلَيْهَا، مَنْ فعلَ جريمةً عَلَيْهَا حدثت، مَنْ فعلَ خيرًا حدثت، وهكذا.

كيف تُحدث؟ كيف تتكلم؟ مَنْ الذي أنطقها؟

قال: ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا﴾ [الزلزلة: ٥]، الله ألهمها وأوحى لها بهذا الكلام، لما أوحى الله وألهمها تحدثت بهذا، لما تُخبر عن الأرض، والأرض تُخرج أثقالها، ويخرج النَّاس، سيواجهونَ هذا اليوم، وهذا المحشر، وهذا الحساب؛ ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ﴾ [الزلزلة: ٦] يصدرون مِنْ أين؟ مِنْ أي شيء؟

☚ قال بعضُ أهل التفسير: يصدرونَ مِنْ قبورهم متوجهينَ إلى أرض المحشر ليُحاسبوا، ثم يُجازوا، هذا رأي.

والصدور أصلهُ ضد الورود، تقول: وردَ فلان إلى كذا وصدرَ منه، يعني رجعَ منه، الصادر والوارد، يعني يرد إلى الشيء، ثم يصدر يعني يرجع منه. قالوا يعني أَنَّه صدرَ مِنْ قبرِهِ متوجهًا إلى مكان الحَشر.

☚ والرأي الثاني: أن المراد بالصدور هنا: هو صدورهُ مِنْ أرض المحشر إلى مقرهِ الأخير: الجنة أو النار.

وهذا واللهُ أَعْلَمُ أَنَّه أقرب، لماذا؟ لأن الله قال: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ﴾ أي يُروا نتائج أعمالهم، ليروا ثمرات أعمالهم، متى يرونها ثمرات الأعمال؟ بعدما يصدرونَ مِنْ أرض المحشر، يجدونَ ثمرات أعمالِهم، إما بالفوز العظيم بنعيم أهل الجنة، أو الخسارة العظيمة فِي نارِ جهنم.

قال: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا﴾ ولاحظ كلمة أشتاتًا، أي فرقًا جماعات، جماعة التوحيد، جماعة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وجماعة القُرآن، أهل القُرآن، وهكذا جماعات فِي صدورِهم.

وكذلك الكُفار جماعات، وأهل المعاصي جماعات، جماعة المُغنين، وجماعة المُطبلين، وجماعة كذا وجماعة كذا، وهكذا، جماعة أهل الفِسق، وجماعة أهل الشِرك والكُفر، فيصدرونَ جماعات، قد جُمع بعضهم إلى بعض.

قال: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ﴾ إلى هنا ينتهي خلاص، يرونَ أعمالهم، يرون النتائج: جنة أو نار. هذا يوم البعث والجزاء والحساب والجنة والنار.

ثم يأتي فِي الأخير التعقيب على ذلك، والتوجيه والتذكير، انتهى الآن العرض، بعد ذلك يأتيك التوجيه والتذكير، فقال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ﴾ [الزلزلة: ٧]، الآن أمامكم هذا الخبر، وعُرِضَ عليكم ما سترونهُ عيانًا بعين اليقين، الآن أمامكم فِي الدنيا مَنْ يعمل مثقالَ ذرة خيرًا يرهُ فِي الآخرة، قدمت خيرًا ولو مثقال ذرة، ولو شيئًا ما يُذكر، لو شيئًا ما يُذكر، نشر السلام، إفشاء السلام، الابتسامة فِي وجه أخيك، الأمر بالمعروف، إزاحة ما يؤذي النَّاس فِي الطريق، أشياء لا يُلتفت إليها، لا تُفرط فيها، لا تُفرط فيها، تسبيحة، «الحمد لله تملأ ما بين السماء والأرض»، (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وسبحان الله والحمد لله)، وغيرها مِنْ الأذكار، لا تُفرط فيها. ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧]

﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٨] ومن يعمل مثقالَ ذرةٍ شرًا سيرهُ، ولو كان شيئًا، كلمة تُلقيها سيئة تُحاسب عَلَيْهَا، قد لا تُلقي لها بالًا؛ فتهوي بصاحبها فِي نارِ جهنم سبعينَ خريفًا.

فالإنسان يحفظ لسانه، يحفظ سمعهُ، يحفظ جوارحهُ، يُقدم شيئًا ينفعه، يُشغل نفسه، يملأ وقتهُ بطاعة الله.

إذا سمع مثل هذا الكلام وهذه الآيات التي تحثك، تملأ وقتَكَ بطاعة الله، وتصرف نفسك عن كُلِّ ما تتمنى أنكَ ما دخلت فيه، وتتمنى كأنكَ ما تحدثت فيه، كُل شيءٍ يضرك ولا ينفعك فِي دينك، اصرف نفسك عنه، ولا تدخل فيه ولا تتكلم فيه، احفظ لسانك، وليسعكَ بيتُك، وابكِ على خطيئتك.

وبهذا تنتهي السورة العظيمة الجليلة التي قال فيها صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أفلحَ هذا إن أخذَ بها»، والتي بكى الصديق لما سمعها.

أسأل الله أن يُبارك لنا، وأن يوفقنا لطاعتهِ، وأن يجعلنا وإياكم مِنْ أهل القُرآن الذين هم أهلُ اللهِ وخاصته، وإلىٰ لقاءٍ قادمٍ بإذن الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الدرْسِ (٤٩)

بسم الله، والحمد لله، وأُصلي وأسلم على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آلِهِ وصحبِهِ وَمَنْ اهتدى بِهُداه إلى يومِ الدين، اللّهمَ علمنا ما ينفعُنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علمًا وعملًا يا رب العالمين.

أيها الإخوةُ الكِرام، السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، فِي لقاءنا الأسبوعي فِي مثل هذا اليوم وهذا اليوم يوافق الثالث والعشرين مِنْ شهرِ ذي الحجة مِنْ عام أربعةٍ وأربعين وأربعمائة وألف مِنْ الهجرة، أسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن يرزقنا وإياكم العلمَ النافع والعمل الصالح، وأن يستعملنا وإياكم فِي مرضاتِهِ.

هذه الوقفة وقفة التأمل مع آيات القُرآن الكريم، ومع قصار السور، ولازلنا مع هذه السور القِصار، نأخذها سورةً سورة.

السورة التي بين أيدينا هي سورة العاديات التي يحفظها الجميع، وتحتاج مِنا إلى قراءة، قراءة تأمل، وقراءة تفكر، وتفسير وفهم وتدبر، هذه القراءة التي أمرَ الله بها، التي قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾ [النساء: ٨٢]، وقال: ﴿لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ﴾ [ص: ٢٩]، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أمرَ بالتدبر والتأمل، والتدبر يتحقق بأن تقرأ قراءةً سليمة صحيحة، وتقرأ قراءة تأمل وتدبر وتفكر، وتفسير وفهم للآيات، لهذا إذا تحققَ لكَ هذا الأمر وعرفت هذه الآيات استطعتَ أن تُطبق ما فِي هذا القُرآن الكريم مِنْ أوامر ومن نواهي، مِنْ حلال، مِنْ حرام، تفهم وتُطبق فِي حياتك.

سورة العاديات سُميت بهذا الاسم لافتتاحها بهذا الوصف، هذا وصف، أقسمَ الله فِي هذه السورة بثلاثة أمور كلها أوصاف، قال: (والعاديات، فالموريات، فالمُغيرات). أو يكون القسم للعاديات، ثم تُعطف عَلَيْهِ هذه الصفات.

ما هي العاديات؟

العاديات جمعُ عادية، والعادية هي التي تعدوا بسرعة، والمقصود بهذا هي الخيول كَمَا عَلَيْهِ جمهورُ المفسرين، وإن كان بعضهم ذهبَ إلى الخيول والإبل، قال: كلها تعدوا، وكلها تنطلق وتسير. ولكن الذي يتأمل هذه الآيات مِنْ أولِها إلى آخرها يجد أنها يعني أقرب ما تكون فِي الخيول، فالخيول تعدوا بسرعة.

قال: ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا﴾ [العاديات: ١].

والضبح كَمَا قال أهلُ التفسير هو صوت الخيل لما تنطلق بسرعة؛ فإنه بقوة نفسها تُحدثُ صوتاً، هذا الصوت يُسمى الضبح، وهذا يتحقق فِي الخيل مما يتحقق فِي الإبل، هذا مما يُرجح.

قال بعدها: ﴿فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا﴾ [العاديات: ٢].

الموريات جمع مورية وهي التي تُوري أي تُظهر النار، تقدح. قالك (موريات قدحاً) فمعنى موريات: جمعُ مورية، والمورية مِنْ ورى الشيء إذا قدحَ به أو أخرجَ النار، ﴿النَّارَ الَّتِي تُورُونَ﴾ [الواقعة: ٧١]، أي تشعلون النار، (تُورون) أي تُشعلونها.

فسرعة الخيول على الأرض وحوافرها حادة وشديدة وجافة، تضرب بالحجر ثم تُحدث هذا الشرر (القدح)، وهذا أيضًا يتحقق أكثر ما يكون فِي الخيل.

قال: ﴿فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا﴾ [العاديات: ٣].

هذا أيضًا وصف لأنها تغُير على العدو، فهي التي تُستعمل كثيراً فِي الحروب، الله عَزَّ وَجَلَّ قال: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ﴾ [الأنفال: ٦٠].

﴿فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا﴾ تُغيرُ على العدو وأكثر ما تُغير فِي الصباح، أكثر ما يُكون الجيش يُصبح العدو وهو فِي الصباح، يُقدم على عدوهِ صباحاً، فِي وقت الغفلة، وقت النوم.

وهذا كَمَا قال بعض أهل التفسير، هذا حُكم أغلبي، قد تُغير فِي الليل، قد تُغير فِي وسط النهار، فِي آخر النهار، لكن فِي الغالب أنها تُغير فِي مثل هذه الأوقات؛ لأنها وقت الحروب.

قال: فإنها إذا غارت على العدو وقت الصباح ففي هجومها على العدو تُثير الغُبار، ولذلك قال: ﴿فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا﴾ [العاديات: ٤]، والنقع هو الغُبار، أنها تُثير الغُبار بشدة سُرعتها وقدومها على العدو، وفِرارها مِنْ العدو تُحدثُ شيئاً كثيراً أو شيئًا عظيماً مِنْ الغُبار.

قال: ﴿فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا﴾ [العاديات: ٥]، أي الخيول تتوسط الجموع؛ فإنها تدخل فِي الجموع وتتوسطها إذا كانت خيول مُدربة ومُعلمة وأصحابُها أو الرُكبان الذين عَلَيْهَا يُجيدونَ قيادتها فإنهم يتوسطونَ القوم.

إلى الآن قد تقول: يعني ما الفائدة مِنْ ذِكر هذه الأشياء؟ وما هي النتيجة؟ نحنُ نُريد أن نصل إلى النتيجة، الصورة ككل مع قِصرِها هي تتحدث عن موضوع مهم جداً فِي حياة المُسلم، تتحدث عن موضوع يتعلق بالإنسان مع ربه، ولذلك شوف الجواب كَمَا قال أهل العلم: جواب القسم، الله أقسم بالعاديات، أقسم عندنا فعل القسم، والمُقسم به، وجواب القسم، ففعل القسم محذوف، ونابَ منابهُ الواو، تُسمى واو القسم، والعاديات، التقدير: أُقسمُ بالعاديات.

المُقسم به هي الخيول. طيب، أين جواب القسم؟

قال: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ [العاديات: ٦]، المراد بالإنسان جِنس الإنسان، طبيعتهُ، استثنى مِنْ ذلك المؤمن لما يَمنُ الله عَلَيْهِ بالإيمان والطاعة والاستقامة، استثنى، استخرج، ولكن جِنس الإنسان ﴿لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾، ولاحظ أَنَّه قال: (لربه) لربهِ الذي رباه، خلقهُ ورباهُ ورزقهُ وأنعمَ عَلَيْهِ بالنعم العظيمة التي لا تُعد ولا تُحصى، نِعم كثيرة.

(كنود)، ما معنى كنود؟ الكنود هو الذي يعرف نعم الله عَلَيْهِ ثم يجحدُها، يعرف النعم ثم يجحدها، تعرف نعمة الله عليك ثم تجحدها، هذا هو الكنود.

قد يسأل سائل يقول: طيب، ما علاقة الخيول وأوصافها بهذه الأوصاف العظيمة؟

مِنْ أجل الأوصاف أعطاها الله أوصاف عظيمة. ما علاقة الخيول بكون الإنسان كنوداً مع ربه؟ ما الرابط؟ ما العلاقة؟

نقول: السورة أصلاً لها مقصد ولها هدف، وهذا مِنْ التدبر، هذا الذي نُريد أن نصل إليه، نتدبر السورة، السورة تهدي إلى شيء مُعين، ما هو؟ الله يُريد أن يُبين لك موقف هذه الخيول ويُبين لك موقف هذا الإنسان، ما علاقة الخيل مع صاحبها؟ وما علاقة هذا الإنسان مع ربه؟

لو سألنا: أيهما أعظم نعم الله على الإنسان، ولا نعم الإنسان على الخيل؟

لَا شَكَّ أن فيه هناك فرق كبير.

طيب، أيهما استجابة وإذعان وإقبال؟ الخيل مع صاحبها ولا الإنسان مع ربه؟ تتعجب!!!

إذًا هناك فيه رابط شديد قوي، هذا الذي نُريد أن نصل إليه، الخيل لما يأتي صاحبها ومالكها يُربيها تربيةً حسنة، ويضعها فِي مكان نظيف، ويُعطيها الماء النظيف والطعام النظيف ويعتني بها عناية عظيمة ويُدربُها ويُحافظ عَلَيْهَا، ماذا سيكون موقف الخيل لصاحبها؟ تستجيب له، فإن أمرها بالانطلاق انطلقت، وإن أمرها بالوقوف وقفت، وإن أمرها بالرجوع رجعت، تستجيب ولا تُعاند أبداً.

لكن هذا الإنسان نعم الله عَلَيْهِ أكثر، أنعم الله عليك بأن أوجدك، بأن رباك، بأن رزقك، أنعم عليك بالنعم العظيمة التي لا تُعد ولا تُحصى، ثم يكون موقفك مِنْ ربك الجَحد، تجحد نعمة الله وتكفر بالله ولا تشكر الله، ولا ترد حَقّ هذه النعمة؟! الخيل أفضل مِنك أيها الإنسان!! الخيل يرد الشُكر، يرد هذا المعروف بالشُكر والاستجابة، وأنتَ لا ترد!! عجباً لهذا الإنسان!! إلا مَنْ رحمَ الله، إلا مَنْ مَنَّ الله عَلَيْهِ بالهداية والاستقامة وعرفَ الطريقَ إلى ربه وشكرَ ربهُ، فهذا مَنَّ الله عَلَيْهِ، وهم قِلة، قِلة بالنسبة لجنس الإنسان، كَمَا قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ [العصر: ٢]، كُل الإنسان لفي خُسر.

ثم استثنى، قال: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [العصر: ٣] استثناء قليل.

هنا كذلك، جِنس الإنسان يكفر نعمة الله، يجحد نعمة الله، لا يعرف نعمة الله، وقد يكون مِنْ أبناء المسلمين ويجحد هذه النِعم، قد تسأله ما يجحدها، يقول لك: لا، أعرف نعم الله عليّ، لكن لا يؤدي شُكرها، لا يعرف نعمة الله عَلَيْهِ؛ ولذلك قال: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ [العاديات: ٦]، وجاءَ بمؤكدات عظيمة تؤكد هذا الأمر لما قال: (إن) إن تؤكد. (الإنسان لربهِ)، قدمَ الجار والمجرور،

ثم قال: (لكنود) أدخلَ اللام؛ دلَ على أن هذا الأمر صِفة مُتحققة فِي هذا الإنسان لا يتركها إلا مَنْ مَنَّ الله عَلَيْهِ.

ولذلك حتى يؤكد لك الأمر أكثر وأكثر قال: ﴿وَإِنَّهُ﴾ هذا الإنسان، ﴿وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ﴾ يعني على هذا الأمر وهو الجحود، ﴿وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ﴾ [العاديات: ٧]، لما تُناقشه يقول: نعم أعرف نعمة الله عليّ لكن ما أردها ولا وأشكر؛ فهو نظرتهُ نظرة قاصرة، يأخذ هذه النعم ويجحدُها، ولذلك بعضُ أهل التفسير يقول: ﴿وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ﴾ أي إن اللهَ لشهيدٌ على، يعني الضمير يعود إلى الله. أي: إن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى شهيدٌ على هذا الإنسان بما يفعل، يعني لا يُمكن أن يُنكر، إذا كان الله شهيداً عليك؛ فلا يُمكن أن تُنكر هذا الشيء أو هذه الصفة.

قال: ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ [العاديات: ٨].

يُحبُ الخير، الخير ما هو؟ الخير هنا مقصود به المال كمال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا﴾ [البقرة: ١٨٠] يعني مالاً، فالمقصود بالخير هنا هو المال، شوف عِندك عبارات يعني فِي هذه السورة، وعلى قِصرِها فيها كلمات قد تخفى على كثير مِنْ النَّاس، لما تأتي لخص وتقول له: ما معنى الموريات؟ ما معنى ضبحاً؟

ما أدري.

ما معنى كنود؟

ما أدري.

طيب، ما المراد بالخير؟

يقول لك: الخير ضد الشر. نقول: الخير له معاني، هنا مُرادٌ به المال، ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ [العاديات: ٨] يُحب المال حُباً شديداً، جُبلَ وطُبعَ على محبة المال، يُحب المال، يُحب جمع المال، يجمعهُ.

قال: ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ يُحب المال ويجحده، ويجحد نعم الله عَلَيْهِ، ولاحظ أَنَّه لم يوصف بأنه يُنفق المال فِي سبيل الله، لم يوصف بأنه يدفع هذا المال لأهلِهِ المحتاجين، لا، يجمعهُ، يجمعهُ ويجحد نعمة الله عَلَيْهِ، هذه صفات سيئة.

والمسلم العاقل الذي مَنَ الله عَلَيْهِ بالهداية يُحارب هذه الصفة، يُحاربها، فلا يجحد نعمة الله بل يشكر ويعرف قيمة المال ويعرف حقَ الله فِي هذا المال، ولذلك لما كانت هذه صفة الأكثر مِنْ النَّاس، نبه الله على أمر شديد وعظيم تحذير وتنبيه له عن غفلتهِ؛ لأنه غافل، غافل يأخذ هذا المال ويركد فِي هذه الدنيا لا يدري عن شيء، لا يدري إلا وقد نزلَ به الموت فيُحذرهُ الله، فيقول: ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ﴾ [العاديات: ٩]، أهذا الإنسان غفل وجهل ولا يعلم، غابَ عنه هذا الشيء؟ ما هو؟

﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ﴾ [العاديات: ٩] ألا يعلم هذا اليوم الذي تُبعثرُ فيهِ القبور، وشف كلمة بعثرَ، ما قال: أفلا يعلمُ إذا تشققت القبور، أو خرجَ النَّاس مِنْ قبورهم؟ لا، قال: بُعثرت. أمر عظيم لأنه حدث عظيم، تبعثر بمعنى: أنها يعني تتشقق الأرض ويخرج ما فيها وينقلب ما بداخلها إلى ظاهرها، ولا تظن أن الذين يخرجونَ مِنْ قبورهم هم النَّاس فقط، الله كَمَا ذكرَ كَمَا مرَ معنا فِي السورة الماضية أن الأرض تُخرج، أخرجت الأرضُ ما فِي بطنها، تُخرج هذا الإنسان، جنس الإنسان، تُخرج النَّاس والحيوانات والكنوز والأموال كلها تُخرج مِنْ الأرض، تُبعثر الأرض، تُبعثر.

﴿بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ۝٩ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ۝١٠﴾ [العاديات: ٩، ١٠].

هذا هو المقصد: ما فِي صدرك مِنْ عمل، ما فِي صدرك مِنْ نياتٍ طيبة مِنْ أعمال، ما تُخفيهِ هذه الصدور، الصدور مخفية الآن، كثير مِنْ النَّاس ما لك إلا الظَّاهِر، الخفي لا تعلمه، مخفية، إذا جاءَ يوم القيامة أصبحت الخفايا ظواهر، ﴿تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾ [الطارق: ٩]، فيظهر ما فِي الصدور.

قال: ﴿وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ﴾ [العاديات: ١٠]، كُل ما جمعتهُ فِي صدرك وحصلتهُ أخرجهُ الله يوم القيامة.

قال الله جَلَّ وَعَلَا فِي هذا اليوم العظيم: ﴿إِنَّ رَبَّهُمْ﴾ الذي خلقهم وأوجدهم وأنعمَ عليهم بهذه النِعم، ﴿إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ﴾ يوم القيامة ﴿لَخَبِيرٌ﴾ [العاديات: ١١]، لا يخفى عَلَيْهِ شيءٌ مِنْ أحوالِهم جميعاً، سيُحاسبُهم ويُناقشهم ويُجازيهم على أعمالِهم.

ختام هذه السورة الحديث عن يوم القيامة، كُلُّ ذلك تذكير لهذا الإنسان الغافل الذي انغمسَ فِي هذه الدنيا ويركد ورائها ولا يقف، وليس له حد فِي جمع المال، يُنبهُ الله يقول: لم تُخلق لهذا الشيء، وإنما خُلقت لأمرٍ أعظم وأعظم، فانتبه وقِف وحاسب نفسكَ قبلَ أن تُحاسب.

سورة عظيمة الحقيقة تُذكر، تُحرك القلوب، تعرف لماذا خُلقت؟ ما الهدف مِنْ حياتك فِي هذه الدنيا، ليس الهدف هو الأكل والشُرب والنكاح والغفلة والنوم، لا، وإنما خُلقتَ لعبادة الله، خُلقتَ للعبادة، فهيئ نفسك للعبادة، وهيئ نفسك لما ستُقابلهُ أمام الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

فالسورة حقيقة سورة عظيمة، شوف المُقارنة، وكيف قارنَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بين الخيل مع صاحبها، وبين هذا الإنسان الذي عرفَ به.

نسأل الله أن ينفعنا بما قلنا، وبما سمعنا، وأن يجعلنا وإياكم هُداةً مُهتدين، موفقينَ لكُلِّ خير، وأن يجعلنا وإياكم مِنْ أهل القُرآن الذين هم أهلُ اللهِ وخاصته، واللهُ أَعْلَمُ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آلِهِ وصحبهِ أجمعين.

﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الدرس (٥٠)

بسم الله، والحمد لله، وأُصلي وأسلم على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آلِهِ وصحبِهِ وَمَنْ اهتدى بِهُداه إلى يومِ الدين، اللَّهمَ علمنا ما ينفعُنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علمًا وعملًا يا رب العالمين.

أيها الإخوةُ الكِرام، السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، حياكم الله فِي هذا اللقاء المُبارك، في هذا اليوم يوم الثلاثاء الموافق للثلاثين مِنْ شهرِ ذي الحجة مِنْ عام أربعةٍ وأربعين وأربعمائة وألف مِنْ الهجرة.

درسنا فِي تفسير القُرآن العظيم، وَفِي هذا المجلس المُبارك مع قِصار السور.

السورة التي سنتناولها إِنْ شَاءَ اللهُ بالقراءة والتدبر والتفكر والتأمل والتفسير، حتى نخرج بالفائدة التي ينتظرُها الكثير، ونسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الإعانة والتوفيق والسداد.

السورة هي سورة القارعة، لما تقرأ هذه السورة، ودائماً نُعيد ونُذكر دائماً أن سورة القُرآن مترابطة ومُتلاحمة بقوة، وكل ما تقرأ سورة تجد السورةِ التي بعدها كأنها تُمم هذه السورة، فمرَ معنا سورة الزلزلة، وَفِي نهايتها يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۝٨﴾ [الزلزلة: ٧، ٨]، يعني أمامكَ الأعمال الصالحة وغير الصالحة، ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ﴾ ولو كان هذا العمل بمقدارِ مثقال ذرة مِنْ الخير؛ فإنه سيرى خيراً، أو العكس.

لما تقرأ السورة التي تليها مُباشرة، وهي سورة العاديات، ويقول الله أيضًا فِي خاتمتها: أفلا يعلم هذا الإنسان ﴿إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ﴾ [العاديات: ٩]، الحديث عن الآخرة، ثم قال: ﴿وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ﴾ [العاديات: ١٠]، يعني أعمالك التي كُنتَ تعملها فِي الدنيا مِنْ خير، ولو كان مثقالَ ذرة؛

فإنها ستجتمع فِي الصدور، ثم تُحصل ما فِي هذه الصدور وتُخرج ما فِي هذه الصدور لتُجازى عَلَيْهَا، متى تُجازى عَلَيْهَا؟

قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ﴾ [العاديات: ١١]، هذا اليوم هو يوم الآخرة، هو الذي قال الله فيه: ﴿الْقَارِعَةُ﴾ [القارعة: ١].

وهذه السورة؛ سورة القارعة انقسمت قسمين على قِصرها، **وتُلاحظ أَنَّه لم يُذكر اسم الله فيها أبداً، ولا اسم مِنْ أسمائه أبداً، على قصر هذه السورة انقسمت قسمين:**

القسم الأول: بيان لعظم أهوال هذا اليوم الذي يصورهُ الله بهذه السورة العظيمة، بهذا التهويل.

ثم جزاء الفريقين، جزاء النَّاس يُجازون على أعمالهم ونهايتهم.

طيب، هذه السورة مثل ما ذكرنا سُميت بهذا الاسم، **سورة القارعة،** ولاحظ على قصرها أن كلمة القارعة التي تدلُ على التهويل والتعظيم ذُكرت ثلاث مرات، يهول الله ويُبين عِظم هذا اليوم، طيب، **لماذا يُهول الله ويُبين عِظم هذا اليوم؟**

حتى يكون الإنسان مُستعداً، حتى يكون الإنسان على بينة، لا يتفاجأ يكونُ يعني على أمل أن اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يؤمنهُ فِي هذا اليوم العظيم الذي يتمنى الإنسان أو كُل إنسان أن يكونَ آمناً يوم القيامة.

يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿الْقَارِعَةُ﴾ [القارعة: ١].

هذا الاسم القارعة الذي جاءَ بالألف واللام، القارعة: هذا اسمٌ مِنْ أسماء يوم القيامة، أسماء يوم القيامة، أسماء يوم القيامة فِي القُرآن الكريم كثيرة جداً، يُسمى بيوم الحساب، ويوم التغابن، ويوم الجمع، ويُسمى بالحاقة، ويُسمى بالطامة، ويُسمى بالغاشية، ويُسمى بالصاخة، فأسماؤهُ كثيرة، وكُلُّ اسم يدلُ على معنى، فالطامة لها معنى، والصاخة لها معنى، والغاشية لها معنى.

والقارعة لأنها ماذا؟ لأنها أولاً: تقرع الأسماع بصوتها الشديد وقوتها، لما يُنفخ فِي الصور تقرع الأسماع بصوتها الشديد، ثم هي تقرع القلوب أيضًا بأهوالها وشدتها، هذا معنى القارعة لأنها تقرع الأسماع، وأيضاً تقرع القلوب بشدتها وأهوالها ﴿إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ﴾ [غافر: ١٨]، القلوب تهتز لمثل هذا اليوم العظيم.

قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿الْقَارِعَةُ ۝١ مَا الْقَارِعَةُ ۝٢﴾ [القارعة: ١، ٢]، هذا تهويل، هذا استفهام، يُسميه أهل العلم: استفهام يدل على التعظيم والتهويل، يعني يقول لك: هذه القارعة، ثم قال: ما القارعة؟ أخبرني عنها؟ ما هي التي تسمع عنها أنها القارعة؟

ثم زادكَ أيضًا زيادةً قال: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ﴾ [القارعة: ٣]، أنتَ ما تدري ما هي القارعة؟ لا تعلم. ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ﴾. أخبرني ما هي؟

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ﴾، ثم أخبر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وذكرنا أيضًا فِي لقاءات ماضية أنها إذا جاءت كلمة (وما أدراك)، فالجواب موجود دائماً، (وما أدراك) الجواب موجود، وإذا جاءت كلمة (وما يُدريك) ما أحد يعلم: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ [الأحزاب: ٦٣]، ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى﴾ [عبس: ٣]، لا أحد يعلم.

لكن لما تأتيك: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ﴾ [الحاقة: ٣]، ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ﴾ [القارعة: ٣]، ومثل هذه الأشياء، وما أدراكَ، حتى فِي السورة هذه نفسها يقول: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ﴾ [القارعة: ١٠]، الجواب موجود مُباشرة.

فلما قال: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ﴾ أعطاك الجواب، قال: القارعة هذا اليوم العظيم هو اليوم الذي، ثم أعطاك صورة مِنْ صوره، هو له صور عظيمة، وله أحوال عظيمة ذكرها الله فِي كتابه تحتاج مِنا أن ننظر إليها فِي كُل موضع، فِي هذا الموضع يعرض لك ماذا؟ يعرض لك صورة مِنْ صور حال النَّاس، حال النَّاس وحال القلوب وأهوال النَّاس جميعاً، ثم يعرض لك صورة أُخرى مِنْ حال الجِبال.

وَفِي سور أُخرى ذكر لك أحوال، يعني سورة التكوير ذكر فيها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى اثنتي عشرة حالة مِنْ أحوال يوم القيامة، ما قبلها وما بعدها: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١ وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ۝٢ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۝٣ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ۝٤﴾ [التكوير: ١ - ٤] ... إلى أن قال: ﴿وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ۝١٢ وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ۝١٣﴾ [التكوير: ١٢، ١٣] هذا كله عرض، تصوير لما يجري يوم القيامة.

وتقرأ فِي سورة الانفطار، قال لك: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ ۝١ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ ۝٢ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ ۝٣ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ۝٤﴾ [الانفطار: ١ - ٤].

وهكذا تجدهُ فِي سورة يُعطيك شيء مِنْ أهوال يوم القيامة، ومن الأحداث التي تجري يوم القيامة.

وهنا يقول لك، يذكر لك حدثين:

الحدث الأول: فِي حال النَّاس.

والحدث الثاني: فِي حال الجِبال.

﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾ [القارعة: ٤]، عندما يخرجونَ مِنْ قبورهم لا يدرون، لا يدرونَ أين يذهبون، قد أصابهم ما أصابهم مِنْ الكَرب والشِدة، فأهوال عظيمة لا يدري وهو يخرج مِنْ قبره أين يذهب، فقال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: هم كالفراش المبثوث، ما هو الفراش؟ يظن بعض النَّاس، يظن أن الفراش هو الفراش المعروف عندنا، الحشرة هذه التي تتطاير بين الزهور وبين أوراق الأشجار، معروفة الشكل بألوانها، لا، لا، هذا خطأ، الفراش المُراد به سائر الحشرات، مُطلق الحشرات الصغيرة جداً تُسمى الفراش، التي إذا أنت أشعلت ناراً فِي ظُلمة بدأت تأتي إلى هذه النار تدور حولها، هذه تُسمى فراش.

وَالنَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أيضًا بيّنَ هذه لما قال: يعني «أمنعكم مِنْ النار وأنتم كالفراش تتطايرونَ علىٰ النار»!!.

فالمراد بالفراش بالآية هنا: ﴿كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾ هي هذه الحشرات التي تتطاير صِغار لا تدري أين تذهب حتى تسقط فِي النار، وكذلك النَّاس يخرجونَ مِنْ قبورهم لا يدرون، عقولهم ليست معهم، ﴿وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج: ٢]، المرأة الحامل تضع حملها، والمرضعة تذهل عن رضيعها. كَمَا قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾ [المزمل: ١٧]، فاليوم عظيم، فلذلك قال: ﴿كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾.

والجبال الصُم الشديدة القوية على قوتها وصلابتها يصفها الله بأشد الضعف، فيقول: ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾ [القارعة: ٥]، كالصوف إذا نفشهُ صاحبه يبدأ يتطاير بالهواء، كَمَا قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا ۝٥ فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا ۝٦﴾ [الواقعة: ٥، ٦]، فتتطاير، تذهب خلاص، ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾ [النمل: ٨٨]، تذهب، ما تجد لها أثر ﴿فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا﴾ [طه: ١٠٥]،الجبال فقط لو تأملناها فِي القُرآن، تدبرناها وبحثنا عن أهوال أو أحوال الجبال يوم القيامة، لوجدت أنها تمر بأحوال. يقول لك: ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾

[التكوير: ٣]، ومرة يقول لك: ﴿وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا﴾ [الواقعة: ٥]، ومرة قال: ﴿وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾ [الحاقة: ١٤]، ﴿وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَهِيلًا﴾ [المزمل: ١٤]، وهكذا تمر هي بمراحل.

كَمَا أن السماء تمر بمراحل: مرة تنشق، ومرة يقول لك: ﴿وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا﴾ [النبأ: ١٩]، يعني أهوال عظيمة لا يتصورها الإنسان، كل مَا تتصوره فِي ذهنك الآن هُوَ على خلاف؛ لأن اليوم عصيب وشديد ولا يتصوره الإنسان أبداً، الجبال شديدة صلبة تُصبح تتطاير كالصوف، هَذَا أمر، يعني إذا كانت الجبال على صلابتها وقوتِها تضعف أمام هَذَا الشيء، تضعف وتضيع وتتكسر وتذهب وتتلاشى وهي جامدة، فكيف بهذا الإنسان؟! كيف سيكون موقف هَذَا الإنسان المسكين الضعيف؟!

ولذلك الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لما ذكر لنا هذه الأحوال العظيمة ذكرَ بعدها نتيجة هذه الأمور بهذا اليوم، قَالَ: ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ [القارعة: ٦]، ثُمَّ قَالَ: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ [القارعة: ٨].

﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ [القارعة: ٦]، ثقلت بأي شيء؟ بالأعمال الصالحة، الأعمال الصالحة ثقيلة، لها ثِقل عِنْدَ الله عَزَّ وَجَلَّ، لها مكانة، تثقل بالميزان، ولو كانت قليلة، لها مكانة.

﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ بالأعمال الصالحة، ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ [القارعة: ٧]، أي فِي جنةٍ عالية، ﴿عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ بمعنى: أنه يعيش عيشةً هنيئة تُرضيه، ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [المائدة: ١١٩] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وأرضاهم، هَذَا باختصار.

﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾، طيب، مَا هي العيشة هذه؟ العيشة هذه ذكرها الله فِي آيات كثيرة، فصلها لك تفصيل عِنْدَ دخول النَّاس الجنة، المتقين الجنة ماذا سيرون وماذا سيُقابلون، وما هُوَ النعيم الَّذِي يذكرهُ الله، فيه سورٍ أُخرى.

قَالَ: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ [القارعة: ٨]، خفت مِنْ الأعمال الطيبة الصالحة، وثقلت بالأعمال السيئة.

﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ۝٨ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ۝٩﴾ [القارعة: ٨، ٩] أي عاقبتهُ سيئة، ومصيرهُ سيء.

مَا معنى (أُمه) هنا؟ قيل: (أُمهُ) كُلُّ شيءٍ يأويك فَهُوَ أُمك. تقول: داري الدار التي تأويك أُم. والمكان الَّذِي يأويك أُم. وأمك الحقيقة لأنها تأويك هي أُم. فلما هذه كانت مأوهم ومصيرهم النَّار، قَالَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: (فَأُمُّهُ) أي مأواهُ ومصيرهُ ومرجعهُ إلى النَّار.

﴿فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾، وهاوية اسم مِنْ أسماء النَّار، وأسماء النَّار كثيرة: الحُطمة، والهاوية، والموقدة، ...، أسماء كثيرة.

طيب، قَالَ: ﴿فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾، هَذَا معناه.

فِي معنى آخر ذكرهُ بعض المفسرين، قَالَ: المراد بكلمة (أُمُّهُ) يعني رأسهُ، يعني يهوي على رأسهِ فِي نارِ جهنم، يسقط على رأسهِ فِي نارِ جهنم. فمعنى (أُمُّهُ هَاوِيَةٌ) أي ساقطٌ على أُم الرأس، ﴿فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾.

هَذَا كله تصوير يعني لسوء عاقبة هؤلاء، سواءً كان يأوي إلى النَّار، و(أُمُّهُ) يعني مأواهُ إلى النَّار. أو يأوي إلى النَّار وَهُوَ على رأسهِ، قد كُبَ على رأسه ﴿فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾.

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ﴾ [القارعة: ١٠]، يعني مَا هي؟ وهذه جاءت كلمة الآن: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾ يعني مَا أعلمك؟ ولا تدري مَا هذه النَّار؟ لا تتصورها؟ قَالَ الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌ ۝١١﴾ [القارعة: ١٠، ١١]، شديدة الحرارة ليست كنار الدُّنْيَا، بل فُضلت بسبعين جزء على نار الدُّنْيَا، -نَسأَلُ اللهَ العَافِيَةَ، نسأل الله أن يحمينا وإياكم ويحفظنا ويجعلنا مِنْ أهل الصِنف الأول الذين ثقلت موازينهم وهم فِي عيشةٍ راضية.

الحقيقة سورة قصيرة، ولكنها موجزة، وتُعطي معاني كبيرة، وتصور لك اليوم الآخر بهذه السورة الوجيزة، وَهَذَا يدلُ على عظم هَذَا القُرآن الكريم، مرةً يأتي بالتفصيل الواسع، ومرةً يختصر، ومع ذَلِكَ لا تشعر أنت باختلاف بين هَذَا وَهَذَا؛ لقوةِ بلاغة القُرآن وجزالةِ عبارته.

أسأل الله أن ينفعنا بما قلنا، وبما سمعنا، ويجعلنا وإياكم هُداةً مُهتدين، موفقين لكُلِّ خير، وَاللَّهُ أَعْلَمُ، وصلى الله وَسَلَّمَ عَلَى نبينا مُحَمَّد، وعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الدرس (٥١)

بسم الله، والحمد لله، وأُصلي وأسلم على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آلِهِ وصحبِهِ وَمَنْ اهتدى بِهُداه إلى يومِ الدين، اللَّهمَ علمنا ما ينفعُنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علمًا وعملًا يا رب العالمين.

أيها الإخوةُ الكِرام، السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، حياكم الله فِي هَذَا اللقاء المبارك، فِي هَذَا المجلس، مجلس القُرآن الكريم، نقرأُ آياتٍ مِنْ كتاب الله ونتأملُها ونتدبرها ونتعلم مَا فيها مِنْ دروس وعِبر، وما زلنا فِي سياقِ قصار السور مِنْ الجزء الأخير، وَهَذَا اليوم هُوَ اليوم السابع مِنْ شهرِ محرم مِنْ عام خمسةٍ وأربعين وأربعمائة وألف مِنْ الهجرة.

السورة التي بين أيدينا هي سورة التكاثر، هذه السورة نحفظها جميعاً ونقرأها فِي صلاتِنا السرية والجهرية، ولكن نحتاج، نحتاج إلى أن نقرأها قراء تدبر وتأمل وفهم لمعانيها، وأنتَ تقرأ السورة التي قبلها، سورة الزلزلة، وهي الحديث عَنْ يوم القيامة، وسورة أيضًا العاديات التي قَالَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ۝٩ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ۝١٠﴾ [العاديات: ٩، ١٠]، ثُمَّ تأتي القارعة الصريحة بعرض مَا يجري أو بعرض شيءٍ مِنْ مواقف يوم القيامة، تأتي هذه السورة فِي مكانها، تأتي فِي مكانها المناسب.

وَهَذَا يدل أيها الإخوة الكِرام على أن القُرآن مُنزل مِنْ عِند الله، وأنه كلام رَبِّ الْعَالَمِينَ، ويدل على أن هَذَا الترتيب والتنسيق والتنظيم مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ، حتى فِي آيات القُرآن فِي ترتيبها وتوالي هذه الآيات بعضها فوقَ بعض، وكذلك السور على ترتيبها بهذا التنسيق والترتيب، يدلُ على أنه وحيٌ مُنزل مِنْ عِنْدَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ولم يكن مِنْ أحدٍ مِنْ البشر.

هذه السورة تأتي فِي مكانها المناسب، النَّاس فِي غفلة، فِي حياتهم فِي غفلة عظيمة، فِي غفلة عما خُلقوا لأجله، وغفلة عَنْ هَذَا اليوم الَّذِي سيقفونَ فيه أمام الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وتُبلى السرائر، وتنكشف الأمور، كُلُّ هَذَا الإنسان فِي غفلة، ولذلك الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عالجَ هذه الغفلة بهذه السورة.

مَنْ كان فِي قلبِهِ أو فِي حالِهِ شيءٌ مِنْ الغفلة والإعراض وعدم التذكر هَذَا اليوم الَّذِي سيقف فيهِ يعني ليس معهُ شيء مِنْ الدُّنْيَا، يتذكر هذه السورة، هذه السورة تُعالج كُل مَنْ فِي قلبِهِ إعراضٌ أو غفلةٌ أو سهوٌ عما خُلقَ لأجله، اقرأ هذه السورة، تأمل آياتِها ستجد أنها العلاج الحقيقي لكُل مَنْ وقعَ فِي الانشغال بهذه الدُّنْيَا، والركض وراء حُطام هذه الدُّنْيَا، ثُمَّ فِي الأخير لا يخرج بشيءٍ مِنْ هَذَا الحُطام، وسيأخذهُ غيرهُ بكل ارتياح، وَهُوَ الَّذِي سيُحاسب عَلَيْهِ، وسيوقف ويُسأل عَنْ كُلِّ مَا جمعه، تجمع لغيرك.

هذه تُعالج هَذَا الأمر وَهَذَا المرض الَّذِي قد أُصيبَ به بعضُ النَّاس أو كثيرٌ مِنْ النَّاس.

يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ [التكاثر: ١]، ألهتكم الدُّنْيَا؟ انشغلتم عما خُلقتم لأجله؟ هَذَا أسلوب إنكار وتعنيف، ولوم شديد، كيف أشغلتكم الدُّنْيَا؟!

ولاحظ أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يقول: ألهاكم وأشغلكم التكاثُر. مَا هُوَ التكاثُر؟ وفي أي شيء؟ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مَا حدد، ولذلكَ المفسرون وقفوا عِنْدَ هذه الكلمة فذكروا أن التكاثر لا حدَ لَهُ، التكاثر فِي المال، التكاثر فِي الولد، الأولاد، التكاثر فِي المناصب والجاه، التكاثرُ فِي الأنساب ونحنُ أبناء كذا، ونحنُ كذا ونحنُ كذا، والتكاثر فِي كل وجوه التكاثر، بلا حد، يتكاثرونَ بكل شيء، حتى مَا يقع الآن فِي بعض المنتديات والمُتابعين لهم، بعض تجد يتكاثر فِي المتابعين، ويتكاثر فِي نفسه، ويتكاثر فِي....، حتى إذا جلسَ فِي المجالس يقول: أنا عِندي كذا، وأنا عِندي كذا وأنا عِندي كذا، هَذَا التكاثر مَا الفائدة مِنْ ذِكره؟ وماذا يُغنيك لما تقول: أنا عِندي كذا وكذا وكذا، وتتباهى أمام النَّاس، وتفتخر أمامَ النَّاس بأن عِندك كذا كذا.

الواجب أن إذا مَنَّ الله عليك، وأنعمَ الله عليك بمثل هَذَا الأمر أن تشكر الله تَعَالَىَ، وأن تسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن يجعل هَذَا لكَ عوناً على طاعته، لا أن تتكاثر وتتباهى أمام النَّاس وتفتخر،

ولذلك الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يلوم ويُنكر على مَنْ انشغلَ بهذه الدُّنْيَا، وألهتهُ التكاثر حتى إلى متى؟ إلى متى وأنتَ تتكاثر وتركض وراء هذه الدُّنْيَا؟

وَهَذَا واقع حقيقةً أيها الإخوة، واقع حقيقةً فِي التكاثر وراء المال والعقارات والأراضي والدنيا بشتى أنواعها، تجدهُ يركض ورائها، يركض، إلى متى تركض؟ إلى أن قَالَ الله عَزَّ وَجَلَّ، تكاثرون، تكاثرون، ﴿حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ [التكاثر: ٢].

حتى انتهيتم مِنْ هذه الدُّنْيَا وانتقلتم إلى دار الآخرة، إلى دارٍ الأُخرى، هذه الدار الأُخرى ليست دار مقر، وإنما هي برزخ بين الدُّنْيَا والآخرة، ولذلك مِنْ عجائب هذه اللفظة ﴿حَتَّى زُرْتُمُ﴾ يُقال أن أعرابياً مِنْ الأعراب القُح الذين يعرفون لغة العرب حقيقةً والذين عاشوا وتمكنوا مِنْ لغة العرب، لما سمعَ قارئاً يقرأ: ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ۝٢﴾ [التكاثر: ١، ٢]، قَالَ: ليس الزائر بمقيم. يعني مَا يُقال إن القبر هُوَ النهاية، ولا يُقال مثواهُ الأخير، وإنما هي مرحلة، ولذلك قَالَ: ليس الزائر بالمقيم، أنتَ تزور، لما تزور فلان لا تُقيم عِنده إلى الأبد، ولذلك الله مَا قَالَ: حتى ذهبتم إلى المقابر، أو حتى انتقلتم إلى المقابر، حتى لو قِيل كدا لفُهمَ أن المقبرة هي النهاية، وليس هناك بعث، وَهَذَا الَّذِي يعتقدهُ مَنْ؟ يعتقدهُ الكُفار الذين لا يؤمنون باليوم الآخر ولا بالجنةِ ولا بِالنَّارِ.

ولذلك العبارة هنا والكلمة فيها يعني احتراز شديد مِنْ أن يُفهم أن القبر هُوَ النهاية، لا، ولذلك قَالَ: ﴿حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ [التكاثر: ٢].

ثُمَّ بدأ يلومهم اللوم الشديد فَقَالَ: ﴿كَلَّا﴾ [التكاثر: ٣].

ولاحظ على قصر هذه السورة تتكرر ﴿كَلَّا﴾ فيها ثلاث مرات، يكفي واحدة. قَالَ: لا، حتى يرتدع هَذَا، ولأن كلمة ﴿كَلَّا﴾ كلمة ردع وزجر، يزجرك الله ويردعك بهذه الكلمة ﴿كَلَّا﴾، وَهَذَا يدل على أن الإنسان لا تُلهيه الدُّنْيَا، الدُّنْيَا عَنْ الآخرة.

﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [التكاثر: ٣]، وكلمة ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ أيضًا وعيد شديد، لما تقول لفلان: سوفَ تعلم ماذا سأصنعُ بِك. سوفَ تعلم. فهذا أسلوب أيضاً تهديد وتخويف، فيقول الله ﴿كَلَّا﴾ ثُمَّ يقول: ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾، وخُذ زيادة: ﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [التكاثر: ٤]، ولذلك هل هَذَا تكرار؟ أو لا نقول بالتكرار؟ لا نقول أن الآية مُكررة؟ هل هي مُكررة؟

نقول: الأصل عدم التكرير. وكما قَالَ أهل العلم: التأسيس أولى مِنْ التأكيد، فهي ليست للتأكيد وإنما للتأسيس، يعني: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ الأولى غير الثانية، هَذَا هُوَ الأولى.

طيب، مَا هي الأولى؟ ماذا تفهم منها؟ ماذا تفهم مِنْ الثانية؟

نقول: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾، نعلم ماذا؟ قَالَ: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ عِنْدَ الموت وعند قبض الروح، وَهَذَا تفسير ابن عباس رَضِيَ اَللَّهُ عَنْه، قَالَ: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ يعني تعلم علماً حقيقياً متى؟ عَنْ أي شيءٍ تعلم؟ تعلم أن التكاثر والانشغال بِهِ مذمة، وأن اللهَ لا يرضى به، متى تعلم؟ أنتَ الآن فِي الدُّنْيَا لو قلنا لك مَا تلتفت لهذا الأمر، نقول لك: لا تشغلك الدُّنْيَا، مَا تلتفت.

لَكِنّ متى تعلم؟ إذا نزلَ بكَ الموت، إذا بلغت الروح الحلقوم، قَالَ الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ فِي هذه الحالة، فِي هَذَا الوقت ستعلم حقيقة الدُّنْيَا وأنها دار ممر وسريعة الزال وأنكَ ذاهب وما تعلمها، ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾.

ثُمَّ الثانية، قَالَ: ﴿ثُمَّ﴾ شوف جاءَ بـ﴿ثُمَّ﴾ وهي تُفيد التراخي، قَالَ: ﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [التكاثر: ٤].

قَالَ ابن عباس: الأولى عِنْدَ الموت، عِنْدَ مُعاينة ملك الموت، والثانية: إذا وضعَ فِي قبره.

إذا وضعَ فِي قبره تذكر، تذكر ماذا يصنع فِي الدُّنْيَا، وكيفَ ضيعَ دُنياه. هنا، ولذلك ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ عِنْدَ قبض الروح، ﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ إذا وضعتم فِي القبر، ولذلك قَالَ: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾ [التكاثر: ٥]، شوف ثلاث مرات﴿كَلَّا﴾، ﴿كَلَّا﴾، ﴿كَلَّا﴾. و(تَعْلَمُونَ) نفس الشيء ثلاث مرات: الأولى والثانية والثالثة. الثالثة متى؟ قَالَ: إذا بُعثَ مِنْ قبره وخرجَ إلى الدار الآخرة ونظرَ إلى النَّار أمامهُ، ﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى﴾ [النازعات: ٣٦] فِي هذه الساعة سيعلم أيضًا أشد مِنْ الأولى والثانية، ولا ينفعهُ، كُل هَذَا العلم مَا يستفيد منه؛ لأنه خلاص خرجَ مِنْ الدُّنْيَا.

قَالَ: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾ هذه يقول أهل العلم: جُملة شرطية، تحتاج إلى جواب الشرط، أين جواب الشرط؟ لما أقول لك: كلا لو تعلم علم اليقين. طيب، تقول: بعدين ماذا؟ أين الجواب، أنا علمت علم اليقين، وبعدين؟

﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾ لما أشغلتكم الدُّنْيَا والتكاثر فيها، هَذَا هُوَ الجواب، الجواب محذوف، لماذا حُذف؟ للعلم به، ولأنه تقدم.

حتى مِنْ الخطأ فِي فهم بعض النَّاس أنه يقول: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ۝٦﴾ [التكاثر: ٥، ٦] هَذَا غلط، وقراءة بعض النَّاس فِي الصَّلَاة سواءً إماماً أو مأموماً أو منفرداً، أو فِي غير الصَّلَاة، إذا وصلها، إذا وصلَ هذه الآية فَقَالَ: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ۝٦﴾؛ غيرَ المعنى تغييراً جذرياً، غيرهُ بالكُلية، لماذا؟

لأنك الآن ماذا تقول؟ تقول: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ۝٦﴾، يعني إذا علمت علم اليقين رأيت النَّار، لا، هَذَا غير صحيح. أنتَ سترى النَّار، علمتَ علم اليقين أو لم تعلم علم اليقين، سترى النَّار أمامك.

ولذلك هذه الجملة يجب أن تقف عندها ولا تصلها؛ حتى لا يختلط المعنى.

واضح يا إخوان؟

حقيقة؛ لأني سمعت كثير، حتى مِنْ الأئمة فِي المساجد، ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ۝٦﴾؛ هَذَا غلط، ولذلك الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يقول: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾ لما أشغلتكم الدُّنْيَا.

ثُمَّ تأتي بجملة جديدة وآية جديدة مُستقلة، ليس لها علاقة بما قبلها، تقول: ﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾ [التكاثر: ٦]. كلمة ﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾ هذه يعني، ولذلك شوف: قراءة التدبر، قراءة الفهم، قراءة التفسير غير أي قراءة، ولذلك شوف قَالَ: ﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾ هذه الـ(ل) يسميها أهل العلم (ل) القسم، يعني هناك قسم، يُقسم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، يقول: واللهِ لترونَ الجحيم. هَذَا التقدير.

﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾ يعني: واللهِ لترونَ الجحيم، أُقسمُ باللهِ أنكم سترونَ الجحيم جميعاً. عندك يقين، مَا عندك يقين. عالم، جاهل، سترى النَّار أمامك ﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى﴾ [النازعات: ٣٦].

فلا نخلط بين هَذَا وَهَذَا. لترونَ الجحيم أمامكم.

قَالَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بعدها: ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾ [التكاثر: ٧]، هَذَا يؤكد على أن النَّار لَا بُدَّ أن تُرى أمامه، لَا بُدَّ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا﴾ أي لترونَ النَّار، ﴿عَيْنَ الْيَقِينِ﴾.

شوف قَالَ: ﴿عِلْمَ الْيَقِينِ﴾ [التكاثر: ٥]، و﴿عَيْنَ الْيَقِينِ﴾ [التكاثر: ٧].

➤ **علم اليقين: درجة.**

➤ **وعين اليقين: أشدُ درجة.**

لما يأتيك خبر مِنْ شخص ثقة ويُخبرك بالخبر، تقول: هَذَا علم، وما دام أنه جاء مِنْ شخص أثق فيه، فهذا علم اليقين، يعني علمٌ يقين، يعني متأكد.

لما أنت ترى أمامك هَذَا الخبر مُشاهدة، تُصبح ماذا؟ يصبح عين اليقين. يعني أمامك رأيته: عين اليقين.

فأنتَ الآن تسمع عَنْ النَّار، وتسمع عَنْ الدار الآخرة، وتأتيك أخبارُها، وتقرأها فِي كتاب الله حتى إنكَ تعلم علم اليقين أن هَذَا خبر مِنْ الله؛ فيكون عندك ماذا؟ يكون عندك عِلم اليقين فيما سيجري يوم القيامة.

ثُمَّ إذا رأيت هَذَا بعد البعث، ستكون رأيتهُ عين اليقين. عين اليقين.

قَالَ: ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾ [التكاثر: ٧]. كل هَذَا تشديد فِي أي شيء؟ فِي مشاهدة النَّار. طيب، والجنة أين؟

قَالَ: لا، الحديث عَنْ النَّار لأنه أسلوب تهديد، تخويف، النَّاس فِي غفلة مَا يوقظهم مِنْ هذه الغفلة إلا التخويف والتهديد، مَا تقول أشغلك الدُّنْيَا، ترى الجنة تنتظرك، هَذَا مَا يتناسب، لَكِنّ تردعهُ بمثل هذه العبارات القوية وتأتي بكلمة (المقابر)، مَا تقول: قبر، قبرين، ولا قبور، قَالَ: (مقابر) يعني المقابر ليست جمع قبر، المقابر جمع مقبرة، يعني أمامك مقابر كثيرة، والمقابر تنتظرك أن تُرفع وتُحمل وتوضع فيها، فشوف كيف التهديد والتخويف لما يأتي بكلمة (المقابر)، وتأتي (ألهاكم)، و(كلا، وكلا، وكلا) و(سوف تعلمون) يتناسب أن يخوفكَ الله بِالنَّارِ التي أُعدت لأهلِها.

ولذلك يقول: ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾ [التكاثر: ٧]، وفي النهاية الختام: الدُّنْيَا التي قد يُنعم فيها مَنْ يُنعم، ويلهى فيها مَنْ يلهى، ويُترف فيها مَنْ يُترف، يُذكره بأن هَذَا الترف، وَهَذَا اللهو، وَهَذَا

النعيم، لن يذهب سُدى وأنكَ ستقف وتُسأل عَنْ هَذَا النعيم، تُسأل عَنْ هَذَا النعيم. قَالَ: ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ﴾ والتقدير: واللهِ. كل مَا تأتيك الـ(ل) هنا، هذه لام القسم. (لترونها، أي: واللهِ لترونها)، (ثُمَّ لتسألُنَ، أي: واللهِ لتسألُنَ عَنْ هَذَا النعيم).

السؤال هنا: مَنْ الَّذِي يُسأل عَنْ النعيم، الكافر ولا المؤمن؟

نقول: الجميع.

لَكِنّ سؤال الله للكافر سؤال لوم وعتاب وإنكار ومُحاسبة.

وسؤال الله للمؤمن الَّذِي يأخذ هَذَا النعيم مِنْ المآكلِ والمشاربِ والمراكبِ والمساكن، ويشكر الله عَلَيْهَا، يُسأل بتذكيرِهِ أنه شكرَ الله فيُجازى، فيُجازى.

ولذلك النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذكر أصحابه فِي يوم مِنْ الأيام لما أكلوا مِنْ الخير والنعيم والماء البارد، والشراب الطيب، قَالَ لأصحابِهِ، وكان معهُ عمر وأبو بكر وبعض الصَّحَابَة، قَالَ: «واللهِ لتُسألُنَّ عَنْ هَذَا النعيم».

متى؟

إذا قصر الإنسان فِي شُكر نعمة الله، أو انشغلَ عنه، سيُسأل عَنْ هَذَا النعيم.

نسأل الله أن يجعلنا ممن يُسأل على وجه الشُكر، وعلى وجه الثناء.

هذه السورة الحقيقة مثل مَا ذكرنا، سورة جاءت فِي مكانها، تُذكر النَّاس لما ذكرَ الله أحوال يوم القيامة، بدأ الآن أن يوجههم إلى الحذر مِنْ هَذَا اليوم والاستعداد ليوم المعاد، وأن يكونَ على يقظة، ولا أن يكونَ فِي غفلة، ولا تُشغلهُ الدُّنْيَا، ولا تُلهيهِ هذه التكاثر عما خُلقَ لأجله.

أسأل الله أن ينفعنا بما قلنا، وأن يجعلنا وإياكم هُداةً مُهتدين، موفقينَ لكُلِّ خير، وَاللَّهُ أَعْلَمُ، وصلى الله وَسَلَّمَ عَلَى نبينا مُحَمَّد، وعلى آلِهِ وصحبِهِ أَجْمَعِين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الدرْسِ (٥٢)

بسم الله، والحمد لله، وأُصلي وأسلم على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا مُحَمَّد، وعلى آلِهِ وصحبِهِ وَمَنْ اهتدى بِهُداه إلى يومِ الدين، اللّٰهمَ علمنا ما ينفعُنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علمًا وعملًا يا رب العالمين.

أيها الإخوةُ الكِرام، السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، حياكم الله فِي هَذَا اللقاء المبارك، فِي هَذَا المجلس، مجلس القُرآن الكريم، ومجلس التدبر والتفكر فِي آيات الله جَلَّ وَعَلَا، درسنا فِي هَذَا اليوم يوم الثلاثاء الموافق للرابع عشر مِنْ شهر الله المحرم، مِنْ عام خمسةٍ وأربعين وأربعمائة وألف مِنْ الهجرة.

درسنا مع سورة مِنْ قصار السور، هي ثلاث آيات، ولكنَ معانيها عظيمة جداً، ووقفَ السلف منها وقفةً عجيبة، مِنْ الصَّحَابَة وَمِنْ التابعين وَمِنْ علماء الْإِسْلَام.

هذه السورة جاء فِي بعض الأَحَادِيْث أن الصَّحَابَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كانوا إذا قابلَ أحدهم الآخر وسلمَ عَلَيْهِ، قرأ عَلَيْهِ هذه السورة العظيمة.

وجاء عَنْ الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللهُ أنه قَالَ: لو مَا أنزلَ الله على عبادِهِ، حُجةً على عبادِهِ إلا هذه السورة لكفتهم.

يعني لو مَا أنزلَ الله القُرآن كُله، إلا هذه السورة، الثلاث آيات، لكفت العباد جميعاً.

وجاء أيضًا عنه أنه قَالَ: لو تدبرَ النَّاس هذه السورة لكفتهم.

يعني لو تدبرنا هذه السورة تدبراً عظيماً، لتكفينا هذه السورة فِي أن نتدبر القُرآن كُله، لماذا؟ مَا السبب فِي ذَلِكَ؟ هذه السورة حوت كُل مَا يحتاج إليه الإنسان فِي الدُّنْيَا والآخرة، هذه السورة كشفت لنا مَا يعملهُ النَّاس فِي الدُّنْيَا، لو رجعنا قليلاً إلى السور التي قبلها، مثل مَا مرَ معنا فِي لقاءات ماضية،

سورة (**الزلزلة**) التي تتحدث عَنْ يوم القيامة: النفخة الأولى، والنفخة الثانية، وحشر النَّاس، ثُمَّ مصيرهم وجزاءهم.

ثُمَّ تأتي (**العاديات**) لتؤكد هَذَا الأمر بالقسم، بالأيمان، ونتيجة ذَلِكَ: يُحصل مَا فِي الصدور.

ثُمَّ تأتي (**القارعة**) التي تزن أعمال النَّاس، ثقلت موازين وخفت.

ثُمَّ يُذكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى على وجه التحذير والتخويف بالدنيا والانشغال بها، والتكاثر، **التكاثر** بهذه الدُّنْيَا والطمع ومُلاحقة حُطام الدُّنْيَا حتى مَا يدري إلا وقد خرجَ مِنْ هذه الدُّنْيَا.

تأتي هذه السورة التي بعدها كأنها نتيجة، نتيجة الاختبار كله والابتلاء فِي هذه الدُّنْيَا، مَنْ هُوَ خاسر، مَنْ هُوَ الرابح، **هذه السورة هي سورة (العصر).**

أقسمَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قسماً عظيماً، والله عَزَّ وَجَلَّ لا يُقسم إلا بشيءٍ عظيم، فأقسمَ بالعصر، قَالَ: ﴿وَالْعَصْرِ﴾ [العصر: ١].

مَا هُوَ العصر؟

إما يحتمل أن يكون العصر هُوَ الزمان الَّذِي يعيشهُ الإنسان منذ خلقَ الله هذه الدُّنْيَا إلى أن تنتهي؛ يُسمى عصر، يُسمى الدهر، يُسمى الحياة، كلها، الوقت، الزمان؛ هَذَا هُوَ.

أو يحتمل أن يُراد به: العصر الَّذِي هُوَ وقت العصر، وقت العَشي، وقت صلاة العصر، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أقسمَ بالأوقات، بالأزمنة، فَقَالَ: والليل. وَقَالَ: والنهار. وَقَالَ: والفجرِ. وَقَالَ: والضحى. وَهَذَا أيضًا: والعصر.

ثُمَّ إن هناكَ يعني لَمَنْ يتدبر، يتفكر فِي الآيات هناك رابط بين خسارة الإنسان ونتيجته والعصر. العصر هُوَ نهاية النهار، وأهل التجارات يبدؤون ينظرون فِي حساباتِهم فِي آخر النهار ماذا حصلوا؟ وماذا كسبوا؟ وماذا خسروا؟ وهذه أيضًا فِي العصر إذا جاءَ وقت العصر، كذلك هذه الدُّنْيَا إذا مرت، أو أزفَ الرحيل؛ بدأ الإنسان يُحسب كم مضى مِنْ عُمري، وكم ذهب، وما الَّذِي بقي؟

ثُمَّ القسم بالعصر، سواءً قلنا العصر هُوَ الزمان، أو هذا الوقت المُحدد الَّذِي هُوَ مِنْ أشرف الأزمنة الَّذِي فيه أشرف الصلوات التي قَالَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ

الْوُسْطَى﴾ [البقرة: ٢٣٨] صلاة العصر، وَقَالَ عنها النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ فاتتهُ صلاة العصر فقد حبطَ عمله، -أو- فكأنما وُترَ أهلهُ وماله».

هَذَا الوقت العظيم، أو هَذَا الزمان. هذا الزمان مَا هُوَ؟ حياتك، هَذَا الزمان حياتك، ليلك ونهارك، هَذَا الزمان هُوَ أيامك، ماذا تصنع بهذه الأيام؟

الأيام خزائن، الأيام مثل المستودعات تملأها بالخزائن، تملأها بما أنتَ تحتاج إليه، بما تدخرهُ مما فيهِ مصلحتك ومنفعتك. أما أن يذهب اليوم وتذهب الأيام، ويذهب الشهر، وتذهب السنة وهذه الخزائن فارغة ليسَ فيها شيء، إن لم يكن فيها شيءٌ فقد يكون وزراً على هَذَا الإنسان؛ فهذه مُصيبة، وهذه خسارة.

ولذلك تلاحظ لما قَالَ: ﴿وَالْعَصْرِ﴾ [العصر: ١]، قَالَ: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ [العصر: ٢]، يعني النَّاس خاسرون ومضيعون أوقاتهم، ومُهدرونَ أزمنتهم، ولا يدرون ماذا يصنعون، حتى إنك تسمع بعضهم يقول: ماذا نصنع فِي هَذَا الوقت؟ الوقت طويل، كيفَ نُقطعه؟ الوقت طويل عندك، أما عِنْدَ أهل الذين يعرفونَ ثمن الوقت، ويعرفون قيمة الوقت، ليسَ بالطويل، ليسَ بالطويل، بل يحتاج أن يأخذ وقتكَ ووقت غيرك؛ مِنْ ضيق الوقت عِنده.

﴿وَالْعَصْرِ﴾ [العصر: ١]، لما يُقسم الله بالزمان والوقت، وَهَذَا الزمان والوقت وأهميته وَهُوَ محل الأعمال التي يعمل بها الإنسان، يُعطيك النتيجة، ويحكم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بحكمهِ العدل، فيقول: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ [العصر: ٢]؛ يعني جنس الإنسان: الكافر والمؤمن، كلهم، كُل بني آدم فِي خسارة، فِي خسارة عظيمة.

لما يقول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَفِي خُسْرٍ﴾ ويحكم عَلَيْهِ بالخسارة، قد خسرَ دُنياه، وخسرَ آخرته، لم يُفلح لا بالدنيا ولا بالآخرة، خسرَ هَذَا وَهَذَا.

ولاحظ أن الجملة كما يتدبرها أهل اللغة وأهل البلاغة، يقولون: هذه جملة اسمية، ومفتتحة بـ (إن) التي تُفيد التأكيد، (إن)، ثُمَّ يأتي بـ(الإنسان) ويُدخل عَلَيْهِ (ال) التي تُفيد جنس الإنسان عموماً؛ ذكراً كان أو أنثى، صغيراً كان أو كبيراً، مؤمناً كان أو كافراً. (إن الإنسان).

ثُمَّ يأتي كلمة (لفي خُسر) ودخول الـ (ل) المؤكدة، (لفي خُسر).

وناظر أيضًا وتأمل حتى تتدبر كثيراً، يقول: (لفي خُسر) يأتي بال (الفاء)، الـ(ف) هذه تُفيد الظرف، يعني: انغمسَ فِي الخسارة ولن يستطيعَ أن يخرج منها، ولا يُمكن أن يخرج منها، والله قد حكمَ عَلَيْهِ بالخسارة، بالخسارة.

إذا سمعتَ مثل هَذَا الكلام الَّذِي ترتعد منه القلوب، والذي يخشى كُل إنسان أن يكونَ مِنْ هؤلاء، ولا يدري عَنْ نفسه، إذا مَا سمعت مثل ترتجف لَهُ القلوب، يجب عليك أن تقف عندها.

اقرأ مَا بقيَ مِنْ السورة. قَالَ: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [العصر: ٣]، استثنى. دائماً الاستثناء لا يكونُ إلا فِي القليل، لما تقول مثلًا: أنفقتُ دراهمي أو أنفقت راتبي، إلا كذا وكذا. إلا كذا وكذا هُوَ القليل.

فلما يقول: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ هُم قِلة. إذاً يعني سائر النَّاس فِي خسارة، فِي دُنياهم وآخرتهم. والخسارة هنا لو كانت فِي الدُّنْيَا أمرها هين، تعوضها، يخسر الإنسان يوم ويكسب يوم، الدُّنْيَا فيها تعويض، تخسر مرة فِي تجارة، فِي أسهم، فِي كذا فِي كذا، ثُمَّ بعد ذَلِكَ تعوضها.

لَكِنّ الخسارة فِي الآخرة مَا بها تعويض، ﴿إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [الزمر: ١٥]، خسارة ليس بعدها ربح، مَا فِي ربح، خلاص، النتيجة واحدة.

فالله استثنى فضلاً منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ورحمة لهؤلاء الذين استثناهم الله وأعطاهم الصفات الأربع.

وإذا قرأت هذه الصفات الأربع انظر فِي نفسك، هل أنت منهم؟ مِنْ هؤلاءِ الموصوفين بهذه الصفات الأربع؟ أو أنكَ مُقصر فِي شيءٍ منها، أو مُتصف ببعضٍ منها وبعضها غير مُتصف؟

وهل،، يعني اسأل نفسك: هل أنت إذا كُنت متصف ببعضها وبعضها لم تتصف به، أو مُقصر به، هل تدخل فِي زمرة المستثنيين مِنْ هؤلاء؟ ولا ستبقى مع الخاسرين؟

السورة عظيمة، ولذلك الإمام الشافعي، قَالَ: لو تدبر النَّاس هذه السورة كفتهم، لو مَا أنزل الله حُجة على عبادهِ إلا هذه السورة، لكفتهم أنها حُجة.

هذه الصفات الأربع:

- صفتان تخصك أنت فِي حالك مع ربك.
- وصفتان تخصك أنت مع غيرك، مع النَّاس.

➤هذب نفسك، وأبدأ بنفسك، ثُمَّ انتقل في علاقتك مع الآخرين.

الأولى: حقق الإيمان الَّذِي أمرك الله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ۝٣ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ [الأنفال: ٢ - ٤].

هل أنت معهم؟ هل أنت ضمن هؤلاء؟ هل حققتَ الإيمان؟ الإيمان إيمانٌ بستة أركان، هل حققتها؟ لو يأتيك الركن الأخير: الإيمان بالقضاء والقدر. تجد بعض النَّاس لمجرد مصيبة تنزل به أو بلاء يتزعزع. ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ [العنكبوت: ٢]، فتجدهم يُصيبهم مَا يُصيبهم. هل حققتَ الإيمان بأركانهِ السِت؟

إذا حققت الإيمان حقيقةً التصديق بكل مَا جاء عَنْ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَنْ رسوله، هَذَا إيمان يلزم منك العمل، ولذلك قَالَ: ﴿آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [العصر: ٣].

أما أن يقول: أنا مؤمن، وَهُوَ لا يُصلي!

يقول: أنا مؤمن وَهُوَ يؤذي جيرانه!

يقول أنا مؤمن وَهُوَ لا يبر والديه ولا يُحسن إليهم ولو بعد مماتِهم، ينساهم!

يقول أنا مؤمن ويتخلق بالأخلاق السيئة!

يقول أنا مؤمن ويكذب!

مَا حققتَ الإيمان، لو حققتَ الإيمان لحققتَ مَا يلزم الإيمان، الإيمان لَهُ لوازم، الإيمان ألا تكذب، ألا تغش، ألا تسب، ألا تشتم، هَذَا الإيمان، تعاملك مع النَّاس، أخلاقك إيمان.

﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [العصر: ٣] حققوا الأعمال الصالحة التي فرضها الله عليك، والتي شرعها لك على وجه الاستحباب، والتي ندبَ إليها مِنْ أعمال صالحة بينك وبين الله، أو بينك وبين النَّاس، والتعامل مع الآخرين، التعامل مع الخلَق، هل حققنا هَذَا حقيقةً حتى ندخل في زُمرة هؤلاء؟

﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [العصر: ٣] ولم يقل عملوا الأعمال، لا، (عملوا الصالحات) يعني لَا بُدَّ أن تعمل عملاً صالحاً، أما الأعمال السيئة، أو الأعمال التي لم يشرعها الله مِنْ البِدع، ليست داخلة فِي الأعمال الصالحة.

﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [العصر: ٣]؛ هَذَا بينك وبين الله، علاقتك مع ربك، صلاتك، وزكاتك، وصيامك، وحجك، وسائر الأعمال التي تعملها، وبِرك لوالديك، وغيرها، هَذَا بينك وبين الله.

أما الَّذِي بينكَ وبين النَّاس هل حققته؟

قَالَ الله فيها فِي الصفة الثالثة والرابعة: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ﴾ [العصر: ٣]، الحَقّ مَا هُوَ؟ الحَقّ يُقابلهُ الباطل، التواصي بالحَقّ، التواصي بما أحقهُ الله، بما شرعهُ الله، بما أمرَ اللهُ به، التواصي: أن يوصي بعضنا بعضا. شوف كلمة التواصي! لم يقل: يوصي، وإنما قَالَ: يتواصون.

التواصي بين طرفين، ولذلك فهمها الصَّحَابَة: إذا قابل أحدهما الآخر وسلم عَلَيْهِ قرأ عَلَيْهِ سورة العصر؛ لأنها بيني وبينك. التواصي: التعاهد، والموافقة، والتذكير، والنُصح، هَذَا هُوَ التواصي، ينصح بعضهم بعضاً، ويُذكر بعضهم بعضاً.

﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ﴾ [العصر: ٣]، أي بشرع الله، التمسك به، الصَّلَاة، الإعانة على الخير، الإعانة على كُل مَا يحتاج المسلم لَهُ فِي دينه، يوصي بعضهم بعضا، لا يوصيه بأمور الدُّنْيَا، يوصيه بكذا وكذا، تجد بعضهم، حتى بالرسائل، رسائل الجوال فيها وصايا، فيها وصايا على الخير، فيها تذكير، التذكير بالصيام، التذكير بقيام الليل، التذكير بالأعمال الصالحة، قراءة القُرآن.

لَكِنّ لا توصيه بأمور لا تنفعه، قد تضره، تجد بعضهم جاءت لَهُ رسالة فِي أشياء مِنْ أمور الدُّنْيَا قد تضره، يحرص عَلَيْهَا أشد الحرص، وأمور الدين، يقول لك: لا، هُوَ يعرف الصَّلَاة ويعرف الصيام، ولا يُذكره، قد تُذكره تكسب أجراً.

التواصي بالحق، وهذا الحق هُوَ الدين كُله، هُوَ الدين كُلُّهُ الَّذِي شرعهُ الله، كُل مَا يتعلق بالدين داخل فِي هذه الكلمة، يوصي بعضُنا بعضاً.

الأمر الثاني: أن هَذَا الدين، وهذه الوصية تحتاج مِنا إلى صبر، ولذلك قَالَ: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: ٣]، أي يوصي بعضنا بعض أن نصبر، أن نتمسك، «القابض علىٰ دينه كالقابض علىٰ الجمر»، أن يُعين بعضنا بعضاً، تصبر عِنْدَ المصائب، تصبر على الطاعات، على قيام الليل، تجد الفراش أمامك، والنوم جميل وحسن، ومرتاح، وتترك هَذَا كله وتقوم وتُصلي، تقوم وتُصلي.

ولذلك بعض السلف لما يأتي إلى فراشه ويضع يدهُ عَلَيْهِ، فيقول: مَا أنعمك مِنْ فراش، وما أبردك، بارد وناعم، ولكن مَا عِنْدَ الله هُوَ القبر أهم عليّ مِنْ هَذَا. ثُمَّ يقوم ويُصلي، ويترك فراشه.

فهل يوصي بعضنا بعض بمثل هذه الأشياء؟ هذه الدُرر، وَهَذَا التذكير؟ يوصي بعضنا بعض على الصبر على الطاعات وقيام الليل؟ قراءة القُرآن؟ الصَّلَاة؟ التبكير للمسجد؟

يوصي بعضنا بعض على ترك المعاصي بأي وجهة، بأي نوع يتركها؟

يوصي بعضنا بعض على الصبر على ترك المعاصي. الصبر على الأقدار، الصبر على المصائب، إذا أُصيب بمصيبة تُذكره بالصبر، ذكره بثمرة الصبر، الله عَزَّ وَجَلَّ يقول: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠]، يقول الأوزاعي: لا يُكال لهم، ولا يوزن، وإنما يُفرغُ لهم إفراغاً، يعني يُعطى بغير تقدير.

فتُذكر مَنْ عندهُ مُصيبة، مَنْ أصابتهُ مصيبة مثل هَذَا الشيء.

في ختام هَذَا الكلام، هل حققنا هذه الأشياء:

- الإيمان بينك وبين الله.
- والأعمال الصالحة.
- التواصي مع جيرانك، مع أقاربك، مع أصدقائك على الخير، على التحذير مِنْ الذنوب والمعاصي.
- التواصي على الصبر على الطاعات، وعن المعاصي.

هل حققنا هَذَا؟!

إذا أنت حققت هَذَا الشيء، -والله المستعان-، الكثير مُقصر فِي هَذَا الشيء، ونحنُ مُقصرون فِي هَذَا الأمر، ولكن نسأل الله أن يعفو عنا، وأن يتجاوز عنا، وأن يتغمدنا بواسع رحمته، وإلا فِي الحقيقة التقصير وارد.

هذه الأشياء الأربعة عظيمة جداً، يقل مَنْ يُحققها تحقيقاً دقيقاً، ولكن المُسلم يجتهد، يجتهد ويسأل الله الإعانة، ويسأل الله العفو والعافية، ويسأل الله المغفرة، ويبذل جُهده حتى يدخل فِي زُمرة هؤلاء، وإلا خاسر، خاسرين.

نسأل الله ألا يجعلنا منهم، نسأل الله أن يستثنينا منهم، وأن يجعلنا مِنْ هؤلاء المستثنيين، نسأل الله أن يتغمدنا بواسع رحمته.

نقف عِنْدَ هذا القدر ونكتفي به، نسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن ينفعنا، وأن يجعلنا وإياكم ممن قرأَ هذه السورة وتدبرها حقَ التدبر، وَاللَّهُ أَعْلَمُ، وصلى الله وَسَلَّمَ عَلَى نبينا مُحَمَّد، وعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الدرس (٥٣)

بسم الله، والحمد لله، وأُصلي وأسلم على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا مُحَمَّد، وعلى آلِهِ وصحبِهِ وَمَنْ اهتدى بِهُداه إلى يومِ الدين، اللَّهمَ علمنا ما ينفعُنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علمًا وعملًا يا رب العالمين.

أيها الإخوةُ الكِرام، السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، حياكم الله فِي هَذَا المجلس المبارك، ومع القُرآن الكريم، وهذا اليوم هو يوم الثلاثاء الموافق للحادي والعشرين مِنْ شهر الله المحرم، مِنْ عام خمسةٍ وأربعين وأربعمائة وألف مِنْ الهجرة.

مجلسنا المبارك مع تفسير القُرآن العظيم، وتعلم القُرآن وتدبره، وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «خيركم» وَفِي رواية: «أفضلكم، مَنْ تعلمَ القُرآن وعلمه».

فخيرُ النَّاس المُقبل على كتاب الله قراءةً وتدبراً، تفسيراً، تعلماً، وتعليماً.

نجلس هذا المجلس مع قِصار السور، وبين أيدينا سورة قصيرة مِنْ سور القُرآن الكريم، الكُل يحفظها، ولكن نحتاج إلى أن نجلس ونتدبر آياتِها، هذه السورة العجيب أنها افتتحت بلفظ مُشابه لسورة أُخرى، **وكلاهما يتعلقانِ بأمرينِ مهمين فِي حياة المسلم:**

الأمر الأول: التحذير والتخويف مِنْ التعرض لأموال النَّاس، أكل أموال النَّاس بالباطل، أخذ أموال النَّاس بغيرِ حق، فيه وعيد شديد، والتعرض لأعراض النَّاس، الكلام فِي أعراض النَّاس، الحديث فِي أعراض النَّاس: «إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرامٌ عليكم».

السورة التي تتحدث عن الأموال افتتحها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بقولهِ: ﴿وَيْلٌ﴾، ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ ۝١ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢﴾ [المطففين: ١، ٢].

والسورة الثانية: ﴿وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ﴾ [الهمزة: ١]، الحديث فِي أعراض النَّاس.

كلاهما مِنْ كبائر الذنوب، وكلاهما مِنْ الأمور المحرمة التي حرمها الله وجعلها مِنْ التعدي على حقوق المسلم.

هذه السورة التي بين أيدينا وهي الحديث عن أو التحذير مِنْ الدخول أو الكلام فِي أعراض النَّاس، تجد أن هذه السورة وأنتَ تقرأها، أن هذا الذي ينتهك أعراض النَّاس ويتكلم فِي،، تجدهُ جمعَ بين هذا الخُلق السيء، وبين جمع المال بهذه الصورة السيئة، فجمعَ بين (ويل، -و- ويل) ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ﴾، ﴿وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ﴾.

والسورة جمعت بين هذا الذي انتهكَ أعراض النَّاس وتعرضَ لهم وحبهُ وحياتهُ كلها فِي جمع المال، وإساءة التصرف فِي هذا المال، لا يدري كيف يتصرف بهذا المال.

نأخذ السورة آيةً آية، وكلمةً كلمةً، وجُملةً جُملة حتى نقف ونتدبر هذه السورة العظيمة التي افتتها الله بهذه الكلمة العظيمة وهي كلمة (ويل) التي تعني العذاب.

وأيضاً اختتمها بمصير هذا إلى هذا العذاب الشديد الذي يصفهُ الله بهذا الوصف الذي تقشعر منه الجلود، مع أن السورة قصيرة، آياتُها قليلة، ومع ذلك ركزت على سوء عاقبة مَنْ يفعل هذا الشيء، وكأن الأمر أمر عظيم شديد ليس بالسهل، لما الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يعني يُهدد مَنْ يتخلق بهذا الخُلق، يُهددهُ فِي أول السورة، ويُهددهُ فِي آخر السورة بتهديد عظيم شديد، إذًا الأمر ليسَ بالهين، الأمر عظيم جداً، ولذلك افتتحها الله بقولهِ: ﴿وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ﴾ [الهمزة: ١].

كلمة (وَيْل) هذه قال بعض أهل التفسير أنها كلمة عذاب. وقال بعضهم: إنها وادي فِي نار جهنم لو أُلقيت فيه جبال الدنيا كلها لذابت مِنْ شدة حرارته. إذًا الأمر صعب جداً، الأمر خطير، يعني هذه ليست معصية فقط، هذه كبيرة مِنْ كبائر الذنوب، والعجيب، العجيب أنها تجدها مُنتشرة وشائعة فِي بيوت كثير مِنْ المسلمين، وَفِي مجالس كثير مِنْ المسلمين.

﴿وَيْلٌ لِكُلِّ﴾ ولم يقل لفلان أو فلان، أدخلهم جميعاً.

﴿لِكُلِّ هُمَزَةٍ﴾، كُل مَنْ كان موصوفاً بهذا الوصف؛ فإنه موعودٌ بهذا الوعيد الشديد.

﴿وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ﴾، (هُمَزَة) هذا الوزن كَمَا قال أهل اللغة: على وزن (فُعلة) يدل على أن هذه الصفة صفة مُتمسك بها، صفة لازمة له، مُحباً لها.

﴿وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ﴾. ما معنى الهُمزة؟ وما معنى اللُمزة؟

الهُمزة مِنْ الهمز، همز النَّاس.

واللُمزة مِنْ لمز النَّاس.

طيب، ما الفرق بينهما؟ هل هما بمعنى واحد؟

بعضهم ذهبَ إلى أن المعنى واحد، وبعضهم فَرق فقال: الهُمزة مِنْ الهَمز، وهو تعيير النَّاس والاستهزاء بهم، واحتقار النَّاس والتكبر عليهم بأي وجه مِنْ الوجوه، بجوارحه، إما بشفتيه، إما بعينيه، إما برأسهِ، إما بيديه، هذا كُل ما يتعلق بالجوارح يُسمى هذا الرجل هماز، فقال له: هماز يهمز النَّاس، مِنْ الهمز، الهمز باليد، الهمز بالرأس، الهمز بالشفتين، ونحو ذلك.

وهو يأتي على وجه الاحتقار، احتقار النَّاس والتكبر عليهم، الاستهزاء بهم، ذِكرهم بما لا يُريدونَ ذِكره، ولا يرضونَ به، هذا كله داخل فِي الهماز.

أما اللُمزة واللماز، فقال أكثرهم على أن اللمز يكونُ باللسان، قال تَعَالَى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ﴾ [التوبة: ٥٨] يعني بلسانه، فيقول هذا فيه كذا، وهذا فيه كذا. فالذي يُعير النَّاس ويحتقرهم ويتطنز بالنَّاسِ ويتكبر عليهم، ويسخر منه بلسانه، نقول هذا لُمزة، وهذا لماز.

﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ [الحجرات: ١١]، لا تلمزوا أنفسكم، أي: لا يلمز بعضكم بعضاً، والله قال: ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ ما قال: لا يلمز بعضكم بعضا؛ لأن المؤمنين كالنفس الواحدة، كأن الذي يلمز أخاه المسلم كأنه لمزَ نفسه.

﴿وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ﴾، ولاحظ أن اللهَ ما تركَ شيئاً مِنْ هذا الخُلق السيء بأي صورة كانت، هُمزة، ولُمزة. بلسانهِ وبجوارحهِ، كُلهُ، حتى لا يأتي شخص ويقول: أنا والله ما تكلمت فِي عرضه، أنا مجرد أشرت إشارة، أنا مجرد حركت رأسي، أنا مجرد فعلت كذا. نقول: كُلٌّ هذا داخل فِي هذا اللفظ، كُل ما يدل على احتقار الآخرين، والسُخرية بهم، والاستهزاء بهم، كُلهُ داخل بهذا، حتى ذكرَ بعضُ أهل العلم أن الاستهزاء بالمؤمنين على وجه العموم داخل فِي هذا الوعيد، أو الاستهزاء بطوائف مِنْ المؤمنين، بمثلاً أحد البُلدان فيقول: فلان كذا، وفلان كذا، مِنْ هذه البلدة، وكذا. داخلٌ فِي هذا الوعيد الشديد.

فالاحتقار سواءً على وجه العموم، أو على وجه الخصوص، بأن تقول: فلان فيهِ كذا وكذا.

والاحتقار أيضًا حتى نفهم الآية يعني على أوسع معانيها، الاحتقار سواءً كان الشخص موجوداً، أو كان غير موجود، فيحتقر أخاه المسلم أو أختهُ المُسلمة، سواءً كانت أمامهُ، أو كان أمامها، أو كان بعيداً أو كان غائباً، كُلُّ ذلك داخلٌ فِي هذا الوعيد، وَفِي هذا اللفظ، وَفِي هذا الوصف السيء.

هذا إذا كان بهذه الصفة، وبهذه الصفة السيئة والخُلق الرديء، بأن يستهزئ وحالهُ، وتلاحظ أن هذا الوزن: (هُمزة، لُمزة) أنها صفة لازمة له، وأن حالهُ دائماً هكذا، فتجدهُ همهُ الدنيا وحُب الدنيا، ولذلك شوف جمعَ الله بينها، قال: ﴿لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ﴾ [الهمزة: ١]، مَنْ هو؟ قال: ﴿الَّذِى جَمَعَ مَالًا﴾ [الهمزة: ٢]، حُبهُ جمع المال، ليسَ همهُ إلا جمع طُحام هذه الدنيا. ﴿الَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ﴾ [الهمزة: ٢]، ما معنى: جمعَ مالاً: أي يجمع المال، يجمع مِنْ أي وجه، سواءً مِنْ وجوه الحلال أو وجوه الحرام، همهُ أن ينظر إلى رصيده ويجمع هذا المال. جمعَ مالاً ولا يعرف حق الله فيه.

﴿الَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ﴾ [الهمزة: ٢]، قِيلَ: عددهُ بمعنى يحسبهُ كُلَّ يوم، يُعدده، ينظر فِي حساباته. وقيلَ: عددهُ، أي: جعلهُ عُدةً له فِي حياته، يعني يجمع المال لمستقبلهِ.

﴿جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ ۝٢ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ۝٣﴾ [الهمزة: ٢، ٣]، يظن هذا الظن هذا السيء، يظنُ هذا أن هذا المال إذا كثرَ عنده، واجتمعَ عِنده، ولم يعرف حق الله فيه مِنْ الصدقة وصلة الرحم، وحقوق النَّاس فيه، والنفقة الواجبة عَلَيْهِ، والزكاة الواجبة عَلَيْهِ، لم يعرف لذلكَ طريقاً.

﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ﴾ يظن أن المال هذا يمد له فِي عُمُره.

قال السِعدي رَحِمَهُ اللهُ فِي تفسيره: ولا يظن أن جمع المال وحُبه هو الذي يقسم العمر. هذا الذي يقسم العمر. الذي يمد فِي العمر هو أن يجعل هذا المال صِلة لأرحامه، وصدقة، صدقة للتواصل للقُربى وإعطاء القُربى حقهم مِنْ هذا المال؛ هو الذي يمد فِي العمر، هو الذي يُبارك فِي عمر هذا الإنسان، «مَنْ أحبَ أن يُبسط له فِي رزقه، ويُنسأ له فِي أجله» يعني يُمد له فِي أجله، «فليصل رحمهُ». وصلة الرحم مِنْ أوسع أبوابها، ومن أهمها صلة الرحم بالصدقة، وإعطاء هؤلاء المحتاجين مِنْ الأقارب، هم أولى، صدقة وصِلة.

﴿الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ ۝٢ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ۝٣﴾ [الهمزة: ٢، ٣] يظن أن هذا المال سيُخلدهُ فِي الدنيا.

قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿كَلَّا﴾ [الهمزة: ٤]، ليس الأمرُ كَمَا يظن، وليس الأمرُ كَمَا يعتقد ويحسب، لا ليس كذلك، بل بالعكس، ﴿كَلَّا﴾.

ثم هددهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، قال: ﴿لَيُنْبَذَنَّ﴾ [الهمزة: ٤]، والـ(ل) هذه مرت معنا كثيراً، وقلنا إن هنا قسم مِنْ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، يُقسم قسماً يقول: واللهِ، واللهِ ليُنبذنَ هذا الموصوف بهذه الأوصاف السيئة الهماز اللماز الذي همهُ الدنيا وجمع المال، واللهِ ليُنبذنَ فِي الحُطمة.

وشوف كلمة (يُنبذنَّ)، ما قال: ليُلقى فِي جهنم، أو سيصير مصيرهُ إلى جهنم، قال: يُنبذ نبذاً. والنبذ فِي لُغة العرب هو الطرح مِنْ غيرِ مُبالاة، إذا نبذتَ الشيء تطرحهُ مِنْ غير أن تلتفت إليه، مِنْ غير مُبالاة.

فقولهُ: ﴿لَيُنْبَذَنَّ﴾ بنون مُشددة، ﴿لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ﴾ [الهمزة: ٤]، الحُطمة ما هي؟ الحُطمة اسمٌ مِنْ أسماء النار، النار ذكرَ الله لها أسماء كثيرة فِي القُرآن، وهذا مِنْ أسمائها، سماها: الهاوية، وسماها بأسماء كثيرة، هذا مِنْ أسمائها.

لماذا سُميت بالحُطمة؟ لأنها يحطم بعضها بعضاً، ولأنها تحطم مَنْ يُلقى فيها، نسألُ الله العافية، فهي حُطمة.

قال: ﴿لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ۝٤ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ﴾ [الهمزة: ٤، ٥]، هل تعلم ما هي الحُطمة؟ هل تعرف ما هي؟ (ما أدراك) نعرف أن الجواب موجود، إذا جاءت كلمة (ما أدراك) الجواب موجود. إذا جاءت (وما يُدريك) الجواب غير موجود.

فهنا لما قال: وما أدراك، عرفنا أن الجواب موجود.

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ﴾ أي ما أعلمُك، وما أخبرُك، وهل تعلم، وهل تدري ما الحُطمة؟

ثم أخبرَ سبحانه، قال: الجواب: هي ﴿نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ﴾ [الهمزة: ٦]، أضافَ الله هذه النار إليه، قال: ﴿نَارُ اللَّهِ﴾ وإذا أضافها دلَ على عظمِها وشدتها، ﴿نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ﴾ ووصفها بأنها تتوقد، تتسعر بأهلها، ﴿نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ﴾.

ثم بَيَّنَ سُبحانه وتعالى عقوبة هؤلاء، هؤلاء وغيرهم مِنْ أهل النار: ﴿الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ﴾ [الهمزة: ٧]. الاطلاع هو الوصول إلى الشيء، الاطلاع أن تطلع على كذا، أن تصل إليه بأي شيء.

قال: ﴿تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ﴾، يعني تصل هذه النار إلى القلوب، وإذا وصلت إلى القلوب لا تصلها إلا بعد إحراق اللحم والعظم، -نسأل الله العافية-، فتصل إلى هذا الأمر بعدما تُحرق هذا الشيء، والله لما قال: ﴿تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ﴾، دلَ على أنها قد أحرقت سائر الجسد بما فيهِ مِنْ اللحوم والعظام حتى وصلت إلى هذا المكان الذي قد اختفى داخلَ هذا الصدر.

قال: ﴿تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ﴾، قال الله عَزَّ وَجَلَّ فِي وصفها، وشوف وصفت بعدة أوصاف: ﴿الْحُطَمَةِ﴾، ثم قال: ﴿نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ۝٦ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ ۝٧﴾، ثم وصفها قال: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ﴾ [الهمزة: ٨]، أي مُغلقة، أوصدَ الباب يعني أغلقه. مؤصدة يعني أبوابها قد أُغلقت على أهلِها.

قال: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ ۝٨ فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ ۝٩﴾ [الهمزة: ٨، ٩] يعني هذه العَمد قد وضعت على الأبواب وشُدت مثل الأوتاد بحيث أَنَّه لا يتمكنونَ مِنْ الخروج، قد أُغلقت عليهم النار وشُدت على هذه الأبواب، هذه العمد بحيث أنهم لا يستطيعون.

شوف كيف وصفَ الله هذه النار بهذه الأوصاف، وهددَ أهلها، وربطها بهذه بِمَنْ اتصفَ بهاتين الصفتين، مَنْ اتصفَ بتعرضه لأعراض النَّاس، والكلام فِي أعراض النَّاس، والحديث فِي أعراض النَّاس، ويدخل فِي أعراض النَّاس السُخرية، والهمز، واللمز، والاستهزاء، والغيبة، الغيبة ذِكرك أخاك بما يكره، وغيرُها، والنميمة: نقل الكلام على وجه الإفساد بين النَّاس، كُلُّ هذا داخل فِي هذا الوعيد الشديد، داخلٌ فِي الهمزةِ اللمزة، وانظر كيفَ يكون همهُ الدنيا، وهمه المال، ولا يعرف حق الله فيه، كيفَ توعدهُ الله بهذا الوعيد الشديد الذي تهتز له القلوب.

ولذلك هذه السورة هي مِنْ أوائل ما نزل، مِنْ أوائل ما نزلَ مِنْ القُرآن فِي تهديد مُشركي مكة، وَفِي تهديد كُل مَنْ اتصفَ بهذه الصفة؛ لأنهم كانوا يستهزئون ويسخرونَ مِنْ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويسخرونَ مِنْ أصحابه.

نسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن يحمينا وإياكم مِنْ هذا الخُلق السيء، وأن يُجنبنا هذا الخُلق، وأن يحفظنا وذُرياتِنا وأزواجِنا، وأن يُجنبنا طُرق الشر، واللهُ أَعْلَمُ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آلِهِ وصحبه أجمعين.

﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨].



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الدرس (٥٤)

بسم الله، والحمد لله، وأُصلي وأسلم على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا مُحَمَّد، وعلى آلِهِ وصحبِهِ وَمَنْ اهتدى بِهُداه إلى يومِ الدين، اللّٰهمَ علمنا ما ينفعُنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علمًا وعملًا يا رب العالمين.

أيها الإخوةُ الكِرام، السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، حياكم الله فِي هَذَا اللقاء المبارك، فِي هَذَا اليوم يوم الثلاثاء الموافق للثامن والعشرين مِنْ شهر الله المحرم، مِنْ عام خمسةٍ وأربعين وأربعمائة وألف مِنْ الهجرة.

أيها الإخوة الكِرام، فِي هذا المجلس المُبارك، مع القُرآن الكريم، وتدبر آياته، المتأمل فِي كتاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يجد أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أودعَ فيهِ كُل ما يحتاج إليه الإنسان، وجعلهُ كَمَا ذكرَ أهل العلم على ثلاثة أقسام رئيسة:

- القسم الأول: ما يتعلق بتوحيد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وإفرادهُ بالطاعة والعبادة، والتوجه إليه بكل ما فرضَ الله على الإنسان.

-القسمُ الثاني: يتعلق بآيات الأحكام التي فرضها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، مِنْ آيات الأحكام والأمور التي يتعبد الإنسان بها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، كالصلاةِ والزكاةِ والصيام، ونحو ذلك.

-والقسمُ الثالث: يتعلق بقصص القُرآن الكريم.

والقصة القُرآنية تختلف عن أي قصة ترد على لسان البشر، فقصص القُرآن الكريم لها مزايا، ولها خصائص.

يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي الحِكمة مِنْ إيراد القصة القُرآنية، يقول: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى

وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف: ١١١]، ويقول: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ﴾ [آل عمران: ٦٢]، ويقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أيضًا: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ [يوسف: ٣].

فالقصص، القصة القُرآنية تتميز بمزايا، تختص بخصائص لا توجد فِي غير القُرآن مِنْ قصص البشر.

درسنا فِي قصة أوردها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وهي مِنْ القَصص الواقعية، الحق، والعرب كلهم يعرفونها، لا يخفى على أحد منهم لأنها قريبة مِنْ عهد القُرآن وعهد النزول وعهد الرسالة وعهد البعثة، هذه القِصة أوردها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي سورة كاملة، ولكن أوردها بإيجاز واختصار، مع أن تجد أحياناً فِي مواضع قَصص أُخرى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يتوسع فِي ذِكرها، ويذكرها بتفاصيل، أما هذه فجاءت فِي آيات عديدة جداً ومختصرة جداً وإشارات فقط ﴿لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧]، وهذه القِصة هي مِنْ قِصار السور، وهي قصة أصحاب الفيل.

قصةُ أصحاب الفِيل الكُل فِي زمن النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعرفها، والعرب كلهم يعرفونها، ولكن الله أوردها فِي سياق التذكير، تذكير أهل مكة بنعمة الله عليهم، بأن صرفَ عنهم هذا الأمر العظيم، وتذكير وإرهاص أيضًا ببعثة النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يُذكرهم بأن الذي حماهم وحمى بيتهُ وصرفَ عنهم هذا الشَر هو الذي بعثَ فيهم خيرَ البشر، فليتذكروا نعمة الله عليهم، وليتذكروا رسالة النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فهناكَ رابط وثيق بين رسالة النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبين هذه القصة، فهذه القصة التي وقعت، وهذا الأمر العظيم الذي وقع، كأنه يعني إرهاص ومقدمة وتمهيد لبعثة النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

خُلاصة القول فيها، ولا نُريد الدخول فِي تفاصيلها، أن هذا البيت بيتُ الله كان النَّاس يتوجهون إليه، ولا يزال يتوجهون إلى قيام الساعة، ويقدمونَ مِنْ يعني، مِنْ جميع جهات الأرض إلى هذا المكان، فغاظَ أحد ملوك اليمن هذا الأمر، فأرادَ أن يبنيَ بيتاً ليصرفَ النَّاس إليه، ويتركوا بيتَ الله فِي مكة، ففعلَ هذا الفِعل، هذا الأمر، وبنى مبنىً عظيماً شاهقاً، وأمرَ النَّاس أن يتوجهوا إليه، فحصل ما حصل،

أن وقعَ فيهِ أمرٌ مِنْ أحد العرب، أمرٌ مشين فِي هذا البيت، ولما سمعَ به ابرهة ملك الحبشة، سمعَ بهذا الأمر، غاظهُ أشدَ الغيظ، وجهزَ جيشاً عظيماً لهدم بيت الله.

ومن الحكمة العظيمة أن الله قادر على أن يُهلكهُ فِي داره، وألا يُسير هذه المسيرات العظيمة، ويُهلكهُ فِي داره، ولكن اللهَ أرادَ هذا الأمر ليتحقق لحكمة عظيمة، حتى يعرف العرب جميعاً أن للبيتِ رباً يحميه.

ولذلك جاءَ هو وجيشهِ العرمرم العظيم، ومعهُ الفِيلة العظيمة، وهابَ النَّاس هيبةً عظيمة، وكُل مَنْ واجههُ قضى عَلَيْهِ، حتى وصلَ إلى هذا الأمر، فلما نزلَ قريباً مِنْ البيت الحرام، قِيلَ أَنَّه نزلَ فِي وادي مُحسر، وهذا الوادي بينَ مُزدلفة ومِنى، وقيلَ: فِي المُغمس. الله أعلم. فلما استقرَ فِي هذا المكان ليُجهزَ جيشهُ العظيم لهدم الكعبة، فعلمت قُريش بذلك فخافت وأرعبها هذا الأمر، فخرجوا مِنْ بيوتهم، وتركوا ديارهم؛ لأن بيعرفون سيؤذيهم، لن يصلَ إلى البيت إلا بعدما يُهدم ويقضي على أشياء كثيرة.

فلما وصلَ هذا المكان، وخافهُ أهلُ مكة، والقصة معروفة، وأن كان الوالي على أهل مكة هو جدُ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عبد المطلب، فلما راح ذهبَ يُقابله، ظنهَ أنهُ جاء ليتفاهم معه، ويتصالح معه على هذا الموضوع، وإذا هو يسألهُ عن إبل، قال: إن لي مائتين مِنْ الإبل قد أخذها أصاحبك.

فقال: أنا لما رأيتك هبتُكَ وظننتُ أنكَ جئتَ لهذا الأمر العظيم، وإذا أنتَ تسأل عن الإبل، أعطوه الإبل.

والبيت؟

قال: البيت له ربٌ يحميه، وأنا ربُ إبل.

فلما جهزَ جيشهُ وكان معهُ فِيلٌ عظيم يُسمى بـ (محمود) أعظم الفِيلة، ووجههُ إلى مكة ليتوجهَ إلى هدم البيت، لم يتوجه، وربضَ فِي مكانهِ، وحرن ولم يتحرك، وهذه آية مِنْ آيات الله، فإذا ضربوه، ضربوه بالسهام وضربوه لم يتحرك، فإذا وجهوه إلى أي جهة أُخرى قام يُهرول، وإذا وجه إلى الكعبة امتنع.

وهم فِي هذه الحال إذ أرسلَ الله عليهم طيراً أبابيل، هذه الطيور لم يرى العرب مثلها أبداً، جاءت مِنْ جهة البحر طيورٌ عظيمة، وأفواجاً عظيمة، ﴿أَبَابِيلَ﴾ [الفيل: ٣] يعني جماعات مُتفرقة، كُلُّ طيرٍ

يحملُ فِي مِنقارِهِ قطعة مِنْ الطين المطبوخ (السجيل)، وَفِي رجليهِ على كُل رجل قطعة، ثلاث قِطع، ويرمي بها كل واحدٍ منهم.

فإذا، كَمَا ذكرَ قتادة رَحِمَهُ اللهُ قال: يرمي الطير هذا الشخص على رأسهِ بهذا الحجر، فيخرج مِنْ دُبره، ويتقطع فِي الأرض، فماتوا عن آخرهم، وأهلُ مكة ينظرونَ إليهم على الجبال.

فلما علموا أن اللهَ أهلكهم جميعاً، عادوا إلى بيوتهم، وبدأت العرب تُعظم أهلَ مكة؛ لأنها عرفت أنهم أهلُ الحرم، وأنَ هذا البيت بيتُ الله، وأن الله قد حماه.

هذه القِصة بإيجاز، وأما السورة، فنقف معها وقفات سريعة، ونتأمل ما فيها مِنْ هذه التأملات التي نسأل الله أن يُعيننا عَلَيْهَا.

يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيْمِ: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾ [الفيل: ١]، شوف كيف الدخول على القِصة مُباشرة؟! لأنها معروفة عندهم، ولكن نأخذ الدروس والعِبر منها، وجاءت بأسلوب الاستفهام، ﴿أَلَمْ تَرَ﴾؟ وهذا الاستفهام يُسميهِ أهل العلم استفهام تقريري، يعني تقررَ عندك يا محمد، وتقررَ عند قومك، وتقررَ أيضًا عند كُل مَنْ يعرف هذه القِصة أن الله هو الذي فعلَ هذا الأمر، ولم يفعلهُ أحد، وإنما بُقدرة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ﴾، وشوف يأتيك الاستفهام: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾؟ ثم يأتي استفهام آخر يقول: ﴿فَعَلَ﴾ استفهام أول، واستفهام ثاني.

الاستفهام الأول: استفهام للمخاطب، أغابَ عنك ولم ترى، وجهلتَ هذا الأمر ولم ترى، أو أنكَ تعرف؟

لا، الكُل يعرف.

والاستفهام الثاني: فِي طريقة إهلاك هؤلاء، كيفَ أهلكهم الله؟

قال: كيفَ فعل؟

ولاحظ أن كلمة فعل تدل على مزاولة شيء وفعله. ﴿فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾، ولم يقل: كيفَ فعلَ الله، وإنما قال: (رَبُّكَ)، يعني ربك الذي بعثك يا محمد لأهل مكة، وربُكَ الذي أرسلك، وهو الذي خلقكَ وأوجدكَ ورزقك، وخلقَ الخلقَ كُلهُ ورزقه، وهو الذي فعلَ هذا الأمر.

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾؟

ثم قال: ﴿أَلَمْ﴾ [الفيل: ٢] استفهام ثالث. ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ﴾ [الفيل: ٢]؟ ما جعلَ كيدهم، وهذا أيضًا استفهام، استفهام تقريري؛ لأن الجميع رأوا أن كيدَ هؤلاءِ وبطشهم ذهبَ لم يكن له أي دور وانتهى وزال.

ألم يجعل كيدهم وتخطيطهم وتدبيرهم فِي تدمير هذا البيت، جعلهُ ﴿فِي تَضْلِيلٍ﴾، فِي ضلال وَفِي هلاك، ولم يبقى له أثر.

ثم قال: ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفيل: ٣]، شرح لك أو بين لك سبب إهلاكهم، كيفَ جعلهم فِي تضليل؟

لو سألك سائل قال: علمنا أن الله جعلَ كيدهم فِي تضليل، كيفَ كان ذلك؟

قال: ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾ [الفيل: ٣]، وهذه الطير كَمَا ذكرنا لم يرى العرب مثلها. (أبابيل) يعني جماعات مُتفرقة كثيرة، ملأت السماء فوقهم.

﴿تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ﴾ [الفيل: ٤]، السجيل هو الطِين المطبوخ الذي يُحرق إذا وقعَ على الإنسان، كَمَا أهلكَ اللهُ قومَ لوط بحجارةٍ مِنْ سجيل.

قال: (أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ) أي جعلَ تدبيرهم وتخطيطهم وكيدهم ومكرهم، ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ﴾ [الفيل: ٢].

قال: ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ ۝٥﴾ [الفيل: ٣ - ٥]. أي جعلَ هؤلاءِ كالعصف المأكول.

العصف المأكول، قِيلَ: طعامُ البهيمة إذا أكلتهُ ولاكتهُ وألقتهُ على الأرض، وداستهُ بقدميها، قال: هذا أصبحوا كطعام البهائم الذي قد داستهُ بقدميها حتى تمزق فِي الأرض ولم يكن له بقايا.

قال: ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ﴾ [الفيل: ٥].

السورة قصيرة، دلالاتُها عظيمة، فيها عِبرة، فيها دروس، جاءت لتذكير أهل مكة بأن الذي نجاهم، وبأن الذي حماهم وحمى بيتهُ وصرفَ عنهم هذا الشر العظيم الذي لم يستطع أحد مِنْ العرب

أن يقف فِي وجههُ، صرفهم الله عنهم وأهلكهم أمامهم وهم ينظرون، هو الذي بعثَ فيهم رسولاً رحمةً لهم، ولكنه لا يتدبرون، ولا يفقهون، ولا يعقلونَ هذا الأمر العظيم.

ولذلك مرت عليهم هذه القصة، ومرَ عليهم النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولم يستفيدوا مِنْ هذا الأمر.

نسأل الله أن ينفعنا، وأن يجعلنا مِنْ أهل القُرآن الذين هم أهلُ اللهِ وخاصته، وأن يُبارك لنا فِي أوقاتنا وَفِي أعمارِنا، ويوفقنا لطاعته، واللهُ أَعْلَمُ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آلهِ وصحبهِ أجمعين.

﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الدرس (٥٥)

بسم الله، والحمد لله، وأُصلي وأسلم على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا مُحَمَّد، وعلى آلِهِ وصحبِهِ وَمَنْ اهتدى بِهُداه، وأتبعَ سُنتهُ إلى يومِ الدين، اللّهمَ علمنا ما ينفعُنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علمًا وعملًا يا رب العالمين.

أيها الإخوةُ الكِرام، السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، حياكم الله فِي هَذَا اللقاء المبارك، وفِي هَذَا اليوم يوم الثلاثاء الموافق للسادس مِنْ شهر صفر مِنْ عام خمسةٍ وأربعين وأربعمائة وألف مِنْ الهجرة.

مجلسنا المبارك مع تفسير القُرآن العظيم، ومع قصار السور، قراءةً وتفسيراً وتدبراً واستنباطاً لما تدل عَلَيْهِ هذه الآيات الكريمات، كلامُ الله هو خيرُ الكلام، وأفضلُ الكلام، وأفضل ما يعيش الإنسان وقتهُ مع القُرآن الكريم، يقرأ هذه الآيات الكريمة، ويتدبر معانيها، والغرض: كَمَا ذكرنا فِي عِدة لقاءات، الغرض مِنْ القُرآن كُلهِ ومن نذورهِ، هو التدبر والعمل، تتدبر القُرآن وتعمل به، أما القراءة دونَ التدبر ففيها خير عظيم، وفيها أجر، ولكن إذا اجتمعت القراءة مع التدبر كان ذلكَ خيراً عظيماً.

السورة التي معنا بعدما ذكرنا فِي لقاءنا الماضي سورة الفيل، قرأناها وتدبرنا معانيها، تأتي سورة بعدها هي لها علاقة وثيقة جداً مُتصلة اتصال قوي بهذه السورة، حتى ذُكرَ أن مُصحف أُبي بن كعب رَضِيَ اَللَّهُ عَنْه، أَنَّه جعلها سورة واحدة، سورة الفيل وسورة قُريش، جعلها سورة واحدة، يعني لتلاحم السورتين بعضهما ببعض، كأنها سورة واحدة، حتى إن عُمر رَضِيَ اَللَّهُ عَنْه رويَ عنه أَنَّه صلى بالنَّاسِ المغرب، فقرأ فِي الركعةِ الأولى: ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ﴾، ثم قرأَ فِي الركعة الثانية سورة الفيل مع سورة قريش فِي وقتٍ واحد، فِي ركعة.

فالتصاقُها وتواصلها قوي جداً.

ولذلك أنتَ لما تقرأ هذه السورة تجدها مُفتتحة بأي شيء؟

مفتتحة بحرف التعليل، حرف التعليل الذي هو: ما السبب؟ يعني ما العِلة، ما السبب فِي هذا الشيء؟ لما يُقال لك مثلًا: ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ﴾ [قريش: ١]، وهذه تُقرأ بالياء، تجد بعض النَّاس، تسمع أحياناً يقول لك، حتى أئمة سمعنا، أئمة مساجد يقول: للإلاف قُريش. لَا بُدَّ أن تُعطي حرف الياء حقه ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ۝١ إِيلَافِهِمْ﴾ [قريش: ١، ٢]، ولا تقول: إلافهم. إذا قلت: (إلافهم) أسقطت حرف (الياء)، وإسقاط حرف الـ(ي) يُخل بالقراءة، لابدَ أن تأتي بحروف وكلمات الآيات.

وجه الصلة بين السورتين، وجه العلاقة بين السورتين هو كأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يقول: صرفنا عنكم يعني شرَ أصحاب الفيل، ومنعناهم أن يؤذوكم، وأن يهدموا ما أرادوا أن يهدموه، وأن يُخربوا، وكيدهم الذي أرادوا أن يكيدوا، منعه الله وأهلكهم بأي شيء؟

قال: ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ﴾. ما معنى الإيلاف؟ قال: الاجتماع والإلفة والمحبة والمودة، المودة بينهم. تفرقوا هم، لما رأوا أصحاب الفيل قد أقدموا، تفرقوا، وخرجوا مِنْ مكة وتركوا بيوتهم، وسكنوا أعالي الجبال وبطون الأودية.

فلما أهلكَ اللهُ أصحاب الفيل جمعهم وألفَ بين قلوبهم، فأصبحت قلوبهم مؤتلفة ومجتمعة، بل إن النَّاسَ، النَّاس مِنْ غير أهل مكة بدأوا يهابونَ أهل مكة، ويحترمونهم، الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أخبرَ عن ذلك فقال: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ [العنكبوت: ٦٧]، جعلها حراماً آمناً، حتى إن قوافل قُريش إذا خرجت مِنْ مكة متجهةً إلى الشام، أو إلى اليمن يحترمها النَّاس، يحترمها العرب لا يتعرضونَ لها، مع أنهم يتعرضون لغيرها مِنْ القوافل، لكن إذا عرفوا أن هؤلاءِ هم أهلُ البيت، وهم سندة البيت وأهلُ مكة، لا يتعرضوا لهم بسوء.

ولذلك الله حتى أخبر أيضًا عنهم قال: ﴿وَقَالُوا إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا﴾ [القصص: ٥٧]، يقولون: لو اتبعناك يا محمد، نتبع الهدى معك؛ نتخطف، النَّاس يعتدونَ علينا، نتخطف.

قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا﴾ [القصص: ٥٧]، ذكرهم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى باجتماع وإتلاف واحترام النَّاس وتقدير النَّاس لهم: ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ﴾ [قريش: ١] أهلكنا أصحاب الفيل لتذكروا نعمة اللهِ عليكم، أن اللهَ ألفكم

وجعلكم تجتمعون، ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ﴾ [قريش: ١]، قال بعدها: ﴿إِيلَافِهِمْ﴾ [قريش: ٢]، ما معنى كلمة (إيلافِهم)؟ نقول: هي نفسها، هي نفسها مُكررة، مثل ما تقول: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٦، ٧]، مثل ما قال فرعون: ﴿لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ۝٣٦ أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ﴾ [غافر: ٣٦، ٣٧].

﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ۝١ إِيلَافِهِمْ﴾ [قريش: ١، ٢]، يعني يقول: أهلكنا ودمرنا أصحاب الفيل لتأليف قلوب النَّاس لكم، ولتأتلف قلوبكم، وقد ائتلفت، وقد تحققَ هذا الأمر، (إيلافِهم)، لأجل الاجتماع، وقد تحققَ هذا الاجتماع.

ثم ذكرهم أن مِنْ ائتلاف هذا الشيء واجتماعهم هذه الرحلة، الرحلة التي يقطعونَ فيها المسافات، ويقطعونَ فيها الأوقات الطويلة، تمضي أشهر وهم يتنقلونَ بين هذا وهذا، وكُلٌ يحترم أهل مكة إذا رأوا أن هذه القافلة تبع أهل مكة.

قال: ﴿رِحْلَةَ الشِّتَاءِ﴾ [قريش: ٢] أي تذكروا هذه الرحلة، هذه مِنْ الاجتماع ومن تعظيمهم، ﴿رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾ [قريش: ٢] رحلة الشتاء إلى جهة اليمن، ورحلة الصيف إلى جهة الشام.

لماذا يرحلون؟ لماذا يرحلونَ إلى الشام؟ ولماذا يرحلونَ إلى اليمن؟

لأن مكة شرفها الله ليسَ فيها لا زراعة وليس فيها عين لا زرع ولا حرث، لا حرث ولا زرع ولا رعي، حتى الرعي ما فيها، لا فيها، يعني أرض قاحلة، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ذكرَ ووصفَ قال: ﴿بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ﴾ [إبراهيم: ٣٧]، ما فيها إلا هذا الماء، ماء زمزم، وغيرهُ ما فيه، والله جعلها لهذا الأمر، حتى تعظيماً لهذا البيت، وبياناً لِمَنْ عنده إيمان حقيقي أن يأتي لهذا المكان ليقطع هذه المسافات لأجل عبادة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لا لأجل أمور الدنيا، لا تجارات ولا غيرها.

ولذلك يا أهل مكة ما عندهم إلا هذه التجارة، أن يأتوا بالأرزاق مِنْ الشام أو مِنْ اليمن، ﴿رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾ [قريش: ٢]، ورحلاتهم مُستمرة لا يتعرض لهم أحد بسوء، هذا معنى: ﴿رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾.

لما ذكرهم بهذه النعمة، ذكرهم أن اللهَ صرفَ كيدَ أهل أصحاب الفِيل عنهم، وجعلهم مُطمئنين ومجتمعين، والأرزاق تأتيهم مِنْ كُلِّ مكان، ولا أحد يتعرض لهم بسوء، مع أنهم أساءوا هذه النعمة، أساءوا نعمة الأمن، ونعمة رغد العيش، كيف أساءوا؟

أصبحت مكة فِي وقت قريش وفي أول الدعوة مسرحاً للإيذاء والقتل لأصحاب مُحَمَّد، فكانوا يؤذون ويُقتلون، فِي البلد الآمن تُقتلون! كان الرجلُ يلقى قاتل أبيه فِي الحرم فلا يتعرضُ لَهُ بسوء، وهم يعني يقتلونَ بأصحاب مُحَمَّد ويؤذونهم بالحديد والنار، فأصبحت مسرحاً للإيذاء والتضييق على محمدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعلى أصحابه، فبدلوا نعمة اللهِ وهي نعمة الأمن إلى خوف وروع بأصحاب مُحَمَّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولذلك أصبحوا ليس لهم مقام فِي مكة.

قَالَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لما ذكرهم بهذه النِعم، نعمة الأمن بأن صرفَ عنهم كيدَ أصحاب الفيل وجعلهم آمنينَ مطمئنينَ فِي ديارِهم، ذكرهم، قَالَ: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾ [قريش: ٣] هَذَا البيت، ورب هَذَا البيت الَّذِي حماه الله، منعَ أن يعتديَ أحد عَلَيْهِ، فليتذكروا هذه النعمة، ولا يجعلوهُ مسرحاً للقتل والسلب والنهب، ولا يجعلوه أيضًا مسرحاً لعبادة الأصنام التي بثوها فِي الحرم وفي الكعبة، لا يجعلوا هَذَا.

﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾ ذكرهم بهذه النعمة.

﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ﴾ [قريش: ٤]، أيضًا مِنْ أسباب عبادة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن اللهَ رزقهم مِنْ الطيبات.

﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ [قريش: ٤]، فأنتم فِي رغدٍ مِنْ العيش، وفي أمنٍ وأمان، فاعبدوا ربكم.

وهذه وإن كانَ حتى نفهم ونتدبر القُرآن ونعرف يعني توجيهات القُرآن الربانية، وأن القُرآن ليس موجهاً لطائفة معينة، وليس موجهاً لشخص معين، مع أن الخطاب لأهل مكة والله يُخاطبهم ويُذكرهم بأصلهم لما قَالَ: ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ﴾ [قريش: ١]، وقُريش هُوَ جدهم، وَهُوَ جدُ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الثالث عشر، هَذَا قُريش، لما ذكرهم بنسبهم، وذكرهم بهذه النعمة.

☚نحنُ نعرف أن الآيات تُخاطبهم مُباشرة، وتُخاطب غيرهم، تخاطبنا نحنُ، حتى أي إنسان يعيش في رغد مِنْ العيش، وفي أمن وأمان، أن يحفظ هذه النعمة، يحفظها بأي شيء؟

يحفظها بطاعة الله، ويحفظها بعبادة الله، ويحفظها بشكر الله، ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧]، فالإنسان يتذكر نعمة الصحة والعافية ورغد العيش والأمن والإسلام، هذه كلها نعم تحتاج مِنْ كُلِّ إنسان أن يشكر الله عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهَا، يشكر الله، **وشُكر الله كما هُوَ مُتقرر:**

- شُكر الله باللسان.
- شُكر الله بالقلب والاعتراف بهذه النعم.
- شُكر الله بالأعمال الصالحة.

ليس مِنْ شُكر الله أن تعصيَ الله وأنتَ ترى نعمهُ عليك.

أسأل الله أن يُباركَ لنا، وأن ينفعنا بما قلنا، وبما سمعنا، وَاللَّهُ أَعْلَمُ، وصلى الله وَسَلَّمَ عَلَى نبينا مُحَمَّد، وعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِين.

﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



بسم الله، والحمد لله، وأُصلي وأسلم على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا مُحَمَّد، وعلى آلِهِ وصحبِهِ وَمَنْ اهتدى بِهُداه إلى يومِ الدين، اللَّهمَ علمنا ما ينفعُنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علمًا وعملًا يا رب العالمين.

أيها الإخوةُ الكِرام، السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، حياكم الله فِي هَذَا اللقاء المبارك، فِي هَذَا المجلس، مجلس القُرآن الكريم، ومع قصار السور التي تناولناها ولا زلنا فِي عرض هذه السور القصيرة.

والسورة التي بين أيدينا فِي الحقيقة تحتاج مِنا إلى تأمل وتفكر، وهذه السورة ذكرَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مع قصرها وقصر آياتها، ذكرَ الله فيها سِت صفات ينبغي للمسلم الحذر منها أشد الحذر، وَمَنْ عفاهُ الله منها؛ فليحمد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وليزدد شُكراً وحمداً لله، وَمَنْ وقعَ فيها؛ فهذه نذارة لَهُ، وتحذير لَهُ، فهي رسالة نذارة لمن قد يقع فِي مثل هَذَا الأمر.

هذه السورة التي بين أيدينا اختلفَ العلماء فِي اسمها، واختفوا أيضًا فِي نزولها، فِي مكان نزولها.

أما اسمها: فالمشهور عِنْدَ المفسرين وفي المصاحف أنها سورة (الماعون). وتُسمى فِي بعض المصاحف: (سورة ﴿أَرَأَيْتَ﴾)، وتُسمى أيضًا بسورة (الدين) لقولهِ تَعَالَىَ: ﴿يُكَذِّبُ بِالدِّينِ﴾.

والأسماء أمرها يسير، يعني سُميت بهذا أو بهذا، المشهور أنها سورة الماعون، والتسمية، تسمية السور هَذَا توقيفي بأمرٍ مِنْ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبوحيٍ مِنْ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن السور توقيفية. قد يكون للسورة الواحدة أكثر مِنْ اسم، وهذه قد تكون مثلاً: صفات لها، أو اجتهادات مِنْ الصَّحَابَة، لكنَ مَا مِنْ سورة إلا ولها اسم، وَالنَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سمى السور، سمى جميع السور، ورتبَ المصحف، ورتبَ القُرآن كاملاً، ورتبَ آياتهِ وسوره كاملاً.

هذه السورة افتتحت بالاستفهام، وأسلوب الاستفهام أسلوب عربي يوقظ الإنسان ويُحرك الذهن فيه، لما أقول، أطرح عليك سؤال استفهامي، غير لما أُخبرك بخبر، فالاستفهام يُحرك الذهن ويوقظ السامع.

ولذلك الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى افتتحها بأسلوب الاستفهام، قَالَ: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي﴾ [الماعون: ١] أرأيتهُ! هل رأيته! مَا رأيته! وَهَذَا الاستفهام يُفيد التعجب يُفيد التعجب، يعني تتعجب مِنْ حال هَذَا، هَذَا الرجل تتعجب مِنْ حاله، وهذه الصفة تتعجب ممن يتصف بها.

﴿أَرَأَيْتَ﴾ وأصل الكلمة (رأيتَ) أصلها رأيتَ، دخلت عَلَيْهَا الاستفهام. و(رأيتَ) تأتي بمعنى أبصرت، تقول: رأيت فلان. يعني أبصرتهُ. وتأتي بمعنى: علمت، العلم. يعني تأتي (رأيت) بصرية وعلمية، فتقول: (رأيتُ الشمس) أي أبصرتُها. و(رأيتُ كذا) أي علمته. فهذا معنى (رأيت).

إذا دخلت عَلَيْهَا الهمزة (أ) غيرت معناها إلى الاستفهام، ويكون المعنى: أخبرني.

﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ﴾ [الماعون: ١]، أي: أخبرني عَنْ حال هَذَا؟! أخبرني عنه، لماذا يُكذب بالدين؟

مَا المراد بالدين؟

أكثر المفسرين على أن الدين في الآية: هُوَ يوم الجزاء والحساب. ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤]، وفي قولهِ تَعَالَىَ: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ۝١٧ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ۝١٨ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ۝١٩﴾ [الانفطار: ١٧ - ١٩]، فالدين المراد به يوم القيامة.

لماذا سُميَ بذلك؟

لأن الإنسان يُدان، يعني يُجازى. ﴿أَإِنَّا لَمَدِينُونَ﴾ [الصافات: ٥٣]، أي مُجازون. فيوم الدين سُمي بذلك؛ لأن النَّاس يُدانونَ فيه، يُجازونَ فيه.

هَذَا رأي كثير مِنْ المفسرين.

ومنهم مَنْ يرى أن الدين هنا: الدين الَّذِي هُوَ الشَّرْع. ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩]، الشَّرْع.

والآية تحتمل الأمرين، ولكن الأكثر على أن المراد به هنا: يوم القيامة، وَهُوَ الأرجح، لماذا؟

لأن الَّذِي يُكذب بيوم القيامة، ولا يعترف بيوم القيامة، ولا يُلقي أي حساب ليوم القيامة، تجد حياته منفلتة وضائع، ولا يُبالي بحقوق الآخرين، ولا يهتم، ولا يُبالي بحق الله، ولا حق الآخرين.

ولذلك شوف الآية: لما قَالَ الله عَزَّ وَجَلَّ فيها: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِى يُكَذِّبُ بِالدِّينِ﴾ [الماعون: ١]؟! أخبرني عَنْ هَذَا الَّذِي يجحد يوم الجزاء والحساب والجنة والنار؟!

مَا حاله؟

قَالَ: ﴿فَذَلِكَ الَّذِى يَدُعُّ الْيَتِيمَ﴾ [الماعون: ٢] أي هَذَا الَّذِي يُنكر يوم القيامة، ولا يحسب ليوم القيامة أي حساب هُوَ الَّذِي يتصرف بهذه التصرفات السيئة، مَا هي؟ قَالَ: ﴿يَدُعُّ الْيَتِيمَ﴾ أي ينهرهُ ويزجرهُ بقوة، يزجرهُ عَنْ أي شيء؟ يزجرهُ أحياناً عَنْ ماله، لا يُعطيه ماله، يأخذ ماله ولا يُعطيه إياه، ومع الأسف تجد هَذَا مِنْ أقاربه، تجد أنه عَمٌّ لَهُ أو خالٌ لَهُ، أو ابن عم أو نحو ذَلِكَ، ويأخذ مال اليتيم ويزجره، يعني يأخذ مالهُ ويأكلهُ ويزجره.

أو يُحتمل أنه لا يعطف على المسكين، ولا يعطف على اليتيم، ولا يتعاطف معه، ولا يُساعده، ولا يقف معه، مع أنه بحاجة، والله عَزَّ وَجَلَّ حث، حثَ على مُراعاة اليتامى واعطائهم حقوقهم، وجاءت السُّنّة بالحث على كفالة اليتامى والوقوف معهم.

فلذلك هَذَا مِنْ صفاتهِ أنه ﴿يَدُعُّ الْيَتِيمَ﴾ أي يزجرهُ وينهرهُ بقوة.

هي ست صفات:

- **الصفة الأولى:** التكذيب بيوم القيامة، وهي أعظمُها، وعدم الإيمان بيوم القيامة ولا جزاء ولا حساب، ولذلك هذه حالة.

- **الصفة الثانية:** أنه ﴿يَدُعُّ الْيَتِيمَ﴾، أنه ينهر اليتيم ويزجرهُ ولا يعطف عَلَيْهِ، ولا يتعاطف معه. قَالَ: ﴿فَذَلِكَ الَّذِى يَدُعُّ الْيَتِيمَ﴾ [الماعون: ٢].

- **الصفة الثالثة:** ﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ [الماعون: ٣]، لا يحث النَّاس على الصدقات، ولا على الإطعام، إطعام الطعام، ولا الصدقات ولا غير ذَلِكَ.

طيب، هنا سؤال أيها الإخوة: إذا كان هَذَا لا يحض النَّاس على إطعام الطعام، هل هُوَ يُطعم؟ هل هُوَ يتصدق؟ مِنْ باب أولى أنه لا يتصدق هُوَ، ولا يفتح المجال لغيره. لا هُوَ يتصدق، ولا هُوَ يفعل الخير ويقف مع الفقراء والمساكين، ويمنع النَّاس عَنْ أن يقفوا مع الفقراء والمساكين. شوف كيف الخُلق السيء وصل به إلى هَذَا الحَد. هذه الصفة الثالثة.

☚ **ولذلك تُلاحظ الصفات الثلاث هذه مُتلازمة،** ولذلك بعض المُفسرين يقول: هذه فِي الكُفار، هذه فِي الجاحدين الذين يجحدون اليوم الآخر، فإذا جحدَ اليوم الآخر؛ لا يُبالي بحقوق النَّاس، لا يتامى ولا مساكين.

☚ **القسم الثاني الَّذِي فرعَ الله عَلَيْهِ، فَقَالَ بالفاء.**

﴿فَوَيْلٌ﴾ [الماعون: ٤]، وجاء بكلمة (وَيْل)، وَهَذَا وعيد شديد غير الأول، هَذَا وعيد شديد، ومعنى (وَيْل) كما قَالَ بعض أهل العلم: وادٍ فِي جهنم لو أُلقيت فيه جبال الدُّنْيَا كلها لذابت مِنْ شدة حرارتهِ. وقيلَ: هي كلمة عذاب وتخويف وتهديد، لما يُقال: ويلٌ لك.

قَالَ الله: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ﴾ [الماعون: ٤]. الآن اختلفَ الكلام:

- الأول جاحد اليوم الآخر، مَا يؤمن باليوم الآخر، ولا يعطف على المساكين ولا اليتامى.
- وهنا جاء بشخص يُصلي.

إذاً اختلفت، كأن السورة الآن انقسمت قسمين:

قسمٌ يتحدث عَنْ الجاحد لليوم الآخر، الكافر باليوم الآخر.

وقسمٌ هُوَ مِنْ جُملة المسلمين، ولكنه ليس فِي الحقيقة مِنْ المسلمين. إذاً مَنْ هُوَ؟ هُوَ المنافق.

وتلاحظ أن آخر السورة، الثلاث آيات الأخيرة هذه تنطبق على المنافق، المنافق الَّذِي يدعي الإيمان، ويتلفظ بالإيمان، وقلبهُ على عكس ذَلِكَ، قلبهُ امتلأ حقداً على المسلمين، وبُغضاً للإسلام وَالْمُسْلِمِينَ.

ولذلك ذكرَ الله مِنْ صفات هَذَا المنافق:

- أولاً: أنه يُصلي مع المسلمين، لكنه لا يُصلي فِي وقتها، وإنما يُصليها إذا خرجَ وقتها، ولذلك توعدهُ الله بهذا الوعيد الشديد. فَقَالَ: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ۝٤ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥﴾

[الماعون: ٤، ٥] شوف حرف (عَنْ) غيرَ المعنى. لو قَالَ: الذين هم فِي صلاتهم؛ لما سلمَ أحد. النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سهى فِي صلاة، وما مِنْ أحدٍ إلا ويسهو فِي صلاته. لو قَالَ (فِي). ولذلك قَالَ الحسن البصري رَحِمَهُ اللهُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي قَالَ: (عَنْ صلاتهم)، ولم يقل: (فِي صلاتهم). لو قَالَ (فِي صلاتهم) لدخلَ كُل المصلين، ولكن مِنْ رحمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أنه قَالَ: (عَنْ صلاتهم).

شوف كيف حروف اللغة العربية، الحرف الواحد يُغير ويقلب المعنى.

﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ۝٤ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥﴾ أي غافلون، لا يؤدونها، غافلون عنها، لا يؤدونها، وإذا أدوها لا يؤدونها فِي وقتها المشروع، وإنما كما قَالَ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ينتظر المنافق غروب الشمس، حتى إذا سقطَ قُرص الشمس، قامَ ونقرها نقراً سريعاً. فهذا المنافق، فلذلكَ حذرَ الله مِنْ صفات المنافقين.

ومثل مَا ذكرت فِي أول الكلام: أقول: نسأل الله أن يعافينا مِنْ هذه الصفات السيئة، لا الصفات الأولى، ولا الصفات الأُخرى، نَسأَلُ اللهَ العَافِيَةَ.

﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ۝٤ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥﴾ [الماعون: ٤، ٥]، ولذلك لا يجوز الوقف عِنْدَ قوله: (فويلٌ للمصلين) وتسكت. هَذَا يُخل بالمعنى، مثل لو وقفت عِنْدَ قولهِ تَعَالَىٰ: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ﴾ [النساء: ٤٣]، كيف تقربوا الصَّلَاة؟ لَا بُدَّ أن تُكمل الآية حتى نعرف.

وهنا لا يجوز أن تقول: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ﴾ [الماعون: ٤] وتركع أو تترك الآية، لَا بُدَّ أن توضح: مَنْ هم المصلون الذين توعدهم الله بهذا الوعيد الشديد؟

قَالَ: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [الماعون: ٥].

وما صفاتهم الأُخرى؟ قَالَ: ﴿الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ﴾ [الماعون: ٦]، (يُرَاءُون) أي لا يُخلصون أعمالهم لله، إنَّمَا يعملها ليراهُ النَّاس، يتصدق حتى يُقال جواد ويُقال كريم، يُصلي حتى يقول: مَا شاء الله، هَذَا صاحب طاعة وحريص على الصَّلَاة، فيعمل الأعمال لأجل النَّاس. هَذَا الرياء، الرياء شِرك ومُحبط للعمل، يظن الإنسان أنه يعمل ويدخلهُ الرياء أحياناً، ولذلك شُرع للإنسان أن يتعوذ مِنْ

الرياء، فِي أعمالِهِ كُلها، ويسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الإخلاص فِي القولِ والعمل، وأن يبتعد عَنْ أن يُقال فلان كذا وفلان كذا، ثناء النَّاس لا ينفعك، بل يضرك.

ولذلك قَالَ: ﴿الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ﴾، وشوف كلمة (يُرَاءُون)؛ فعل مضارع، يدل على أي شيء؟ على أنه دائم، هذه حالهم، حالهم الرياء، الرياء؛ لا يُريد إلا السُمعة: يتصدق لأجل النَّاس، يُصلي لأجل النَّاس، يفعل الأفعال لأجل النَّاس، يذكر الله لأجل النَّاس، يقرأ القُرآن لأجل النَّاس.

ولذلك قَالَ: ﴿الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ﴾.

ثُمَّ ذكر صفتهم الثالثة، وصفة حقيقة حقيرة جداً، لا ينبغي أن يفعلها، ومع ذَلِكَ يفعلونها، قَالَ: ﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ [الماعون: ٧].

(يمنعون) والفعل المضارع يدل على الاستمرار، لأنهم دائماً هذه صفاتهم، ﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾.

مَا المراد بـ(المَاعُون)؟ كُل مَا احتاجه الإنسان.

الماعون على الصَّحِيح:

-يعني بعضهم قَالَ: هُوَ الصدقة، هُوَ الزكاة.

-وبعضهم قَالَ: يعني اختلفوا فيه، حتى ذكرَ القُرطبي فِي تفسيره، أن المفسرين اختلفوا فيه على اثني عشرَ قولاً، والصحيح: أن الماعون كُل مَا يتعاورهُ النَّاس ويحتاجون إليه النَّاس، كُل مَا يحتاج النَّاس إليه، مثل مَا يُقال: الماء، والنار، والكِبريت، والملح، والدلو، والحبل، والخيط، والإبرة. كُل مَا يحتاج الإنسان إليه، هؤلاء يمنعونه، حتى أشياء حقيرة يمنعونها، لا يُريدها، يعني مَا طُلب مِنك شيء كبير، ومع ذَلِكَ مِنْ صفاتِهم السيئة أنهم (يمنعون الماعون).

لو أراد منه إناء أو نحو ذَلِكَ؛ منعه، وَالنَّاس شُركاء فيما يحتاجون إليه، ينبغي أن يقف المسلم ويتكافل المسلمون بعضهم مع بعض، ويقف بعضهم مع بعض، لا أن يقف فِي مثل هذه الأشياء الحقيرة.

هذه السورة العظيمة التي وقفنا معها، ونُلاحظ أنها اشتملت على مثل هذه الأمور، وهذه الصفات التي ينبغي للمسلم أن يبتعد عنها وأن يحذرها، أشدَ الحذر، وتُلاحظ أنها ابتدأت بأعظم هذه الصفات وَهُوَ إنكار البعث والجزاء والجنة والنار، وَمَنْ أنكرَ ذَلِكَ، فلما دونه وسواهُ أشدُ إنكاراً.

فنسأل الله العافية، نَسأَلُ اللهَ العَافِيَةَ، وأن يحمينا وإياكم مِنْ هذه الصفات، وأن يرزقنا وإياكم حُسن الخُلق، وحُسن العبادة، وأن يرزقنا وإياكم الإخلاص فِي القولِ والعمل. وَاللَّهُ أَعْلَمُ، وصلى الله وَسَلَّمَ عَلَى نبينا مُحَمَّد، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِين.

﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨].



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الدرس (٥٧)

بسم الله، والحمد لله، وأُصلي وأسلم على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا مُحَمَّد، وعلى آلِهِ وصحبِهِ وَمَنْ اهتدى بِهُداه إلى يومِ الدين، أَمَّا بَعْدُ:

أيها الإخوةُ الكِرام، السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، حياكم الله فِي هَذَا اللقاء المبارك، أسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن يجعلهُ لقاءًا مُباركاً نافعاً، وأن يرزقنا وإياكم العلمَ النافع والعمل الصالح.

أيها الإخوة الكِرام هَذَا اليوم هُوَ يوم الثلاثاء الموافق للعشرين مِنْ شهر صفر، مِنْ عام خمسةٍ وأربعين وأربعمائة وألف للهجرة، نجتمع فِي هَذَا المقام حولَ القُرآن الكريم، وتفسيرهُ، وبيانُ معانيهِ ودلالاته.

ولازلنا فِي قصار السور وخواتيم هَذَا الجزء المُبارك، الجزء الأخير، والسورة التي بين أيدينا هي فِي الحقيقة أقصر سورة فِي كتاب الله، أقصر سورة فِي كتاب الله وأعظم مِنْ حيث المعاني وَمِنْ حيث الدلالات، وعلى قِصر هذه السورة وقلة آياتها، ثلاث آيات، إلا أن أهل التفسير والعلماء كتبوا فيها كتابات عظيمة، على يعني قِصرها، بل أُلفَ فيها مؤلف كامل، مؤلف كتاب كامل فِي تفسيرِ هذه السورة التي أقصر سورة فِي كتاب الله، وَهَذَا يدلُ على إعجاز القُرآن، اعجازهُ، على أن قِصر سورة بهذا الشكل فِي آياتِها تدلُ على معاني عظيمة لا حدَ لها.

هذه السورة هي سورة الكوثر، سورة الكوثر هي أقصر سورة فِي كتاب الله، وفيها معاني عظيمة، فيها بشارات، بشارات عظيمة.

لما يعني ننظر هذه السورة، وننظر لما قبلها.

السورة التي قبلها تحدثنا عنها في لقاءنا الماضي، هي سورة الماعون، لما توازن بين هذه السورة وهذه السورة، الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يقول: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ [الكوثر: ١]، يعني أنعمنا عليكَ بالشيء الكثير العظيم الَّذِي لا حدَ لَهُ.

﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ [الكوثر: ٢]، لما ترجع إلى سورة الماعون، لا يصلون. قَالَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ۝٤ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥﴾ [الماعون: ٤، ٥].

وهنا يقول: ﴿فَصَلِّ﴾ [الكوثر: ٢].

هناك يقول: ﴿يُرَاءُونَ﴾ [الماعون: ٦].

وهنا يقول: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ﴾ [الكوثر: ٢]، لا تُرائي، إنَّمَا اجعل صلاتك لربك.

هنا يقول: ﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ [الماعون: ٧]، ويقول: ﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ [الماعون: ٣]، و﴿يَدُعُّ الْيَتِيمَ﴾ [الماعون: ٢].

وهنا يقول: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ [الكوثر: ٢]، انحر النحائر وتصدق بها.

شوف كيف الموازنة بين هذه السورة وهذه السورة؟ هذه يعني اشتملت على ماذا؟ وهذه تأتي بمقابل هَذَا الأمر.

هذه السورة لها سبب نزول، حتى ذكرَ أهل التفسير أن لها سببين:

- السبب الأول: هُوَ ذَلِكَ الكافر العاصي بن وائل، أحد زعماء قُريش، وأحد زعماء الكُفر والطُغيان والضلال، كان إذا رأى النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: يا أبتر، يا أبتر، إني أشنؤك، يعني أُبغضُك. إني أشنؤكَ يا أبتر.

فَقَالَ الله رداً عَلَيْهِ، أنزلَ هذه السورة فيها بشارتين للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

- البِشارة الأولى أنه قَالَ: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ [الكوثر: ١]. وسيأتي معنا هذه الآية.

- والبشارة الثانية: أنه قَالَ: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر: ٣]، هُوَ المنقطع، هُوَ المنقطع الذِكر. أين العاصي بن وائل؟ وأين صناديد الكُفر والشِرك؟ أين زُعماء مكة؟ مَا لهم ذِكر، ذهبوا، ويبقى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُذكر فِي كُلِّ وقت، وفي كُلِّ صلاةٍ وفي كُلِّ أذان، فِي كُل بُقعة مِنْ بقاع الأرض

تسمع ذكر مُحَمَّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي بقُعة وفي كُل صِقع مِنْ أصقاع الأرض، وإلا يتردد ذكرُ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

أي هنا ﴿شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾، أين الأبتر؟ مَا هُوَ الأبتر؟

ذكرَ أيضًا أهلُ التفسير أن هذه السورة نزلت، قيل أنها نزلت مرتين، وقيل: أنها جاءت بشارة.

يعني الأول: هي النزول الرد على هَذَا المُجرم، الرد عَلَيْهِ بأنه هُوَ الأبتر.

والنزول الثاني هُوَ جاءَ بشارة للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فِي صحيح مسلم، حديث أنس رَضِيَ اَللَّهُ عَنْه، وَهُوَ فِي المدينة، وهذه السورة فِي مكة نزلت، والعاص بن وائل مِنْ أهل مكة، لما يعني استقرَ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي المدينة، أنس بن مالك مِنْ أهل المدينة، يقول أنس رَضِيَ اَللَّهُ عَنْه، يقول: كنا جلوس عِنْدَ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأغفى إغفاءة ثُمَّ تبسم. فقلنا: يا رَسُول الله، مَا أضحكك؟ قَالَ: أُنزلت عليَّ سورة، ثُمَّ قرأ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ۝٣﴾ [الكوثر: ١ - ٣].

الشاهد مِنْ الكلام: أنها نزلت فِي المدينة، ونزلت فِي مكة، فَقَالَ بعض أهل التفسير: إنها نزلت مرتين. وبعضهم قَالَ: إنها نزلت فِي مكة، ثُمَّ جاءت بشارةً لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولذلك تبسم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وفرح؛ لأنها بشارة عظيمة.

موضوع السورة إذا تأملتها مع قصر آياتها، ثلاث آياتها آيات، موضوعها يتحدث عَنْ أي شيء؟

نقول: يتحدث عَنْ أجل النعم التي أنعمَ الله بها على مُحَمَّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعلى أُمته، هُوَ موقف الرَّسُول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ هذه النعمة، وَهُوَ شُكرُ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

طيب، هذه السورة افتتحت بأي شيء؟

افتتحت بضمير، ضمير المتكلم، يقول: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ [الكوثر: ١]، وشوف اختيار، اختيار كلمة ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ﴾، مَا قَالَ: إن اللهَ أعطاك، أو ربُكَ أعطاك، تولى الله الأمر بنفسه، فَقَالَ بضمير الفاعلين، قَالَ: ﴿إِنَّا﴾، ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ﴾، شوف كيف رَبِّ الْعَالَمِينَ على عظمتهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يُخاطب نبيهُ مُحَمَّد بأنه يقول: ﴿إِنَّا﴾، يُخاطبهُ بالمواجهة، مَا قَالَ: إن ربكَ، أو قَالَ: إن اللهَ، إنَّمَا

قَالَ: ﴿إِنَّا﴾، نحنُ، ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾، حتى قَالَ أهلُ التفسير: إن كلمة أعطيناك الفعل أعطى، غير الفعل آتى، لو قَالَ: آتيناك، الإتيان قد يأتيك ويذهب، أما العطية فهي عطية لك لا تذهب، لما أقول: أعطيت فلان هكذا، عطية هذه ثابتة لا تذهب، ولذلك قَالَ هنا: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ [الكوثر: ١].

فِي آيات أُخرى يذكر آتيناك، مثل قولهِ تَعَالَىَ مثلًا: ﴿وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا﴾ [طه: ٩٩]، يأتي الذكر ويذهب، ويزيد وينقص.

هَذَا لا، هَذَا تمليك، تمليك، فكلمة اختيار، شوف حتى تتدبر القُرآن الكريم، تتأمل آياته، شوف كيف اختيار هذه الكلمات: ﴿إِنَّا﴾ الضمير، ﴿أَعْطَيْنَاكَ﴾ العطاء غير الإيتاء.

﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ [الكوثر: ١]، مَا معنى الكوثر؟

اختلفَ المفسرون فِي معنى الكوثر، فبعضهم يقول: إن الكوثر كما فِي الحديث، قَالَ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هُوَ نهرٌ أعطانياهُ الله عَزَّ وَجَلَّ فِي الجنة»، هَذَا رأي.

الرأي الثاني: قيلَ إن الكوثر هُوَ الحوض، هُوَ الحوض الَّذِي تردهُ أُمتهُ بعدَ الخروج مِنْ القبور يتوجهونَ إلى الحوض، كما جاء فِي الحديث: «طولهُ شهر، وعرضهُ شهر، وماؤهُ أبرد مِنْ الثلج، وأبيض مِنْ اللبن، وأحلىٰ مِنْ العسل، مَنْ شربَ منه شربةً لم يظمأ بعدها أبداً»، تأتي أُمة مُحَمَّد، وَالنَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واقفاً على حوضه، فتأتي أُمة مُحَمَّد لتشرب، فيُزاد ويُمنع بعضهم، فيقول النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أُمتي أُمتي». فيقول: مَا تدري ماذا أحدثوا بعدك، فيُزادون ويُمنعون.

هَذَا الَّذِي أعطيناك الكوثر، عِنْدَ بعض المفسرين أنه الحوض، وبعضهم قَالَ: هُوَ الخير الكثير على وجه العموم، خيرٌ كثير. المقام المحمود مِنْ الكوثر، القُرآن مِنْ الكوثر، الشريعة الإسلامية مِنْ الكوثر، دعوة النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ الكوثر، إيمان أُمتهُ مِنْ الكوثر. يعني كلمة الكوثر هُوَ الخير الكثير، لا حدَ لَهُ، يدخل فِي ذَلِكَ النهر الَّذِي أعطاهُ الله نبيهُ مُحَمَّد فِي الجنة، يدخل فِي ذَلِكَ الكوثر الَّذِي هُوَ الحوض، يدخل فِي ذلكَ المقام المحمود الَّذِي للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وليسَ لأحد أبداً، يدخل فِي ذَلِكَ القُرآن، يدخل فِي ذَلِكَ كُلُّ خير للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فهذا أعم مَا يُقال فيه.

يعني إن كان بعض المفسرين يقول مثلًا: هُوَ الحوض، أو بعضهم يقول: هُوَ النهر، أو بعضهم يقول كذا، أقوى أو أولى مَا يُقال فيه: أن نُعمم، فنقول الكوثر: هُوَ الخيرُ الكثير، وكُلُّ هَذَا داخلٌ فِي معنى كلمة الكوثر.

طيب، يقول: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ۝٢﴾ [الكوثر: ١، ٢]، (فصلِّ لربك) يعني الزم الصَّلَاة، واجعلها صلاةً خالصةً لربك؛ لأنه قَالَ: لربك. وشوف كلمة (لِرَبِّكَ) يعني مجيء اسم الرب هنا، مَا قَالَ: فصلِّ لله، لماذا؟ لأنه يُذكره بأن الَّذِي أنعمَ عَلَيْهِ، وأن الَّذِي رباه، وأن الَّذِي خلقهُ وأوجدهُ وأنعمَ عَلَيْهِ بهذه النعم العظيمة، هُوَ ربهُ، هُوَ ربهُ ربُ العالمين، هُوَ الَّذِي أنعمَ عَلَيْهِ بهذه النِعم.

فتذكير ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ﴾ اجعل عملكَ خالصاً لربك لا شريكَ لَهُ، خالصاً لا رياءَ ولا سُمعة.

﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾، مَا معنى (وانحر)؟ أي: اذبح الذبائح، وانحر النحائر، ينحرها لأي شيء؟ للصدقة. عندنا صلاة وذكاة، صلاة وصدقة، الصَّلَاة بينك وبين الله، ومصلحتها عائدةٌ إليك، والزكاة والصدقة بينك وبين الخلق، إحسانٌ فِي عبادتك مع ربك، وإحسانٌ فِي عبادتك مع مَنْ حولك ممن يحتاج مِنْ إخوانك المسلمين، فجمعت الآية بين هَذَا وَهَذَا، حتى استنبطَ بعضُ أهل العلم مِنْ هذه الآية مشروعية صلاة الأضحى، صلاة عيد الأضحى، قَالَ: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ﴾ أي صلاة العيد، عيد الأضحى، ﴿وَانْحَرْ﴾، أي: النحر الَّذِي يكون يوم عيد الأضحى.

حتى استنبطَ بعضهم أيضًا مِنْ آية أُخرى صلاة عيد الفِطر، ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾ [الأعلى: ١٥] فِي قولهِ تَعَالَىَ: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۝١٦ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ۝١٧﴾ [الأعلى: ١٦، ١٧]، قَالَ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ [الأعلى: ١٤]، زكاة ماذا؟ زكاة الفِطر، ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ۝١٤ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ﴾ [الأعلى: ١٤، ١٥] أي الذِكر التكبير يوم عيد الفِطر، ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾ [الأعلى: ١٥] أي صلاة عيد الفِطر.

هَذَا استنباطات جليلة وحسنة وداخلة فِي هَذَا المعنى، داخلة؛ لأن قولهُ تَعَالَىَ هنا: ﴿فَصَلَّى﴾ [الأعلى: ١٥] داخل فِي جميع أنواع الصلوات، كُل مَا هُوَ صلاة مشروعة داخلة فِي كلمة ﴿فَصَلَّى﴾.

﴿وَانْحَرْ﴾ [الكوثر: ٢] أي الذبح، أن يكونَ الذبحُ لله؛ لأن الذبح عبادة.

﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢].

﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ [الكوثر: ٢]، قَالَ بعدها: يعني فَقَالَ فِي آخر شيء: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر: ٣]، هذه جملة كما قَالَ أهل البلاغة: قيل: هذه جملة إسمية، الجملة الإسمية تدل على أي شيء؟ تدل على الثبوت، الثبوت والاستقرار، يعني مُبغضك ومُعاديك هُوَ الأبتر.

وشف مجيء الضمير، ضمير الفصل هُوَ يدل على أيضًا على التأكيد. ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ لا أنت ولا غيرك، إنَّمَا هُوَ الأبتر. ﴿إِنَّ شَانِئَكَ﴾ أي مُبغضك، شأنِئك: أي مبغضك وعدوك ومُعاديك فِي دعوة الأبتر لا غير، هُوَ الَّذِي يوصف بأنه أبتر، يعني مُنقطع الذِكر، يعني ينتهي ذِكره هُوَ وَمَنْ شاكلهُ وما كانَ عَلَيْهِ، ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾.

السورة الحقيقة مع قِصر آياتِها، ثلاث آيات ودلالاتها هذه عظيمة التي وقفنا معها، ولا أقول لك يعني هذه الدلالات فقط، دلالات كثيرة جداً، لَكِنّ هَذَا مُختصر مَا أقول لك، مُختصر مَا تدل عَلَيْهِ الآيات، كثير منا يقرأ هذه السورة ويمر عَلَيْهَا مِرار الكِرام، لا يتأمل هذه الآيات العظيمة، كيفَ ابتدأت السورة؟ وكيف انتهت؟ وكيف دلت على هذه الأمور العظيمة، وأقول لك مثل مَا ذكرت فِي أول الكلام أُلفَ فيها مؤلف كامل، مؤلف كامل فِي إعجازها ودلالاتها، الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى تحدى الكُفار، فتحدى يعني قَالَ: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ﴾ [البقرة: ٢٣]، هذه أقصر سورة، ولا يستطيعون أن يأتوا ولا بأقصر سورة، يعجزون أن يأتوا ولا بأقصر سورة مِنْ هَذَا القُرآن العظيم، لما اختصهُ الله بالإعجاز العظيم فِي دلالته.

أسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن ينفعنا بما قلنا، وبما سمعنا، وأن يجعلنا وإياكم مِنْ أهل القُرآن الذين هم أهلُ اللهِ وخاصته، وأن ينفعنا ويُبارك لنا، وَاللَّهُ أَعْلَمُ، وصلى الله وَسَلَّمَ عَلَى نبينا مُحَمَّد، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِين.

﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الدرس (٥٨)

بسم الله، والحمد لله، وأُصلي وأسلم على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا مُحَمَّد، وعلى آلِهِ وصحبِهِ وَمَنْ اهتدى بِهُداه إلى يومِ الدين، اللَّهمَ علمنا مَا ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً وعملاً يا رَبِّ الْعَالَمِينَ.

أيها الإخوةُ الكِرام، السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، حياكم الله فِي هَذَا اللقاء المبارك، فِي هَذَا اليوم، هُوَ اليوم الرابع مِنْ شهرِ ربيعٍ الأول مِنْ عام خمسةٍ وأربعين وأربعمائة وألف للهجرة.

مجلسنا مع القُرآن الكريم، قراءةً وتدبراً وتفكراً فِي هذه الآيات، والعمل بهذه الآيات.

ولازلنا فِي قصار السور وفي خواتيم هَذَا الجزء المُبارك، الجزء الأخير مِنْ القُرآن الكريم.

والسورة التي بين أيدينا هي سورة الكافرون، هذه السورة عندما نتناولها، نتناولها مِنْ عدة نواحي:

أولاً: مَا سبب نزولها؟

وثانياً: مَا فضائل هذه السورة؟ هل لها فضائل؟

وثالثاً: مَا معنى هذه السورة؟ نفهم معانيها وألفاظها ودلالاتها.

أما سبب نزول هذه السورة، فإن المشركينَ لما رأوا ظهورَ هَذَا الْإِسْلَام وانتشاره فِي مكة، ودخول عدد كبير للمسلمين، جاءَ رؤساء المشركين إلى النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يساومونهُ على هَذَا الدين، ويُريدونَ منه التنازل والمُداهنة بينه وبينهم، فقالوا: يا مُحَمَّد إن كُنت لازلت على هَذَا الدين الَّذِي أتيتَ به ولم يأتِ به آباؤك، ولم يُعرف، فبيننا وبينك عبادتنا وعبادتك، فنعبدُ إلهكَ يا مُحَمَّد سنة، وتعبدُ آلهتنا سنة، ويعني يكون بيننا وبينك تفاهم على هَذَا.

فماذا كان ردُ القُرآن عَلَيْهِ؟ الدين الشرعي مَا فيه مساومة، مَا فيه تنازل، مَا فيه ترك أصول هَذَا الشَّرْع، الشَّرْع هُوَ شرع الله عَزَّ وَجَلَّ، والدين هُوَ دينُ الله، لا يُمكن للإنسان أن يتنازل عَنْ أمور الدين وثوابت الدين أبداً مهما كان، لو قدمَ نفسهُ وروحهُ لهذا الدين، ولا يتنازل.

فماذا كان الجواب؟

الجواب مَا حكتهُ هذه السورة: ﴿قُلْ يَاأَيُّهَا الْكَافِرُونَ ۝١ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢﴾ [الكافرون: ١، ٢]، وعندك فِي قولهِ (قُلْ) يدل على أي شيء؟ يدل على أن الرد جاءَ مِنْ السماء، ليس مِنْ مُحَمَّد، مُحَمَّد نذيرٌ مُبين يُبلغُ آياتِ ربه، ولذلك جاءَ كلمة (قُلْ) تفيد ماذا؟ تفيد أن هَذَا وحي مِنْ الله، وَالنَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ موجه مِنْ الله عَزَّ وَجَلَّ، ونذيرٌ وبشير، لا يملكُ شَيْئًا فِي أن يتنازل أو أن يتسامح أو يُداهن أو شَيْئًا مِنْ هَذَا، فقُل لهم هَذَا الكلام.

هذه السورة على قِصر آياتِها جاءَ فيها أحاديث فِي فضائلها:

أولاً: ثبتَ عَنْ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قَالَ: «مَنْ قرأ هذه السورة فكأنما قرأ رُبع القُرآن»، «مَنْ قرأ سورة الكافرون، فكأنما قرأ رُبع القُرآن، وَمَنْ قرأ سورة الإخلاص فكأنما قرأ ثُلثَ القُرآن».

هذا الفضل الأول.

الفضل الثاني: أنها تُسمى بسورة (البراءة). سورة الكافرون تُسمى بسورة البراءة مِنْ الشرك، وتُسمى أيضًا بسورة (الإخلاص) لأن فيها براءة عَنْ كُلِّ شرك، وإخلاص العبادة لله وحدهُ لا شريكَ لَهُ.

هذه السورة جاء فِي فضائلها مما يُستحب للإنسان أن يفعله، مثل ماذا؟

عندك أولاً: ركتا الفجر، سُنة الفجر يُستحب فيها ماذا؟ يستحب فيها أن يُقرأ فِي الركعة الأولى: ﴿قُلْ يَاأَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾، وفي الركعة الثانية: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾. هذه سُنة، هذه سنة فِي ركعتي الفجر، فِي سُنة الفجر.

وأيضاً سُنة فِي ركعتي المغرب، راتبة المغرب، إذا صليت فريضة المغرب، وأردت أن تُصلي راتبة المغرب، فيُستحب لك أن تقرأ بهاتين السورتين: الكافرون، والإخلاص.

أيضًا مِنْ فضائلها: أنها تُقرأ فِي ركعتي الطواف، إذا طافَ الإنسان سبعة أشواط، سواءً فِي حج أو عمرة أو نافلة مِنْ النوافل التي يطوف بها البيت سبعة أشواط، يُستحب لَهُ أن يُصلي ركعتين: الأولى: ﴿قُلْ يَاأَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾، والثانية: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾.

أيضًا مِنْ فضائلها: أنها تُقرأ فِي صلاة الشفع، الشفعِ والوتر، فإذا قرأ فِي الشفع فإنه يقرأ فِي الركعةِ الأولى: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾، وفي الثانية: الكافرون، وفي الركعة الأخيرة الوتر: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾.

قد يسألك سائل يقول: طيب، لماذا هذه الأوقات التي جاءت فيها هذه الأَحَادِيْث؟ يعني صلاة الفجر، قبل صلاة الفجر، قبل أن تُصلي، أول مَا تُصلي بعد أذان الفجر هاتين الركعتين، وتقرأ فيها بهاتين السورتين خاصة؟

هذا أمر، الأمر الثاني: المغرب، لماذا خُصصَ الفجر والمغرب؟ ولماذا خُصصَ الوتر؟ ولماذا خُصصَ بعد الطواف؟ هذه الأوقات لماذا خُصصت؟

لأن فيها إبراز التوحيد، إبراز التوحيد والبراءة مِنْ الشرك، فأنتَ أول مَا تستفتح نهارك وصباحك بإخلاص العبادة لله، والتوحيد لله، والبراءة مِنْ الشرك، وتتذكر هَذَا.

ثانياً: عِنْدَ المغرب، بقدوم الليل، وبداية الليل أيضًا تُحقق هذه العبادة؛ أن العمل لله، وأن عبادتك خالصة لله والبراءة مِنْ الشرك.

وفي الطواف: إظهار العبادة لله والإخلاص لله، وإظهار التوحيد فِي طوافك لله، والطواف بالبيت صلاة، كما قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الطواف بالبيت صلاة إلا أنكم تتكلمونَ فيها»، وهكذا الوتر.

وأيضاً جاء فِي حديث لا يفوتنا وقد يغفل عنه بعض النَّاس: «أنه يُستحب قراءة ﴿قُلْ يَاأَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ عِنْدَ النوم»، إذا وضعت رأسك على فراشك، وأتيت بأذكار النوم، يُستحب لك أن تأتي بـ ﴿قُلْ يَاأَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾. ورد فِي أحاديث: «أنه إذا أوىٰ إلىٰ فراشهِ قرأَ بسورة ﴿قُلْ يَاأَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾»، لماذا؟ لأنكَ تودع فِي نومك هَذَا النهار، وقد أويتَ إلى فراشك، وإذا أويت إلى فراشك

وانتهيت مِنْ عملك لايومي فإنكَ تتذكر أن عملك لله، تتذكر أن عبادتك لله وأن تُخلص عملك لله وتتبرأ مِنْ كُلِّ شرك.

هَذَا مَا يتعلق بفضائل هذه السورة القصيرة، ومع ذَلِكَ أحاديث تدلُ على فضلِها.

طيب، إذا فهمنا هَذَا فما معنى هذه السورة؟

أولاً: الاستفتاح بـ ﴿قُلْ﴾ مثل مَا ذكرنا: يدل على أن هَذَا القُرآن وحي مِنْ عِنْدَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، القُرآن يُنزل على النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالنَّبِيّ لا يملك إلا أن يُبلغ رسالة ربه. قُل.

وأيضاً فيه رسالة لمن؟ لأهل مكة، لكُفار قُريش الذين يساومونَ على هَذَا الدين ويظنون أن مُحَمَّد هُوَ الَّذِي أتى به، فيقولون: أعبد آلهتنا سنة، ونعبد آلهتكَ سنة، النَّبِيّ مَا يملك شيء، النَّبِيّ رَسُول، رَسُول مِنْ عِنْدَ الله. فلما قَالَ: ﴿قُلْ﴾ هذه رسالة لأهل مكة أن النَّبِيّ مَا يملك شيء، وإنما هُوَ وحيٌ مِنْ عِنْدَ الله، والذي كلفهُ بالرسالة هُوَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

﴿قُلْ يَاأَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾، ولاحظ أنه ﴿يَاأَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾، مَا قَالَ: يا مُشركي مكة، أو يا أيها المشركون، أو كُفارَ مكة، أو يا كُفارَ قُريش، **قَالَ: ﴿يَاأَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾، لماذا؟ لسببين:**

السبب الأول: أنها رسالة عامة على طول الأزمنة، يعني أهل مكة وَمَنْ جاء بعدهم إلى قيام الساعة، كُل كافر يدخل فِي هَذَا اللفظ، هَذَا سبب.

السبب الثاني: أن كلمة الكافرون، هذه الكلمة (كافر) كُل مَنْ لم يدين الله بشرعهِ الْإِسْلَام فَهُوَ كافر، يدخل فِي ذلكَ اليهود والنصارى والبوذيون وسائر الطوائف وسائر طوائف الأديان الأُخرى، كلها داخلة فِي كلمة: الكافرون، فكأن عندك أمامك الْإِسْلَام والكُفر، فَمِنْ لم يدخل فِي الْإِسْلَام فَهُوَ كافر، فَلَيْسَ هناك ثالث أو رابع أو خامس، الأديان هُوَ دين واحد: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩]، ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٨٥].

فكلمة (الكافرون) لها معنى عظيم، لها فائدة، هَذَا المقصد مِنْ قول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قُلْ يَاأَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾.

قوله تَعَالَىَ: ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ [الكافرون: ٢]، هَذَا نفي مُطلق قوي، ينفي أن يعبد النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو كُل مسلم، يعني الخطاب للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والحديث مِنْ الرَّسُول

لأنه هُوَ المُخاطب فِي الأول، لا يمنع أن يدخل كُل مَنْ يُناقش على دينهِ، ويُساوم على دينه أن يقول هَذَا الكلام.

﴿قُلْ يَاأَيُّهَا الْكَافِرُونَ ۝١ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢﴾ [الكافرون: ١، ٢]، (أَعْبُدُ) فعل مضارع، يُفيد الحال والاستقبال، يعني لا أعبد الآن ولا فِي المستقبل إلى أن أموت. ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ يعني لا أعبدُ عبادتكم، لا أعبدُ دينكم، ولا أدينُ بدينكم، ولا أعبدُ آلهتكم الذين أنتم تعبدونهُ مِنْ هذه الآلهة وهذه الأصنام التي لا تنفع ولا تضر؛ فإنني لا أعبدها، مهما كان، ولا أتنازلُ أبداً على مدى العُمر كله، ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾.

ثُمَّ قَالَ: ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ [الكافرون: ٣]، هذه جملة يُسميها أهل العلم جُملة اسمية، الأولى جملة فعلية، وهذه اسمية، مَا الفرق؟ لماذا؟ لماذا مرة فعلية، ثُمَّ يأتي الإسمية؟

نقول دائماً: أن الفعلية تُفيد الاستمرار، يعني لا أعبد الآن، ولا أعبدُ غداً، ولا أعبد أبداً، مثل مَا ذكرنا.

الجملة الاسمية تفيد الثبوت. يقول: أنتم. مَا أنتم عابدونَ مَا أعبد. ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ يعني مَا دام أنكم تعبدونَ الأصنام، تعبدونَ غير الله، لن تعبدوا حتى تتبرؤوا وتتركوا عبادةَ مَا أنتم عَلَيْهِ، فإذا تركتم هذه العبادات التي مِنْ دون الله، عبدتم الله. أما مَا دام أنكم مُتمسكونَ بأصنامكم، ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾.

حتى قَالَ بعض أهل التفسير: إن فِي هذه الآية إعجاز غيبي بأن النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُخبر بشيءٍ لم يحصل، وَهُوَ: أن كثيراً ممن جاءوا للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُناقشونهُ فِي العبادة، ويساومونه، ماتوا على الكُفر، مَا أسلموا، ماتوا على الكفر، ولذلك قَالَ: ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾، أنتم ستبقون على كفركم وتموتون على كفركم ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾.

ثُمَّ قَالَ مرةً ثالثة: ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ﴾ [الكافرون: ٤]، شوف هذه جملة أيضًا اسمية، ليست مثل الأولى: ﴿لَا أَعْبُدُ﴾ [الكافرون: ٢]، لا، هنا جاء باسمية؛ ليثبت ويدل على استمرار هَذَا الأمر ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ﴾، يعني أنا ثابتٌ على ديني لا يُمكن أن أتغير وأتنازل عَنْ ديني. ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ﴾.

﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ [الكافرون: ٥]، أنتم أيضًا لن تخرجوا عَنْ دينكم، لن تعبدوا مَا أعبد حتى تخرجوا عَنْ دينكم، وحتى تتركوا آلهتكم، فإن تركتم آلهتكم فإنكم ستدخلونَ فِي دين الْإِسْلَام، أما أنكم تقولون: نعبد سنة، ونحنُ نعبدُ سنة، هَذَا كلامٌ لا يُقبلُ أبداً.

ولذلك يعني شوف أربع آيات: ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۝٣ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ ۝٤ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۝٥﴾ [الكافرون: ٢ - ٥] ليسَ فيها تكرار. بعض النَّاس يظن أنها مُكررة، لا، ليسَ فيها تكرار، إذا تأملتها، وَهَذَا معنى التأمل، لما نقرأها ونتأملها، ليس فيها تكرار، لماذا؟ لأن كُل آية لها معناها، كُل آية لها دلالة.

فيظن بعض النَّاس أنها مُتكررة، لا، هذه لها معنى، وهذه لها معنى، وهذه لها معنى، ولذلك خُلاصة هَذَا النقاش والحوار، مَا هُوَ؟

خلاصتهُ فِي الآية الأخيرة: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: ٦]، فبتَ فِي نهاية الأمر، بتَ النقاش والحوار معهم: أنه لا حوار ولا نقاش ولا مساومة ولا تنازل، أنتم لكم دينكم الَّذِي تزعمون أنه دين، وَهُوَ ليس بدين، وليسَ مقبولاً عِنْدَ الله، وإنما أنتم تدعون أنه دين، ولذلك قَالَ: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ﴾ أي لكم عقيدتكم التي أنتم عَلَيْهَا، عقيدة الكُفر والإلحاد، ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ﴾، ﴿وَلِيَ دِينِ﴾ أنا لي ديني الَّذِي أتعبدُ الله به. فهذا معنى كلام البراءة، هذه الجملة الأخيرة هي البراءة: أنا بريءٌ مما تعملوا، وأنتم بريؤون مما أعمل، وأنا بريءٌ مما تعملون. فأنا على ديني متمسك حتى أموت، وأنتم على دينكم.

إذا عرفت هذه الدلالات، وعرفت هذه البراءة، والإخلاص لله: أن تعبد الله وحدهُ ولا تتنازل، وأن تجعل عبادتك لله خالصةً لَهُ وحدهُ لا شريكَ لَهُ، عرفنا وأدركنا ماذا؟ أدركنا أن هذه السورة فيها فضائل، أنها تُقرأ فِي مثل هذه الأوقات، وأن فيها فضائل عظيمة تُحقق الإخلاص لله، وتُحقق البراءة مِنْ كُلِّ شِرك، وَمِنْ كُلِّ عبادة مِنْ دون الله.

هَذَا معنى لما يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۝٦﴾ [الكافرون: ٥، ٦].

هَذَا معنى هذه السورة أخذناها، وتأملناها، وعرفنا مَا فيها مِنْ فضائل، وما فيها مِنْ دلالات.

أسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن ينفعنا بها، وأن يُبارك لنا، وأن يوفقنا لطاعته، وَاللَّهُ أَعْلَمُ، وصلى الله وَسَلَّمَ عَلَى نبينا مُحَمَّد، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِين.

﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨].



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الدرس (٥٩)

بسم الله، والحمد لله، وأُصلي وأسلم على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا مُحَمَّد، وعلى آلِهِ وصحبِهِ وَمَنْ اهتدى بِهُداه إلى يومِ الدين، اللَّهمَ علمنا مَا ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً وعملاً يا رَبَّ الْعَالَمِينَ.

أيها الإخوةُ الكِرام، السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، حياكم الله فِي هَذَا اللقاء المبارك، فِي هَذَا اليوم الحادي عشر مِنْ شهرِ ربيعٍ الأول مِنْ عام خمسةٍ وأربعين وأربعمائة وألف للهجرة.

مجلسنا مجلس التدبر لكتاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى القائل فِي كتابه: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩].

جاء عَنْ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قَالَ: «خيركم مَنْ تعلمَ القُرآنَ وعلمه»، وجاء عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قَالَ مرةً لأصحابه وهم جالسونَ عنده: «أيكم يعجز أن يذهب إلىٰ بُطحان أو إلىٰ العقيق»، مكان قريب مِنْ المسجد النبوي. «أيكم يعجز أن يذهب ويحصل علىٰ ناقتين كماوين» يعني سمينتين. قالوا: يا رَسُول الله كلنا نستطيع، مَا يعجز علينا هَذَا الأمر، الأمر سهل، نذهب إلى هَذَا المكان ونأخذ ناقتين.

قَالَ: «يذهب أحدكم إلىٰ المسجد يتعلم آيتين، خيرٌ لَهُ مِنْ ناقتين، وثلاث خيرٌ لَهُ مِنْ ثلاث، وأربع خيرٌ لَهُ مِنْ أربع». والنوق كانت هي أنفس أموال العرب، وأعظم أموال العرب، كانوا يتنافسونَ عَلَيْهَا.

فالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أعطاهم مَا هُوَ خير مِنْ ذَلِكَ، تذهب إلى بيت مِنْ بيوت الله تتعلم آيةً مِنْ كتاب الله أو آيتين أو ثلاث أو أكثر، خيرٌ لك مِنْ الدُّنْيَا وما فيها.

نقرأ السورة مِنْ سور القُرآن القصيرة، ونتأملها، نتفكر فيها، نتدبرها تدبراً يظهر لك فيها إعجاز القُرآن، يظهر لك فيها تأملات عظيمة، يظهر لكَ فيها علم مِنْ علوم هذه الشريعة.

السورة التي بين أدينا هي تُسمى بسورة: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ هكذا، وتُسمى بسورة (النصر)، وتُسمى أيضًا بسورة (التوديع)؛ لأنها سورة الوداع.

هذه السورة هي آخر مَا نزل مِنْ القُرآن مِنْ حيث السور. شوف عندك سور وعندك آيات فِي القُرْآن الكريم. آخر سورة نزلت فِي القُرآن: سورة النصر. ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾، متى نزلت؟ نزلت أيام التشريق، وَالنَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حجة الوداع، نزلت أيام مِنى، نزلت عَلَيْهِ، فهي آخر سورة نزلت مِنْ القُرآن، مكثَ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعدها ثمانينَ يوماً تقريباً ثُمَّ توفي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

آخر آية فِي كتاب الله على الصَّحِيح مِنْ أقوال أهل العلم هي قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨١] فِي سورة البقرة ٢٨١، هذه هي آخر آية، آخر العهد بالعرش هذه الآية، بينها وبين وفاة النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تسع ليالي، تسع ليالي ثُمَّ ماتَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعدها، ثُمَّ انقطعَ الوحي.

هذه السورة التي ذكرنا إنها هي آخر سورة نزل مِنْ القُرآن، هذه السورة لها يعني معنيان:

- معنى ظاهر.
- ومعنى باطن.

يعني معنى فيهِ دلالة ظاهرة لهذه الآيات يستطيع أن يفهمها كُل إنسان.

وفيه معنى لا يستطيع أي إنسان أن يفهمه، لا يُدركهُ كثير مِنْ النَّاس، بل إن الصَّحَابَة مَا أدركوه، كثير مِنْ الصَّحَابَة مَا فهموه، لَهُ معنى خفي، معنا ظاهر، ومعنى خفي.

مَا هُوَ المعنى الظَّاهِر؟ وما هُوَ المعنى الخفي؟

أما معناها الظَّاهِر؛ فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يُخبر فِي هذه السورة أنه إذا جاء نصرُ الله والفتح. مَا الفرق بين النصر والفتح؟ هل النصر والفتح واحد؟ ولا النصر شيء والفتح شيء؟

نقول: النصر هُوَ الانتصارات، انتصارات النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غزواته، وانتصارات المسلمين.

والفتح هُوَ سقوط الدول، سقوط المدائن بيده، قد ينتصر فِي المعركة ولا تسقط. يعني فِي بدر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ انتصر على المشركين، لَكِنّ لم تسقط فِي يديه أي شيء، لَكِنّ مثلاً: خيبر سقط، مكة سقطت، وهكذا، يعني ضُمت فِي حكم الْإِسْلَام.

فالنصر، جاء نصرُ الله، والفتح. الفتح هُوَ جزءٌ مِنْ النصر، يعني إذا جاء النصر جاء الفتح، قد لا يأتي الفتح.

فتدبر الفرق بين: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ [النصر: ١].

قَالَ: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾. طيب، إذا عرفنا هَذَا، مَا المراد بالفتح فِي الآية؟

☚ ذكرَ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ أن المفسرين أجمعوا على أن المُرادَ بالفتح؛ فتحُ مكة. لماذا خصوا فتح مكة؟

أولاً: الآية نزلت بعد فتح مكة، هَذَا أمر.

الأمر الثاني: أن العرب فِي الجزيرة العربية كانوا ينظرونَ إلى النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لم يدخلوا فِي الْإِسْلَام، فقالوا: لا ندري، هل ندخل أو لا ندخل؟ فإن فتحَ مكة ودانت لَهُ مكة، فإنه نبي، وسنتبعه؛ لأنه كان بين أهل مكة وبين النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حروبٌ استمرت، فقالوا: إن دانت لَهُ مكة، دُنا لَهُ ودخلنا فِي الْإِسْلَام. فلما فُتحت مكة دخلوا فِي الْإِسْلَام.

ولذلك قَالَ الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ﴾ النَّاس هم أهلُ الجزيرة وَمَنْ حولها، ﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢﴾ فالنتيجة مَا هي؟ ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾، مَا هُوَ التسبيح؟ هُوَ تنزيه الله عَنْ أي صفة لا تليق به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وتعظيمهُ وتبجيلهُ وإجلاله. التسبيح تعظيم وتبجيل وإجلال وتنزيه عَنْ صفات النقص.

﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾، كيف يُسبح بالحمد؟ نقول: سبحهُ وأنتَ تحمده، سبحهُ حامداً لَهُ، فقل: سبحان الله وبحمده، فأنتَ تُسبح وتُعظم وتُنزه، وأنتَ تحمدُ اللهَ وتشكره.

﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ﴾ استغفار أيضًا. التسبيح والتحميد والاستغفار، كُلُّ ذَلِكَ ماذا يُسمى؟ نقول: هَذَا شُكر، شُكرٌ للنعم التي أنعمَ الله بها على نبيهِ وعلى المسلمين فِي ذَلِكَ الوقت، وفي سار الأوقات، كلما حصل نعمة للإسلام وَالْمُسْلِمِينَ، سبح وعظم الله واشكرهُ واستغفرهُ.

﴿وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ الخطاب فِي أول الأمر للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ للأمة.

كيف يُقال للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿وَاسْتَغْفِرْهُ﴾، وَالنَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد غُفرَ لَهُ مَا تقدم مِنْ ذنبه وما تأخر؟ كيف؟ هل النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعني غُفرت ذنوبه؟ قَالَ الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ۝١ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ١، ٢]، فالله قد غفرَ لَهُ ذنوبه.

فنقول: استغفار النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

- إما تعليم للأُمة حتى تستغفر.
- وإما يعني الاستغفار عبادة، فالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتعبد بهذا الشيء.
- أو زيادةٌ فِي حسيناته، لا يلزم أن تكون عنده ذنوب. زيادةً فِي حسناته.

﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ [النصر: ٣]، هذه الجملة تعليل بأنكَ كُل مَا تستغفر؛ فإن الله يغفر ذنبك؛ لأنه تواب، فالتواب هُوَ الَّذِي يقبل التوبةَ عَنْ عباده، ويعفو عَنْ السيئات، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

هذه السورة لما نزلت على النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كان يُكثر مِنْ التسبيح والتحميد والاستغفار، حتى إنه كان يقول فِي سجودهِ ويقول فِي ركوعه: «سبحانك اللهمَ ربنا وبحمدك، اللهمَ اغفر لي»، فيُشرع لكل إنسان إذا ركع أو سجد مع التسبيح الَّذِي يأتي به، أن يقول: سبحانكَ اللّهمَ ربنا وبحمدك، اللّهمَ اغفر لي، فإن النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما أخبرت عائشة رَضِيَ اَللَّهُ عَنْهَا: أنه لما نزلت هذه السورة، لزمَ هَذَا الدُعاء فِي سجودهِ وفي ركوعه.

فينبغي للإنسان أن يلزم هَذَا الدعاء.

تُسمى بسورة (التوديع)، لماذا سُميت بسورة التوديع؟

لأنها لما نزلت على النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لما نزلت عَلَيْهِ صعدَ المنبر، فِي التشريق، فِي أيام التشريق، وخطبَ النَّاس خُطبتهُ المشهورة فِي مِنى، وَقَالَ: «قد نُعيت إليَّ نفسي»، وَقَالَ فِي خُطبتِهِ: «إن رجلاً خُيرَ بين الدُّنْيَا والآخرة، فاختارَ الآخرة»، ففهمَ ذَلِكَ مَنْ؟ أبو بكر الصديق فبكى، فهذه السورة مثل مَا ذكرنا، هَذَا معناها الظَّاهِر واضح.

لها معنى آخر خفي، مَا أحد يستطيع أن يصل إليه، كثير مِنْ النَّاس لا يعرفه، أنا أذكر لك الآن هَذَا الموقف، وهذه القصة تُبين لك هَذَا المعنى الدقيق، عمر رَضِيَ اَللَّهُ عَنْه لَهُ مجلس فِي خلافته، وكان يدخل عندهُ كِبار الصَّحَابَة، وأشياخ بدر، وكان يُدخل ابن عباس، ابن عباس كان صغير عمره خمس عشر سنة أو ستةَ عشر سنة، أو قريباً مِنْ ذَلِكَ، فكان يُدخله، وكأن كِبار الصَّحَابَة نظروا إلى عمر، كيف تُدخل واحد صغير وإحنا عندنا أبناء فِي سنه وأكبر؟!

فأرادَ أن يُثبت لهم مكانة ابن عباس وعلمه الغزير، فجاء وسألهم، قَالَ لهم: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ۝٣﴾ [النصر: ١ - ٣]، مَا معناها؟

شيوخ، يعني كِبار مِنْ علماء الصَّحَابَة وأجلاء الصَّحَابَة، سألهم، ماذا تقولون فِي هَذَا المعنى؟

قالوا: إذا فُتحت مكة. وَقَالَ بعضهم: إذا جاءت الانتصارات والغزوات، وكذا.

مَا أعجب عمر هَذَا الجواب، فالتفتَ لابن عباس، قَالَ: يا ابن عباس، مَا تقول فيها؟

قَالَ: هذه جاءت نعي للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هذه جاءت تُخبر النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقُرب أجله، ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾ [النصر: ١، ٢] فاستعد لمغادرة هذه الدُّنْيَا، فاستعد للرحيل مِنْ هذه الدُّنْيَا.

فَقَالَ عمر: واللهِ لا أعلم مِنْ معناها إلا مَا يعلمهُ ابن عباس.

هَذَا معنى خفي، قد لا يعرفه كثير مِنْ النَّاس. معنى خفي، إشارة، إشارة لأي شيء؟ لقُرب أجله، ولذلك قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «نُعيت لي نفسي»، إذا رأيت، ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ [النصر: ١] واكتملت الفتوحات وظهر الْإِسْلَام، واكتملت دعوة النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لم يبقى إلا الرحيل.

ولذلك أنا أوصي نفسي أولاً وأوصي الحاضرينَ وَمَنْ يستمع: أنه ينبغي لكل مسلم منا كُلنا أن نُكثر مِنْ هذه الكلمات الثلاث: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ [النصر: ٣].

سبح، واحمد، واستغفر؛ كل وقتك.

وَالنَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لذلك قَالَ لبعض الصَّحَابَة لما نزلت هذه السورة، ما رأيت النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلا وَهُوَ يُسبح ويحمد، يُسبح ويحمد، كُل عملهُ وكل وقتهُ تسبيح وتحميد.

فَمِنْ تقدمَ به السن فعليه أن يحرص، يحرص على التسبيح والتحميد والاستغفار؛ فإن هَذَا هُوَ مِنْ الباقيات الصالحات.

نسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن ينفعنا بما قلنا، وبما سمعنا فِي تأملات هذه السورة، وأن يجعلها حُجةً لنا لا علينا، وأن يوفقنا لطاعته ولمرضاته، وَاللهُ أَعْلَمُ، وصلىٰ الله وَسَلَّمَ عَلَىٰ نبينا مُحَمَّد وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِين.

﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الدرس (٦٠)

بسم الله، والحمد لله، وأُصلي وأسلم على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا مُحَمَّد، وعلى آلِهِ وصحبِهِ وَمَنْ اهتدى بِهُداه إلى يومِ الدين، اللَّهمَ علمنا مَا ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً وعملاً يا رَبِّ الْعَالَمِينَ.

أيها الإخوةُ الكِرام، السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، حياكم الله فِي هَذَا اللقاء المبارك، مع القُرآن الكريم، ومجلس مِنْ مجالس التدبر، هَذَا اليوم يوم الثلاثاء الثامن عشر مِنْ شهرِ ربيعٍ الأول مِنْ عام خمسةٍ وأربعين وأربعمائة وألف للهجرة.

مجلسنا مع قصار السور، ولازلنا فِي نهاية هَذَا الجزء المبارك، والسورة التي بين أيدينا هي مِنْ قِصار السور، ونأخذها تدبراً وتأملاً وتفكراً مِنْ عدة نواحي:

أولاً: اسم السورة.

ثانياً: نزول هذه السورة وسبب نزولها.

ثالثاً: مَا فيها مِنْ إعجاز قُرآني.

رابعاً: مَا احتوت عَلَيْهِ مِنْ معاني.

فالسورة فِي المصاحف تُسمى بسورة (المسد)، وتسمى بسورةِ (تبت)، وأيضًا تُسمى بسورةِ (أبي لهب). والمشهور فِي المصاحف سورة (المسد).

مَا سبب نزولها؟

جاءَ فِي أحاديث أن النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما نزلَ عَلَيْهِ قولهُ تَعَالَىَ: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]، وقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الحجر: ٩٤]، بداية الدعوة الجهرية؛ لأنه مكثَ ثلاث سنوات، ودعوتهُ كانت سِرية لم يُصرح بالدعوة

ولم يجهر بها، فلما نزلَ عَلَيْهِ هذه الآية: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾؛ صعدَ على الصفا، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ونادى: يا بني فلان، يا بني فلان، ثُمَّ قَالَ لهم: «لو أخبرتكم أن فِي سفح هَذَا الجبل خيلاً قادمة، أمصدقيَّ أنتم»؟، قالوا: مَا علمنا عليك مِنْ كذب أبداً. قَالَ: «إني لكم نذيرٌ بين يدي عذابٍ شديد»، وكان ممن حضر عمهُ أبو لهب، فَقَالَ: تباً لكَ، ألهذا جمعتنا! يعني لهذا الأمر! كأنه فِي نظره أمر لا يستحق.

تباً لكَ، يعني خسرت خسارة عظيمة، وهلكت لهذا الأمر، تدعونا لهذا الأمر!

فتفرقَ الجميع، ونزلت هذه الآية التي فيها شقاء هَذَا الرجل، وشقاء زوجته.

فأخبرَ الله بهذا الخبر العظيم، وهذه السورة تُعدُ مِنْ أوائل مَا نزل؛ لأنها تقريباً فِي السنة الثالثة أو قريباً مِنْ الثالثة، فهي مِنْ أوائل مَا نزل فِي العهد المكي.

مَا وجه الإعجاز فيها؟

الإعجاز أن الله أخبر بشيءٍ لم يحدث حتى الآن، وَهُوَ نهاية هَذَا الرجل، وأنه سيموت على الكُفر، ولن يؤمن مهما كان؛ لأن اللهَ كتبَ عَلَيْهِ الشقاوة، وأخبرَ بمصيرهِ إلى نارِ جهنم، -نسأل الله العفو والعافية-، وَهَذَا مِنْ الإخبار الغيبي.

والقُرآن الكريم فيه أخبار غيبية، أو فيه آيات تدلُ على الإعجاز الغيبي، مثل قوله تَعَالَىَ: ﴿غُلِبَتِ الرُّومُ ۝٢ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝٣﴾ [الروم: ٢، ٣]، غُلبت يعني غلبت فارس الروم؛ لأنها كانت دولتانِ عظيمتان، فغلب فارس الروم قبل الهجرة بسنة، يعني فِي السنة الثانية عشرة مِنْ الدعوة، فلما علمت قُريش فرحت؛ لأنها هي توالي فارس؛ لأنهم كانوا مُشركين يعبدونَ النَّار، والروم كانوا أهلَ كتاب.

فلما علمت قُريش بالانتصارِ فرحت. فأخبرَ القُرآن بهذا الخبر الَّذِي سيأتي بعدَ سنين. ﴿فِي بِضْعِ سِنِينَ﴾ [الروم: ٤]، والبضع مِنْ ثلاث إلى تسعة. فأخبرَ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأنها غُلبت، ولكنها ستغلبهم، هذا خبر، مَا يصدق أهل مكة ولا غيرهم، كيف تقول: ستغلبهم بعد سنين؟ كيف جبت هَذَا الخبر؟ مِنْ أين؟ أخبر القُرآن به. فلما جاء السنة السادسة مِنْ الهجرة، سنة صُلح الحُديبية، انتصرت الروم على فارس، والقصة معروفة.

أيضًا مِنْ أخبار القُرآن الغيبية، كثيرة، يعني منها قولهُ تَعَالَىَ مثلًا: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ [القمر: ٤٥]، هذه الآية نزلت فِي مكة، فِي مكة قبل الهجرة، وأخبرَ القُرآن بأنَ جمع قُريش سيهزمون ويولون الدُبر.

ولذلك عمر رَضِيَ اَللَّهُ عَنْه يقول: كُنت أقرأ هذه الآية ولم أعلم معناها الدقيق، حتى رأيت النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بدر وَهُوَ يثبُ على رُمح ويقول: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾، يقول: فعرفت أن هَذَا وقت هذه الآية.

أحياناً القُرآن يُخبر عَنْ أشياء غيبية، هَذَا يُسمى مِنْ الإعجاز الغيبي، القُرآن يُخبر عَنْ أشياء غيبية مُستقبلة، وأحياناً يُخبر عَنْ أشياء غيبية حاضرة، كما ينزل القُرآن لإخبار النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأشياء حاضرة، وأحياناً يُخبر عَنْ أشياء غيبية ماضية، مِنْ الأُمم الماضية التي لا يعلمُها أحد إلا الله، أُمم ماضية مضت وجاء فيها مِنْ الأخبار الدقيقة التي يأتي بها القُرآن بدقائقها الحقيقية.

نعود إلى السورة، السورة فيها إعجاز غيبي، افتتحها الله بالدعاء، هَذَا يُسمى دُعاء: ﴿تَبَّتْ﴾ [المسد: ١] دعاء، افتتحها الله بالدعاء، الدعاء على هَذَا الرجل.

﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ [المسد: ١] يعني خسرَ خسارةً عظيمة، وهلكَ هلاكاً عظيماً، تبت يداه.

قد يسألك سائل: يقول لك: طيب، لماذا خصَ اليدين؟ لماذا مَا قَالَ: تبت تباً لَهُ هُوَ؟ وهلكَ هُوَ؟ لماذا تهلك يداه فقط؟

نقول: لأن الأخذ والعطاء باليد غالباً، ولأن الجزاءَ مِنْ جنس العمل؛ لأنه لما جمعهم النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رفعَ يدهُ وَقَالَ: تباً لك. فعاقبهُ الله على هَذَا العمل، فالجزاءُ مِنْ جنس العمل.

ودائماً الكسب يكون فِي اليدين غالباً، يكون فِي اليدين ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ﴾ [الحج: ١٠] دائماً.

﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [المسد: ١]، الرجل اسمهُ عبد العزى بن عبد المطلب، القُرآن مَا صرحَ باسمهِ، وإنما أتى بالكُنية، والكُنية دائماً، دائماً تكون على وجه المدح، لما يُقال: يا أبو فلان، يا أبو فلان، دائماً تكون على وجه المدح، فلماذا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىَ ذكرَ كُنيتهُ ولم يذكر اسمه؟

قالوا: لأن اسمهُ متعبد لغير الله، عبد العزى، متعبد لغير الله، والقُرآن لا يُريد ذِكر هَذَا الشيء؛ لأن هَذَا مُخالف للشرع، فأتى بكُنيتهِ (أبو لهب)، هَذَا مِنْ وجه.

وَمِنْ وجهٍ آخر: التشابه بين لهب وجههِ؛ لأنه سُميَ لهباً، قالوا: لتلهب وجههِ ووضاءة وجههِ، فسموه أبو لهب، أو سموهُ أبا لهب، ولأن اللهَ أعدَ لَهُ ناراً ذاتَ لهب، فالجزاء مِنْ جنس العمل، يُناسبهُ أن تكون النَّار ناراً ذاتَ لهب لأبي لهب. فيه توافق بين اللفظين.

كانت عداوتهُ شديدة، زوجتهُ عداوتها أيضًا شديدة للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مِنْ عداوتهِ الشديدة وتسلطهِ على النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أن النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يخرج فِي مناسبات الحج، فِي أسواق الحج، المجنة، وسق عكاظ، وأسواق مكة المعروفة، كان يخرج إليها النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدعو إلى الله، يقول: «مَنْ يحميني أُبلغ رسالةَ ربي، اعبدوا اللهَ مَا لكم مِنْ إلهٍ غيره»، ويدور فِي الأسواق، وكان خلفهُ مَنْ؟ أبو لهب، يقول: اتركوه؛ فإنه كذاب. اتركوه فإنه ساحر. دعوهُ. تسلطَ عَلَيْهِ، فجازاه الله، جزاه الله.

﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [المسد: ١]، السؤال هنا: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ (تبت – تب) هل هي بمعنى واحد، مُكررة؟ ولا الأولى غير، والثانية غير؟

نقول: لا، الأولى شيء والثانية شيء.

الأولى: دُعاء عَلَيْهِ: تبت يداه يعني اللّهم أهلكه، هَذَا دُعاء. اللّهمَ أهلكه، اللّهمَ اجعلهُ يخسر فِي الدُّنْيَا والآخرة.

والثانية: خبر.

يعني دعا عَلَيْهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بهذه الدعوة، ثُمَّ أخبرَ أن هذه الدعوة تحققت، أن هذه الدعوة ثبتت عَلَيْهِ. فَهُوَ دُعيَ عَلَيْهِ بالهلاك، ثُمَّ تحققَ الهلاك لَهُ.

﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ أي هلكَ وخسر.

ثُمَّ قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾ [المسد: ٢]، يعني (مَا) هنا يسميها أهل العلم نافية تنفي، يعني مالهُ مَا ينفعه، (مَا أغنى) يعني مَا نفعَ عنه، ولم ينتفع بماله؛ لأنه صاحب مال، فَقَالَ: ﴿مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾.

أيضًا سؤال هنا: هل قولهُ تَعَالَىَ: ﴿مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾، مَا كسب هُوَ المال، ولا شيء آخر؟ يعني مَا كسب ماذا؟ إن هُوَ المال نفسه فيه تكرار، إن كان شيء آخر، فما هُوَ؟

بعض المفسرين يقول: مالهُ الَّذِي عندهُ، وما كسبَ عَلَيْهِ. مَا زاد عَلَيْهِ مِنْ الكسب.

وبعضهم يقول: لا، (مَا أغنى عنهُ مالهُ) هَذَا المال، (وما كسب) هَذَا الولد؛ فإن الولد مِنْ كسبِ أبيه. حديث: «إن الولدَ مِنْ كسب أبيه». فما أغنى عنهُ مالهُ ولا ولده.

ودائماً التفسير لما يُعطينا معنى جديد أولى مِنْ يعطينا تكرار، الجديد المعنى يفيدك أزيد وأكثر. مَا أغنى عنه مالهُ ولا ولده، لا المال ولا الولد نفعهُ.

ثُمَّ أخبرَ بصيغة تدلُ على الاستعجال، شوف لما يقول: ﴿سَيَصْلَى﴾ [المسد: ٣] غير (سوف يصلى). سوف يصلى هذه تفيد البطء مَا تفيد الاستعجال، لما يقول: (سيصلى) هذه دليل على السرعة والاستعجال.

شوف فِي قصة يعقوب وأبنائه، ﴿قَالُوا يَاأَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ﴾ [يوسف: ٩٧]، ماذا قَالَ؟ قَالَ: سأستغفر، ولا قَالَ: سوف؟

﴿قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ﴾ [يوسف: ٩٨]، طيب، لماذا قَالَ: سوفَ، لماذا يؤخر؟ قَالَ: أهل التفسير: إنه أخرهُ لوقت السَحر؛ لأن هَذَا الوقت وقت إجابة، فَقَالَ لهم يعقوب: أنا سأستغفر لكم ربي فِي هَذَا الوقت، ﴿قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ﴾.

هنا قَالَ: ﴿سَيَصْلَى﴾ [المسد: ٣] أي على عُجالة وسُرعة، خبر سريع. وقوله: ﴿سَيَصْلَى نَارًا﴾ [المسد: ٣]، هَذَا دليل على خاتمته السيئة، أن الله كتبَ عَلَيْهِ الشقاوة.

﴿سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾ [المسد: ٣]، وفي هَذَا دليلة على أن القُربة مَا تنفع، قرابك مِنْ الشخص مَا تنفعك، ينفعك عملك الصالح أمام الله عَزَّ وَجَلَّ، أما القرابة مَا تنفع «مَنْ بطأَ به عملهُ لم يُسرع به نسبه»، مَا ينفع النسب والقرابة، إلا العمل الصالح.

ولذلك قَالَ: ﴿سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾ [المسد: ٣]، مَا معنى (يصلى)؟ قد يفهمها بعض النَّاس: يصلى مِنْ الوصول، يعني يصل إلى النَّار، يعني يدخل.

(يصلى) مِنْ الصلي، وَهُوَ الاحتراق. كلمة صَلِيَّ يصلىَ يعني يحترق. ليست مِنْ الوصول، وإنما يُقال: شاةٌ مَصلية يعني مشوية. فقولهُ: ﴿سَيَصْلَى نَارًا﴾ أي سيدخلُ النَّار ويحترق فيها. هَذَا معناه: ﴿سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾، والنار وصفها الله بأنها تتلهب لشدةِ احتراقِها، لشدةِ حرها واحتراقِها.

ثُمَّ ذكرَ الله عَنْ زوجتهِ أيضًا بأنها امرأةٌ سيئة، كانت هي تؤذي النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بالسب والشتم، وتؤذيه أيضًا كما ذكرَ أهلُ التفسير: بوضع مَا يؤذي النَّبِيّ فِي طريقه إذا أرادَ أن يذهب آخر الليل ليُصلي عِنْدَ الكعبة فِي ظُلمة الليل، تضع فِي طريقهِ مَا يؤذيه.

فَقَالَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ [المسد: ٤] أي وامرأتهُ أيضًا ستصلى، هَذَا معناه، معطوفة، أي امرأتهُ ستصلى ناراً ذاتَ لهب.

ثُمَّ أخبرَ بأنها (حمالة الحطب)، يعني أذمُ وأخصُ هذه المرأة التي توصف بأنها حمالة الحطب.

مَا معنى (حمالة الحطب)؟

قيل فِي تفسيرها ثلاثة أقوال:

- القول الأول: حمالة الحطب على ظاهره، أنها تحمل الحطب والشوك وتضعهُ فِي طريق النَّبِيّ. هَذَا هُوَ المتبادر عِنْدَ كثير.

- والرأي الثاني: أن حمالة الحطب، بمعنى: أنها تحمل على ظهرها الأوزار، لأنها كانت تمشي بالنميمة والسب للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتُسمي النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بدل مَا تقول محمداً، تقول: مُذمماً، وتسبهُ. فحملها الحطب على ظهرها كحمل الأوزار على الظهور والذنوب.

- المعنى الثالث: أنها تحمل حطب جهنم على ظهرها وتضعهُ على زوجها فِي نارِ جهنم. يعني تكونُ يعني مُسلطةً على زوجها حتى فِي نارِ جهنم تُعذبُ زوجها بهذا الحطب.

قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ [المسد: ٤]، قَالَ: ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ﴾ [المسد: ٥].

مَا السبب؟ لماذا ذكرَ الله الجِيد؟ الجيد هُوَ العُنق، عُنق الشخص. ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ﴾. أيضًا كلمة ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ﴾ قيلَ: إنها كانت تحمل الحطب على ظهرها، وتضعهُ على عُنقها، تربطه، هَذَا الواقع.

وقيل: إنها كانت لها قِلادة تلبسها فِي عُنقها، وكانت لها مكانة عندها وقيمة عظيمة عندها، فأخذتها واشترت بها، باعتها وأخذت المال لتنفق على إيذاء النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بهذا المال. تُنفقهُ فِي إيذاء النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وقيل: إن معنى: ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ﴾ أنه يوضع فِي عُنقها سلسلة يوم القيامة، سلسلة مِنْ نار، توضع فِي عنُقها؛ لتحمل الحطب فتُلقيهِ على زوجِها.

كُل هذه الأقوال واردة، وكلها أقوالاً يعني سيئة.

﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ﴾ المسد مَا هُوَ؟ قيل: هُوَ الليف الَّذِي كانت العرب تستعملهُ لربط، للحبال، هُوَ المسد، لكنه مسدٌ فِي نارِ جهنم، غير ليف الدُّنْيَا، مسدٌ تُعذب به وتُخنق به.

﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ﴾ جاء أيضًا مِنْ أخبار إيذائها للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنها لما نزلت السورة، وأُخبرت بأن القُرآن نزل، وأن محمداً أوحيَ إليه بهذه السورة، وقُرأت عَلَيْهَا فسمعتها، جاءت فِي يوم مِنْ الأيام وأخذت حجراً عظيماً وجاءت إلى النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكان جالس هُوَ وأبو بكر عِنْدَ الكعبة، فأقبلت قالت: أين مُحَمَّد، أين مُحَمَّد.

فَقَالَ أبو بكر: يا رَسُول الله، قد أقبلت عليك.

قَالَ: «لن تراني ولن تؤذيني».

فلما وصلت إلى النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ألقت الحجر فِي الأرض، وقالت لأبي بكر: أين صاحبُك؟ أين صاحبُك؟ فأعمى اللهُ بصرها وبصيرتها.

هذه السورة التي نقرأها كلنا، ونُرددها كُل يوم، أو فِي الأيام، ويحفظها الجميع كلهم الصِغار والكِبار، فيها عِبرة، فيها دروس، فيها آيات عظيمة، فيها دلالات تدلُ على أن القُرآن مُنزل مِنْ عِند الله، تدلُ على سوء الخاتمة لكل مَنْ كانت خاتمتهُ سيئة، تدلُ على كُلّ مَنْ آذى المسلمين، يأخذ العبرة مِنْ هذه الدروس أن يبتعد عَنْ إيذاء المسلمين، أن يحفظ نفسه.

أسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن ينفعنا بهذه السورة، وأن يُبارك لنا فِي أوقاتِنا وفي أعمالِنا، وأن يجعلنا وإياكم مِنْ أهل القُرآن الذينَ هم أهلُ الله وخاصته، وَاللَّهُ أَعْلَمُ، وصلى الله وَسَلَّمَ عَلَى نبينا مُحَمَّد، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِين.

﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨].



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



بسم الله، والحمد لله، وأُصلي وأسلم على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آلِهِ وصحبِهِ وَمَنْ اهتدى بهداه إلى يومِ الدين، اللَّهمَ علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علمًا وعملًا يا رب العالمين.

أيها الإخوةُ الكِرام، السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، حياكم الله فِي هذا اللقاء المبارك، هذا اليوم هو اليوم الخامس والعشرون مِنْ شهرِ ربيعٍ الأول مِنْ عام خمسةٍ وأربعين وأربعمائة وألف للهجرة، مجلسنا المُبارك مع القُرآن الكريم، قراءةً وتفسيرًا وتدبرًا وتأملًا.

السورة التي بين أيدينا، مِنْ قِصار السور، والحقيقة تُعدُ مِنْ أهم سور القُرآن الكريم، ووردَ فيها فضائل عظيمة، بل إن مَنْ أحبَ هذه السورة، مَنْ أحبها أحبهُ الله، وأن هذه السورة سببٌ لدخول الجنة، مَنْ حافظَ عَلَيْهَا ورددها بكثرة كانت سببًا لدخولهِ الجنة.

❍هذه السورة سورة عظيمة، النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عظمها، فقال: «أيكم يعجز أن يقرأَ القُرآنَ فِي ليلة؟» ثم قال: «مَنْ قرأ سورة الإخلاص فكأنما قرأَ ثُلث القُرآن»، فإذا قرأتها ثلاثَ مرات فكأنما قرأتَ القُرآنَ كُله، يعني يعدلُ فضلُها كمن يقرأ القُرآن كاملًا مِنْ حيث الفضل، مِنْ حيث الأجر والفضل، لا مِنْ حيث الإجزاء، لا مِنْ حيث الإجزاء لكنه مِنْ حيث الفضل والأجر؛ فإنَ مَنْ قرأها ثلاثَ مرات فكأنما قرأَ القُرآنَ كُله.

☚لما أقول: أنَ مَنْ أحبها أحبه الله.

أن رجلًا كان فِي سرية مِنْ السرايا فِي غزو، فكان يُصلي بأصحابه، وكان يقرأ بعد الفاتحة أو بعدَ السورة التي تلي الفاتحة، كان يقرأ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، فِي كل ركعة، كُل ما جاء فِي ركعة وقرأ الفاتحة وسورة، قرأَ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ فِي هذه الركعة، فتعجبَ أصحابه، فلما جاءوا إلى النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سألوه، فسألهُ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: «ما الذي دعاكَ إلىٰ أن تفعل هذا؟». قال: إنها سورة عظيمة، وإني أُحبها. قال: «أحبكَ الله بما أحببتها» «-أو بسببِ حُبكَ لها»-.

◈ وفيه أيضًا حديث آخر، وهذه حتى نقف معها وقفة، هل يجوز للإنسان أن يقرأ بمثل هذا؟ يعني أنت الآن لو تبي تصلي سُنة مِنْ السُنن، أو فريضة مِنْ الفرائض، هل يجوز لك أن تقرأ بعدَ قراءة السورة التي تلي الفاتحة أن تقرأ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ في كل ركعة؟ ولا لا يجوز؟ أو نقول هذه خاصة؟

نقول: هذا جائز، لكنه ليس مِنْ السُّنّةِ؛ لأن النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يفعله، ولم يفعلهُ أصحابه، ولكنه أقرهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أقرهُ في الحديث، فما دام أن النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أقرَ هذا الشيء، دلَ على الجواز، على أَنَّه يجوز أن تفعل ذلك أحيانًا.

☚ جاء في حديث آخر: أن رجلًا كان يُصلي بأصحابهِ في قباء، في مسجد قباء، وكان نفس العمل، كان يقرأ سورة الإخلاص في كُلِّ ركعة، فقال النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ له: «ما الذي دعاكَ إلىٰ هذا؟»، فقال: إني أُحبها. قال: «حُبُّكَ إيَّاها أدْخَلَكَ الجَنَّةَ».

☚ جاء في فضلها أيضًا أحاديث كثيرة، مِنْ هذه الأحاديث: أن النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمرَ بقراءتها كُلَّ ليلة ثلاث مرات، فمن السُّنّة أن تقرأها كُلَّ ليلة ثلاث مرات. يعني أولًا: أنها سُنة، يعني تقتدي بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو بأمرهِ. والأمر الثاني: ما يحصل لك مِنْ الفضل العظيم في قراءتها ثلاث مرات.

شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى ألفَ فيها كتابين، في هذه السورة، السورة التي هي تقريبًا سطر واحد، ألفَ فيها كتابين:

الكتاب الأول: اسمه تفسير (سورة الإخلاص) موجود ومطبوع.

والكتاب الآخر: اسمهُ (جواب أهل العلم والإيمان بأن سورة الإخلاص تعدلُ ثُلث القُرآن).

ألف فيها مؤلفين، يعني يدل على ماذا؟ يدل على عِظمِ هذه السورة ومكانتِها وشرفِها.

قد يسألك سائل يقول لك: طيب، لماذا النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: أنها تعدل ثُلث القُرآن؟ لماذا؟ لماذا ما قال ربع ولا نصف؟

نقول: لأن القرآن يحتوي على ثلاث أقسام:

القسم الأول: يتعلق بالعقائد؛ وهذا هو الثلث الأول: التوحيد والعقائد.

القسمُ الثاني: يتعلق بالقصص، القصص القُرآني.

والقسمُ الثالث: يتعلق بالأحكام العملية، كالصلاة والزكاة والصوم والحج، الأحكام كُلها.

فلما كان القُرآن بهذا يعني التصنيف أَنَّه ينقسم ثلاث أقسام، كان حظ هذه السورة سورة (الإخلاص) كان حظُها الثُلث مِنْ هذا القُرآن.

ورد فِي فضائل هذه السورة مثل ما ذكرنا هذه الفضائل، **وأيضًا لها يعني أوقات يُستحب أن يأتي الإنسان بها، ما هذه الأوقات التي يُستحب للإنسان أن يأتي بها؟ ما هي السُنن التي ينبغي لنا جميعًا أن فعلها وألا تفوتنا فِي اليوم والليلة؟ ما هي السُنن المتعلقة بسورة (الإخلاص) متى نقرأُها؟ هل نقرأها فِي كل وقت؟ ولا هناك أوقات محددة جاءت السُّنّة فيها؟**

نقول: فيه أوقات أو فيه أشياء ومواضع وأحوال تُسن فيها قراءة سورة الإخلاص، مثل ماذا؟

➤أولًا: الوِتر، إذا أرادَ الإنسان أن يوتر، مِنْ السُّنّةِ أن يقرأ سورة (الإخلاص) بعد الفاتحة فِي الوتر.

➤كذلك فِي ركعتي الطواف يقرأ فِي الأولى (الكافرون)، وَفِي الثانية (الإخلاص).

➤كذلك أيضًا فِي ركعتين الفجر، ركعتي سُنة الفجر (الكافرون)، و(الإخلاص) فِي الركعة الثانية.

➤وأيضًا فيه هناك سُنة أُخرى فِي ركعتين الفجر، سُنة الفجر: أن يقرأ (آيةً مِنْ البقرة) و(آيةً مِنْ آلِ عمران)، وردَ عن النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّه كان يقرأ فِي الركعةِ الأولى آية مِنْ سورة البقرة، وهي قولهُ تَعَالَى: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ ...﴾ [البقرة: ١٣٦] إلى آخر الآية. وَفِي الركعةِ الثانية: ﴿قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا ...﴾ [آل عمران: ٦٤] إلى آخر الآية.

☚هذه يفعلها النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي ركعتي الفجر، كان يقرأ تارةً هذه، وتارةً هذه. ولو قرأَ غيرها لأجزأَ ذلك.

➤أيضًا مِنْ السُنن أن الإنسان يقرأها عند الصباحِ وعند المساء، مع المعوذتين، إذا أصبحَ الإنسان فِي أذكار الصباح، فِي أوراد الصباح، مِنْ هذه الأوراد أَنَّه يقرأ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ والمعوذتين فِي الصباح، وكذلكَ فِي المساء.

متى يكون المساء؟

بعض أهل العلم يقول: المساء يبدأ بعد صلاة العصر. هذا وقت العشي، الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يقول: بالعشي والإشراق، العشي يبدأ بعد صلاة العصر، والأذكار تبدأ بعد صلاة العصر، فهذا وقت المساء.

وبعضهم يقول: بعدَ صلاة المغرب.

والأمر فيهِ سِعة، فمن أتى بأذكارهِ وأوراده بعد العصر، أو قُبيل المغرب، أو بعد الصَّلَاة مُباشرة، أو بعد صلاة المغرب، الأمر فيه سِعة، إلا ما دلَ الدليل على أَنَّه فِي الليل، مثل قول النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ قرأ الآيتين مِنْ آخر سورة البقرة فِي ليلة»، قال: «فِي ليلة»، ما قال فِي المساء، فهذه مُتعلقة ببعد غروب الشمس.

➤مِنْ الفضائل لسورة الإخلاص أنها أيضًا تُقرأ بعد دُبر كل صلاة، إذا صليت الفريضة تقرأُها فِي صلاة الظهر والعصر والعشاء مرةً مع المعوذتين، وتقرأها ثلاثَ مرات بعد صلاة الفجر وبعد صلاة المغرب.

➤أيضًا مِنْ فضائل هذه السورة: أن الإنسان إذا أوى إلى فراشه للنوم فِي الليل فإنه يأخذُ كفيه ويجمعُ كفيه، ثم يقرأ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ثلاث مرات، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ ثلاث مرات، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ ثلاث مرات، وينفث فِي كفيه، كل ما قرأَ نفث، كل ما قرأ نفث، ثم مسحَ بها وجههُ وسائر جسده. النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كانَ يفعل ذلك كُلَّ ليلة. فهذه مِنْ السُنن.

◈وقد توجد هناك سُنن أُخرى كثيرة فِي هذه السورة، لم أكن أُحصيها جميعًا، ولكن هذا الذي استطعت أن آتي به حتى يكون الإنسان على بيّنة وعلى معرفة بهذه السورة العظيمة التي تعددت وكثرت فيها الفضائل.

هذه السورة لها سبب نزول، وذلكَ أن المشركينَ جاءوا للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقالوا: يا محمد، انسب لنا ربك. مَنْ هو رَبُك؟

أنتَ تقول: اعبدوا الله، مَنْ هو ربُك؟

فأنزلَ الله هذه السورة: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾.

◄ وجاءَ فِي رواية أيضًا أن الْيَهُود هم الذين سألوا النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقالوا: يا محمد انسب لنا ربك؟

◄ وجاء فِي حديث ثالث أيضًا أن أعرابيًا جاءَ إلى النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقال: يا محمد انسب لي ربك؟ فأنزل الله هذه السورة.

ولا مانع أن يكون هذه الأسباب كلها صحيحة، يعني أهل مكة سألوه، الْيَهُود سألوه، هذا الأعرابي سأله، قد تتعدد الأسئلة لحالة واحدة، هذا ممكن جائز، هذا فِي سبب نزول هذه السورة.

هذه السورة إذا قرأتها، كلنا نحفظها، الجميع يحفظها، لكن تحتاج مِنا ماذا؟ فهم لآياتِها، وتحتاج مِنا تدبر.

هذه السورة افتُتحت بقولهِ: ﴿قُلْ﴾ [الإخلاص: ١]، يدل على أي شيء؟ يدل على الاهتمام بهذه السورة، لما يقول لك: قُل. وأقول لك أنا: قُل. وأنت قُل، وقل، وأُكرر عليك كلمة (قُلْ) هذا يدل على أَنَّه ينبغي أن تعتني بها.

ولذلك جاءت بعض السورة فِي افتتاحيتها بهذا الفعل (قُلْ) ﴿قُلْ يَاأَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ [الكافرون: ١]، ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾، وهكذا.

أيضًا هذه افتتاحية يعني واضحة، تدلُ على أن النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُخاطب بالآيات، وأنه يأتيه الوحي مِنْ السماء، يأتيه الوحي، وأن الله يُكلفه فيقول له: قُلْ يا محمد لهؤلاءِ كذا وكذا وكذا.

هذه السورة إذا نظرتَ إليها وتأملتها تأملًا دقيقًا وجدتها تنقسم إلى قسمين:

القسم الأول: فيه إثبات.

والقسم الثاني: فيه نفي.

ما هو الإثبات؟

وما هو النفي؟

الإثبات: أنها أثبتت لنا أنواع التوحيد الثَّلَاثة:

- توحيد الربوبية.
- توحيد الألوهية.
- توحيد الأسماء والصفات.

فِي الجُمل الأولى الثلاث اشتملت على أنواع التوحيد الثَّلَاثَة.

والقسم الثاني: نفت عن الله صفات النقص التي لا تليق، ولا ينبغي أن يوصف الله بها.

- يعني النصف الأول منها: يجب علينا أن نُثبت لله ما اثبتهُ هو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فيها.
- القسم الثاني: يجب علينا أن ننفي ما نفاه الله عن نفسه.

فتأمل معي: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١]، **الله** هذا يدل على أي نوع مِنْ أنواع التوحيد؟ **توحيد الألوهية أو توحيد الإلهية، أو توحيد العبادة،** يعني: الله المألوه المعبود المحبوب المستحق العبادة، المستحق للخضوع والإيمان والطاعة، هذا اللفظ الأول (الله) توحيد الإلهية.

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ **(أحد) يدل على توحيد الأسماء والصفات:** أَنَّه أحدٌ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي ألوهيته، أحدٌ فِي ربوبيته، أحدٌ فِي إلهيته، أحدٌ فِي أفعاله، وهو أحدٌ فِي كُلِّ شيء.

وفرق بين أن يقول: قُل هو الله الواحد، لما تقول: (الواحد) و(الأحد) فيه فرق كبير، (الواحد) و(الأحد) فيه فرق كبير، كيف فرق كبير؟

لما يأتيك واحد ويقول لك: هل فلان عندك فِي البيت؟

تقول: ما عندي أحد. هذا نفي مُطلق ما عندي أحد أبدًا.

لما يقول لك: هل فلان عندك فِي البيت؟

تقول: ما عندي واحد. يعني عندي اثنين، عندي ثلاثة، ما عندي واحد. فكلمة (واحد) ما تُعطيك نفي مثل ما يُعطيك كلمة (أحد) فهو الأحد المنفرد الفرد الأحد فِي إلهيته: لا معبودَ بحقٍ إلا هو، فِي ربوبيته: لا رَبَّ سواه، وَفِي أفعالهِ وتصرفاتهِ فِي الكون؛ فبيدهِ كُل شيء.

هو الغني الأحد، وتأتي بجميع الأسماء الحُسنى وتضعها أمام (أحد) تجدهُ أحدٌ فِي غناه، أحدٌ فِي سمعهِ، أحدٌ فِي بصرهِ، أحدٌ فِي كذا، هذه تعتبر كلمة (أحد) تُثبت لنا ماذا؟ تثبت لنا هذا النوع مِنْ أنواع التوحيد وهو توحيد الأسماء والصفات.

يبقى عندنا التوحيد الثالث: توحيد الربوبية، أين هو؟

نقول: فِي كلمة **(الصمد)** ما معنى (الصمد)؟ ما هو (الصمد)؟

قالوا: الصمد الذي يصمدُ لاحتياجات النَّاس، يعني النَّاس هم المحتاجونَ إليه وهو الغني، فالخلق يصمدونَ إليه، يصمدونَ إليه يعني يلتفتونَ إليه باحتياجاتِهم، حتى سائر المخلوقات، الإنسان محتاج إلى ربه، والحيوان محتاج إلى ربه، وكل المخلوقات حتى الجمادات محتاجة إلى ربها، واللهُ هو الذي يتولاها، وهو الصمد سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

كلمة (الصمد) أن الخلقَ يتوجهونَ إليه وهو يصمدُ فِي إجاباتهم ويُعطيهم احتياجاتِهم.

فأنتَ لما تقرأ هذه الكلمة وأنت تقرأ سورة (الإخلاص) وتكررها دائمًا فِي كل وقت، تذكر كلمة (الصمد) أنك مُحتاج إلى ربك، وأن الله هو الذي يُعطيك ما تحتاج إليه، هو الذي يستجيب دُعاءك إذا سألته، وتذكر هذه الكلمة.

وقال بعضهم: إن (الصمد) الذي لا جوفَ له، يعني لا جوفَ له يعني لا يحتاج إلى أكلٍ ولا شُربٍ ولا إلى أي شيء، فهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الذي يُطعِمُ ولا يُطعَم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ فهو الغني مِنْ كُلِّ وجه.

إذا عرفت هذه الأشياء الثَّلَاثَة التي تُثبت لله أنواع التوحيد.

فننتقل إلى القسم الثاني فِي السورة، وهي ثلاثة أشياء ينفيها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عن نفسه، فيقول: ﴿لَمْ يَلِدْ﴾ [الإخلاص: ٣]، وهذا ردٌ على هذه الطوائف الثلاث: الْيَهُود والنصارى والمشركين.

◄ الْيَهُود قالوا: عُذير ابنُ الله، والله يقول: ﴿لَمْ يَلِدْ﴾. كيف يقولون ابن الله؟! تَعَالَى الله عما يقولونَ علوًا كبيرًا. الله يقول ﴿لَمْ يَلِدْ﴾ وأنتم تقولون ابن الله!! ما هذه الجراءة.

◄ والنصارى يقولونَ: المسيح ابن الله، والله يقول: ﴿لَمْ يَلِدْ﴾.

◄ والمشركون يقولون: الملائكةُ بناتُ الله، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يقول: ﴿لَمْ يَلِدْ﴾.

﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾ [الإخلاص: ٣]، لو كان يولد كان ضعيفًا، كان مُحتاجًا، فهو غنٌى مِنْ كُل وجه، لا يحتاج إلى غيرهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَالنَّاسُ كلهم محتاجونَ إليه. ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥]، غنٌى مِنْ كل وجه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ [الإخلاص: ٣].

﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ٤]، يعني لم يكن له مثيل ولا شبيه، ولا نِد، ما يُشابهُ أحد. لا شبيهَ له، ولا مثيلَ له، ولا نِدَ له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، هو المُنفرد. المنفرد بالصفات، المنفرد بالأفعال، المنفرد بالأسماء، المنفرد بكُلِّ شيء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

والسورة إذا تأملتها تأملًا دقيقًا وجدت أنها سورة على ما سُميت عَلَيْهِ، سورة (الإخلاص) فأنتَ تقرأها وأنتَ تُظهر الإخلاص لله؛ أَنَّه بهذه الصفات، وأنه ينبغي أن ننفي عنه هذه الصفات.

هذه كلمة ﴿كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ٤]، قُرأت قراءات صحيحة سبعية، قُرأت بأن تقول: ولم يكن له كفوًا (بالواو) كفوًا أحد. تضم الأولى (الحرف الأول) والثاني، كُفُوًا أحد.

وقُرأت (كفُـ-ًا) بالهمزة، كُفُـ-ًا أحد.

لكن القراءة الخاطئة التي نسمعها أحيانًا مِنْ بعض النَّاس، تسمعها أنت وأنا، أن يقول: كُفْوًا، كُفْوًا. (كُفْوًا) هذا خطأ، هذا لحن فِي القراءة، الفاء التي بعد الكاف يسكنونها، يقول: كُفْوًا، هذا خطأ. والصحيح أن تقول: (كُفُوًا) بضم الأولى وضم الثانية. كُفُوًا أحد.

وعرفنا أَنَّه لا يُكافئهُ أحد، ولا يُشابهُ أحد، ولا مَثِيلَ له.

السورة الحقيقة يعني لو تحدثت عنها أنا، وجلسنا جميعًا، نحن نتدبرها ونتأملها وهي سورة قصيرة، ما أعطيناها حقها، لم نُعطها حقها الحقيقة مما تُدل عَلَيْهِ هذه السورة، واللهُ يُحبُ مَنْ أحبها، ويُدخلُ مَنْ أحبها الجنة، لَا شَكَّ أنها سورة عظيمة.

وشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ ألف فيها مؤلفين كِبار، مؤلفات، نأتي نحن ونتكلم بعشر دقائق أو ربع ساعة أو أكثر مِنْ ذلك، أظن أننا ما أعطيناها حقها مِنْ المعاني والدلالات والتدبرات التي حول هذه السورة، لكن ما ذكرناه فيه إِنْ شَاءَ اللهُ الكفاية، وفيه النفع.

أسأل الله أن ينفعنا بما قلنا، وبما تحدثنا عنه، واللهُ أَعْلَمُ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨].



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الدرس (٦٢)

بسم الله، والحمد لله، وأُصلي وأسلم على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آلِهِ وصحبِهِ وَمَنْ اهتدى بهداه إلى يومِ الدين، اللّٰهمَ علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علمًا وعملًا يا رب العالمين.

أيها الإخوةُ الكِرام، السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، حياكم الله فِي هذا اللقاء المبارك، وَفِي هذا اليوم الثاني مِنْ شهرِ ربيعٍ الآخر مِنْ عام خمسةٍ وأربعين وأربعمائة وألف مِنْ الهجرة، أسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن ينفعنا بما نقول، وبما نسمع، وأن يجعلنا وإياكم مِنْ أهل القُرآن الذين هم أهلُ اللهِ وخاصته.

آخر القُرآن وخاتمة القُرآن المعوذتان، سورة الفلق، وسورة النَّاس، حتى ذكرَ أهل العلم أنها أو أنهما نزلتا فِي وقتٍ واحد.

واختلفَ أهلُ العلم فِي نزولها هل نزلت فِي مكة أو نزلت فِي المدينة؟ على أقوال، **والصحيح واللهُ أَعْلَمُ:** أنها نزلت بالمدينة؛ لأن النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي المدينة كان يُعوذُ نفسهُ بتعاويذ مِنْ السُّنّة، فلما نزلت أو نزلت هاتان السورتان تركَ التعاويذ وأخذ بهما.

سورة (الفلق)، سورة الفلق وسورة النَّاس وأيضًا التي قبلهما سورة الإخلاص، هذه الثلاث لها فضائل، مثل ما مر معنا، مِنْ فضائلها: أنها تُقرأ فِي الصباح وَفِي المساء، يعني فِي أوراد الصباح، وَفِي أوراد المساء؛ لأنها حفظ وحِرز لكُلِّ مَنْ يقرأها، فمن قرأها كانت حفظًا له مِنْ كُلِّ شر، يقرأها الإنسان بتدبر وبتأمل، يُكررُها ثلاثًا عند الصباح، فِي وِرد الصباح، وَفِي ورد المساء.

وَأَيْضًا مِنْ مواضع قراءتها وفضائلها: أنها تُقرأ بعد كُلِّ صلاة، وصلاة الفجر وصلاة المغرب التي هي أولُ النهار وآخره تُكرر ثلاثًا، وأما بقية الصلوات فإنها تُقرأ مرة.

كذلك مِنْ فضائلها وأماكن قراءتها أنها أيضًا تُقرأ عند النوم، فإذا أوى الإنسانُ إلى فراشه فإنه مِنْ السُّنّة أن يجمع كفيهِ ويقرأ سورة الإخلاص ثلاثًا وسورة الفلق ثلاثًا، وسورة النَّاس ثلاثًا، ثم يمسح وجههُ وسائر جسده، هذا مِنْ السُّنّة، لماذا؟ لماذا خُصصت هذه الأوقات؟

يعني أول الصباح، وَفِي المساء، وعند النوم، وبعد الصلوات الفرائض، لماذا؟ لأنها حرز، حرز وحفظ لهذا الإنسان، فيُصبح فِي حفظ الله وَفِي حِرزه، ويُمسي فِي حفظ الله وَفِي حرزه، ويضعُ رأسهُ على فراشهِ فِي حفظ الله وَفِي حرزه.

وكذلك لما كان مرتبطًا بالصلاة ويُصلي هذه الفرائض وهو أقرب ما يكون إلى الله، وهو فِي حفظ الله، فإذا انفلتَ مِنْ صلاتهِ قد تأتيه الشرور والشياطين، فيحفظ نفسهُ بهذه الأذكار.

هذه الأذكار أيها الإخوة التي يأتي بها الإنسان بعدَ كُلِّ فريضة، إذا صلى الفريضة وسلم، هناك أذكار مختصرة ليست بالمطولة: استغفر الله، استغفر الله، استغفر الله، اللَّهمَ أنتَ السلام، ومنك السلام، إلى آخر ما وردَ فِي ذلك.

العجيب إنك تجد بعض النَّاس يعني بمجرد الإمام يُسلم ويُسلم بعدهُ يخرج مُباشرة، ويقول: أنا آتي بالأذكار فِي الطريق وَفِي السيارة ويأتيه الشيطان ويُشغله، فهذه أشياء فضائل عظيمة، فضائل حرز وحفظ لك، وفيها أجور عظيمة، لا تحرم نفسك، وهي لا تأخذ منك ولا خمس دقائق أو أقل مِنْ ذلك، فتجد بعض النَّاس سُرعة، إلى أين تذهب؟ ما هذه السُرعة التي تأخذك مِنْ مكانك بعد الصَّلَاة إلى أن تذهب إلى أين؟ فكثير مِنْ النَّاس يتعجل ويستعجل فِي مثل هذا الأمر.

سورة (الفلق) افتتحها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بقولهِ: ﴿قُلْ﴾، والخطاب للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكُل مَنْ يصلح له الخطاب، أنا وأنت والثاني والثالث يُخاطبهُ الله بهذا، أن نقول: قُلْ. طيب، لماذا تأتي كلمة (قُلْ) أو الفعل هذا؟ تأكيدًا على أهمية هذه السورة، وعلى أهمية ما بعدَ قُلْ. إذا قرأتَ (قُلْ) كأن إنسان يقول لك مثلًا: قُلْ. تقول: ماذا أقول؟ يقول: قُلْ كذا. فهي تأكيد لك. فـ(قُلْ).

ثم قال بعدها: ﴿قُلْ أَعُوذُ﴾، وأعوذُ فعل معناه ألتجئ وأعتصم وألوذ بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، يعني أعتصم بالله، وألتجئ إلى الله مما قد يُصيبُني ومما قد يؤذيني. ﴿قُلْ أَعُوذُ﴾، والاستعاذة طلب العوذ وطلب اللجوء والاعتصام بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، هذا معنى الاستعاذة: طلب العوذ.

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ ولاحظ كلمة (رَبّ)، ومعنى الرَبّ أي الخالق الرازق المُدبر المتصرف بهذا الكون، فأنتَ تلجأ وتعتصم بِمَنْ؟ تعتصم بخالق هذا الكون المُدبر له، المُطلع عَلَيْهِ، العالم به، الحكيمُ العليم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الذي لا يخفى عَلَيْهِ شيء وهو القويُ العزيز الذي ينصرك ويحفظك، فتلجأ إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

فلذلك قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾، ما هو الفلق؟ الفلق اختلفَ أهلُ التفسير فيه، وأكثر هذه التفاسير كلها تدور وترجع إلى معنى واحد، يعني اختلافهم اختلاف تنوع، اختلاف يعني لا يتعارض. لو نرجع إلى كلمة (الفلق) هذه الكلمة التي سُميت السورة بها، مِنْ الفعل (فَلَقَ) والفَلق الشق، تقول: انفلقَ الكافور، كافور النخلة، انفلقَ عن كُمهِ أو انفلقَ يعني انشق.

وانفلقَ الشيء انشق. والضربة فِي الرأس يُقال لها ماذا؟ انفلاق، فلقة. هذا انشقاق. فأصل الكلمة هي الشَّق، الفلقُ هو الشَّق.

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾، يعني الفلق هو الشَق، ولذلك تجد بعض المفسرين يقول لك: الفَلق الصُبح. طيب لماذا سُميَ الصُبح؟ قال: لأنه يشق الليل بقوة، الليل قد ادلهمَ بظلمتهِ الشديدة على الأرض، حتى لا ترى ما أمامك، ثم بشدة هذه الظُلمة يأتي الصباح ويفلق هذه الظلمة حتى تزول، تنشق، تزول، ولذلك مجيء الصبح، مجيئهُ كالشق هكذا، طلوع الصبح، طلوع الفجر الكاذب، وعندنا طلوع الفجر الصادق، فتجد طلوع الفجر الصادق ينشق أُفقيًا هكذا، أفقيًا، فإذا انشقَ بدأَ النهار يشقُ الليل، يشقُ الليل، والفجر والصبح يشق الليل.

إذًا هذه الكلمة لما يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ﴾ [الأنعام: ٩٦]، فالق الإصباح يعني الصباح يفلقُ الليل فيشقهُ حتى يذهب، حتى يتلاشى وينتهي ويذهب، فكلمة الفلق: الشق.

لما يُقال لك: الفلق الصبح، صحيح الصُبح؛ لأن هذا توضيح لمعنى الفلق، وإلا الفلق كله.

وبعضهم يقول: هو فلقُ الحَب، الحب البذر ينفك، ينشق، يقول له: انفلق. ﴿فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى﴾ [الأنعام: ٩٥]، هذا معنى انشقاق الحب تحت الأرض، لما تضع البذور والحبوب تحت الأرض والنوى، نواة التمر تحت الأرض، بقدرة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى تنشق فيخرج منها هذا النبات الأخضر، فانشقاقُها يُسمى فلق، الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى﴾ شاقُها.

إذًا كلمة (الفلق) حتى نتأملها أكثر، هي انشقاق، طيب، لماذا يقول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾؟ هو ربُ كُل شيء، لماذا خص الفلق؟ لأن هذه الأمور سواءً فلق الصبح أو فلق الحب أو النبات، أو فلق كُل شيء، هذه أمور لا يقدر عَلَيْهَا إلا الله، ما يجيء إنسان، ما يستطيع المخلوق أن يشق الليل ويأتي بالنهار، ولا يستطيع أن يشق ولا الحبة تحت الأرض، مَنْ الذي شقها إذا حرثت الأرض بعد أيام وجدتها قد انشقت. مَنْ الذي شقها؟ ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى﴾[الأنعام: ٩٥] سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فالفلق بيدهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وتدبيرهُ بيده، ولذلك سُميت السورة بهذا الاسم.

وخصَ الله بها هذا بها لما قال: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝١ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾ فأنتَ تلجأ إلى الله الذي فلقَ كُلَّ شيء مِنْ أي شيء؟ ﴿مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾، مِنْ شَرِّ كُلَّ ما خلقه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، التي خلقها الله عَزَّ وَجَلَّ على هذه الأرض، وَفِي هذه الأجواء، فيها شر وفيها خير، لا تخلو مِنْ شرٍ ومن خير، فأنتَ تسأل الله خيرها وتعوذ بالله وتلجأ مِنْ شرها أن يُصيبك أو يضرك.

﴿مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾، يدخل فِي ذلك كُل المخلوقات التي فيها خير وفيها شَر، مِنْ بني آدم أو مِنْ حيوان، أو مِنْ هوام أو مِنْ أي شيء، ولذلك شوف هذه الآية جاءت عامة ﴿مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾، أي مِنْ شر ما خلقهُ الله كله، كُل شيء.

ثم بدأ يُخصص سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لما قال: ﴿مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾، قال: ﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾، الغسق شدة الظلمة، ﴿إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ﴾[الإسراء: ٧٨]، يعني شدة الظلمة، فإذا وقب أي إذا الليل مثلًا: إذا عم واشتدَ فِي ظلمته قِيلَ: الغاسق إذا وقت، أي الليل إذا اشتدَ بظلمتهِ واتسعَ بظلمته وألمَ على هذه الأرض بشدة ظُلمته فِي هذا الوقت فِي شدة الليل والظلمة، تكثر الشرور، ولهذا ينبغي للإنسان عند غروب الشمس أو قُبيل الغروب أن يأتي بهذه الأذكار حتى لا يُصيبهُ ما يظهر فِي هذه الليالي بالشرور، ولذلك النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمرَ بكف الصِبيان عن الخروج فِي الطرقات والشوارع عند غروب الشمس وعند بداية الليل؛ لأنها تظهر الشرور هناك.

فالليل إذا اسودَ بظلامهِ ظهرت؛ لأن أهل الشر سواءً مِنْ الإنسان أو مِنْ الشياطين أو مِنْ الحيوانات والسباع أو مِنْ هوام الأرض وحشرات الأرض إذا رأت الليل استترت بالليل وبدأت تظهر

وتؤذي فالإنسان فِي هذا الوقت يلجأ إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن يعصمهُ وأن يحفظهُ وأن يلجأ إلى الله بأن يُسلمهُ وألا يضرهُ مِنْ هذه الأمور.

ولذلك بدأ بالليل لانتشار هذه الشرور وهذا الليل، ولذلك يحرص عَلَيْهِ الإنسان، يحرص على هذه الأكار فِي هذه الأوقات.

قال: ﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ۝٤﴾ خَص هذه الأشياء التي هي النفاثات، فالنفاثات، قيلَ المراد بها: السواحر، الساحرات التي يسحرن، والسِحر قد يُصيب الإنسان، له حقيقة وله تأثير، وقد يُصيب الإنسان، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى حرمَ السِحر، وحكمَ على السواحر بالكُفر، «الساحر حدهُ ضربةٌ بالسيف» فيُقتل لأنه كافر ويستعين بالشياطين ويؤذي النَّاس، فالسِحر مُحرم، ولذلك يستعيذ الإنسان مِنْ هذه النفاثات.

النفاثات واحدُها نفاثة، قال بعض أهل التفسير: المراد بها السواحر النساء. طيب، لماذا خصَ النساء؟ قال: لأنه يكثر السِحر عندهن، ولا يمنع أن يدخل الرجال.

وبعضهم يقول: لا، المراد بالآية النفاثات يعني الأنفس، يدخل فيها الرجال والنساء، يعني النفس النفاثة يعني الساحرة.

طيب، ما معنى النفاثة؟ لأنه ينفث يعني ينفخ بريقه، يكون نفخٌ به شيءٌ مِنْ الرِيق، به رطوبة، فينفثُ على هذه العُقد. ﴿النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾ يأتونَ بخيوط وسلوك ويعقدونها ويربطونها بربطات ثم ينفثونَ فيها نفثات بكلامٍ يأخذونهُ مِنْ الكهنة ومن الشياطين، ويفعلون هذه الأفعال، فبإذن الله، بإذن الله قد تؤثر، كَمَا قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٠٢]، إلا إذا أرادَ الله، وهم يفعلونَ هذه الأفعال ويؤذونَ بها الخلق.

فلذلك إنسان يسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن يحفظهُ ويعصمهُ مِنْ شَرِّ هذه السواحر، قد نسمع نحنُ كثيرًا ممن يُصابونَ بالسحر ويتأذون، لا يأكل ولا يشرب ولا ينام ولا يُصلي، بسببِ هذا، وهم يؤذونَ هؤلاء، فنسأل الله أن يحفظنا دائمًا مِنْ شَرِّ السحرة وتأثيرهم علينا، وأن يحفظنا وألا يُقيمَ لهم مقامًا بين المسلمين، فيتعوذ بالله مِنْ الشيطان.

فإذا هذه السورة تحفظك مِنْ السحرة.

قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾، والحسد ما هو؟ هو أن يتمنى هذا الشخص أن تزول عنك النعمة، إذا وجد عندك نعمة يحسدك عَلَيْهَا، هذا هو، والحسد محرم وكبيرة مِنْ كبائر الذنوب، و«الحسد يأكل الحسنات كَمَا تأكل النار الحطب»، وحرمَ الله عَزَّ وَجَلَّ الحسد ونهى عنه، جاءت السُّنّة بالنهي.

الحسد هو أن يتمنى زوال نعمة هذا الشخص، إذا رآك، والحسد غالبًا يأتي مِنْ أهل الشَر، فإذا رآك فِي نعمة، فِي خير، أو فِي وظيفة، أو فِي مرتبة عالية، أو أنعمَ الله عليك بشيءٍ مِنْ أمور الدنيا يحسدك عَلَيْهَا، أو رُزقت بأولاد صالحين، أو رُزقت بزوجةٍ صالحة، يحسدك عَلَيْهَا، هذا الحسد تمني زوال النعمة، هذا الذي حذرَ الله منه، قال: ﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾.

والحسد غالبًا يأتي مِنْ ضُعفاء الإيمان، ما عنده إيمان، ما عنده، ينظر النظرات هذه، ويدخل فِي ذلكَ فِي الحاسدين العاين الذي يُصيب النَّاس بعينه، هذا العاين والحاسد كُلهُ داخل فِي هذا الأمر، يتعوذ بالله مِنْ شر حاسدٍ إذا حسد.

سورة عظيمة الحقيقة، نقرأها كثيرًا، لكن نحتاج إلى أن نتأملها، نتفكر فيها، وعلينا عندما نقرأها بعد الصلوات، أو فِي الصباح، عند الصباح فِي أوراد الصباح، أو فِي المساء فِي أوراد المساء، أو عند النوم أن تقرأها وأنتَ تستحضر هذه المعاني، لا أنكَ تقرأها بلسانك، اقرأها بقلبك، تأمل، تُفكر فيها وشوف، أنت عرفت الآن معناها، تذكر هذه المعاني واقرأها، وستجد أن هناكَ فرق كبير جدًا بين قراءتك السريعة، وبين قراءتك فِي تأمل وفهم المعاني، والتأمل وفهم المعاني يؤثر فيك.

ولذلك هي مِنْ أسباب الشفاء، الإنسان قد يُصاب بأمراض، النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما أُصيب بمرض أو نحو ذلك، كان يُرقي نفسه بالمعوذتين، وبسورة الإخلاص، وأنا أذكر فيه يعني ممن استعملها حقيقةً، استعملت هذه الأذكار مِنْ سورة الإخلاص والمعوذتين، يعني استعملها فِي رُقيةِ نفسه فشفاهُ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وأذكر سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ، جاءه رجل يشتكي، فقال له: عليكَ بآية الكُرسي وهذه السور الثلاث: المعوذتين ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، الزمها وسيشفيك الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، سيشفيك.

يقول هذا الرجل: أخذت كلام الشيخ ولازمتها مُدةً ورجعت للشيخ، قلت: شفاني الله عَزَّ وَجَلَّ. شفاني الله، لماذا؟ لأنه أخذها بِجد وحِرص بإيمان قوي أنها تشفي، هي رُقية تشفي.

فنسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن ينفعنا بما قلنا، وبما سمعنا، ويجعلنا وإياكم هُداةً مُهتدين، وأن يوفقنا وإياكم إلى ما يُحب ويرضى، واللهُ أَعْلَمُ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الدرس (٦٣)

بسم الله، والحمد لله، وأُصلي وأسلم على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آلِهِ وصحبِهِ وَمَنْ اهتدى بهداه واتبعَ سُنتهُ إلى يومِ الدين، اللّٰهمَ علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علمًا وعملًا يا رب العالمين.

أيها الإخوةُ الكِرام، السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، حياكم الله فِي هذا اللقاء المبارك، وَفِي هذا اليوم يوم الثلاثاء الموافق التاسع مِنْ شهرِ ربيعٍ الآخر مِنْ عام خمسةٍ وأربعين وأربعمائة وألف مِنْ الهجرة، مجلسنا المُبارك مع كتاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قراءةً وتدبرًا وتأملًا وتفكرًا، ونسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن يُعيننا وأن يُوفقنا وأن ينفعنا بما نقول وبما نسمع.

خاتمة القُرآن الكريم، السورة العظيمة الجليلة النفع المُباركة التي ختمَ الله بها كتابهُ العظيم، **هي سُورةُ (النَّاس)** التي تُسمى بالمعوذة.

الحقيقة لما تقرأ فِي هذه السورة، وهي آخر سورة فِي كتاب الله، وتُقارن بينها وبينَ ما قبلها وهي سورة الفلق، الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى جعلَ فِي هاتين السورتين تعويذًا لكل إنسان، ولجوءً واعتصامًا إليه مِنْ الشرور كلها، وَفِي مقدمتها الشيطان الرجيم.

وما ذكرناهُ فِي لقاءنا الماضي فِي فضائل سورة الفلق، هي فضائل أيضًا فِي سورة النَّاس، فالإنسان يقرؤها فِي المساء فِي أوراد المساء، وَفِي أوراد الصباح حرزًا له وحفظًا له مِنْ شياطين الإنس والجِن، ويقرؤها أيضًا عند النوم حتى تكونَ حفظًا له وحرزًا، ويقرؤها أيضًا دُبرَ كُلِّ صلاة، إلا فِي صلاةِ المغربِ والفجر فيُكررُها ثلاثًا، هذه السور هي السور الثلاث: سورة الإخلاص ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، وسورة الفلق، وسورة النَّاس، كلها معوذات وحفظ وحرز لهذا الإنسان.

لو تدبرنا أيها الإخوة وتأملنا هذه السور الثلاث هي خاتمة القُرآن الكريم، وخاصةً السورة الأخيرة؛ سورة النَّاس، لماذا جُعلت فِي هذا المكان؟ لماذا لم تكن فِي أول الأمر؟

أنتَ إذا أردتَ أن تقرأ القُرآن تقولُ: أعوذُ بالله، تبدأ بالاستعاذة، واللجوء إلى الله مِنْ الشيطان الرجيم، هذه جاءت فِي آخر شيء، فِي آخر القُرآن أنكَ تلجأ إلى الله وتعتصم بالله، وتستعين بالله، وتطلب مِنْ الله الحفظ، لماذا؟ لأن الإنسان لما يقرأ هذا القُرآن العظيم، الكنز العظيم هذا بما فيهِ مِنْ أجور عظيمة، وبما فيه مِنْ توجيهات ونصائح وتحذير، وترغيب، وترهيب، يعني لو نعرض القُرآن أمامنا وما فيه مِنْ قصص قُرآنية وعِبر ودروس، الإنسان حصل على أمر عظيم وكنز عظيم.

فقد أولًا: يُعجب بنفسه، قد يدخلهُ الغرور، قد يأتيه الشيطان، فجعلَ الله فِي خاتمتهِ أن يلجأ إلى الله عَزَّ وَجَلَّ لضعفهِ وعدم قُدرته، والشيطان يتسلط، فكان خاتمة القُرآن خاتمة مُناسبة جدًا أنكَ تلجأ إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وتعتصم بالله، لولا الله، ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَى مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾ [النور: ٢١]، وما سلمَ منكم مِنْ الشيطان؛ لتسلط الشيطان عَلَيْهِ.

وأنتَ تقرأ فِي كتاب الله فيه سور عظيمة، شَر وعداوة هذا الشيطان لهذا الإنسان.

سورة الفلق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قال لي ولك ولكل إنسان: ﴿قُلْ﴾ أيها الإنسان، ﴿أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ مِنْ ثلاثة أشياء، برب واحد موصوف بأنه ربُ الفَلق، بثلاثة أمور: ﴿مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ۝٤﴾ [الفلق: ٢ - ٤].

جاءت سورة النَّاس بالعكس، تستعيذ بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بثلاثة أمور: بأنه ربُ النَّاس، ومالكهم، وإلههم، مِنْ شر واحد.

الأول سورة الفلق تستعيذ بالله فقط أَنَّه ربُ الفلق مِنْ ثلاثة أمور.

وهنا عكس، مِنْ أمر واحد.

لماذا؟

هذا الأمر الواحد أخطر مِنْ الأول، الأول: ﴿مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ۝٤﴾، هذه تضرك فِي جسدك وَفِي نفسك، أما الأخير فِي سورة النَّاس يضرك فِي دينك، وهذا أخطر وأعظم، وأنت تحفظ دينك أشد مِنْ أن تحفظ بدنك ونفسك، ولذلكَ

يعني، فلذلك يعني أكدَ الله على ماذا؟ على التعوذ باللهِ، أن يتعوذ الإنسان ويلجأ؛ لأن التعوذ ما هو؟ هو الاعتصام واللجوء، يعني أنكَ تعتصم بالله، تتمسك بالله، وتلجأ إلى الله بأنكَ تكون فِي حفظ الله ورعايته؛ لأنك لو لم تكن فِي حفظ اللهِ ورعايته؛ لتسلطت عليك شياطين الإنس والجِن.

فأنتَ تعتصم، الإنسان فِي هذه الدنيا يعيش فِي هذه الدنيا أمامهُ شرور، أمامهُ يعني أشرارًا مِنْ الجنِ والإنس، لن يتركوه، ولن يفلت منهم إلا بفضلٍ مِنْ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وعصمة.

ولذلك الإنسان لما يقرأ هذه السورة يقرأها بتدبر:

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ [الناس: ١]، فالاستعاذة هي اللجوء والاعتصام بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، تلجأ وتعتصم وتلوذ بالله. يلوذ يعني يكون فِي حفظ الله وَفِي حمايته، مِنْ أي شيء؟

قال: تتعوذ بالله وتستعين بالله وتلجأ إلى الله أن يحفظكَ الله، ولذلك شوف: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾، رب النَّاس يعني هو الذي خلقهم، رَبُ النَّاس هو خالقهم ومُربيهم ورازقهم ومُسخر لهم كُلَّ شيء فِي هذه الحياة، هذا هو رَبُهم، فإذا كان هو رَبُهم؛ فإنهُ هو مالكهم، ولذلك تقول: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ۝١ مَلِكِ النَّاسِ ۝٢﴾ [الناس: ١، ٢]، فالذي خلقكَ وأوجدكَ ورباك، هو الذي يملكُكَ ويتصرف فيك، فتلجأ إليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قال: ﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾، لاحظ، تأمل معي: أَنَّه هنا قال: ﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾. فِي سورة الفاتحة ماذا تقول؟ تقول: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤]، (مالك). وهنا تقول: (مَلِك).

هل مالك وملك واحد؟ ولا يختلف؟

نقول: لا، يختلف.

طيب، لماذا؟ ما الفرق؟ كيف نُميز بين هذا وهذا؟

نطبق على أي إنسان. أي إنسان لما تقول: أنا مالك لهذه الأرض يعني مُلكًا تامًا. لما تقول: أنا ملك على مكان، أو ملكٌ على هذه الإدارة، أو هذا ملكٌ على هذه البلدة، لا يملكهم مُلكًا حقيقيًا بحيث أَنَّه يأخذهم ويبيعهم ويشتري بهم، لا، وإنما يُسيطر عليهم، بمعنى: أن يكونوا تحتَ حُكمه.

فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى جمعَ بين الأمرين، هو يملكهم حقيقة وهم عبادهُ، وهم تحتَ مُلكه، وتحتَ تصرفه. شوف كيف؟!

ولذلكَ سورة الفاتحة قُرأت بقراءتين: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٢ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝٣ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ۝٤﴾ [الفاتحة: ٢ - ٤]، و(مالك يوم الدين)؛ لأنه تُعطي هذين المعنيين العظيمين: أَنَّه يملكهم مُلكًا حقيقيًا، وأنهم تحتَ مُلكهِ وتحتَ تصرفه.

ولذلك لاحظ فِي هذه السورة الإنسان يتعوذ بالله لأنه هو إلهه، بأنهُ هو خالقه، أَنَّه ربه، وأنه مالكه، وأنه إلهه. فإذا عرفتَ أن الذي خلقكَ ورباكَ ورزقك هو الله، وهو مالكٌ لك، وملكٌ وأنتَ فِي مُلكه؛ فإنكَ أنتَ عبده، أنتَ عبدهُ وهو ربُك، وأنتَ تتعبد وتخضع له، وما خلقكَ إلا لعبادته، وما أوجدكَ إلا لتُحقق هذه العبادة، وهو إلهُك، ولذلك تقول: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ۝١ مَلِكِ النَّاسِ ۝٢ إِلَهِ النَّاسِ ۝٣﴾ [الناس: ١ - ٣].

قد يأتيك شخص يقول لك: لماذا تتكرر كلمة (النَّاس، النَّاس، النَّاس)؟ لماذا لم يقل: قل أعوذُ برب النَّاس، ملكهم، إلههم؟

نقول: تأكيد، تأكيد على أن هذا الإنسان فِي حُكم الله، وتحتَ تصرف الله، وَفِي مُلك الله، وهو عبدٌ لله، واللهُ هو إلههُ، فتؤكد على ذلك.

والعجيب أيها الإخوة يعني هذه السورة هي حِرز مِنْ أي شيء؟ مِنْ الشيطان، وتُلاحظ أن تِكرار اسم (النَّاس، النَّاس، النَّاس) والسورة كلها تُسمى (النَّاس)، كأن الموضوع يدور حولَ النَّاس، ليسَ حول الشيطان، مع أنها هي حِرز مِنْ ﴿الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾ [الناس: ٤]، مِنْ هذا الشيطان، لماذا؟ لأن المقصود هو الإنسان، المقصود أنت، والمقصود أنا وفلان وفلان أن يكونَ على وعي، فلذلك سُميت السورة بسورة النَّاس، حتى يكون الإنسان على وعي وعلى انتباه، وألا يغفل مِنْ عدوه الذي يتربص به فِي كُلِّ وقت.

ولذلك تلاحظ لما قال هذه الأمور: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ۝١ مَلِكِ النَّاسِ ۝٢ إِلَهِ النَّاسِ ۝٣﴾ [الناس: ١ - ٣]، قال بعدها: ﴿مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ۝٤﴾ [الناس: ٤]، واحد.

تتعوذ بالله بصفاتهِ وبأسمائهِ العظيمة مِنْ واحد هذا، هذا الواحد هذا هو العدو، العدو الذي يتربص بكَ فِي كُلِّ وقت، ولذلك ما أتى باسمه، وإنما أتى بوصفين، وصفينِ يعني حتى تعرف حقيقة هذا الشيطان، ولذلك لم يأتي باسمه، ما قال: مِنْ شرِ الشيطان الرجيم، وإنما قال: ﴿مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾؛ فهو يوسوس ويُشغل الإنسان، وأصلُ الوسوسة هي الصوت الخفي، ويُزين للإنسان ويضلهُ ويُملي له، ويدله على الشَر، هذه هي الوسوسة.

ثم هو فِي نفس الوقت ضعيف، خناس، يختفي ويذهب ويعود، ويذهب ويعود؛ لأن شرهُ لا ينقطع.

وقد أقسمَ هو، أقسمَ: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٨٢ إِلَّا عِبَادَكَ﴾ [ص: ٨٢، ٨٣]، فهو أقسمَ بالله، وطلبَ مِنْ الله أن يُنظره، أنظرني، حتى يجلسَ لهذا الإنسان.

وأول ما بدأ بأبينا آدم عَلَيْهِ السلام، حتى أخرجهُ مِنْ الجنة، ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ۝٢٠ وَقَاسَمَهُمَا﴾ يمينًا، ﴿إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ۝٢١﴾ [الأعراف: ٢٠ - ٢١] حتى دلاهما بغرور.

فالعدو يتربص بك وأنتَ لو لم يحفظكَ الله، ولو لم تحفظ نفسكَ بهذه الأوراد لتسلطَ عليكَ الشيطان، و﴿مَا زَكَى مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾ [النور: ٢١]. ﴿الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾ [الناس: ٤].

ولذلك جاءَ بالفعل المضارع، (يوسوس) يدل على أي شيء؟ على أَنَّه لا ينقطع، فِي كل وقت. ﴿الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾ [الناس: ٥]، قد يأتيك سائل ويقول لك: (في صدور النَّاس) ولا فِي قلوبهم؟ لماذا قال فِي الصدور ولم يقل فِي القلوب؟

نقول: إذا دخلَ فِي الصدر، تمكنَ مِنْ الصدر، تمكن مِنْ القلب؛ لأن القلب داخل الصدر، فهو يأتي إلى هذا المكان الفسيح الواسع الصدر، فيجلس فيه ويتربص لهذا، فيُسيطر على هذا القلب، والقلب هو ملكُ الأعضاء، القلب هو الذي تتحرك الأعضاء بأمره، فإذا تسلطَ على هذا القلب؛ حركَ هذا القلب، حركهُ كيفَ شاء، وبدأ يأمرهُ بما شاء، وصار هذا القلب أسيرًا فِي يدِ هذا الشيطان.

ولذلك قال: ﴿فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾.

وأعلم أن هذا الشيطان ليسَ جنسًا واحدًا:

- شيطانٌ مِنْ الجِن. - وشيطانٌ مِنْ الإنس.

وشيطان الجِن أضعف مِنْ شيطان الإنس، وشيطان الجِن أخفى مِنْ شيطان الإنس، خفي وضعيف، وبمجرد أن تستعيذ بالله يهرب ويخنس ويختفي، وأما شيطان الإنس فهو ظاهر، وتستعيذ بالله ويبقى أمامك، وشرهُ أشد مِنْ شر هذا شيطان الجِن. لكن شيطان الإنس وإن كان شرهُ شرًا عظيمًا، إلا أَنَّه لا يبقى معك دائمًا، مثل شيطان الجِن وهو الشيطان الرجيم هذا لا ينفلت عند أبدًا، و«يجري مِنْ ابنِ آدم مجرىٰ الدم»، لا ينفك عنه، وهو الذي يُسلط هؤلاءِ الشياطين، تحتهُ جنود، جنود مِنْ شياطين الجِن، وجنود مِنْ شياطين الإنس، كلهم يُسيرهم ويُدبرهم حيثُ شاء.

قال: ﴿مِنَ الْجِنَّةِ﴾ [الناس: ٦]، المراد بالجِنة، لما يقول: ﴿الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾ [الناس: ٥]، هذا الذي يوسوس، الخناس، الوسواس الخناس ما هو؟ قال هذا: إما أن يكون مِنْ الجِنة، وإما يكون مِنْ النَّاس.

والمراد بـ(الْجِنَّة) هنا: الجِن. المراد بالجِنَّة، ليست الجَنَّة، لا، الجِنَّة بالكسر هي الجِن، كَمَا قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ [الصافات: ١٥٨]، الجِنَّة يعني الجِن، سموا جِنًا لاختفائهم. فـ﴿مِنَ الْجِنَّةِ﴾ يعني مِنْ شياطين الجِن.

﴿وَالنَّاسِ﴾ [الناس: ٦]، يعني مِنْ شياطين النَّاس.

☚ فالشيطان تحتهُ جنودهُ مِنْ شياطين الجن، ومن شياطين الإنس.

سورة عظيمة حقيقة، تحتاج مِنا عند قراءتها فِي الصباح، فِي المساء، بعدَ الصلوات الفرائض، عند النوم أن تقرأها وأنتَ تتأمل عِظم هذه السورة التي ختمَ الله بها كتابه، أن تتأملها تأملًا عظيمًا، وتتذكر فيها، وتُلازمها، تُلازمها مُلازمةً تامة؛ لأنها هي وما قبلها مِنْ السورتين، السور الثلاث هذه تُلازمها مُلازمةً تامة؛ لأن فيها بإذن الله حفظكَ مِنْ كُلِّ، مِنْ شياطين الإنس والجِن.

نسأل الله أن ينفعنا وإياكم بما نقول، وبما نسمع، وأن يوفقنا وإياكم لطاعته، واللهُ أَعْلَمُ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الفهرس

الدَرْسِ (١)..... ٢
الدَرْسِ (٢)..... ٨
الدَرْسِ (٣)..... ١٥
الدَرْسِ (٤)..... ٢٠
الدَرْسِ (٥)..... ٢٨
الدَرْسِ (٦)..... ٣٦
الدَرْسِ (٧)..... ٤٢
الدَرْسِ (٨)..... ٤٩
الدَرْسِ (٩)..... ٥٦
الدَرْسِ (١٠)..... ٦٤
الدَرْسِ (١١)..... ٧١
الدَرْسِ (١٢)..... ٧٦
الدَرْسِ (١٣)..... ٨٣
الدَرْسِ (١٤)..... ٨٩

الدَرْسِ (١٥)..... ٩٧
الدَرْسِ (١٦)..... ١٠٤
الدَرْسِ (١٨)..... ١٠٩
الدَرْسِ (١٩)..... ١١٧
الدَرْسِ (١٩)..... ١٢٤
الدَرْسِ (٣٠)..... ١٣١
الدَرْسِ (٣١)..... ١٣٧
الدَرْسِ (٣٢)..... ١٤٦
الدَرْسِ (٣٣)..... ١٥٤
الدَرْسِ (٣٤)..... ١٦١
الدَرْسِ (٣٥)..... ١٧٢
الدَرْسِ (٣٦)..... ١٨٠
الدَرْسِ (٣٧)..... ١٨٨
الدَرْسِ (٣٨)..... ١٩٤
الدَرْسِ (٣٩)..... ٢٠٤
الدَرْسِ (٣٠)..... ٢٠٩
الدَرْسِ (٣١)..... ٢١٨
الدَرْسِ (٣٢)..... ٢٢٣

الدَرْسِ (٣٣)..... ٢٣٠
الدَرْسِ (٣٤)..... ٢٣٦
الدَرْسِ (٣٥)..... ٢٤٧
الدَرْسِ (٣٦)..... ٢٥٦
الدَرْسِ (٣٧)..... ٢٦١
الدَرْسِ (٣٨)..... ٢٧٠
الدَرْسِ (٣٩)..... ٢٨٠
الدَرْسِ (٤٠)..... ٢٨٧
الدَرْسِ (٤١)..... ٢٩٣
الدَرْسِ (٤٢)..... ٣٠٢
الدَرْسِ (٤٣)..... ٣٠٧
الدَرْسِ (٤٤)..... ٣١٤
الدَرْسِ (٤٥)..... ٣٢٠
الدَرْسِ (٤٦)..... ٣٢٧
الدَرْسِ (٤٧)..... ٣٣٤
الدَرْسِ (٤٨)..... ٣٤١
الدَرْسِ (٤٩)..... ٣٤٧
الدَرْسِ (٥٠)..... ٣٥٤

الدَرْسِ (٥١) ٣٦٠
الدَرْسِ (٥٢) ٣٦٧
الدَرْسِ (٥٣) ٣٧٥
الدَرْسِ (٥٤) ٣٨٢
الدَرْسِ (٥٥) ٣٨٨
الدَرْسِ (٥٦) ٣٩٣
الدَرْسِ (٥٧) ٤٠٠
الدَرْسِ (٥٨) ٤٠٦
الدَرْسِ (٥٩) ٤١٣
الدَرْسِ (٦٠) ٤١٩
الدَرْسِ (٦١) ٤٢٧
الدَرْسِ (٦٢) ٤٣٦
الدَرْسِ (٦٣) ٤٤٣
الفهرس ٤٤٩